

# التفسير المحجرات

لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

إِعْدَادُ

الْقِسْمِ الْعِلْمِيِّ مُمَوَّسَّسَةِ الدَّرَرِ السَّنِيَّةِ

مُرَاجَعَةٌ وَتَدْقِيقٌ

السَّيِّدِ الرَّسُولِيِّ عَالِمِ عِلْمِ عَمَّالِ السَّنَةِ الشَّيْخِ الرَّسُولِيِّ أَمِيرِ السُّلَيْمِيَّةِ  
أَسَانِ السُّنَنِ وَالْعُلُومِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي عِيَايَةِ الشَّامِ أَسَانِ التَّسْوِيفِ وَالْعُلُومِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي عِيَايَةِ بَلَدِ قُرْبَانِ

الإشرافُ العامُّ

السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الْفَائِزِ السَّقَّانِ

المجلد الرابع

الدَّرَرِ السَّنِيَّةِ

www.dorar.net

التفسير المأثور  
للقرآن الكريم

٤

ح مؤسسة الدرر السنية للنشر - ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

التفسير المحرر للقرآن الكريم (سورة المائدة) المجلد الرابع/ القسم العلمي

بمؤسسة الدرر السنية - الظهران، ١٤٣٧هـ

ص، ١٧ سم × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٥٤-٣٢-٨

١- القرآن - سورة المائدة - تفسير ٢- القرآن - التفسير الحديث

أ- العنوان

١٤٣٧/٥٥٠

ديوي ٢٢٧,٦

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٥٥٠

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٥٤-٣٢-٨

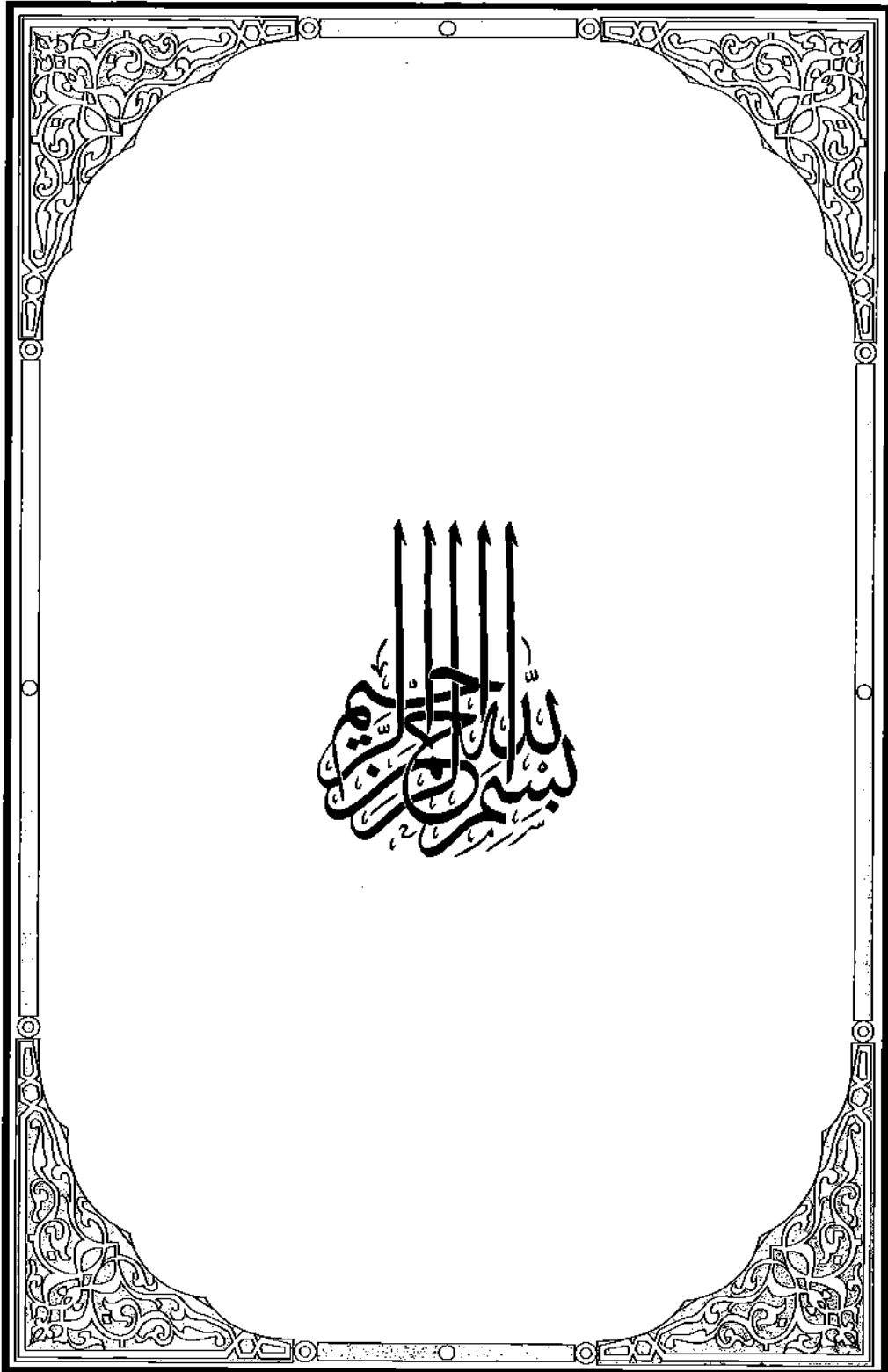
جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

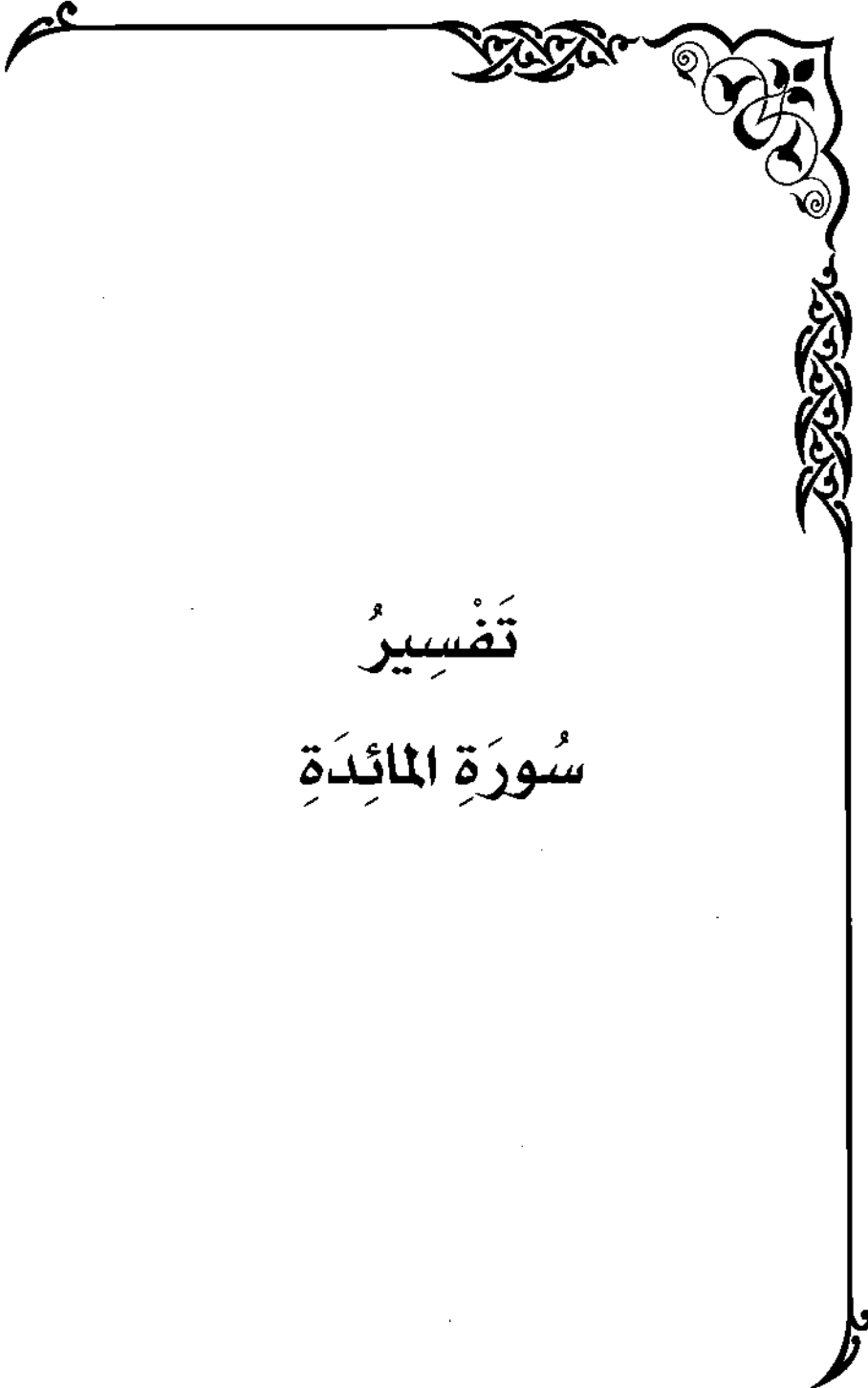
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية  
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٥٥٦٩٨٠٢٨٠  
ت: ١٣٨٦٨٠١٢٣ / فاكس: ١٣٨٦٨٢٨٤٨ - بريد إلكتروني: nashr@dorar.net

الدرر السنية  
www.dorar.net



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تَفْسِيرُ  
سُورَةِ الْمَائِدَةِ



## سُورَةُ الْمَائِدَةِ

## أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، سُورَةُ الْمَائِدَةِ<sup>(١)</sup>.

فَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: (حَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا جُبَيْرُ، تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ...)<sup>(٢)</sup>.

## فَضَائِلُ السُّورَةِ وَخِصَائِصُهَا:

١- سُورَةُ الْمَائِدَةِ مِنَ السَّبْعِ الطَّوَالِ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَ التَّوْرَةِ:

فَعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطَّوَالِ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثِينَ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثَانِي، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ))<sup>(٣)</sup>.

(١) سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِهَذَا الْأَسْمِ؛ لِوُرُودِ ذِكْرِ الْمَائِدَةِ فِيهَا؛ حَيْثُ طَلَبَ الْحَوَارِيُّونَ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةَ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَتَكُونُ لَهُمْ عَيْدًا، وَقَدْ اخْتَصَّتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِذِكْرِهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ \* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عَيْدًا لِأَوْلَانَا وَأَخْرَانَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ \* قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُم مِّنْكُمْ فَأِنِّي أَعْدِبُ الَّذِينَ لَا يُعَدِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥]. يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٦٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٥٥٤٧)، وَالتَّسَانِي فِي ((السنن الكبرى)) (١١٠٧٣)، وَالحَاكِمُ فِي ((المستدرک)) (٣٢١٠).

قَالَ الْحَاكِمُ (٣٢١٠): صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ. وَقَالَ الشُّوكَانِيُّ فِي ((نيل الأوطار)) (٩/٢٠٤): رَجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٦٩٨٢)، وَالتَّطَائِمِيُّ فِي ((المسند)) (١١٠٥)، وَالتَّطْبَرَانِيُّ فِي ((المعجم الكبير)) (٧٦/٢٢) (١٨٧)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي ((شعب الإيمان)) (٢٢٥٥)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي =

٢- من خصائص هذه السورة: أنها من آخر ما نزل من القرآن<sup>(١)</sup>:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (أَخْرُسُورَةٌ أَنْزِلَتْ سُورَةٌ الْمَائِدَةَ)<sup>(٢)</sup>.

وعن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ لَهُ: (يَا جُبَيْرُ، تَقْرَأُ الْمَائِدَةَ؟) فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: أَمَا إِنَّهَا أَخْرُسُورَةٌ نَزَلَتْ)<sup>(٣)</sup>.

٣- من خصائصها: أنها أجمعُ سورة في القرآن لفروع الشرائع، ودُكر فيها من التحليل والتحریم والإيجاب ما لم يُذكر في غيرها<sup>(٤)</sup>.  
بيان المكي والمدني:

سورة المائدة سورة مدنيّة، نزلت بعد الهجرة، ونقل الإجماع على ذلك عددُ

= ((معرفة الصحابة)) (٦٤٨٥).

قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٤٩/٧): فيه عمران القطان، وبقية رجاله ثقات. وحسنه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (١١٧١)، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٠٥٩).  
(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٤٥٢/١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣٢١/٢).

وقيل: إن سورة المائدة مُحكمةٌ ليس فيها منسوخٌ، وقد وردَ هذا عن ابن عباسٍ وعائشة وعمرو ابن شريحيل وجمع من السلف.

قال ابن حجر: (حتى صحَّ عن ابن عباسٍ وعائشة وعمرو بن شريحيل وجمع من السلف: أن سورة المائدة مُحكمةٌ) ((فتح الباري)) (٤١٢/٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٦٣)، والحاكم في ((المستدرک)) (٣٢١١)، والبيهقي في ((السنن الكبرى)) (١٣٩٧٩).

قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ. وحسنُ إسناده الألباني في ((صحيح الترمذي)) (٣٠٦٣).

(٣) تقدم تخريجه

(٤) قال أبو حيان: (قد تضمنت هذه السورة ثمانينَ عُشرةً فريضةً لم يبيها في غيرها) ((تفسير أبي حيان)) (١٥٧/٤). وقال ابن عاشور: (احتوت هذه السورة على تشريعات كثيرة تُشئ بأنها أنزلت لاستكمال شرائع الإسلام) ((تفسير ابن عاشور)) (٧٢/٦)، ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٤٤٨/١٤).



من المفسرين<sup>(١)</sup>.

## مَقاصِدُ السُّورَةِ:

من أهمِّ المقاصدِ التي تَضَمَّتْهَا سُورَةُ الْمَائِدَةِ:

١- التَّكْيِيدُ عَلَى حِفْظِ الْعُهُودِ وَالْمَوَائِقِ وَالْوَفَاءِ بِهَا<sup>(٢)</sup>.

٢- بَيَانُ كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ الْعَقِيدَةِ، وَمِنْ أَبْرَزِهَا الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ، وَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>.

٣- بَيَانُ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ<sup>(٤)</sup>.

٤- تَنْظِيمُ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ<sup>(٥)</sup>.

## مَوْضُوعَاتُ السُّورَةِ:

من أبرز الموضوعاتِ التي تناولتها سُورَةُ الْمَائِدَةِ:

١- تَقْرِيرُ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْإِهْتِمَامُ بِأُمُورِ التَّوْحِيدِ، وَتَصْحِيحُ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعْتَقَدَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالتَّذْكِيرُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢- تَقْرِيرُ أَنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا حُكْمَ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ بَيَانِ وَجُوبِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِلْغَاءِ حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَقْبِيحِهِ.

٣- التَّكْيِيدُ عَلَى عَقِيدَةِ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ، وَالتَّشْدِيدُ عَلَى تَوَلِّيِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ

(١) وَمَنْ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ: ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي ((تَفْسِيرِهِ)) (٢/١٤٣)، وَالْقُرْطُبِيُّ فِي ((تَفْسِيرِهِ))

(١/٣٠)، وَابْنُ عَاشُورٍ فِي ((تَفْسِيرِهِ)) (٦/٦٩).

(٢) يُنْظَرُ: ((بَصَائِرُ ذَوِي التَّمْيِيزِ)) لِلْفَيْرُوزِ أِبَادِي (١/١٧٩)، ((فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ)) لِسَيِّدِ قَطْبٍ (٢/٨٢٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ)) لِسَيِّدِ قَطْبٍ (٢/٨٢٥، ٨٢٦).

(٤) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَاشُورٍ)) (٦/٧٣).

(٥) يُنْظَرُ: ((الْمَصْدَرُ السَّابِقُ)).

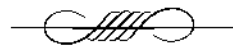
التحذير غاية التحذير من تولي أهل الكفر، وبيان أن الذين في قلوبهم مرض هم المسارعون في توليهم.

٤- تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، خاصة اليهود والنصارى.

٥- بيان كثير من الأحكام الشرعية وتوضيحها؛ فمن ذلك: الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات؛ كأحكام العقود، والذبائح، والصيد، والإحرام، ونكاح الكتابيات، والرذة، وأحكام الطهارة، وحد السرقه، وحد البغي والإفساد في الأرض (الحرابة)، وتحريم الخمر والميسر، وكفارة اليمين، والنهي عن قتل الصيد في الإحرام، والوصية عند الموت؛ إلى غير ذلك.

٦- اشتملت سورة المائدة على بعض القصص، ومن ذلك قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وقصة ابني آدم، وقصة المائدة.

٧- بيان أحوال أهل الكتاب، ونقضهم للعهد وتحريفهم للكتب المنزلة، ومناقشة بعض عقائدهم الزائفة؛ من نسبة الولد إلى الله، وإنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، إلى غير ذلك من عقائدهم الباطلة.



## الآيتان (١ - ٢)

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مَحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا ءَاقِينَ آلِيَتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿أوفوا﴾: أدوا مع التمام، وأصل الوفاء: تمام الشيء، وإتمام العهد، والقيام بمقتضاه، وإكمال الشرط<sup>(١)</sup>.

﴿بالعقود﴾: بالعهود الموثقة، وأصل (عقد) يدل على: شد، وشدّة وثوق<sup>(٢)</sup>.

﴿بهيمة الأنعام﴾: الإبل والبقر والغنم، والبهيمة: كل ما استبهم عن الجواب، أي: استعلق، وما لا نطق له؛ وإنما قيل للأنعام: بهيمة؛ لأنها أبهمت عن أن تميز، والأنعام: أصلها الإبل، ثم استعملت للبقر والغنم، وأصل كلمة (نعم): يدل على ترفه، وطيب عيش، وصلاح<sup>(٣)</sup>.

﴿الصَّيْدِ﴾: أي: الاصطياد، والصَّيْد: هو تناول ما يُظفر به، أو ما كان مُمتنعاً

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/١٢٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٨)، ((التيان))

لابن الهائم (ص: ٧٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٠٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٨٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)،

((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٩)،

((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٤٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٤٩)، ((تذكرة

الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٦).

ولم يكن له مالك، وكان حلالاً أكله، وأصله: ركوب الشيء رأسه، ومضيه غير ملتفتٍ ولا مائلٍ<sup>(١)</sup>.

﴿حُرْمٌ﴾: مُحَرِّمُونَ، جمع حَرَامٍ، وهو بِمَعْنَى مُحَرِّمٍ، مِن: أَحْرَمَ الرَّجُلُ بِالْحَجِّ؛ لِأَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ مَا كَانَ حَلَالًا لَهُ مِنَ الصَّيْدِ وَالنِّسَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَأَصْلُ (حَرَمٍ): الْمَنْعُ وَالتَّشْدِيدُ<sup>(٢)</sup>.

﴿شَعَائِرٌ﴾: وَاحِدُهَا شَعِيرَةٌ، وَهِيَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَمًا لَطَاعَتِهِ، وَالشَّعَائِرُ: أَعْلَامُ الْحَجِّ وَأَعْمَالُهُ، وَمَشَاعِرُ الْحَجِّ: مَوَاضِعُ الْمُنَاسِكِ<sup>(٣)</sup>.

﴿الْهَدْيِ﴾: مُخْتَصٌّ - فِي هَذَا الْمَوْضِعِ - بِمَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ مِنَ الْأَنْعَامِ؛ قَرِيبَةً إِلَى اللَّهِ، وَالْهَدْيَةُ: كُلُّ مَا يُهْدَى إِلَى ذِي مَوَدَّةٍ<sup>(٤)</sup>.

﴿الْقَلَائِدُ﴾: مَا قُلِّدَ مِنَ الْهَدْيِ، وَكَانُوا يَقْلُدُونَ الْبَعِيرَ مِنْ لِحَاءِ شَجَرِ الْحَرَمِ، فَيَأْمَنُ بِذَلِكَ حَيْثُ سَلَكَ، وَأَصْلُ (قُلِّدَ): الْقَتْلُ، وَيَدُلُّ عَلَى تَعْلِيقِ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ، وَكَيْفَ بِهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٢٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٢٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٩٤)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٤٥٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٢٤)، ((التيان)) لابن الهائم (١/ ٩٨).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٣٩)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٤).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

﴿آمِينَ﴾: قاصدين وعامدين إليه، جمع أم، وأصل الأم: القصد المستقيم، أو التوجه نحو مقصود<sup>(١)</sup>.

﴿فضلاً﴾: عطاء زائداً؛ فأصل الفضل الزيادة؛ وكل عطية لا تلزم من يعطي يقال لها: فضل، والإفضال: الإحسان<sup>(٢)</sup>.

﴿حَلَلْتُمْ﴾: خرجتم من إحرامكم، أو خرجتم من الحرم، وأصل الحَلُّ: حَلُّ العُقْدَةِ، وفتح الشيء<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ، أو لَا يَكْسِبَنَّكُمْ، وَجَرَمَ أَي: كَسَبَ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَحُوزُهُ فَكَأَنَّهُ اقْتَطَعَهُ، وَيُقَالُ: جَرَمَ: إِذَا أَذْتَبَ وَاکْتَسَبَ الْإِثْمَ، وَلَا يَكَادُ يُقَالُ فِي عَامَّةِ كَلَامِهِمْ لِلْكَسْبِ الْمَحْمُودِ، وَأَصْلُ (جرم) يدلُّ على القَطْعِ<sup>(٤)</sup>.

﴿شَتَّانٌ﴾: بَغْضَاءٌ، أو شِدَّةُ الْبُغْضِ وَالْعَدَاوَةِ؛ يُقَالُ: شَتَّتَهُ، أَي: تَقَدَّرَتْهُ بَغْضًا لَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٢١، ٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٥٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٩)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٧٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٢٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٥١).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٤٤٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٩٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٧).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٤١).

## مَشْكِلُ الْعَرَابِ:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

﴿غَيْرَ﴾: منصوبٌ على أَنَّهُ حَالٌ، واختلَفَ في صاحبِ الحال؛ فقيل: هو الضميرُ المجرورُ في ﴿لَكُمْ﴾، وهذا قولُ الجمهورِ، وهو مثلُ قولك: أُحِلَّ لك هذا الشيءُ لا مُفَرَّطاً فيه ولا مُتَعَدِّياً، والمعنى: أُحِلَّتْ لكم بهيمةُ الأنعامِ إِلَّا أن تُحِلُّوا الصَّيْدَ في حالِ الإحرامِ؛ فَإِنَّه لا يَحِلُّ لكم ذلك إذا كنتم مُحْرَمِينَ. وقيل: الضميرُ المجرورُ في ﴿عَلَيْكُمْ﴾، أي: إِلَّا ما يُتْلَى عليكم حالِ انتفاءِ كونكم مُحِلِّينَ الصَّيْدِ. وقيل: هو ضميرُ الجمعِ في ﴿أَوْفُوا﴾، والتقديرُ: أَوْفُوا بالعقودِ في حالِ انتفاءِ كونكم مُحِلِّينَ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ<sup>(١)</sup>.

﴿الصَّيْدِ﴾: مجرورٌ لفظاً، منصوبٌ محلاً من إضافةِ اسمِ الفاعِلِ إلى مفعوله، وهو مصدرٌ بمعنى المفعول، أي: المَصِيدِ، ويجوزُ أن يكونَ على بابِه هاهنا؛ أي: غَيْرَ مُحِلِّينَ الاصطيادِ في حالِ الإحرامِ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢٩٨/١)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (٢١٧/١)، ((التيبان في إعراب القرآن)) للعكبري (٤١٥/١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (١٧٨-١٨٥)، ((تفسير الرازي)) (٢٧٩/١١).

وقد أورد السمين الحلبي مناقشاتٍ كثيرةً في هذه الآية، ثم قال: (وقديماً وحديثاً استشكل الناسُ هذه الآية؛ قال ابنُ عطية: «وقد خلطَ الناسُ في هذا الموضوعِ في نصبِ (غير) وقدَّروا تقديماتٍ وتأخيراتٍ، وذلك كله غيرُ مُرضٍ؛ لأنَّ الكلامَ على اطرادِه فيمكن استثناءُ بعد استثناء»، وهذه الآية ممَّا اتضح للفصحاء البُلغاء فصاحتها وبلاغتها، حتى يُحكى أَنَّهُ قيل للكندي: أَيُّها الحكيم، اعملْ لنا مثلَ هذا القرآن، فقال: نَعَمْ اعملْ لكم ومثلَ بعضه، فاحتجب أَياماً كثيرة، ثم خرج فقال: والله لا يَقْدِرُ أحدٌ على ذلك؛ إِنني فتحتُ المصحفَ فخرجتُ سورةَ المائدة؛ فإذا هو قد نطقَ بالوفاء، ونهَى عن النكثِ، وحلَّلَ تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناءً بعد استثناء، ثم أَخبرَ عن قُدْرته وحِكْمته في سَطْرين!). ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (١٨٤-١٨٥)، وينظر: ((تفسير ابن عطية)) (١٤٥/٢).

(٢) يُنظر: ((التيبان في إعراب القرآن)) للعكبري (٤١٥/١)، ((إعراب القرآن)) للدعاس (٢٤١/١).

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب حال من الضمير المُسْتَكْرِنُ في ﴿مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾، كأنه قيل: أخللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم مُحْرَمُونَ؛ لثلاً تُحْرَجُ عليكم<sup>(١)</sup>.

### المعنى الإجمالي:

أمر الله تعالى المؤمنين أن يُتِمُّوا العهودَ التي بيَّنه وبينهم، والعهودَ التي بينهم وبين الخلق، والتي لا تُخَالِفُ شَرْعَهُ، وأخبرهم تعالى أنه أحلَّ لهم الإبلَ والبقرَ والغنمَ، إلا ما سيقرأ عليهم تحريمه منها، وهو ما بيَّنه في قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...﴾، كما يُسْتَنَى أيضًا صَيْدُ الْبَرِّ فيما لو كانوا داخلَ حدودِ الحَرَمِ، أو كانوا مُحْرَمِينَ بِحَجٍّ أو عُمْرَةٍ، إنَّه سبحانه وتعالى يَحْكُمُ بما شاء، وَيَقْضِي بما أَرَادَ.

ثم نهي سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يَتَعَدَّوا حُدُودَهُ بتحليلهم حُرْمَاتِهِ التي أُمرُوا بتعظيمها، والتي منها شعائرُ الْحَجِّ، ولا يَتَنَهَكُوا حُرْمَةَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ بابتداءِ الْقِتَالِ فيها، أو التلبسِ فيها بظلمٍ أو ارتكابِ مُحْرَمَاتٍ، كما نهاهم عن انتهاكِ ما يُهْدَى إلى الْحَرَمِ من الأنعام؛ بأن يَدْبَحُوهَا قَبْلَ بَلُوغِهَا مَحَلَّهَا، أو يَمْنَعُوهَا من الوصولِ إلى مَحَلَّهَا، أو يَتَنَهَكُوا الْهَدْيَ التي تُجْعَلُ الْقَلَائِدُ فِي أعناقِهَا، ونهاهم أن يَسْتَحِلُّوا قِتَالَ مَنْ قَصَدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ طلبًا لِفَضْلِ اللَّهِ وِرْضَوَانِهِ، ثم أباح لهم الصَّيْدَ بعد الانتهاء من إحرابهم، وإذا خرجوا من الْحَرَمِ، ثم نهاهم جَلًّا وعلا أن يَحْمِلَهُمْ بُغْضُهُمْ وكرَاهِيَتُهُمْ لأقوامٍ منعوهم من الوصولِ للمسجدِ الْحَرَامِ، على أن يَتَعَدَّوا عليهم، ويقتصوا منهم ظلمًا وعدوانًا، وأمرهم أن يتعاونوا على البرِّ والتقوى، وألا يتعاونوا على الإثمِ والعدوان، وأمرهم بتقوى الله؛ فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٠١)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢١٧)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/١٨٥ - ١٨٦).

## تفسير الآيتين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

أي: يا أيها المؤمنون، قوموا بإتمام وإكمال جميع العهود التي بينكم وبين الخالق سبحانه، وجميع العهود التي بينكم وبين المخلوقين؛ ما لم تُخالف شرع الله تعالى (١).

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾.

أي: قد أحل الله تعالى لأجلكم - أيها المؤمنون - الإبل والبقر والغنم؛ فضلاً منه ورحمة (٢).

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

أي: إلا ما سيُتلى عليكم تحريمه منها في قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ...﴾ (٣)  
 [المائدة: ٣].

﴿غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧/١).

قال ابن جرير: (اختلف أهل التأويل في العقود التي أمر الله جل ثناؤه بالوفاء بها بهذه الآية، بعد إجماع جميعهم على أن معنى العقود: العهود) ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/١٤-١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٨/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧/١-٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٨/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨/١).



أي: وُستثنى أيضًا من حِلِّ بهيمة الأنعام لكم صيدها وأنتم في الحَرَم، أو وأنتم مُحَرَّمون بحَجٍّ أو عُمرة<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْضِي فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ، وَمِنْ ذَلِكَ تَحْلِيلُ وَتَحْرِيمُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَشْرَعُهُ مِنْ أَحْكَامٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَعُونَ فِضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا حَرَّمَ الصَّيْدَ عَلَى الْمُحَرَّمِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، أَكَّدَ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ مَخَالَفَةِ تَكَالِيفِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾

(١) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (٩/٢)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢١٨)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٨/١-٩).

(٢) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ)) (٨/٢١)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (٩/٢)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢١٨)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٩/١-١٠).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (وَهَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا تَلَوَّحُ فَصَاحَتُهَا وَكَثْرَةُ مَعَانِيهَا، عَلَى قَلَّةِ أَلْفَاظِهَا، لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ بِالْكَلَامِ؛ فَإِنَّهَا تَضَمَّنَتْ خَمْسَةَ أَحْكَامٍ: الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِالْوَفَاءِ بِالْعُقُودِ. الثَّانِي: تَحْلِيلُ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ. الثَّلَاثُ: اسْتِثْنَاءُ مَا يَلْبِي بَعْدَ ذَلِكَ. الرَّابِعُ: اسْتِثْنَاءُ حَالِ الْإِحْرَامِ فِيْمَا يُبْصَدُ. الْخَامِسُ: مَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ مِنْ إِبَاحَةِ الصَّيْدِ لِمَنْ لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ). ((تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ)) (٦/٣١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ)) (١١/٢٧٩).

أي: يا أيها المؤمنون، لا تنتهكوا ما حرم الله تعالى عليكم، ولا تضيعوا فرائضه، ومن ذلك مناسك الحج<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾.

أي: ولا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بابتداء القتال فيها، وبغير ذلك من أنواع الظلم والمحرمات<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

وعن نفيح بن الحارث رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض؛ السنة اثنا عشر

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٤/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٩/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨/١).

قال ابن كثير: (وقد ذهب الجمهور إلى أن ذلك منسوخ، وأنه يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجوا بقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قالوا: والمراد أشهر التسيير الأربعة، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، قالوا: فلم يستثن شهرًا حرامًا من غيره)) ((تفسير ابن كثير)) (٩/٢). ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (٢١٨-٢١٩/١).

وقال ابن عثيمين: (أمَّا القتال في الشهر الحرم، فاختلَف فيه العلماء: فمنهم من يقول: إنَّه منسوخٌ، ومنهم من يقول: إنَّه مُحكَمٌ وليس بمنسوخ؛ فالقاتلون بأنَّه منسوخٌ يقولون: إنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قاتل في الشهر الحرم؛ فإنَّه بعد فتح مكة - أي: في رمضان - خرج إلى هوازن وثقيف وقاتلهم في ذي القعدة، وكذلك كانت غزوة تبوك في الشهر الحرم في مُحرم، وهذا يدلُّ على أنَّ القتال في الشهر الحرم يُسخ تحريمه، ولكنَّ الصَّحيح أنه باقٍ، وأنَّه لا يجوز القتال في الشهر الحرم ابتداءً، أمَّا إذا كان دفاعًا أو امتدادًا لغزوة سابقة؛ فإنَّ ذلك جائزٌ، وعليه تُحمَلُ قِصَّةُ هوازن وتبوك؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم إنَّما غزاهم لأنَّه قيل له: إنَّهم قد جمَعوا له، فلا بدَّ من الدِّفاع)) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥/١).

شهرًا، منها أربعة حُرْمٌ؛ ثلاثٌ متوالياتٌ: ذو القعدةِ وذو الحجةِ والمحرَّمُ،  
ورجبٌ مُضَرٌ<sup>(١)</sup>، الذي بين جُمادى وشعبان<sup>(٢)</sup>).

﴿وَلَا الْهَدْيِ﴾

أي: ولا تتهكوا ما يُهدى إلى الحرَم من إبلٍ أو بقرةٍ أو غنمٍ تقريبًا إلى الله تعالى،  
فلا تذبحوه قبلَ بلوغه محلَّه، ولا تحولوا بينه وبين الوصولِ إلى محلَّه، بل  
عظّموه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا الْقَلَائِدِ﴾

أي: ولا تتهكوا أيضًا الهدْيَ الذي تُجعل له قلائدٌ في عنقه؛ وكانت الهدْيُ  
تُقَلَّدُ إظهارًا لشعائرِ الله تعالى، وحملاً للنَّاسِ على الاقتداء، فتبعَتْ مَنْ يراه على  
الإتيانِ بمثله، وتعليمًا لهم للسنة، وليُعرفَ أنه هديٌّ فيُحترَم<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾

أي: ولا تستحلُّوا قِتَالَ القاصدين إلى بيتِ الله تعالى الحرام، الذي من دخَله

(١) ورجبٌ مُضَرٌ: رجب: هو اسم الشهر الذي بين جُمادى وشعبان، من رَجَيْتُهُ، أي: هَيْبَتُهُ وَعَظَمَتُهُ، فهو مرجوبٌ؛ ومنه سَمِّيَ رجبٌ؛ لأنَّهم كانوا يُعظِّمونه في الجاهليَّة ولا يستحلُّون فيه القِتال، ومضَرٌ: اسم قبيلة، وإنَّما أُضيفَ لهم فليل: رَجَبٌ مُضَرٌ؛ لأنَّه كان بين بني مُضَرٍ وبين ربيعةَ اختلافٌ في رجب؛ فكانت مضَرٌ تجعلُ رجبًا هذا الشَّهرَ المعروف الآن، وهو الذي بين جُمادى وشعبان، وكانوا مُتمسِّكين بتعظيمه، وكانت ربيعةٌ تجعله رمضانَ؛ فأُضيفَ إلى مُضَرٍ مبالغةٌ في إيضاحه وإزالةً للبسٍ عنه. وقيل: لأنَّهم كانوا أشدَّ تعظيمًا له من غيرهم، فكانتُهم اختصُّوا به. ينظر: ((الصحيح)) للجوهري (١/١٣٣)، ((النهاية)) لابن الأثير (٢/١٩٧)، ((شرح النووي على مسلم)) (١١/١٦٨)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٨/٣٢٥).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٦-٣٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩).

كان آمناً، والحال أنهم طالبون فضلَ الله تعالى بالتجارة والمكاسبِ المباحة، أو راغبون في رضوانه بالحجِّ والعمرة والطَّوافِ بالبيت، والصَّلَاةِ وغيرها من أنواع العباداتِ، فلا تصدُّوهم ولا تتعرَّضوا لهم بسوءٍ، ولا تُهينوهم، بل عظِّموا الزَّائرينَ لبيتِ الله عزَّ وجلَّ<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾

أي: وإذا فرغتم من إحرابكم بالحجِّ أو العمرة وأحللتم منه، وخرجتم من الحَرَمِ، فلا حَرَجَ عليكم في اصطیاد ما كان محرماً عليكم صيده<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾

القراءاتُ ذاتُ الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ قراءتان<sup>(٣)</sup>:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٠/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٩/١ - ٢٠).

قال السعدي: (هذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾؛ فالمشرك لا يُمكن من الدُخولِ إلى الحرم) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٢-٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (١٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٠-٢١).

قال ابنُ جرير: (يعني بذلك جَلُّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ الصيد الذي نهيتكم أن تحلُّوه وأنتم حرم، يقول: فلا حرج عليكم في اصطیاده واصطادوا إن شئتم حينئذٍ؛ لأنَّ المعنى الذي من أجله كنتُ حَرَمته عليكم في حالِ إحرابكم قد زال، وبما قلنا في ذلك قال جميعُ أهلِ التأويل) ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٢-٤٣).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (إِنْ صَدُّوكُمْ) بكسر الهمزة، وقرأ الباقر (أَنْ صَدُّوكُمْ) بفتحها. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/١٩٢).

١- قِرَاءَةٌ ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ بِالْفَتْحِ عَلَى أَنَّهَا عَلَّةٌ لِلشَّانِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بَغْضُكُمْ لِقَوْمٍ عَلَى الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَجْلِ صَدُّهُمْ إِيَّاكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

٢- قِرَاءَةٌ ﴿إِنْ صَدُّوكُمْ﴾ بِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بَغْضُ قَوْمٍ عَلَى الْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ، إِنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.

أَي: وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بَغْضُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ فَتَقْتَصُّوا مِنْهُمْ ظُلْمًا؛ طَلَبًا لِلِاشْتِفَاءِ مِنْهُمْ؛ لِأَجْلِ أَنْ مَنَعَكُمْ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْلُكَ طَرِيقَ الْعَدْلِ، وَلَوْ أَعْتَدِي عَلَيْهِ (١).

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

أَي: وَلِيُعِينُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ (٢).

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

أَي: وَلَا يُعِينُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى اقْتِرَافِ الْمَعَاصِي، وَازْتِكَابِ الظُّلْمِ، وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى حَقُوقِ الْخَلْقِ (٣).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤-٥١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢١-٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/١٢-١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٣).

أي: وامْتَلُوا ما أَمَرَكم اللهُ تعالى به واجْتَنِبُوا ما نَهَاكم عنه؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذو عِقَابٍ شَدِيدٍ على مَنْ عَصَاهُ، وَتَجَرَّأَ على مُحَارَمِهِ (١).

### الفوائد التربوية:

١- تصدير الآية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدلُّ على فضيلة الإيمان، وأهمية ما يُذكر بعد هذا النداء، وأنه من مُقتَضِيَّاتِ الإيمان؛ تصديقاً به إن كان خبراً، وعملاً به إن كان طلباً، وأنَّ مخالفة ذلك نقص في الإيمان، وامتناله يزيد به الإيمان، وفيه إغراء للمخاطب؛ لأنَّ قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كأنه يخاطبهم بقوله: إنَّ إيمانكم يحملكم على أن تفعلوا كذا وكذا، وأن تتركوا كذا وكذا، حسب السِّياق (٢)؛ لذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا﴾ لأنَّ صفة الإيمان مُلزِمةٌ لهم بهذا الوفاء، مستحثةٌ لهم عليه (٣).

٢- وُجوبُ الوفاء بالعقود؛ لقوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾؛ لأنَّ الأصل في الأمر أنَّه للوجوب لا سيما إذا كان متعلقاً بحق الآخرين، والعقد متعلق بحق الآخرين؛ لأنَّه إبرامُ شيء بينك وبين الآخر (٤).

٣- قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فيه التنبية على الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه وأوامره ونواهيه، فلا يُسأل عن تخصيص ولا عن تفضيل، ولا غيره (٥).

٤- الإشارةُ إلى أنَّه لا يحلُّ للإنسان أن يعترض على الأحكام الشرعية؛ وجهه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٣/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٦، ١٠).

(٣) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٣٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١١).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٧/٦)، ((تفسير الشربيني)) (١/٣٥١).

ذلك: أن الله تعالى ختمها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، وذلك بعد أن ذكر أنواعاً من الأحكام<sup>(١)</sup>.

٥- الإرشادُ إلى احترامِ أعظمِ المكانِ: الحَرَمِ، وأكْرَمِ الزَّمانِ: الشَّهْرِ الحَرَامِ، وما لابسهما؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- تعظيمُ الشَّعَائِرِ؛ لأنَّ اللهَ أضافها إلى نفسه، في قوله: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، والمضافُ يَشْرُفُ وَيَعْظُمُ بحسبِ المضافِ إليه<sup>(٣)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ قِمَّةٌ في ضَبْطِ النَّفْسِ، وفي سَمَاحَةِ القَلْبِ، ولكنها هي القِمَّةُ التي لا بدَّ أن تَرْقى إليها الأُمَّةُ المكلَّفةُ من ربِّها أن تقومَ على البشريَّةِ؛ لتهدِّيها وترفعَ بها إلى هذا الأفقِ الكريمِ الوضيءِ؛ إِنَّهَا تَبَعَةُ القِيَادَةِ والقِيَامَةِ والشَّهَادَةِ على النَّاسِ؛ التَّبَعَةُ التي لا بدَّ أن يَنسى فيها المؤمنون ما يَقَعُ على أشخاصِهِم من الأذى؛ لِيُقَدِّمُوا للنَّاسِ نموذجاً من السُّلوكِ الذي يُحَقِّقُهُ الإسلامُ، ومن التَّسامي الذي يصنعه الإسلامُ، وبهذا يودُّون للإسلامِ شهادةً طيِّبةً تَجِدِبُ النَّاسَ إليه، وتُحِبِّبُهُم فيه<sup>(٤)</sup>.

٨- جَمَعَ بين التَّحْلِيَّةِ والتَّخْلِيَّةِ في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ﴾؛ إذ إنَّ التَّعَاوَنَ على الْبِرِّ وَالتَّقْوَى من أركانِ الهدايةِ الاجتماعيَّةِ في القرآن؛ لأنَّه يُوجِبُ على النَّاسِ إيجاباً دينياً أن يُعِينَ بعضُهُم بعضاً على كلِّ عملٍ من أعمالِ البرِّ التي تنفعُ النَّاسَ أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم، وكلِّ عملٍ من أعمالِ التقوى التي يدفعون بها المفاسدَ والمضارَّ عن أنفسهم، فجمَعَ بذلك بين التَّحْلِيَّةِ والتَّخْلِيَّةِ، ولكنه قدَّم التَّحْلِيَّةَ بالبرِّ، وأكَّدَ

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٧/٦).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١١/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥/١).

(٤) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٨٣٩/٢).

هذا الأمر بالنهي عن ضده؛ وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البرِّ والخير، وعلى العدوان الذي يُغري الناس بعضهم ببعض، ويجعلهم أعداءً متباغضين يترى بعضهم الدوائر ببعض<sup>(١)</sup>.

٩ - ندب الله سبحانه إلى التعاون على البرِّ، وقرنه بالتقوى له، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ لأنَّ في التقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا النَّاسِ، ومن جمَع بين رضا الله تعالى ورضا النَّاسِ؛ فقد تَمَّتْ سَعَادَتُهُ، وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد العلميَّة واللطائف:

١ - وجوب الوفاء بالشُّروطِ المشتَرطةِ في العقدِ، فإذا عقدَ رجلانِ بينهما عقدَ بيعٍ أو غيره، واشترطَا شروطًا، فالأصلُ وجوبُ الوفاءِ بالشُّروطِ؛ وذلك لأنَّ قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يشملُ الوفاءَ بالعقدِ نفسه، وبأوصافه التي هي شروطُه، فإذا اشترطَ المتعاقدانِ شرطًا، وحصلَ نزاعٌ في هذا الشرطِ، فالصوابُ أنَّ هذا الشرطَ يصحُّ حتى يُقيمَ المانعُ دليلًا على المنع<sup>(٣)</sup>.

٢ - يُستفاد من قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أنَّ جميعَ العقودِ حلالٌ؛ وجهُ ذلك: أنَّ اللهَ أمرَ بالوفاءِ بها، واللهُ تعالى لا يأمرُ بالوفاءِ بالفحشاءِ أبدًا، ولكنَّ هذا ليس على عمومهِ؛ إذ يُستثنى منها ما حرَّمه الشرعُ؛ كبيعِ الغررِ، والبيعِ بالرِّبا، والقمارِ، وما أشبهَ ذلك<sup>(٤)</sup>.

٣ - يُستفاد من قوله: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أنَّ العقودَ تنعقدُ بما دلَّ عليها من قولٍ أو فعلٍ، بلفظٍ أو إشارةٍ أو كتابةٍ؛ وجهُ ذلك أنَّ اللهَ جلَّ وعلا أطلقَ العقدَ،

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٠٨/٦).

(٢) يُنظر: ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي، ((تفسير القرطبي)) (٤٧/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٢/١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١١/١).



فكلُّ ما كان عقداً بين النَّاسِ فهو عقْدٌ<sup>(١)</sup>.

- ٤- قوله: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ مُجْمَلٌ؛ لِأَنَّ الْإِحْلَالَ إِنَّمَا يُضَافُ إِلَى الْأَفْعَالِ، وَهَاهُنَا أُضِيفَ إِلَى الذَّاتِ، فَتَعَدَّرَ إِجْرَاؤُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ فَلَا بُدَّ مِنْ إِضْمَارِ فِعْلٍ، وَلَيْسَ إِضْمَارُ الْأَفْعَالِ أَوْلَى مِنْ بَعْضٍ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِحْلَالَ الْإِنْتِفَاعِ بِجِلْدِهَا، أَوْ بَعْظَمِهَا، أَوْ صُوفِهَا، أَوْ لَحْمِهَا، أَوْ الْمُرَادُ إِحْلَالَ الْإِنْتِفَاعِ بِالْأَكْلِ، فَصَارَتِ الْآيَةُ مُجْمَلَةً، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ إِبَاحَةَ الْإِنْتِفَاعِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْوُجُوهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(٢)</sup>.
- ٥- قوله تعالى: ﴿غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ فِيهِ تَعْظِيمُ الْإِحْرَامِ، وَأَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْمُحْرِمِ الصَّيْدُ<sup>(٣)</sup>.

٦- تحريمُ إحلالِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِالْقِتَالِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا بِالْمَعَاصِي؛ فَإِنَّهَا فِي هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ أَعْظَمُ مِنَ الْمَعَاصِي فِي غَيْرِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٧- احترامُ الْهَدْيِ وَتَحْرِيمُ إِحْلَالِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا الْهَدْيِ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٨- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ حَثٌّ عَلَى احْتِرَامِ الْحُجَّاجِ وَالْعُمَّارِ، وَهَذَا يُفِيدُ أَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَيْهِمْ أَشَدُّ مِنَ الْعُدْوَانِ عَلَى غَيْرِهِمْ<sup>(٦)</sup>.

٩- الْإِشَارَةُ إِلَى مِثَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَوْلَاءِ الَّذِينَ قَصَدُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ؛

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١١/١-١٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/١٦٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٧/١).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/٢٥).

(٥) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٦) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/٢٧).

وجه ذلك أن إضافة الربوبية إليهم في قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ دليل على عنايته تبارك وتعالى بهم، ومن ذلك أن وقفهم للحضور إلى المسجد الحرام، فالربوبية نوعان: عامة، وخاصة، وإليهما الإشارة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١ - ١٢٢]، فقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ربوبية عامة، وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ربوبية خاصة<sup>(١)</sup>.

١٠- إثبات حرمة المسجد الحرام؛ لقوله: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: ذي الحرمة والتعظيم، وهو أول بيت وُضِعَ للناس ليتعبدوا الله فيه<sup>(٢)</sup>.

### بِلاغَةُ الْآيَتَيْنِ:

- ١- قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: فيه تعريف (العقود) تعريف الجنس؛ للاستغراق؛ فشمل العقود التي عاقد المسلمون عليها ربهم، وشمل العقود التي عاقد المسلمون عليها المشركين، ويشمل العقود التي يتعاقدونها المسلمون بينهم<sup>(٣)</sup>.
  - ٢- قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ تمهيد لما سيرد بعدها من المنهيات: كقوله: ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾، وفي الابتداء بذكر بعض المباح امتنان وتأييس للمسلمين؛ ليتلقوا التكليف بنفوس مطمئنة؛ فهي جملة مستأنفة استثنافاً ابتدائياً؛ لأنها تصدير للكلام بعد عنوانه، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- وإضافة البهيمة إلى الأنعام للبيان من إضافة العام للخاص، وهي الإضافة التي بمعنى «من»، ومعناها: البهيمة من الأنعام، وفائدتها: الإشعار بعلّة الحكم المشتركة بين المضافين؛ كأنه قيل: أُحِلَّتْ لَكُمْ البهيمة الشبيهة بالأنعام التي

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٨).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٢، ٣٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٧٧ - ٧٨).

بَيْنَ إِحْلَالِهَا فِيمَا سَبَقَ، الْمَمَائِلَةُ لَهَا فِي مَنَاطِ الْحُكْمِ<sup>(١)</sup>.

- وفي آية أخرى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَهِيمَةُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٣٠]، فالفائدة في زيادة لفظ (البهيمة) في هذه الآية: التأكيد؛ إذ المراد بالبهيمة وبالأنعام شيء واحد<sup>(٢)</sup>.

- وتقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على القائم مقام الفاعل ﴿بِهَيْمَةً﴾؛ لإظهار العناية بالمقدم؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَعْجِيلِ الْمَسْرَةِ وَالتَّشْوِيقِ إِلَى الْمُؤَخَّرِ، فَإِنَّ مَا حَقَّهُ التَّقْدِيمُ إِذَا أُخِّرَ تَبَقِيَ النَّفْسُ مَتَرَقِّبَةً إِلَى وُجُودِهِ، فَيَتِمَكَّنُ عِنْدَهَا تَمَكُّنًا زَائِدًا<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ فيه: النَّهْيُ عَنِ إِحْلَالِهَا؛ مَبَالِغَةً فِي النَّهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْهَدْيِ<sup>(٤)</sup>، فَلَمَّا حَرَّمَ الصَّيْدَ عَلَى الْمُحْرِمِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى أَكَّدَ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ مَخَالَفَةِ تَكَالِيفِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٥)</sup>.

- وإضافة قوله: ﴿شَعَائِرَ﴾ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِتَشْرِيفِهَا، وَتَهْوِيلِ الْخَطْبِ فِي إِحْلَالِهَا<sup>(٦)</sup>.

- وقوله: ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾: عَطِيفَتُ ذَوَاتِ الْقَلَائِدِ مِنَ الْهَدْيِ عَلَى الْهَدْيِ؛ مَبَالِغَةً فِي التَّوَصِيَةِ بِهَا؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْهَدْيِ، وَبِحَتْمَلِ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنِ التَّعَرُّضِ لِنَفْسِ قَلَائِدِ الْهَدْيِ؛ مَبَالِغَةً فِي النَّهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْهَدْيِ، عَلَى مَعْنَى: لَا تُحِلُّوا

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٠٠)، ((تفسير الفيضائي)) (٢/١١٢)، ((تفسير أبي السعود))

(٢/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٧٨).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٢٧٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٢).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير الفيضائي)) (٢/١١٢).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٢٧).

(٦) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣).

قَالَ تَدَاهَا، فَضَلًّا عَنْ أَنْ تُحِلُّوهَا<sup>(١)</sup>.

٤- قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ فيه: تنكيرُ قوله: ﴿فَضْلًا﴾، و﴿وَرِضْوَانًا﴾؛ للتفخيم، وإضافةُ الرَّبِّ إلى ضميرِ الأَمِينِ في قوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾؛ للإيماءِ إلى اقتصارِ التشريفِ عليهم، وحرمانِ المخاطبينِ عنه، وعن نَيْلِ المبتغى، وفي ذلك من تعليلِ النَّهْيِ وتأكيدِهِ، والمبالغةِ في استنكارِ المنهَى عنه؛ ما لا يَخْفَى<sup>(٢)</sup>.

٥- قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ فيه: تصريحٌ بمفهومِ قوله: ﴿غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ لقصدِ تأكيدِ الإباحةِ<sup>(٣)</sup>.

٦- قوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ فيه: تأكيدٌ لمضمونِ قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ لأنَّ الأمرَ بالشيءِ وإن كان يتضمَّنُ النهيَ عن ضده، فالاهتمامُ بحُكْمِ الضدِّ يفتضي النهيَ عنه بخصوصه<sup>(٤)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ كَرَّرَ الأمرَ بالتقوى مُطلقَةً فيه، وإن كان قد أمر بها في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ تأكيدًا لأمرها، وإشارةً إلى أنها الحاملةُ على كُلِّ خَيْرٍ<sup>(٥)</sup>.

٨- قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيه: تعريضٌ بالتهديدِ والوعيدِ<sup>(٦)</sup>، مع ما فيه من تأكيدِ الخبرِ بـ (إن)، واسميَّةِ الجملةِ.

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٨٠ / ١١)، ((تفسير أبي حيان)) (١٦٦ / ٤)، ((تفسير أبي السعود))

(٣ / ٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٨٢ / ٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٤ / ٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٨٥ / ٦).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٨٨ / ٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (١٧٠ / ٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٠ / ٦).

(٦) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٨٣ / ١١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٨٨ / ٦).

## الآية (٣)

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيسَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ  
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ  
وَأَنْ تَسْنُقُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا  
تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ  
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: أي: رُفِعَ فِيهِ الصَّوْتُ بِتَسْمِيَةِ غَيْرِ اللَّهِ، أَوْ مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ  
اللَّهِ، وَأَصْلُ (هَلَلَ): يَدُلُّ عَلَى رَفْعِ صَوْتٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَهْلٌ بِالْحَجِّ: رَفَعَ صَوْتَهُ  
بِالتَّالِيَةِ<sup>(١)</sup>.

﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾: التي تموتُ خنقًا، وهو حبسُ النَّفْسِ، سواءً فَعَلَ بِهَا ذَلِكَ  
أَدَمِيٌّ، أَوْ اتَّفَقَ لَهَا ذَلِكَ فِي حَجَرٍ أَوْ شَجَرَةٍ أَوْ بِحَبْلِ أَوْ نَحْوِهِ، وَأَصْلُ (خَنَقَ):  
يَدُلُّ عَلَى ضَيْقٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿الْمَوْقُوذَةُ﴾: المقتولةُ بالضربِ، والوقْدُ: الإيْلَامُ بالضربِ، وَأَصْلُ (وقد):  
يَدُلُّ عَلَى ضَرْبٍ بِخَشَبٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١١)،  
((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦)، ((التيبان))  
لابن الهائم (ص: ١٠٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢١١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦)، ((مقاييس  
اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٢٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٠٠)، ((تفسير ابن عطية))  
(٢/ ١٥٠).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٣٢)، =

﴿الْمُتَرَدِّئَةُ﴾: الواقعة من جبيل أو حائط، أو في يثر؛ يقال: تردى: إذا سقط، وأصله يدل على رمي أو ترام، وما أشبه ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿النَّطِيحَةُ﴾: المنطوحة التي نطحها شاة أو بقرة فماتت<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَكَيْتُمْ﴾: ذبحتم، ففطعتم أوداجه، وأنهرتم دمه، وذكرتم اسم الله تعالى إذا ذبحتموه، وأصل الذكاة: تمام الشيء<sup>(٣)</sup>.

﴿النُّصْبِ﴾: الحَجَر، أو الصَّنَم الذي يذبحون عنده، أو يُنصب للعبادة، وجمعه أنصاب، وقيل: النُّصْب جمع مفردُه نَصِيبٌ، وأصل (نصب): يدل على إقامة شيء، وإهداف في استواء<sup>(٤)</sup>.

﴿تَسْتَقْسِمُوا﴾: تطلبوا علم ما قسم لكم، والاستقسام بها: أن يضرب بها، ثم يُعمل بما يخرج فيها من أمر أو نهي، وأخذ الاستقسام من القسم، وهو النصب، كأنه طلب النصب<sup>(٥)</sup>.

= ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان))

لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٥٠٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٤٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨١١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٢٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٦٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠) و(ص: ٤٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٣٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩).

﴿بِالْأَزْلَامِ﴾: جَمْعُ زَلَمٍ وَزَلَمٌ، وَهِيَ الْقِدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا عَلَى الْمَيْسِرِ وَيَسْتَقْسِمُونَ بِهَا، أَوْ هِيَ سِهَامُ الْعَرَبِ، وَأَصْلُ (زَلَمَ): يَدُلُّ عَلَى نَحَافَةٍ وَدِقَّةٍ فِي مَلَأَسَةٍ<sup>(١)</sup>.

﴿فَسَقٌ﴾: خُرُوجٌ عَنِ حُدُودِ الشَّرْعِ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: فَسَقَ الرُّطْبُ، إِذَا خَرَجَ عَنِ قَشْرِهِ، وَالْفُسُوقُ: الْخُرُوجُ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالْخُرُوجُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: فَلَا تَخَافُوهُمْ، وَالْخَشْيَةُ: أَكْثَرُ مَا تَكُونُ عَنْ عِلْمٍ بِمَا يُخْشَى مِنْهُ، وَقِيلَ: هِيَ خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعْظِيمٌ، وَأَصْلُ خَشِيَ: فَوَاتٌ بِالْكَلْبِيِّ يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ وَدُعْرِ<sup>(٣)</sup>.

﴿مَخْمَصَةٌ﴾: أَي: مَجَاعَةٌ؛ مُسْتَقَّةٌ مِنْ خَمَصِ الْبَطْنِ، أَي: ضَمُورِهِ، وَأَصْلُ (خَمَصَ): يَدُلُّ عَلَى الضَّمْرِ وَالتَّطَامُنِ<sup>(٤)</sup>.

﴿مُنْجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾: مُنْحَرِفٍ، مَائِلٍ إِلَى ذَلِكَ مَتَعَمِّدًا، بَأَنَّ يَأْكُلُ بَعْدَ زَوَالِ الضَّرُورَةِ، أَوْ يَأْكُلُ فَوْقَ الشَّبَعِ، وَأَصْلُ الْجَنْفِ: الْمَيْلُ مَيْلًا ظَاهِرًا، وَالْعُدُولُ عَنِ الْحَقِّ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِابْنِ قَتَيْبَةَ (ص: ١٤١)، ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (ص: ٥٥)، ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (٣/١٨)، ((تَذَكُّرَةُ الْأَرِيْبِ)) لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص: ٧٩)، ((التَّبْيَانُ)) لِابْنِ الْهَيْثَمِ (ص: ١٤٨)، ((الْكَلِيَّاتُ)) لِلْكَفَوِيِّ (ص: ٨٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (ص: ٣٦٨)، ((المَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاعِبِ (ص: ٦٣٦، ٨١٩)، ((التَّبْيَانُ)) لِابْنِ الْهَيْثَمِ (ص: ١١٧)، ((الْكَلِيَّاتُ)) لِلْكَفَوِيِّ (ص: ٦٩٣).

(٣) يُنْظَرُ: ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (٢/١٨٤)، ((المَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاعِبِ (ص: ٢٨٣)، ((مَدَارِجُ السَّالِكِينَ)) لِابْنِ الْغَيْمِ (١/٥٠٨)، ((التَّبْيَانُ)) لِابْنِ الْهَيْثَمِ (ص: ٨٢)، ((الْكَلِيَّاتُ)) لِلْكَفَوِيِّ (ص: ٤٢٨).

(٤) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (ص: ٤١٤)، ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (٢/٢١٩)، ((المَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاعِبِ (ص: ٢٩٩)، ((تَذَكُّرَةُ الْأَرِيْبِ)) لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (ص: ١٤٩)، ((التَّبْيَانُ)) لِابْنِ الْهَيْثَمِ (ص: ١٤٨)، ((الْكَلِيَّاتُ)) لِلْكَفَوِيِّ (ص: ٨٧٧).

(٥) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِابْنِ قَتَيْبَةَ (ص: ١٤١)، ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (ص: ٤٣٦)، ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (١/٤٨٦)، ((المَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاعِبِ (١/٢٠٧)، ((تَذَكُّرَةُ =

## المعنى الإجمالي:

يُبين الله تعالى لعباده المؤمنين أنه حرّم عليهم أكل ما مات من الحيوان دون ذكاة ولا اصطیاد، وحرّم عليهم أكل الدّم المسفوح، ولحم الخنزير، وأكل ما ذكّر عليه غير اسم الله عند ذبحه، ثم ذكر سبحانه أنواعاً أخرى من المحرّمات: وهي ما يموت بالاختناق من البهائم، وما ضرب بشيء ثقيل غير محدّد حتى مات، والبهيمة التي تتردّى من مكان عالٍ فتموت نتيجة سقوطها، والتي ماتت بسبب نطح غيرها لها، والتي عدا عليها سبعٌ - كاسد أو ذئب وغيرهما - فماتت بذلك، إلا ما أمكن تداركُه بالذكاة من هذه الأنواع، وكانت فيه حياة، فإنّه يجوز أكله، كما حرّم عليهم سبحانه وتعالى ما ذبح عند الأوثان تقرّباً لها، وحرّم عليهم أن يطلبوا علم ما قيسم لهم، باستخدام الأقداح؛ كما يفعل أهل الجاهليّة، فإنّ كلّ ما سبق ممّا حرّمه الله خروج عن طاعة الله إلى معصيته، ثم أخبر تعالى أنّ الكفار انقطع طمعهم من أن يرتدّ المؤمنون عن دينهم يوم عرفّة في حجّة الوداع؛ يوم نزلت هذه الآية؛ فلا ينبغي للمسلمين أن يخافوهم، بل عليهم أن يخافوا الله تعالى؛ فهو في هذا اليوم أكمل للمؤمنين دينهم، وأنتم عليهم نعمته، ورخصي لهم دين الإسلام ديناً يتقرّبون به إلى الله، فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من المحرّمات التي ذكرها الله في الآية، غير مُريد للحرام، فله تناول ما يدفع حاجته، والله غفورٌ رحيمٌ.

## تفسير الآية:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكَ فَنسُقُ الْيَوْمَ بِمَنْ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ



وَإِحْسَانِ الْيَوْمِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ السُّورَةِ: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ فِيهِ اسْتِثْنَاءَ أَشْيَاءَ تُتَلَى عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ - ذَكَرَ هُنَا تِلْكَ الصُّورَ الْمُسْتِثْنَاءَةَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمُومِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾

أَي: حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَكْلَ الْمَيْتَةِ، وَهِيَ: مَا مَاتَ مِنَ الْحَيَوَانَ حَتَّى أَنْفَهُ، مِنْ غَيْرِ ذِكَاةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَلَا اصْطِيَادٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالدَّمُ﴾

أَي: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَكْلَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ<sup>(٣)</sup>، كَالَّذِي يَخْرُجُ عِنْدَ الذِّكَاةِ، أَوْ يَخْرُجُ عِنْدَ فَصْدِ الْعِرْقِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٢٨٣/١١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٣-٥٤/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩-٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٥/١).

وَيُسْتَنْثَى مِنَ الْمَيْتَاتِ الْجَرَادُ وَالسَّمَكُ. يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٤/٢).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٤/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٧/١).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: (فَأَمَّا مَا كَانَ قَدْ صَارَ فِي مَعْنَى اللَّحْمِ كَالْكَبِدِ وَالطَّحَالِ، وَمَا كَانَ فِي اللَّحْمِ غَيْرِ مُسْفُوحٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ حَرَامٍ؛ لِإِجْمَاعِ الْجَمِيعِ عَلَى ذَلِكَ) ((تفسير ابن جرير)) (٥٤/٨).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٧/١).

﴿وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ﴾.

أي: وحرّم عليكم أكل الخيزير؛ إنسيه ووحشيّه، وظاهره وباطنه؛ فجميع أجزائه مُحَرَّمٌ أَكْلُهَا<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَهْلَ لَيْعِيٍّ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ﴾.

أي: وحرّم عليكم أيضًا أكل ما ذُبِحَ فذُكِرَ عليه غير اسمِ الله عزَّ وجلَّ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْمُنْحِقَةَ﴾.

أي: وحرّم عليكم أيضًا أكل ما يموتُ بالخنق، سواءً بنفسها؛ كإدخالها رأسها في شيء ضيق، فتعجز عن إخراجها حتى تموت، أو بخنق غيرها لها<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالْمَوْقُودَةَ﴾.

أي: وحرّم عليكم أيضًا أكل الموقودة، وهي التي تُضْرَبُ بشيء ثقيلٍ غير محددٍ حتى تموت، كالتي تُضْرَبُ بعضًا، أو حصى، أو خشية<sup>(٤)</sup>.

عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، قال: ((قلتُ: يا رسول الله، إني أرسل الكلابَ المُعلِّمةَ، فيُمسِكُنَّ عليّ، وأذكرُ اسمَ الله عليه؟ فقال: إذا أرسلت

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٤/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٦/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٧/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٤-٥٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٧/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٧-٣٨/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٧/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٨/١).

قال ابن عطية: (قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْحِقَةَ﴾ معناه التي تموتُ خنقًا، وهو حبسُ النَّفسِ، سواءً فَعَلَ بها ذلك آدميٌّ، أو اتَّفَقَ لها ذلك في حجرٍ أو شجرةٍ، أو بحبلٍ أو نحوه، وهذا إجماعٌ) ((تفسير ابن عطية)) (١٥٠/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٨/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٨/١).

كَلْبِكَ الْمُعَلَّمِ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَكُلُّ، قُلْتُ: وَإِنْ قَتَلَنْ؟ قَالَ: وَإِنْ قَتَلَنْ! مَا لَمْ يَشْرَكْهَا كَلْبٌ لَيْسَ مَعَهَا، قُلْتُ لَهُ: فَإِنِّي أَزْمِي بِالْمِعْرَاضِ<sup>(١)</sup> الصَّيْدَ، فَأَصِيبُ؟ فَقَالَ: إِذَا زَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَحَرَقَ، فَكُلَّهُ، وَإِنْ أَصَابَهُ بَعْرَضِهِ، فَلَا تَأْكُلُهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْمُتَرَدِّيةُ﴾

أي: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَكْلَ الْمُتَرَدِّيةِ، وَهِيَ الَّتِي تَسْقُطُ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ فَتَمُوتُ بِذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾

أي: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَكْلَ الْمُنطَوِحَةِ، وَهِيَ الَّتِي مَاتَتْ بِسَبَبِ نَطْحِ غَيْرِهَا لَهَا<sup>(٤)</sup>.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾

أي: وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَكْلَ الَّتِي عَدَا عَلَيْهَا سَبْعٌ، كَالْأَسَدِ أَوِ الْفَهْدِ أَوِ النَّيْمِ وَغَيْرِهَا، فَأَكَلَ بَعْضُهَا فَمَاتَتْ بِذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾

(١) المِعْرَاضُ - بكسر الميم - سَهْمٌ بِلَا رِيشٍ وَلَا نَضَلٍ، وَإِنَّمَا يُصِيبُ بَعْرَضِهِ دُونَ حَدِّهِ. يُنْظَرُ: ((النهاية)) لابن الأثير (٣/٢١٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٢٩).

قال ابن كثير: (ففرَّق بين ما أصابه بالسَّهْمِ، أو بِالْمِزْرَاقِ [الرمح الصَّغِيرِ] وَنَحْوِهِ بِحَدِّهِ فَأَحْلَهُ، وَمَا أَصَابَهُ بِبَعْرَضِهِ فَجَعَلَهُ وَقِيدًا فَلَمْ يُحَلِّهِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ هَاهُنَا) ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٨).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٨).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٩-٦٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٨-٣٩).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٩).

أي: إن أمكن تدارك المنخفة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع - إن أمكن تداركها بذكاة شرعية، وفيها حياة مستقرة؛ فإنه يحل أكلها<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ﴾.

أي: وحرّم عليكم أيضًا أكل ما ذبح عند الأوثان تقريبًا لها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾.

أي: وحرّم عليكم - أيها المؤمنون - الاستقسام بالأزلام، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قِداحٍ ثلاثة، مكتوبٌ على أحدها: «أفعل»، وعلى الآخر: «لا تفعل»، والثالث ليس عليه شيءٌ. وقيل: كان يُكتب على الواحد منها: «أمرني ربّي»، وعلى الآخر: «نهاني ربّي»، والثالث ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الأمرُ فعَله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغُ أعاد الاستقسام، حتى يخرج أحدَ القَدحين الآخرَين فيعمل به<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

أي: إن سائرَ الأمور التي حرّمها الله تعالى في هذه الآية - كأكل الميتة والدم

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٧/٨-٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٩-٤٠).

وأدخل ابن جرير فيها: ما أهلّ لغير الله تعالى به. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٧/٨-٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١/٣٩-٤٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٧٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص:

٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١-٤٢).

قال ابن كثير: (قد أمر الله المؤمنين إذا تردّوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعبدوه، ثم يسأله

الخيرة في الأمر الذي يريدونه) ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٥).

وقال السعدي: (فحرّمه الله عليهم، الذي في هذه الصورة وما يشبهه، وعوّضهم عنه بالاستخارة

لربّهم في جميع أمورهم) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠).

ولحم الخنزير، والاستقسام بالأزلام، وغير ذلك - خروج عن طاعة الله تعالى إلى معصيته<sup>(١)</sup>.

﴿الْيَوْمَ يَتَسَّسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾.

أي: الآن (والمراد باليوم يوم عرفة في حجة الوداع) انقطع طمع الكفار والمشركين من أن ترتدوا عن دينكم - أيها المؤمنون<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾.

أي: فلا تخافوا من المشركين، وخافوني<sup>(٣)</sup>.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

أي: اليوم (وهو يوم عرفة في حجة الوداع) أكملت لكم دين الإسلام - أيها المؤمنون<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٧/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢/١ - ٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠). قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به؛ أنه أكمل لهم - يوم أنزل هذه الآية على نبيه - دينهم، بإفرادهم بالبلد الحرام، وإجلاله عنه المشركين، حتى حجه المسلمون دونهم، لا يُخالطهم المشركون، فأما الفرائض والأحكام، فإنه قد اختلف فيها، هل كانت أكملت ذلك اليوم أم لا؟ ... ولا يدفع ذو علم أن الوحي لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً، فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] آخرها نزولاً، وكان ذلك من الأحكام والفرائض - كان معلوماً أن معنى قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] على خلاف الوجه الذي تأوله من تأوله؛ أعني: كمال العبادات والأحكام والفرائض) ((تفسير ابن جرير)) (٨٢/٨).

﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

أي: وأتممت عليكم نعمتي - أيها المؤمنون - بإظهاركم على المشركين، ونفّيتهم عن بلادكم، وقطعتي طمّعتهم في عودكم إلى الشرك، وإكمال دينكم<sup>(١)</sup>.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

أي: واخترت واصطفيت لكم الإسلام دينًا، فكما ارتضيته لكم؛ فازصوه أنتم لأنفسكم، وقوموا به وأزموه، ولا تتخذوا دينًا سواه<sup>(٢)</sup>.

= وقال ابن عطية: (وهذا الإكمال عند الجمهور، هو الإظهار واستيعاب عظم الفرائض والتحلل والتحرير. قالوا: وقد نزل بعد ذلك قرآن كثير، ونزلت آية الرّيا، ونزلت آية الكلالة إلى غير ذلك، وإنما كمل عظم الدين، وأمر الحج أن حجوا وليس معهم مشرك) ((تفسير ابن عطية)) (١٥٤/٢).

وقال ابن رجب: (إكمال الدين في ذلك اليوم حصل من وجوه؛ منها: أن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام بعد فرض الحج قبل ذلك، ولا أحد منهم، هذا قول أكثر العلماء أو كثير منهم، فكمّل بذلك دينهم؛ لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها. ومنها: أن الله تعالى أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله، فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد) ((لطائف المعارف)) (ص: ٢٧٩). ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٠٣-١٠٥/٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨٣/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٦/٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٤/١).

قال ابن رجب: (وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة، فلا تتم النعمة بدونها، كما قال نبيّه صلى الله عليه وسلم: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، وقال تعالى في آية الوضوء: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ومن هنا استنبط محمد بن كعب القرظي بأن الوضوء يكفر الذنوب، كما وردت السنة بذلك صريحًا، ويشهد له أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال له: «تمام النعمة: النجاة من النار، ودخول الجنة»، فهذه الآية تشهد لما روي في يوم عرفة أنه يوم المغفرة والعتق من النار) ((لطائف المعارف)) (٢٧٩-٢٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨٤-٨٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٦/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٤/١).

عن طارق بن شهاب، قال: (جاء رجلٌ من اليهودِ إلى عُمرَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين؛ آيةٌ في كتابكم تفرِّقُونها، لو علينا نزلت - معشرَ اليهودِ - لاتَّخذنا ذلك اليومَ عيداً، قال: وأيُّ آيةٍ؟ قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال عُمرُ: إنِّي لأعلمُ اليومَ الَّذي نزلت فيه، والمكان الَّذي نزلت فيه، نزلت على رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعرفاتٍ في يومِ جُمُعَةٍ<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾

أي: فَمَنْ أُلْجِئَهُ الضَّرورةُ لِأَكْلِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ، الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ<sup>(٢)</sup>.

﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾

أي: غَيْرَ مُرِيدٍ لِهَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ؛ بَأَلَّا يَأْكُلَ حَتَّى يُضْطَرَّ، وَلَا يَزِيدَ فِي الْأَكْلِ عَلَى كِفَايَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي: فَله تَنَاولُ ذلك، وَاللهُ غَفُورٌ له؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ حَاجَةَ عِبْدِهِ الْمَضْطَرِّ، وَافْتِقَارَهُ إِلَى ذَلِكَ؛ فَيَتَجَاوَزُ عَنِ أَكْلِ مَا حَرَّمَه، وَرَحِيمٌ بِهِ حَيْثُ أَبَاحَ لَهُ الْأَكْلَ فِي هَذِهِ الْحَالِ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) واللفظ له.

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٩١-٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠-٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٤-٤٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٩٣-٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٩٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٦).

## الفوائد التربوية:

١- عَظَمَ خَطَرَ الشُّرْكِ، وَأَنَّهُ يُؤَثِّرُ حَتَّى فِي الذَّبَائِحِ؛ لقوله: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- تَأْتِيرُ النِّيَّةُ فِي الْعَمَلِ؛ لقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصْبِ﴾ أي: للأصنام؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ حَرَامًا حَتَّى وَلَوْ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِتَأْتِيرِ النِّيَّةِ، وَأَنَّ النِّيَّةَ تَوَثِّرُ حَتَّى فِي حِلِّ الشَّيْءِ وَتَحْرِيمِهِ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- تَحْرِيمُ خَشْيَةِ الْكُفَّارِ الَّتِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْمُدَاهَنَةُ فِي دِينِ اللَّهِ؛ لقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- التَّحْرِيطُ بِأَكْمَلِ مَا يَكُونُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لَهُمُ الْبِأْسُ مِنْ دِينِكُمْ؛ فَإِذَا صَارَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِمْ وَأَلَّا تَخَافُوهُمْ، وَأَنْ تُقْبِلُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ<sup>(٤)</sup>.

## الفوائد العلمية واللطائف:

١- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أَنَّهُ سِوَاءٌ وَصَلَ الْعِلْمُ الْبَشَرِيُّ إِلَى حِكْمَةِ هَذَا التَّحْرِيمِ أَمْ لَمْ يَصِلْ، فَقَدْ قَرَّرَ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْمَطَاعِمَ لَيْسَتْ طَيِّبَةً، وَهَذَا وَحْدَهُ يَكْفِي؛ فَاللَّهُ لَا يُحَرِّمُ إِلَّا الْخَبَائِثَ، وَإِلَّا مَا يُؤْذِي الْحَيَاةَ الْبَشَرِيَّةَ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهَا، سِوَاءً عَلِمَ النَّاسُ بِهَذَا الْأَذَى أَوْ جَهَلُوهُ، وَهَلْ عَلِمَ النَّاسُ كُلُّ مَا يُؤْذِي وَكُلُّ مَا يُفِيدُ<sup>(٥)</sup>!

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٧/١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤٨/١، ٥٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٥٠/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٨٦/١١).

(٥) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٤٠).



٢- قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْاسْتِقْسَامَ بِالْأَزْلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْخُرَافَاتِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي لَا يَرَكُنُ إِلَيْهَا إِلَّا مَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ؛ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، وَيَتْرُكُ مَا يَتْرُكُ عَنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ، وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ أَلْعُوبَةً لِلْكَهْتَةِ وَالسَّدَنَةِ، وَيَتَفَاعَلُ وَيَتَشَاءُ بِمَا لَا فَاَلَ فِيهِ وَلَا سُؤْمَ، فَلَا عَزْوَ أَنْ يُبْطَلَ ذَلِكَ دِينَ الْعَقْلِ وَالْبَصِيرَةِ وَالْبِرْهَانِ، كَمَا أَبْطَلَ التَّطْيِيرَ<sup>(١)</sup>، وَالْكَهَانَةَ<sup>(٢)</sup>، وَالْعِيَاةَ<sup>(٣)</sup>، وَالْعِرَافَةَ<sup>(٤)</sup>، وَسَائِرَ خُرَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَا يَلْبِقُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا بِجَهْلِ الْوَثْنِيَّةِ وَأَوْهَامِهَا<sup>(٥)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الْمَشَارُؤُ إِلَى كُلِّ مَا سَبَقَ؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ: أَنَّهُ إِذَا امْكُنَ أَنْ يَعُودَ اسْمُ الْإِشَارَةِ أَوْ الضَّمِيرُ إِلَى كُلِّ مَا سَبَقَ، حُمِلَ عَلَيْهِ<sup>(٦)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ: أَنَّ الْخَشْيَةَ

(١) التَّطْيِيرُ: التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ، مِنْ الطَّيْرَةِ - بِكسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْيَاءِ، وَقَدْ تَسَكَّنَ -، وَأَصْلُهُ: الشَّيْءُ الْمَكْرُوهُ مِنْ قَوْلِ أَوْ فَعِلَ أَوْ مَرِيٌّ، وَكَانُوا يَتَطْيِرُونَ فَيُفْتِرُونَ الطَّيِّبَ وَالطَّيْرَ، فَإِنْ أَخَذَتْ ذَاتَ الْيَمِينِ تَبَرَّكُوا بِهِ وَمَضُّوا فِي سَفَرِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ، وَإِنْ أَخَذَتْ ذَاتَ الشَّمَالِ رَجَعُوا عَنْ حَاجَتِهِمْ وَسَفَرِهِمْ وَتَشَاءَمُوا بِهِ، فَكَانَتْ تَصُدُّهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ عَنْ مَصَالِحِهِمْ، فَنَقَى الشَّرْعُ ذَلِكَ وَأَبْطَلَهُ، وَنَهَى عَنْهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تَأْثِيرٌ يَنْفَعُ وَلَا ضَرٌّ يَنْظُرُ: ((شرح النووي على مسلم)) (١٤/٢١٨)، ((النهاية)) لابن الأثير (٣/١٥٢).

(٢) الْكَهَانَةُ - يَفْتَحُ الْكَافَ، وَيَجُوزُ كسْرُهَا -: ادِّعَاءُ عِلْمِ الْغَيْبِ، كَالْإِخْبَارِ بِمَا سَيَقَعُ فِي الْأَرْضِ مَعَ الْاسْتِنَادِ إِلَى سَبَبٍ. يَنْظُرُ: ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٢١٦)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٦/٨١).

(٣) الْعِيَاةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالتَّمَاؤُلُ بِأَسْمَائِهَا وَأَصْوَاتِهَا وَمَمَرُّهَا. يَنْظُرُ: ((النهاية)) لابن الأثير (٣/٣٣٠)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/٤٤٠)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٤/١٩٦).

(٤) الْعِرَافَةُ: يَهْتَمُّ الْعِرَافُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَدَلُّ عَلَى الْأُمُورِ بِأَسْبَابٍ وَمُقَدِّمَاتٍ بَدَّعِي مَعْرِفَتِهَا بِهَا، أَوْ مَنْ يَسْتَخْرِجُ الْوُقُوفَ عَلَى الْمَغْنِيَّاتِ بِضَرْبٍ مِنْ فَعْلٍ أَوْ قَوْلٍ. يَنْظُرُ: ((شرح النووي على مسلم)) (١٤/٢٢٣)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/٢١٧).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/١٩٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/١٢٤).

(٦) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/١٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٢).

تكون عن عليم، والخوف لا يلزم أن يكونَ عن عليم، كذلك الخشية تكون من عظيم المخشي، وإن كان الخاشي قوياً، لكنَّ المخشي يكون أقوى منه، والخوف لا يدلُّ على عظيم المخوف، وإنما يدلُّ على ضعف الخائف أمام من يخاف منه وإن لم يكن قوياً، وهذا فرق واضح؛ فالطفل الذي له أربع سنوات يخاف من الطفل الذي له ثماني سنوات، مع أن الثاني ضعيف، لكن الذي يخشى من ملك أو صاحب سلطان قوي، هذا يُقال: إنَّه خاشٍ<sup>(١)</sup>.

٥- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أن شريعة الله كلُّ لا يتجزأ، سواء فيه ما يختص بالتصوُّر والاعتقاد، وما يختص بالشعائر والعبادات، وما يختص بالحلال والحرام، وما يختص بالتنظيمات الاجتماعية والدولية، وأن هذا في مجموعِه هو «الدِّين» الذي يقول الله عنه في هذه الآية: إنَّه أكمله، وهو «النَّعمة» التي يقول الله للذين آمنوا: إنَّه أتمَّها عليهم، فكلُّها في مجموعها تُكوِّن المنهج الربَّاني الذي ارتضاه الله للذين آمنوا<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المراد من الدِّين دين الإسلام، وإضافته إلى ضمير المسلمين؛ لتشريفهم بذلك<sup>(٣)</sup>، وليفخروا ويعتزُّوا بتمسُّكهم به، ويدافعوا عنه<sup>(٤)</sup>.

٧- بيان نعمة الله على هذه الأمة - وله الحمد والمِنَّة - بإكمال الدِّين؛ لقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فهذه أكبر نعم الله عزَّ وجلَّ على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيِّهم - صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتمة الأنبياء، وبعثه إلى

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٤٣/١)).

(٢) يُنظر: (في ظلال القرآن) لسيد قطب (٨٤١/٢).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن عاشور) ((١٠٦/٦)).

(٤) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٥١/١)).

الإنسِ والجِنِّ، فلا حلالٌ إلَّا ما أحلَّه، ولا حرامٌ إلَّا ما حرَّمه، ولا دينٌ إلَّا ما شرَّعه. وفيه بيانٌ شرفِ ذلك اليوم الذي أكْمِلَ فيه الدينُ؛ لأنَّه لو لا ذلك لم يكن لِقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فائدة<sup>(١)</sup>.

٨- في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بيانٌ أنَّ الدينَ كاملٌ، فكلُّ مُتَكَلِّفٍ يزعمُ أنَّه لا بدَّ للنَّاسِ - في معرفة عقائدهم وأحكامهم - من معرفة علومٍ غيرِ علمِ الكتابِ والسُّنة، من علمِ الكلامِ وغيره؛ فهو جاهلٌ، مُبْطِلٌ في دعواه، قد زعمَ أنَّ الدينَ لا يكْمُلُ إلَّا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظمِ الظلمِ والتَّجهيلِ لله ولرسوله<sup>(٢)</sup>، قال الإمامُ مالِكُ بنُ أنسٍ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَلْفُهُا؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَانَ الرَّسَالَهَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، فما لم يكن يومئذٍ دينًا؛ فلا يكون اليومَ دينًا<sup>(٣)</sup>.

٩- قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فيه إشارةٌ لى أنَّ نَسَخَ الأحكامِ قد انتهى، وأنَّ هذا الدينَ دينٌ أبديٌّ؛ لأنَّ الشياءَ المُختارَ المُدخِرَ لا يكونُ إلَّا أَنفَسَ ما أَظْهَرَ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَالْأَنْفَسَ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ؛ إِذْ لَيْسَ بَعْدَهُ غَايَةٌ<sup>(٤)</sup>.

١٠- أفاد قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بعد قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ حُكْمًا شرعيًّا، وهو أنَّه تعالى غَفَرَ لِلْمُضْطَرِّ الذَّنْبَ بِتَنَاوُلِ هَذَا الْمُحَرَّمِ، وَرَحِمَهُ بِإِبَاحَتِهِ لَهُ، فَالْأَحْكَامُ تَوْخِذٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لَا سِيَّما الْمُتَعَدِّيَّة، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢٦/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠).

(٣) يُنظر: ((الإحكام)) لابن حزم (٥٨/٦)، ((الاعتصام)) للشاطبي (١/٤٩٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٠٨/٦).

أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿المائدة: ٣٤﴾ يعني: إذا تاب قَطَّاعُ الطريق قبل القدرة عليهم سقط عنهم الحد<sup>(١)</sup>.

### بلاغة الآية:

١- قوله: ﴿وَالْمُنْحَنِقَةُ وَالْمُؤْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: خصَّ المنحنة وما عطف عليها من الميتات بالذكر - مع كونها داخله في عموم الميتة بالمعنى الشرعي -؛ لأنَّ بعض العرب في الجاهلية كانوا يأكلونها، ولثلاً يغرَّ أحدٌ باستباحة بعض أهل الجاهلية لها، ولثلاً يشتبه فيها بعض الناس؛ لأنَّ لموتها سبباً معروفاً<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ... وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ ما ذبح على النصب جزء مما أهل به لغير الله، لكن خصَّ بالذكر بعد جنسه؛ لشهرة الأمر، وتَعْظِيمِ النفوس له<sup>(٣)</sup>، وإزالة وهم من توهم أنه قد يحلُّ بقصد تعظيم البيت الحرام إذا لم يُذكر اسمُ غير الله عليه<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله: ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾: اعتراض وقع بين آية المحرّمات المتقدمة، وبين آية الرخصة الآتية؛ وهي قوله: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾، وفائدته تأكيد معنى التحريم، وكذلك ما بعده ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ...﴾؛ لأنَّ تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة النامة، والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٥٤ - ٥٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/١١٤ - ١١٧ - ١٢٢).

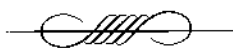
وكانت العرب تعتقد أنَّ هذه الحوادث (الخنق والوقذ والتردي والنطح) على المأكول كالذكاة، وأنَّ الميتة ما ماتت بوجع دون سبب يُعرف من هذه الأسباب. يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٧٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/١٥٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٧٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/١٢٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٠٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/١١٥)، ((تفسير ابن عاشور))

٤- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ أفاد مفاد صيغة الحصر، ولو قيل: (فإيأي فإخشون) لجرى على الأكثر في مقام الحصر، ولكن عدل إلى جملتي نفي وإثبات؛ لأن مفاد كلتا الجملتين مقصودٌ، فلا يحسن طيُّ إحداهما، وهذا من الدواعي الصارفة عن صيغة الحصر إلى الإتيان بصيغتي إثبات ونفي<sup>(١)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٠٢).

## الآيات (٤ - ٥)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مَتَّحِدِينَ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْآيَاتِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿الْجَوَارِحِ﴾: أي: الصَّوَائِدُ أو الكَوَاسِبِ - كالكِلابِ والفُهودِ، والصُّقُورِ وأشباهها - وهي ما صِيدَ به من سباعِ البهائمِ والطَّيرِ، أو كِلابِ الصَّيْدِ، وأصلُ الاجتراح: الاكتساب<sup>(١)</sup>.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: أي: أصحابَ صُورٍ وكِلابٍ، وَالْمُكَلَّبُ: الذي يَعْلَمُ الكِلابِ، ويُقال: رجلٌ مُكَلَّبٌ وَكَلَّابٌ، أي: صاحبٌ صيدٍ بالكِلابِ<sup>(٢)</sup>.

﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾: ذواتُ الأزواجِ، والمحصناتُ أيضًا: الحرائرُ وإن لم يكن مزوجاتٍ، والعفائفُ، فهي مُحْصَنَةٌ، إما بعفتها، أو تزويجها، أو بمانعٍ من شرفها وحرَّيتها، وأصلُ الحِصْنِ: الحِفظُ والحِياطةُ والحِرزُ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٩١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٥٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٣٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٢١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٥).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣، ١٢٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني =

﴿مُحْصِنِينَ﴾: أي: متزوِّجين وأَعفَاءَ بالنِّكاحِ، وأصلُ الحِصْنِ: الحِفظُ والحِياطةُ والحِرزُ<sup>(١)</sup>.

﴿مُسَافِحِينَ﴾: جمعُ مسافِحٍ، وهو الزَّاني، أو المِجَاهِرُ بِالزَّنا، الذي يَصِبُّ ماءَهُ حيثُ انْفَقَ، من سَفَحَتْ القِرْبَةَ: إذا صَبَبْتَهَا، وسُمِّيَ الزَّنا سَفاحًا؛ لأنَّهُ يُسَافِحُ فِيهِ، أي: يَصِبُّ الرَّجُلُ النُّطْفَةَ وَتَصِبُّ المِراةُ النُّطْفَةَ، وأصلُ (سَفَحَ): يدلُّ على إِرَاقَةِ شيءٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿أَخْدَانٍ﴾: جمعُ خِدْنٍ، وهو الزَّاني سِرًّا، أو مُصاحِبٌ وَصَدِيقٌ، أو خَلِيلٌ فِي السِّرِّ، وَيُطَلَّقُ كَذَلِكَ عَلَى الحِيبِ والرَّفِيقِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ فِيمَنْ يَصاحِبُ بِشَهْوَةٍ؛ يُقالُ: خِدْنُ المِراةِ وَخَدِينُها، وأصلُ (خَدَنَ): المِصاحِبَةُ<sup>(٣)</sup>.

﴿حَبِطَ﴾: أي: بَطَلٌ؛ فَالْحَبِطُ: البُطْلانُ والأَلَمُ، وأصلُهُ: أن تُكثِرَ الدَّابَّةُ أَكْلاها حَتَّى يَنْتَفِخَ بَطْنُها فتموتَ<sup>(٤)</sup>.

= (١/٤٣٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٦٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٦٢)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٧)، ((الكليات)) للكفوي (١/٥٥).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، (ص: ٨٧٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٦٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٦٢)، ((الكليات)) للكفوي (١/٥٥).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٨١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٧)، ((الكليات)) للكفوي (١/٨٧٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٥٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/١٦٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٧٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٨)، ((الكليات)) للكفوي (١/٦٥، ٤٣٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٨٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢١٦)، ((النهاية)) لابن الأثير (١/٣٣١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٦).

## مُشْكِلُ الْإِعْرَابِ:

﴿مُكَلِّبِينَ تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: منصوبة، حالٌ من فاعل ﴿عَلَّمْتُمْ﴾، والتقدير: عَلَّمْتُمُ الْجَوَارِحَ حال كونكم مُؤدِّبِينَ ومُدَرِّبِينَ ومُعَوِّدِينَ لها على كَيْفِيَةِ الصَّيْدِ.

﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ﴾: فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ، والجملة مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، أو تكون في محلِّ نَصْبٍ، على أنها حالٌ ثانية من فاعل ﴿عَلَّمْتُمْ﴾، أو حالٌ من الضمير المستتر في ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ فتكون حالاً من حالٍ، وتُسمَّى المتداخلة، وعلى كلا التقديرين فهي حالٌ مؤكدة؛ لأنَّ معناها مفهومٌ من ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ ومن ﴿مُكَلِّبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يقول الله تعالى لنبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَكَ يَسْأَلُونَكَ عَمَّا يُبَاحُ لَهُمْ أَكْلُهُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُجِيبَهُمْ: أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ لَهُمْ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ، وَأَبَاحَ لَهُمْ أَكْلَ مَا اصْطَادُوهُ عَنْ طَرِيقٍ مَا يَصِيدُ بِنَابِهِ أَوْ مِخْلَبِهِ مِنَ السَّبَاعِ وَالطُّيُورِ، كَالْكِلَابِ وَالصُّقُورِ، إِذَا عَلَّمُوهَا وَدَرَّبُوهَا عَلَى طَرِيقَةِ الصَّيْدِ، يُعَلِّمُونَهَا مِمَّا امْتَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْمِ بِآدَابِ الصَّيْدِ، فَلْيَأْكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّهُ لِأَجْلِهِمْ؛ وَلْيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا عِنْدَ إِرْسَالِهَا لِلصَّيْدِ، وَلْيَتَّقُوا اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

ثم أخبر تعالى عن بعض مظاهر إسباغ نعيمه وإكمال دينه، وتيسير شرعه، ومن ذلك أنه سبحانه أحلَّ لهم التمتع بالطيبات، وأحلَّ لهم أكل ذبائح أهل

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢١٩)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري

(١/٤٢٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٣٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٢٠٢ -

٢٠٣)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)،

((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٥٨).



الكتاب من اليهود والنصارى، وأحلّ لهم نكاح الحرائر العفيفات من المؤمنات، والحرائر العفيفات من الكتابيات، إذا أعطوهنّ مهورهنّ، في حال كون الأزواج مُحصنين لهنّ، غير مُعلنين بالزنا، ولا متخذين عشيقات يُعاشرونهنّ زناً في السرّ، وأخبر الله تعالى أنّ من كفر به، وكفر بما يجب الإيمان به؛ فقد خبطَ عمله، وتوعده بأنّه في الآخرة من الهالكين.

### تفسير الآيتين:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾.

### مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا حَرَّمَهُ فِي الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ مِنَ الْخَبَائِثِ الضَّارَّةِ لِمُتَنَاوِلِهَا - إِمَّا فِي بَدَنِهِ، أَوْ فِي دِينِهِ، أَوْ فِيهِمَا - وَاسْتثنَى مَا اسْتثنَاهُ فِي حَالَةِ الْضُرُورَةِ<sup>(١)</sup> - شَرَعَ فِي بَيَانِ مَا أُحِلَّهُ لَهُمْ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

أي: يسألك أصحابك - يا محمد - ما الذي أبيع لهم أكله من الأطعمة<sup>(٣)</sup>؟

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾.

أي: قل يا محمد: أبيع لكم أكل الطيبات، وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣١ / ٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (١٦ / ٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩٩ / ٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٥٥ / ١).

في أكله من كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضررٍ بالبدن ولا بالعقل<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾

أي: وأبيح لكم أيضًا أكل ما اصطاده لكم سباع البهائم والطير - كالكلاب والصقور وغيرها - التي علمتموها؛ مؤدبين لها ومُدربين إياها على كيفية اقتناص الصيد<sup>(٢)</sup>.

﴿تَعَلَّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾

أي: تُؤدّبون الجوارح، وتُدربونهنّ على طلب الصيد لكم، ممّا منّ الله تعالى به عليكم من العلم بأداب الصيد، وذلك كأن يسترسل الجارح إذا أرسل، ويتزجر إذا زجر<sup>(٣)</sup>.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾

أي: فكلوا - أيها الناس - ممّا أمسكت جوارحكم من الصيد لأجلكم<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).  
 (٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩٩/٨، ١٠٠، ١٠٦)، ((تفسير الواحدي)) (١٥٦/٢)، ((تفسير ابن عطية)) (١٥٧/٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣٢-٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١١٤/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٧-٥٨).  
 (٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٠٧/٨، ١٢٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣٢-٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١١٤/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٨/١).

قال القرطبي: (لا خلاف بين العلماء في شرطين في التعلّم، وهما: أن ياتمر إذا أمر، ويتزجر إذا زجر، لا خلاف في هذين الشرطين في الكلاب وما في معناها من سباع الوحوش، واختلّف فيما يصاد به من الطير، فالمشهور أنّ ذلك مشترطٌ فيها عند الجمهور) ((تفسير القرطبي)) (٦٩/٦).  
 (٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٢٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣٧/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٨/١).

قال ابن كثير: (تلك الآية: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ ليست على عمومها بالإجماع، بل مخصوصة بما صدّن من الحيوان المأكول، وخرّج من عموم لفظها الحيوان غير المأكول =

﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

أي: واذكروا اسم الله عند إرسال الجوارح<sup>(١)</sup>.

عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، أنه قال: ((يا رسول الله، إني أرسل كلبتي وأسمي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أرسلت كلبك وسميت، فأخذ فقتل فأكل فلا تأكل، فإنما أمسك على نفسه، قلت: إني أرسل كلبتي فأجد معه كلباً آخر، لا أدري أيهما أخذه؟ فقال: لا تأكل؛ فإنما سميت على كلبك ولم تُسم على غيره))<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أي: امثلوا ما أمركم الله تعالى به، واجتنبوا ما نهاكم عنه<sup>(٣)</sup>.

= بالاتفاق ((تفسير ابن كثير)) (٢٠/٣).

قال ابن عاشور: (وحرف (على) في قوله: ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ بمعنى لام التعليل، كما تقول: سُجِنَ عَلَى الاعتداء، وَضُرِبَ الصَّبِيُّ عَلَى الكذبِ ((تفسير ابن عاشور)) (١١٦/٦).  
(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الواحدي)) (١٥٧/٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣٧/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١١٨/٦).

الهاء في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها تعودُ على (مَا عَلَّمْتُمْ)، أي: اذكروا اسم الله على الجوارح عند إرسالها على الصيد، ودلت عليه السنة.

والثاني: أنها عائدةُ على المصدرِ المفهومِ من الفعلِ، وهو الأكلُ، كأنه قيل: واذكروا اسم الله على الأكل.

والثالث: أنها تعودُ على (مَا أَمْسَكْنَ) أي: اذكروا اسم الله على ما أدركتم ذكاته مما أمسكته عليكم الجوارح.

يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٢٠٩/٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٤٥/٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١١٨/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦١/١).

(٢) رواه البخاري (٥٤٨٦) واللفظ له، ومسلم (١٩٢٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٢٨/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٩/١).

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

أي: إِنَّ اللَّهَ سَبِحَانَهُ سَرِيعُ الْإِحْصَاءِ لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، سَرِيعُ الْمَجَازَاةِ لَهُمْ، يُحَاسِبُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي مَدَّةٍ وَجِيزَةٍ جَدًّا، وَإِنْ حَسَابَهُ عَزًّا وَجَلًّا قَرِيبًا؛ لِسُرْعَةِ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

﴿النَّيُّومَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلًّا لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلًّا لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَحْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ أَنَّهُ أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ، وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذِكْرِهِ الْإِخْبَارَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ، ثُمَّ أَعَادَ ذِكْرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالغَرَضُ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿النَّيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ﴿فَبَيَّنَّ أَنَّهُ كَمَا أَكْمَلَ الدِّينَ وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، فَكَذَلِكَ أَتَمَّ النِّعْمَةَ فِي كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا<sup>(٢)</sup>﴾.

وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي الْأَصْلِ أَهْلَ تَوْحِيدٍ، ثُمَّ سَرَتْ إِلَيْهِمْ نَزَغَاتُ الشُّرْكِ مِمَّنْ دَخَلَ فِي دِينِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمْ يُشَدِّدُوا فِي الْفَصْلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا ضِيَعَهُمْ، وَكَانَ هَذَا مَطْنَةً التَّشْدِيدِ فِي مُوَآكَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُنَاكَحَتِهِمْ، كَمَا شَدَّدَ فِي أَكْلِ ذَبَائِحِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَنِكَاحِ نِسَائِهِمْ - بَيْنَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأَ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٢٩/٨)، ((تفسير ابن عطية)) (١٥٨/٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٩/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٢٩٣/١١).

تُعَامِلَ أَهْلَ الْكِتَابِ مَعَاملةَ الْمُشْرِكِينَ فِي ذَلِكَ، فَاحِلٌّ لَنَا مُؤَاكَلَتَهُمْ، وَنِكَاحَ نِسَائِهِمْ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾

أي: اليوم أباح الله تعالى لكم - أيها المؤمنون - الحلال من الذبائح والأطعمة مما ليس بضارًّا ولا مُسْتَقْدَرٍ، دون الخبيث منها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾

أي: وذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى حلالٌ لكم - أيها المؤمنون - أكلها<sup>(٣)</sup>.

﴿وَطَعَامَكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾

أي: وذبائحكم - أيها المؤمنون - حلالٌ لليهود والنصارى؛ فلكم أن تُطعموهم من ذبائحكم<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾

(١) يُنظَر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٤٧/٦).

(٢) يُنظَر: ((تفسير ابن جرير)) (١٢٩/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور))

(٦/١١٢-١١٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٦٥-٦٦).

(٣) يُنظَر: ((تفسير ابن جرير)) (١٢٩/٨، ١٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٤٠)، ((تفسير

السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٦٦-٦٧).

قال ابن جزى: (وأما الطعام، فهو على ثلاثة أقسام أحدها: الذبائح، وقد اتفق العلماء على أنها مرادة في الآية) ((تفسير ابن جزى)) (١/٢٢٣).

والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يُباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم، وأيضاً فإنه أضاف الطعام إليهم. يُنظَر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٤) يُنظَر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٤١)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٦٧).

أي: وأحلّ لكم - أيها المؤمنون - نكاح الحرائر العفيفات من النساء المؤمنات<sup>(١)</sup>.  
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾

أي: وأحلّ لكم - أيها المؤمنون - أيضًا نكاح الحرائر العفيفات من نساء اليهود والنصارى<sup>(٢)</sup>.

﴿إِذَا اتَّيَمُّوهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾

أي: إذا أعطيتن من نكحتن - من محصناتكن ومحصناتهن - مهرهن<sup>(٣)</sup>.

﴿مُحْصِنِينَ﴾

أي: حالة كونكم محصنين لنسائكن؛ بسبب حفظكم لفروجكن عن غيرهن، وعفتكن عن الزنا<sup>(٤)</sup>.

﴿غَيْرِ مُسَافِحِينَ﴾

أي: ولستن كذلك بالزناة المعلنين بالزنا، الذين يزنون بأي امرأة كانت، ولا يردون أنفسهم عمّن جاءهم<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٨/٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢١/٣٢-١٢٢)،

((تفسير ابن كثير)) (٤٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٨/٨، ١٣٩-١٤٦، ١٤٧)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية

(١٢١/٣٢-١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٤٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١-٢٢٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٩/٨، ١٤٧-١٤٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢١/٣٢-١٢٢)

(١٢٢-١٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٤٣/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤٨/٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢٣/٣٢)، ((تفسير

ابن كثير)) (٤٣/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

(٦٨/١).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٤٣/٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦٩/١).

﴿وَلَا تُتَّخَذِي أَخْدَانٌ﴾.

أي: ولا من ذوي العشيقات الذين لا يفعلون الفاحشة إلا خفيةً معهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾.

أي: ومن كفر بالله تعالى وما يجب الإيمان به، فقد بطل ثواب عمله الذي كان يعملُه في الدنيا، إن مات على كفره<sup>(٢)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أي: وهو في الآخرة من الهالكين، الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم؛ لقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾، ومن هنا نعرف أن ما لم يسأل الصحابة عنه مما يرد السؤال عنه في عصرنا من أمور الغيب، فالسؤال عنه بدعة؛ لأننا نعلم أنه لو كان هناك خير في

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٤٣/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦٩/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤٨/٨-١٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٤٣/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٢٥/٦٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦٩/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤٩/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧٠/١).

العلم به لألهم الله الصحابة أن يسألوا عنه؛ حتى يتبين الأمر<sup>(١)</sup>.

٢- قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ (تعلمونهن) المقصود منه المبالغة في اشتراط التعليم، أي: أن يكون من يعلم الجوارح نحرياً في علمه، مُدرِّباً فيه، فقيهاً عالماً بالشرائط المعتمدة في الشرع لحل الصيد، وفيه فائدة جليلة، وهي أن على كل طالب لشيء ألا يأخذه إلا من أجل العلماء به، وأشدّهم دراية له، وأغوصهم على لطائفه<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ فيه لفظة قرآنية تُصوّر أسلوب التربية القرآني، وتشي بطبيعة المنهج الحكيم الذي لا يدع لحظة تمرُّ، ولا مناسبة تعرض، حتى يُوقظ في القلب البشري الإحساس بهذه الحقيقة الأولى: حقيقة أن الله هو الذي أعطى كل شيء؛ هو الذي خلق، وهو الذي علم، وهو الذي سخر، وإليه يرجع الفضل كله، في كل حركة وكل كسب وكل إمكان، يصل إليه المخلوق<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- يُستفاد من قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ أن التحليل والتحریم ليس إلى العباد، بل هو إلى الله عز وجل، وقد حدّرتنا الله عز وجل من أن نُحلّل أو نحرم بأهوائنا، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لا يستقلّ بالتحليل أو التحريم، وجه ذلك: أن الرسول لم يُجبههم،

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٥٩/١)).

(٢) يُنظر: (تفسير الرازي) ((٢٩٢/١١))، (تفسير أبي حيان) ((٤/١٨١))، (نظم الدرر) للبقاعي

((٢٢/٦))، (تفسير الشربيني) ((٣٥٥/١)).

(٣) يُنظر: (في ظلال القرآن) لسيد قطب ((٨٤٧/٢)).



ولكنَّ الله تعالى أجابهم، فقال: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- أَنْ كُلَّ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ طَيِّبٌ؛ نَافِعٌ لِلبَدَنِ وَنَافِعٌ لِلقَلْبِ، وَنَافِعٌ لِلفَرْدِ وَنَافِعٌ لِلْمَجْتَمَعِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ وَأَيْضًا نَأْخُذُ مِنَ الْمَفْهُومِ أَنَّ كُلَّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ خَبِيثٌ<sup>(٢)</sup>.

٣- قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ نَصٌّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَظَائِرُهَا عَلَى إِبَاحَةِ الْمَسْتَلَذَّاتِ وَالطَّيِّبَاتِ، فَصَارَ هَذَا أَصْلًا كَبِيرًا، وَقَانُونًا مَرْجوعًا إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ مَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ مِنَ الْأَطْعِمَةِ؛ فَالطَّيِّبَاتُ وَصِفٌ لِلأَطْعِمَةِ قُرِنَ بِهِ حُكْمُ التَّحْلِيلِ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الطَّيِّبَ عِلَّةُ التَّحْلِيلِ، وَأَفَادَ أَنَّ الْحَرَامَ ضِدُّهُ، وَهُوَ الْخَبَائِثُ<sup>(٣)</sup>.

٤- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ لُطْفٌ لِلَّهِ بِعِبَادِهِ وَرَحْمَةٌ بِهِمْ؛ حَيْثُ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ طُرُقَ الْحَلَالِ<sup>(٤)</sup>.

٥- جَوَازُ اقْتِنَاءِ كَلْبِ الصَّيْدِ، مَعَ أَنَّ اقْتِنَاءَ الْكَلْبِ مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ إِبَاحَةِ صَيْدِهِ وَتَعْلِيمِهِ جَوَازَ اقْتِنَائِهِ، وَطَهَارَةَ مَا أَصَابَهُ مِنْ الْكَلْبِ مِنَ الصَّيْدِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَبَاحَهُ وَلَمْ يَذْكَرْ لَهُ غَسْلًا؛ فَدَلَّ عَلَى طَهَارَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

٦- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ، وَأَنَّ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٦٠/١-٧٠).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٢٠٤/٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٦٠/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٢٩٠/١١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١١١/٦).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٥) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

الجَارِحِ الْمُعَلِّمِ - بسبب العِلْمِ - يُبَاحُ صَيْدُهُ، والجاهل بالتَّعْلِيمِ لَا يُبَاحُ صَيْدُهُ<sup>(١)</sup>.

٧- أَنْ الشَّغَالَ بِتَعْلِيمِ الْكَلْبِ أَوْ الطَّيْرِ أَوْ نَحْوَهُمَا، لَيْسَ مَذْمُومًا، وَلَيْسَ مِنَ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ مَقْصُودٌ؛ لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِحَلِّ صَيْدِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ الجوارحُ يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَا يُمَكِّنُ الْإِصْطِيَادَ بِهِ، كَالْفَهْدِ وَالسَّبَاعِ وَالْعُقَابِ وَالصَّعْرِ وَغَيْرِهَا؛ فَهَذِهِ كُلُّهَا جَوَارِحٌ، وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِقَوْلِهِ: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ لِأَنَّ الْمَكْلَبَ هُوَ مُؤَدَّبُ الْجَوَارِحِ وَمُعَلَّمُهَا أَنْ تَصْطَادَ لِصَاحِبِهَا، وَأَصْلُ (كَلَب) يَدُلُّ عَلَى تَعَلُّقِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ فِي شِدَّةٍ وَشِدَّةٍ جَذْبٍ، وَمِنْ ذَلِكَ: الْكَلْبُ. وَإِنَّمَا اشْتَقَّ اسْمُ (مُكَلِّبِينَ) مِنَ الْكَلْبِ؛ لِأَنَّ التَّادِيْبَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي الْكِلَابِ؛ فَاشْتَقَّ مِنْهُ هَذَا اللَّفْظُ لِكَثْرَتِهِ فِي جِنْسِهِ. وَأَيْضًا لِأَنَّ كُلَّ سَبُعٍ فَإِنَّهُ يُسَمَّى كَلْبًا. أَوْ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مَأْخُودًا مِنَ الْكَلْبِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الضَّرَاوَةِ وَالْحِرْصِ عَلَى الشَّيْءِ، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِبَاحَةُ الصَّيْدِ بِالْكََلْبِ فَقَطْ؛ فَتَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ لَا يَنْفِي حَلَّ غَيْرِهِ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ الْإِصْطِيَادَ بِالرَّمْيِ وَوَضْعِ الشَّبَكَةِ جَائِزٌ، وَهُوَ غَيْرُ مَذْكُورٍ فِي الْآيَةِ<sup>(٣)</sup>.

٩- قَطْعُ مَا يُوجِبُ الْإِعْجَابَ بِالنَّفْسِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ فِيهِ إِسْنَادُ التَّعْلِيمِ إِلَى الْبَشَرِ، فَقَدْ يُزْهِمِي الْإِنْسَانَ بِنَفْسِهِ وَيُعْتَرِّ وَيُعْجَبُ؛ فَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ عِلْمَكَ الَّذِي تُعَلِّمُهُ إِيَّاهُنَّ مَصْدَرُهُ مِنْ

(١) يُنظر: ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/ ٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٠٢-٢٠٣)،

((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٠٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٤١). وينظر أيضًا:

((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٣٣-١٣٤).

عند الله عزَّ وجلَّ<sup>(١)</sup>.

١٠- قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، فيه توسعةُ الله عزَّ وجلَّ على عباده في أسباب الرِّزقِ، فقد رَخَّص في الصيد بالجراحة؛ لأنَّه يشقُّ على الإنسان أن يصطادَ الصيدَ بنفسه في كلِّ وقتٍ وحين؛ لأنَّ المصيدَ ربِّما يكون مثلاً في جبالٍ أو في سهولٍ أو في أودية، ولا يستطيع أن يصيده بنفسه<sup>(٢)</sup>.

١١- أنه يجوزُ أكلُ ما صاده الجارحُ، سواء قتله الجارحُ أم لا، قال سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وإن أدركه صاحبه، وفيه حياةٌ مستقرَّة، فإنَّه لا يُباحُ إلا بتذكيته<sup>(٣)</sup>.

١٢- في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ...﴾ الآية، تظهرُ صفحةٌ من صفحاتِ السَّماحةِ الإسلاميَّة في التعاملِ مع غير المسلمين، ممَّن يعيشون في المجتمع الإسلاميِّ (في دار الإسلام)، أو تربطهم به روابطُ الدِّمَّة والعهدِ من أهل الكتاب؛ حيث إنَّ الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حرَّيتهم الدِّينيَّة ثم يعتزلهم، بل يجعل طعامهم حلالاً للمسلمين، وطعام المسلمين حلالاً لهم كذلك<sup>(٤)</sup>.

١٣- يُستفادُ من قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ أنَّ الأصل في الأطعمَةِ الحِلُّ، ومن الأدلَّة أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فالأصل

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٦٢/١)).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) ((٦٣/١)).

(٣) يُنظر: (تفسير السعدي) ((ص: ٢٢١)).

(٤) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٤٨).

الحِجْلُ، وَمَنْ ادَّعَى فِي شَيْءٍ التَّحْرِيمَ لَزِمَهُ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

١٤ - أَنْ مَنْ سِوَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَا تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُمْ؛ كَالْمَجُوسِ وَالْوَثْنِيِّينَ وَالشُّبُوعِيِّينَ وَالْمَشْرِكِينَ وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ؛ يُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ مَفْهُومِ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٥ - حِلُّ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَحِلِّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ فَاللَّهُ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ سِوَاءٌ فِي الْحِجْلِ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مَنْ تَسَاوَيْهِنَّ فِي الْحِجْلِ أَنْ يَتَسَاوَيْنَ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِنَّ، قَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ حَلَالًا، وَلَكِنْ نَقُولُ: الْأَفْضَلُ أَلَّا تُقَدِّمَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

١٦ - أَنَّ الْمَهْرَ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْرَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾<sup>(٤)</sup>، وَتَقْيِيدُ الْحِجْلِ بِإِتْيَاءِ الْأَجُورِ؛ لِتَأْكِيدِ وُجُوبِهَا، وَالْحَثُّ عَلَى مَا هُوَ الْأَوْلَى<sup>(٥)</sup>.

١٧ - أَنَّ الْمَقْصُودَ الْأَعْظَمَ مِنَ النِّكَاحِ هُوَ الْإِحْصَانُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦٦/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٥٣/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧١/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٥٤/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧٧/١).

وَالْإِحْصَانُ قِيْدٌ لِأَزْمٍ، وَتَحَقُّقُهُ لِأَسِيْمَا فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْغَرِيبَةِ الْكَافِرَةِ عَسِيرٌ؛ لِمَا عَلَّمَ مِنْ حَالِهِمْ، وَشُبُوعِ الْفَاحِشَةِ فِيهِمْ.

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨٠/١).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير البيضاوي)) (١١٥/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٩/٣).

(٦) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨١/١).

١٨- الإشارة إلى أنه ينبغي إعلان النكاح؛ لأنه قال: ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾، والأخذان الأخلاء في السر<sup>(١)</sup>.

١٩- أن الاستمتاع بالنساء ينقسم إلى أقسام في قوله: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾: تحصين، وسفاح، واتخاذ أخذان، والفرق بينها: أن الأول: عقد شرعي، والثاني: زنا مُعلن، والثالث: زنا سري<sup>(٢)</sup>.

٢٠- يُستفاد من قوله: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، ومن قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ طهارة بدن الكافر؛ لأنه لا بد أن يلامس الطعام، وأيضاً في النكاح لا بد أن يكون من الزوج مع زوجته الكتابية ما يقتضي التنجيس لو كانت نجسة، وفي الآية أيضاً دليل على أن آنتهم طاهرة، إلا ما علم نجاسته منها؛ كأواني المسلمين<sup>(٣)</sup>.

٢١- أن الإمام من أهل الكتاب لا يُباح للمسلم الزواج بهنَّ ولو خاف العنت؛ دليله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، أما الإمام من المؤمنات فيحل للمسلم الزواج بهنَّ عند الضرورة على حسب ما ورد في سورة النساء من قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>(٤)</sup> [النساء: ٢٥].

٢٢- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ جملة معترضة بين الجمل، والمقصود التنبيه على أن إباحتهم تزوج نساء أهل الكتاب لا يقتضي

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٨١ / ١)).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن عادل) ((٧ / ٢١٤))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٨١ / ١)).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٨٢ / ١)).

(٤) يُنظر: (تفسير ابن عادل) ((٧ / ٢١٢))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٨٣ / ١)).

تزكية لحالهم<sup>(١)</sup>.

٢٣- قول الله تعالى: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ تسمية المهر بالأجر يدل على أن الصداق لا يتقدر، كما أن أقل الأجر لا يتقدر في الإجازات<sup>(٢)</sup>.

٢٤- ذكر الله تعالى حلل المحصنات من المؤمنات في أثناء إباحة طعام أهل الكتاب وإباحة تزوج نسائهم فقال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ إيماء إلى أنهن أولى بالمؤمنين من محصنات أهل الكتاب<sup>(٣)</sup>.

### بلاغة الآيتين:

١- قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾: عبر بالمضارع في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾؛ للدلالة على تجدد السؤال، أي: تكرر، أو توقع تكرره<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾:

- تذييل عام ختمت به آية الصَّيد، وهو عام المناسية<sup>(٥)</sup>.

- وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ ﴿إِنَّ﴾، والغرض منها التخويف من اجتناب التقوى، وأن من لم يتق الله، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: إن الله تعالى سيحاسبكم على أعمالكم، وقوله: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يتضمن سرعة التنفيذ من وجه، وسرعة الوقت من وجه آخر<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/٢٩٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٨٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٢٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/١١٠).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/١١٨).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/١٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٥٩).

- وإظهارُ الاسمِ الجليلِ (الله) في موقعِ الإضمار؛ لتربيةِ المهابة، وتعليلِ الحُكمِ<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾: فيه تكرارُ (اليوم) للتأكيد، وهذا بناءٌ على أن المرادَ بالأيامِ الثلاثةِ وقتٌ واحدٌ<sup>(٢)</sup>، وفائدةُ إعادةِ ذكرِ إحلالِ الطَّيِّبَاتِ: التنبيهُ بإتمامِ النعمةِ فيما يتعلَّقُ بالدُّنيا<sup>(٣)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٨ / ٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٩ / ٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤ / ١٨٢).

(٣) يُنظر: ((المصدران السابقان)).

## الآية (٦)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿الْمَرَافِقِ﴾: جمع مِرْفَقٍ، وهو مَوْصِلُ الذَّرَاعِ فِي الْعَضُدِ، وَسُمِّيَ مِرْفَقًا؛ لِأَنَّهُ يُسْتَرَاخُ فِي الْاِتِّكَاءِ عَلَيْهِ؛ يُقَالُ: ارْتَفَقَ الرَّجُلُ: إِذَا اتَّكَأَ عَلَىٰ مِرْفَقِهِ فِي جُلُوسِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿جُنُبًا﴾: أَي: إِنْ أَصَابَتْكُمْ الْجَنَابَةُ؛ سُمِّيَتْ الْجَنَابَةُ بِذَلِكَ؛ لِكَوْنِهَا سَبَبًا لِتَجَنُّبِ الصَّلَاةِ فِي حُكْمِ الشَّرْعِ، وَأَصْلُ (جَنَبَ): الْبُعْدُ<sup>(٢)</sup>.

﴿الْغَائِطِ﴾: هُوَ كِنَايَةٌ عَنِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ وَالْغَائِطُ الْمَطْمِئِنُّ مِنَ الْأَرْضِ، وَجُعِلَ كِنَايَةً عَنِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَرَادُوا قَضَاءَ الْحَاجَةِ أَتَوْا غَائِطًا مِنَ الْأَرْضِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ فِيهِ؛ فَقِيلَ لِكُلِّ مَنْ قَضَىٰ حَاجَتَهُ: مُتَغَوِّطٌ، وَأُطْلِقَ الْغَائِطُ عَلَى الْعِدْرَةِ نَفْسِهَا. وَأَصْلُ (غَوِطَ): يَدُلُّ عَلَى اطمئنانٍ وَغَوْرٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقْصِدُوا وَتَعَمَّدُوا، وَأَصْلُ التَّيَمُّمِ: قَضْدُ الشَّيْءِ وَتَعَمُّدُهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((الصحيح)) للجوهري (٤/١٤٨٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٤١٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٤٨٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٠٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٧/٦٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٣٤٩)، ((الصحيح)) للجوهري (٣/١١٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٤٠٢).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٣٠) =



﴿صَعِيدًا﴾: ترابًا، والصَّعِيد: الغبار الذي يَصْعَد؛ من الصُّعُود، ويُطلق أيضًا على وجه الأرض<sup>(١)</sup>.

﴿حَرَج﴾: أي: ضيق وإثم، وأصل الحَرَج: تجمُّع الشيء وضيقه<sup>(٢)</sup>.

### مُشْكِلُ الإِعْرَابِ:

قوله: ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾: قُرئ بالنَّصْب والجَرِّ؛ فعلى قِراءة النَّصْب تكون معطوفةً على الوجوه والأيدي في ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾؛ أي: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم. وقيل: هي معطوفةً على موضع ﴿بِرؤوسِكُمْ﴾، والأوَّل أقوى؛ لأنَّ العطفَ على اللفظ أقوى من العطف على الموضع. وأمَّا على قِراءة الجَرِّ - وهي مشهورةٌ كشهرة النَّصْب - فإنَّها تُعَرَّب على الجوار؛ فتكون معطوفةً على ﴿بِرؤوسِكُمْ﴾ في الإعراب، والحُكْم مختلفٌ؛ فالرؤوسُ ممسوحةٌ، والأرجلُ مغسولةٌ، ويُمكنُ أن تكونَ مَعطوفةً على ﴿بِرؤوسِكُمْ﴾ لفظًا ومعنى، أي: إعرابًا وحُكْمًا، ويُحمَل مَسْحُ الأَرْجُلِ على بَعْضِ الأحوال، وهو بُسُّ الحُفِّ، وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

### المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَرَادُوا الْقِيَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَنْ يَغْسِلُوا

= (٦/١٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٩٣)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٩).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٢٩٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٤٣٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٨٤)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٥٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٢٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٦٧).

(٣) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢١٩)، ((التيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٢٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٢٠٩: ٢١٦)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٤٤).

وجوههم، وأيديهم من أطراف الأصابع إلى المرفقين، وأن يمسحوا جميع الرأس، ويغسلوا أرجلهم من أطراف الأصابع إلى الكعبين، ويأمرهم سبحانه - إن أصابتهم جنابة - أن يغتسلوا إذا ما أرادوا القيام إلى الصلاة، وإن كانوا مَرْضَى يتعذَّر عليهم استعمال الماء، أو مُسافرين، أو قَضَى أحدهم حاجته من بولٍ أو غائط، أو لامَس النساء، ولم يجد ماءً لِيَتَطَهَّرَ به، فليَقصدُ وجه الأرض الطاهر النَّظيف، وليَمسح منه وجهه وكفيه، ثم أخبر تعالى أنه شرع هذه الأحكام حتى لا يجعل الناس في عسرٍ وحرَج، فالله سبحانه يُريد أن يُطَهِّر عباده ظاهراً بما شرعه من الوضوء والغسل والتميم، وباطناً بتكفير السيئات، ويُريد سبحانه أن يُتِمَّ نعمته على عباده بإكمال الشرائع، وتسهيلها عليهم؛ لعلهم يشكرونه على ذلك.

### تفسير الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦) ﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا افْتَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى السُّورَةَ بِالْأَمْرِ بِإِيْفَاءِ الْعَهْدِ، وَذَكَرَ تَحْلِيلًا وَتَحْرِيمًا فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَنْكِحِ، وَاسْتَقْصَى ذَلِكَ، وَكَانَ النَّوْعَانِ مَعَامَلَاتٍ دُنْيَوِيَّةً بَيْنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، اسْتَطَرَّدَ مِنْهَا إِلَى الْمَعَامَلَاتِ الْآخِرَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكَمَا كَانَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ الصَّلَاةَ، وَالصَّلَاةَ لَا تُمَكِّنُ إِلَّا بِالطَّهَّارَةِ، بَدَأَ بِالطَّهَّارَةِ<sup>(١)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٢٩٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٨٧).

وأيضًا قد افتتح الله سبحانه السورة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾؛  
والعهد نوعان: عهد الربوبية من الله، وعهد العبودية من العباد، فقدّم الوفاء بعهد  
الربوبية والكرم، ولمّا كانت منافع الدنيا محصورة في نوعين: لذات المطعم،  
ولذات المنكح، فاستقصى سبحانه في بيان ما يحل ويحرم من المطاعم  
والمناكح، ولمّا كانت الحاجة إلى المطعوم فوق الحاجة إلى المنكوح، لا جرم  
قدّم بيان المطعوم على المنكوح، وعند تمام البيان كأنه يقول: قد وفيت بعهد  
الربوبية فيما يطلب في الدنيا من المنافع واللذات، فاشتغل أنت في الدنيا بالوفاء  
بعهد العبودية، فلمّا كان أعظم الطاعات بعد الإيمان الصلاة، ولا يمكن إقامتها  
إلا بالطهارة لا جرم بدأ الله تعالى بذكر شرائط الوضوء<sup>(١)</sup>.

وأيضًا لمّا ذكر ما يتعلق بالمطعم والمنكح، وكان الحدّان (الأصغر والأكبر)  
اللذان هما سبب الطهارتين هما أثر الطعام والنكاح، فلولا الطعام لمّا كان الغائط  
الموجب للوضوء، ولولا النكاح لمّا كانت ملاسمة النساء الموجبة للغسل<sup>(٢)</sup>؛  
لذا قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾.

أي: يا أيها المؤمنون، إذا أردتم القيام إلى الصلاة<sup>(٣)</sup>.

﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٩٦/١١)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٢/٦)، ((تفسير  
ابن عادل)) (٢١٦/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٢/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٥٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٤٣-٤٤)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨٥/١).

قال ابن كثير: (قال آخرون: ... الآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، ولكن هو في حق  
المحدث على سبيل الإيجاب، وفي حق المتطهر على سبيل الندب والاستحباب) ((تفسير  
ابن كثير)) (٤٣/٢).

أي: فأغسلوا الوجه، وهو ما تحصّل به المواجهة، من منابت شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللّحيين والدّقن طولاً، ومن الأذن إلى الأذن عَرَضاً<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾

أي: واغسلوا اليدَ كاملةً من أطراف الأصابع إلى المرفق - وهو مفصل العَضد من الذراع - مع غَسَلِهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾

أي: وامسحوا جميع الرأس<sup>(٣)</sup>.

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه، أنّه قال في وصف وضوء النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((... ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمُقَدِّمِ رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه، ثم رَدَّهُمَا إلى المكان الذي بدأ منه...))<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٨١ / ٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٤٧ / ٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨٧ / ١ - ٨٨).

قال السعدي: (وَيَدْخُلُ فِيهِ الْمَضْمُوعُ وَالِاسْتِنشَاقُ، بِالسُّنَّةِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الشُّعُورُ الَّتِي فِيهِ، لَكِنْ إِنَّ كَانَتْ خَفِيفَةً فَلَا بَدَّ مِنْ إِصَالِ الْمَاءِ إِلَى الْبَشْرَةِ، وَإِنْ كَانَتْ كَثِيفَةً أَكْثَمِي بِظَاهِرِهَا) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٤٩ / ٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨٨ / ١ - ٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٤٩ / ٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨٩ / ١).

قال ابن عثيمين: (يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأُذُنَانِ؛ أَوْلَا: لِأَنَّ الْإِشْتِفَاقَ يَدُلُّ عَلَى دَخُولِهِمَا، وَثَانِيًا: أَنَّهُ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَمْسَحُ بِأُذُنَيْهِ) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٠ / ١).

(٤) رواه البخاري (١٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٣٥).

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التفسيرِ:

في قوله تعالى: ﴿وَأَزْجُلُكُمْ﴾ قراءتان:

١- قراءة ﴿وَأَزْجُلُكُمْ﴾ بالنَّصْبِ عطفًا على الوُجُوهِ والأيدي في قوله تعالى: ﴿اغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾؛ فالواجبُ غَسْلُهَا إذا كانت مكشوفةً<sup>(١)</sup>.

٢- قراءة ﴿وَأَزْجُلُكُمْ﴾ بالجرِّ عطفًا على (رُؤُوسِكُمْ) في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾، والمسحُ في كلامِ العربِ يكونُ غسلاً، ويكونُ مَسْحًا باليَدِ، والأخبارُ جاءتُ بغَسْلِ الأَرْجُلِ وَمَسْحِ الرُّؤُوسِ، أو يكونُ الخفضُ حَمَلًا على العَامِلِ الأَقْرَبِ لِلجَوَارِ، ومن أهلِ العِلْمِ مَنْ حَمَلَ قراءةَ الجرِّ على مَسْحِ القَدَمَيْنِ إذا كان عليهما الخُفَّانِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَزْجُلُكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾

أي: واغسلوا الرَّجْلَ كاملةً من أطرافِ الأصابعِ إلى الكعب- وهو العَظْمُ الناتئُ عند مَفْصَلِ السَّاقِ والقَدَمِ- مع غَسْلِهِ، إذا كانت مكشوفةً، وامسحوا على الخُفِّ إذا كانت مستورةً به<sup>(٣)</sup>.

(١) قرأ بها: نافعٌ، وابن عامر، والكسائيٌ وحفص ويعقوب. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣). ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/٣٢٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢١، ٢٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٩١).

(٢) قرأ بها الباقر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣). ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/٣٢٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢١، ٢٢٣)، ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٩)، ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٥/٣٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٩١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/٥١-٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٩٠-٩١).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.

أي: وإن أصابتكم جنابةً فاغتسلوا قبل أن تقوموا إلى الصلاة<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾.

أي: وإن كنتم ذوي مرضٍ، يتعذّر معه استعمال الماء<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾.

أي: وإن كنتم مسافرين<sup>(٣)</sup>.

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾.

أي: أو كنتم مُحَدِّثِينَ؛ الحدث الأصغر<sup>(٤)</sup>.

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

أي: أو جامعتم النساء<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٢/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٩١/١-٩٢).

قال ابن عثيمين: (الجنب من أنزل منياً، وألحقت السنة به من جامع وإن لم يُنزل) ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (٩٢/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٣/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٩٣/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٣/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٩٣/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٣/٨)، ((فتح الباري)) لابن رجب (١٤/٢)، ((تفسير القاسمي))

(١٢٢/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٣/١-٩٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٥٩/٣)، (٢/٣١٤-٣١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣).

وممن اختار أنه الجماع: ابن جرير في ((تفسيره)) (٢١٣/٨).

وممن قال بهذا القول من السلف وهو أنه الجماع: ابن عباس، وعلي، وأبي بن كعب، ومجاهد،

وطاوس، والحسن، وعبيد بن عمير، وسعيد بن جبير، والشعبي، وقتادة، ومقاتل بن حيان.

ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٤/٧)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٣/٩٦١).

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾.

أي: إن حصلت إحدى الحالات السابق ذكرها - كالسفر - ففقدتم الماء، فعليكم بقصد وجه الأرض الطاهر النظيف<sup>(١)</sup>.

﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾.

أي: فامسحوا من هذا الصعيد الطيب الوجه والكفين<sup>(٢)</sup>.

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾.

أي: لا يريد الله تعالى بما فرض عليكم من هذه الأحكام أن تقعوا في الضيق والعسر<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ ﴾.

أي: ولكن الله عز وجل يريد أن يطهركم بما فرض عليكم من وضوء أو غسل أو تيمم، فتطهروا ظاهراً طهارة حسية لأبدانكم، وتطهروا طهارة معنوية بتكفير سيئاتكم، ومحو خطيئاتكم<sup>(٤)</sup>.

= وقيل المراد بقوله: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾: كل لمس باليد أو بغيرها

وممن اختار أنه اللبس باليد: الواحدي في ((التفسير الوسيط)) (٥٨/٢).

وممن قال بهذا القول من السلف أنه ما دون الجماع: عبد الله بن مسعود، وابن عمر، وعبيدة، وأبو عثمان النهدي، وأبو عبيدة، والشعبي، وثابت بن الحجاج، وإبراهيم النخعي، وزيد بن أسلم، وعطاء، والحكم، وحماد. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩٦١/٣)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٩٦١/٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٤-٢١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣-٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٦/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٤/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٦-٩٥/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٠/٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٦-٩٧/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٦/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٧/١).

﴿وَلَيْتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾

أي: ويريد ربكم سبحانه أيضًا إتمام نِعْمَتِهِ عليكم ببيان شرائع دينه، وتيسيرها لعباده<sup>(١)</sup>.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

أي: كي تشكروا الله تعالى - بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم - على نِعْمِهِ عليكم<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- أَنَّ الطَّهَّارَةَ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لإيمانكم افعَلُوا كَذَا وَكَذَا؛ وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّهَّارَةِ، وَضَوْءًا كَانَتْ أَوْ غُسْلًا أَوْ تَيْمُّمًا؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ مِنْ مُقْتَضِيَاتِهِ لَزِمَ أَنْ يَزِيدَ بِزِيَادَتِهَا، وَيَنْقُصَ بِنُقُوصِهَا، وَأَنَّ الْإِحْلَالَ بِهَا مَنَافٍ لِكَمَالِ الْإِيمَانِ<sup>(٣)</sup>.

٢- التَّكْنِيَةُ عَمَّا يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الْغَائِطِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ لَا مَسْتُمْ النِّسَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.

٣- الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِقَاضِي الْحَاجَةِ أَنْ يَسْتَرَ حَتَّى يَتَوَارَى عَنِ النَّاسِ؛ وَجْهُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْغَائِطِ﴾، فَالْغَائِطُ هُوَ الْمَكَانُ الْمَطْمَئِنُّ الْهَابِطُ مِنَ الْأَرْضِ، كَانُوا يَتَابُونَهُ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، لِيَسْتَرُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٨/٨-٢١٩)، ((تفسير الواحدي)) (١٦٣/٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٢/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٧/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢١٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٠/٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٧/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٩/١).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٢٠٩/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٢٨/١).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٢٧/١).



٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَزْجُلْكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ وفي قراءةٍ أُخْرَى ﴿وَأَزْجُلْكُمْ﴾ بالكسر، أَنَّهَا جَرَتْ مُنْبَهَةً عَلَى عَدَمِ الْإِسْرَافِ بِاسْتِعْمَالِ الْمَاءِ؛ لِأَنَّهَا مِظَنَّةٌ لَصَبِّ الْمَاءِ كَثِيرًا، فَعَطِفَتْ عَلَى الْمَمْسُوحِ؛ لِأَنَّهَا لَتُمَسَّحَ، وَلَكِنْ لِيُنْبَهَ عَلَى وَجُوبِ الْاِقْتِصَادِ فِي صَبِّ الْمَاءِ عَلَيْهَا؛ وَأَنَّ مِنْ سُنَنِ الْوَضُوءِ الْاِقْتِصَادَ فِي الْمَاءِ<sup>(١)</sup>.

٥- التَّرْغِيبُ فِي التَّزْكِيَةِ وَالتَّطْهِيرِ؛ يُرْشِدُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُنِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾، أَي: يُكْمِلُ نِعْمَةَ الْإِسْلَامِ بِزِيَادَةِ أَحْكَامِهِ الرَّاجِعَةِ إِلَى التَّزْكِيَةِ وَالتَّطْهِيرِ<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

- ١- وجوب استيعاب الوجه بالغسل؛ لقوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٢- وجوب غسل الأيدي من أطراف الأصابع إلى المرافق؛ لقوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٣- وجوب غسل الرجل إلى الكعبين، والكعبان داخلان في الغسل؛ لقوله: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٤- قول الله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الزمخشري)) (٦١١/١)، ((تفسير البيضاوي)) (١١٧/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (١١/٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٩١/٦).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٢/٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٣/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٠٧/١).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٤/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٠٨/١).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٨/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١١٢/١).

بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴿١﴾ الفصلُ بالمسحِ بينِ المَغْسُولَاتِ مُعْلِمٌ بِوَجُوبِ التَّرتِيبِ<sup>(١)</sup>.

٥- التَّثْلِيثُ فِي أَعْمَالِ الوُضُوءِ سُنَّةٌ لَا وَاجِبٌ، إِنَّمَا الْوَاجِبُ هُوَ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالغَسْلِ، فَقَالَ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ وماهيةُ الغسلِ تَدْخُلُ فِي الْوُجُودِ بِالْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ<sup>(٢)</sup>.

٦- حِكْمَةُ الشَّرْعِ فِي التَّطَهِيرِ؛ حَيْثُ كَانَ الْاِقْتِصَارُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَعْضَاءٍ فِي الْحَدِيثِ الْأَصْغَرِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ هِيَ غَالِبًا أَدَوَاتُ الْعَمَلِ وَآلَاتُ الْعَمَلِ، فَالْبَطْشُ بِالْيَدِ، وَالْمَشْيُ بِالرَّجْلِ، وَالْبَصَرُ وَالشَّمُّ وَالْكَلَامُ فِي الْوَجْهِ، وَالسَّمْعُ وَالتَّخْيِيلُ وَالتَّفَكِيرُ فِي الرَّأْسِ، فَشَرَعُ تَطَهِيرُ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةَ؛ أَمَّا فِي الْجَنَابَةِ فَشَرَعُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُطَهِّرَ جَمِيعَ بَدَنِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَنَابَةَ تُخْلِجُ الْبَدْنَ كُلَّهُ، وَلِهَذَا يَضَعُفُ الْإِنْسَانُ إِذَا حَصَلَتْ مِنْهُ الْجَنَابَةُ، وَيُؤَمَّرُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ أَنْ يَغْتَسَلَ فَإِنْ لَمْ يُمْكِنَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ<sup>(٣)</sup>.

٧- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾: جَاءَ الْمُخَاطَبُ جَمَاعَةً، وَالْخَيْرُ بِصِغَةِ الْإِفْرَادِ؛ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: (إِنْ كُنْتُمْ جُنُبِينَ)، بَلْ قَالَ: ﴿جُنُبًا﴾؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (جَنِب) فِي اللُّغَةِ الْفَصْحَى يَسْتَوِي فِيهَا الْمَفْرَدُ وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمَاعَةُ<sup>(٤)</sup>.

٨- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾ أَنَّ الْغُسْلَ لِجَمِيعِ الْبَدَنِ؛ لِأَنَّهُ أَطْلَقَ وَلَمْ يَخْصَّ الْأَعْضَاءَ كَمَا فِي الْوُضُوءِ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٠٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٣٣).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٠٢).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٢٨).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/٩١).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٠٨)، ((تفسير الشربيني)) (١/٣٥٨).

٩- أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي الْغُسْلِ تَرْتِيبٌ، وَأَنَّ الْمَغْتَسِلَ لَوْ بَدَأَ مِنْ أَسْفَلِ بَدَنِهِ أَوْ مِنْ وَسْطِ بَدَنِهِ أَوْ مِنْ أَعْلَى بَدَنِهِ وَعَمَّهُ بِالْمَاءِ؛ كَانَ ذَلِكَ مُجْزَأً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَاطْهَرُوا﴾ وَلَمْ يُفْصَلْ<sup>(١)</sup>.

١٠- أَنَّ غُسْلَ الْجَنَابَةِ تُسْتَبَاحٌ بِهِ الصَّلَاةُ، وَأَنَّهُ لَا يَجِبُ الْوُضُوءُ مَعَهُ؛ وَجَهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا﴾، وَلَمْ يَذْكُرْ وَضُوءًا حَتَّى لَوْ لَمْ يَنْوِ إِلَّا رَفَعَ الْحَدِيثَ الْأَكْبَرَ، فَإِنَّهُ يُجْزِئُهُ؛ لِعُمُومِ الْآيَةِ<sup>(٢)</sup>.

١١- أَنَّ التَّيْمُمَ جَائِزٌ فِي الْحَدِيثِ الْأَصْغَرِ وَفِي الْحَدِيثِ الْأَكْبَرِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ وَاضِحَةٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطْهَرُوا﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى التَّيْمُمَ بَعْدَ الْوُضُوءِ وَبَعْدَ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عَلَيْهِ غُسْلُ الْجَنَابَةِ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ، فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ وَيُصَلِّي<sup>(٣)</sup>.

١٢- أَنَّهُ لَا يَجِبُ التَّطَهُّرُ بِغَيْرِ الْمَاءِ، يَعْنِي: لَوْ كَانَ مَعَ الْإِنْسَانِ نَبِيذٌ أَوْ شَائٍ أَوْ لَبَنٌ، فَإِنَّهُ لَا يَتَطَهَّرُ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ آلَةَ الطَّهَارَةِ هِيَ الْمَاءُ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾<sup>(٤)</sup>.

١٣- قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَلَّمَا بَقِيَ اسْمُ الْمَاءِ الْمَطْلُوقِ كَانَ طَاهِرًا طَهْرًا<sup>(٥)</sup>.

١٤- أَنَّ الْمَاءَ مَا دَامَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْمَاءِ، فَإِنَّهُ مُطَهَّرٌ وَلَوْ تَغَيَّرَ بِشَيْءٍ طَاهِرٍ؛

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١١٥).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/١١٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/١٢٦).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢١٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١١٩).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٣١٣).

لعموم الآية: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ و﴿مَاءً﴾ نكرة في سياق النفي؛ فما دام اسم الماء باقياً، فإنه يجب التطهر به، ولو مع التغير<sup>(١)</sup>.

١٥- وجوب طلب الماء؛ لقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾، أي: في الأماكن القريبة منه التي لا يلحقه حرج بطلب الماء فيها، وإذا تيقن عدم وجود الماء حوله، فلا يجب عليه البحث عند كل صلاة؛ لأن هذا عبثٌ ومنافٍ للحكمة، ومنافٍ للشرع<sup>(٢)</sup>.

١٦- قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تُنْمَسُوا مِنَ الْمَاءِ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ فيه أن الدين يسرٌ، سواء كان من أصل المشروعات، أو إذا وجد سبب للرخصة؛ لأن المشقة تجلب التيسير، لكنها لا تسقط الواجب إلا في حدود الشرع<sup>(٣)</sup>.

١٧- قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فيه أنه لا بد في التيمم من النية؛ فقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي: أقصدوا، فالتيمم عبارة عن القصد<sup>(٤)</sup>.

١٨- استدلال بقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ على جواز التيمم من الصعيد الذي على ظهر الأرض أيًا كان، سواء كان هذا الصعيد رملًا أو حجريًا أو سبخةً، أو يابسًا أو رطبًا، يعني: نديًا، المهم أنه يُسمى صعيدًا<sup>(٥)</sup>.

١٩- يُستَعَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١١٩/١)).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) ((١١٨/١)).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) ((٣١٣/١١))، ((تفسير ابن عادل)) ((٢٣٦/٧))، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٢).

(٥) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٢٠/١)).

الصَّعِيدُ الَّذِي يُتِمُّ مِنْهُ طَيِّبًا وَهُوَ الطَّاهِرُ، وَضِدُّهُ النَّجَسُ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَصِحُّ التَّيْمُّ عَلَى أَرْضٍ مَتَنَجِّسَةٍ<sup>(١)</sup>.

٢٠- وجوب استيعاب الوجه بالمسح في التيمم؛ لقوله: ﴿بُوجُوهِكُمْ﴾ وهو شامل لجميع الوجه، ومن ثمَّ يجب أن ننبه بعض العامة الذين إذا تيمموا مسحوا الأنف وما حوله، وتركوا الباقي؛ فيقال: هذا لا شك أنه لا يُجزئ؛ لأنَّ الآية صريحة؛ فقد قال تعالى: ﴿بُوجُوهِكُمْ﴾ أي: كلها<sup>(٢)</sup>.

٢١- قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ فيه رفع الحرج عن هذه الأمة، وهو تارة يكون برفع المشروع بالكلية، وتارة بتخفيفه، وتارة بفعل بدله<sup>(٣)</sup>.

٢٢- قول الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أصل كبير في الشرع، وهو أن الأصل في المضارر ألا تكون مشروعاً<sup>(٤)</sup>.

٢٣- إثبات الحكمة في شرع الله؛ وجه ذلك: التعليل في قوله تعالى: ﴿وَلَسْتَ تَعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، وهذا الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة من وجوه لا تحصى - أن الله سبحانه وتعالى حكيم في كل ما يخلق، وفي كل ما يشرع؛ ومن ثمَّ فيجب

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٢٣٧/٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٢٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٢٩).

(٣) أمَّا رفعه بالكلية فمثل: كفارة القتل؛ إذا عجز الإنسان عن صيام شهرين متتابعين تسقط عنه، أي: تُرْفَعُ عَنْهُ بِالْكَلِيَّةِ. وأمَّا تخفيفه فمثل: القيام في الصلاة؛ إذا عجز الإنسان عنه، يُخَفَّفُ فَيُصَلِّي قَاعِدًا إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ قَائِمًا. وأمَّا فعل بدله فمثل: أن يكون إلى بدل؛ فالإنسان العاجز عن الصيام عجزًا مستمرًا لا يلزمه أن يصوم، لكن عليه البدل، وهو: إطعام مسكين عن كل يوم، فصار الأمر والحمد لله واسعًا، وبناءً على هذه القاعدة فمن عجز عن الكفارات أيًا كانت الكفارة وقت الوجوب، فإنها تسقط عنه. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٣١).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/٣١٧).

الاستسلام لقضاء الله الشرعي والكوني<sup>(١)</sup>.

٢٤- أن الطهارة بأقسامها الثلاثة- الغسل والوضوء والتيمم- نعمة من الله عز وجل على العباد؛ لقوله: ﴿وَلَيْتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾، ولا شك أنها نعمة، ومن رأى فضائل الوضوء وما يكفر من الذنوب، عرف نعمة الله عز وجل بهذا، وكذلك الغسل من الجنابة، ولا سيما في أيام الشتاء وأيام المشقة<sup>(٢)</sup>.

٢٥- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال فيه بعضهم: دلّت هذه الآية على سبعة أصول، كلها مثنى: طهارتان: الوضوء والغسل، ومطهران: الماء والتراب، وحكمان: المسح والغسل، وموجبان: الحدت والجنابة، ومبيحان: المرض والسفر، وكنائنان: الغائط والملامسة، وكرامتان: تطهير الذنوب، وإتمام النعمة<sup>(٣)</sup>.

٢٦- قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (لعل) هنا للتعليل، وليست للترجي؛ لأن الرجاء طلب ما فيه عسر، والله عز وجل لا يتأني في حقه ذلك؛ لأن كل شيء سهل عليه، فتكون (لعل) هنا للتعليل<sup>(٤)</sup>.

### بلاغ الآية:

١- قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة؛ ففيه:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٥).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٣٦).

(٣) ينظر: ((حاشية البجيرمي على الخطيب)) (١/ ١٤١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٧).

جوازُ التَّعْبِيرِ عن إرادةِ الفِعْلِ بِالفِعْلِ؛ لأنَّ الفِعْلَ يوجَدُ بِقُدْرَةِ الفَاعِلِ عليه وإرادَتِهِ له، وهو قَصْدُهُ إليه وميلُهُ وخُلُوصُهُ؛ وذلك لأنَّ الفِعْلَ مَسْبَبٌ عن القُدْرَةِ والإرادة، فأقِيمَ المَسْبَبُ مقامَ السَّبَبِ؛ للملابسةِ بينهما، ولا يجازِ الكلامُ ونحوه، والتَّنْبِيهِ على أنَّ مَنْ أراد العبادةَ ينبغي أن يبادِرَ إليها، بحيث لا ينفكُ الفِعْلُ عن الإرادة، وَيَجُوزُ أن يكونَ المرادُ: إذا قَصَدْتُم الصَّلَاةَ؛ لأنَّ التوجُّهَ إلى الشَّيْءِ والقيامَ إليه قَصْدٌ له<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ فيه كنايةٌ حَسَنَةٌ؛ فالمجِيءُ من الغَائِطِ - وهو المَطْمَئِنُّ أو المُنخَفِضُ من الأرض - كنايةٌ عن الحَدَثِ<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: فيه التَّعْبِيرُ عن نَفْيِ الفِعْلِ بنَفْيِ الإرادةِ له؛ فالإرادةُ هنا كنايةٌ عن نَفْيِ الجَعْلِ؛ لأنَّ المرِيدَ الذي لا غالبَ له لا يَحُولُ دون إرادَتِهِ عائقٌ<sup>(٣)</sup>.



(١) يُنظَر: ((تفسير البيضاوي)) (١١٥/٢)، ((تفسير الزمخشري)) (٦٠٨/١)، ((تفسير الرازي))

(١١/٢٩٧)، ((تفسير أبي السعود)) (١٠/٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٨٧).

(٢) يُنظَر ما تقدم في غريب الكلمات.

(٣) يُنظَر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٣١).

## الآيات (٧ - ١١)

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَائُنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿ميثاقه﴾: الميثاق هو العقد المؤكَّد بيمينٍ وعهد، أو العهد المُحكَّم، وأصل (وثق): العقد والإحكام<sup>(١)</sup>.

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾: ﴿قَوَّامِينَ﴾ جمع، مفردُه (قَوَّام)، بناءٌ مبالغةٍ مِن (قائم)، أي: ليتكرز منكم القيام، وأصل (قوم): مراعاةُ الشيء وحفظه<sup>(٢)</sup>.

﴿شُهَدَاءَ﴾: جمع شهيد، والشَّهادة قولٌ صادرٌ عن عِلْمٍ حصلَ بمشاهدةٍ بصيرةٍ أو بصيرٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل، وأصل (قسط) يدلُّ على معنيين متضادَّين: العدل، والجور؛

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٥٣).

(٢) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/١٢٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٠)، (تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٦٣)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/١٢٢)، ((الكليات)) للكفوي (١/٧٣٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/٦٥)، ((المفردات)) للراغب (١/٤٦٥).



يُقَالُ: أَقْسَطُ: إِذَا عَدَلَ. وَقَسَطَ: إِذَا جَارَ وَظَلَمَ<sup>(١)</sup>.

﴿سَنَانٌ﴾: شِدَّةُ الْبُغْضِ وَالْعِدَاوَةِ؛ يُقَالُ: شَنِتُّهُ، أَي: تَقَدَّرْتُه بَغْضًا لَهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿الْجَحِيمِ﴾: النَّارُ، وَأَصْلُ (جَحَم) : عِظْمُ الْحَرَارَةِ وَشِدَّتِهَا<sup>(٣)</sup>.

﴿يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: يَمْدُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بِالصَّوْلَةِ وَالضَّرْبِ، وَأَصْلُ (بَسَطَ): امْتِدَادُ الشَّيْءِ، فِي عَرْضٍ أَوْ غَيْرِ عَرْضٍ<sup>(٤)</sup>.

### مَشْكِلُ الْإِعْرَابِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَعَدَّ﴾: فِعْلٌ يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ؛ أَوْلَهُمَا ﴿الَّذِينَ﴾، وَالثَّانِي مَحذُوفٌ، وَجَمَلَةٌ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ جَمَلَةٌ اسْمِيَّةٌ وَقَعَتْ بَيَانًا لِلوَعْدِ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَدَّمَ لَهُمْ وَعَدًّا، فَقِيلَ: أَيُّ شَيْءٍ وَعَدَّهُ لَهُمْ؟ فَقَالَ: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ وَعَلَيْهِ فِيهِ مُفَسَّرَةٌ لِمَفْعُولٍ ﴿وَعَدَّ﴾ الثَّانِي الْمَحذُوفِ، لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ. وَقِيلَ: إِنَّ جَمَلَةَ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ مَنْصُوبَةٌ بِقَوْلٍ مَحذُوفٍ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَعَدَّهُمْ وَقَالَ: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ. وَقِيلَ: الْوَعْدُ جَارٌ مَجْرَى الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبُ مِنْهُ، وَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى الْجَمَلَةِ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾؛ فِيهِ مَنْصُوبَةٌ بِهِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَعَدَّهُمْ هَذَا الْقَوْلُ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٠٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠).

(٢) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٤١).

(٣) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٢٩).

(٤) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٤٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٨٨).

(٥) يُنظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٢١)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦١٢) =

## المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، وَالْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ بِمَبَايِعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَابِعَتِهِ، وَنُصْرَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِدِينِهِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهِ؛ حَيْثُ التَّزَمُوا بِذَلِكَ الْعَهْدِ حِينَهَا، وَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِتَقْوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ مَا تُكِنُّهُ الصُّدُورُ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ بِأَنْ يَقُومُوا بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَلْزِمُهُمُ الْقِيَامُ بِهِ مَخْلِصِينَ لَهُ، وَأَنْ يُلَازِمُوا الْعَدْلَ فِي شَهَادَتِهِمْ، وَلَا يَحْوِلَنَّهُمْ بَغْضُهُمْ وَكَرَاهِيَّتُهُمْ لِقَوْمٍ عَلَى أَلَّا يَعْدِلُوا، بَلْ عَلَيْهِمْ مُلَازِمَةُ الْعَدْلِ؛ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ لِتَحْقِيقِ كَمَالِ التَّقْوَى، وَلِيَتَّقُوا اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ.

ثُمَّ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِأَنْ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم، وَثَوَابًا كَبِيرًا، وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ فَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الْمُتَلَازِمُونَ لَهَا.

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، حِينَ هَمَّ بَعْضُ أَعْدَائِهِمْ بِالْبَغْضِ بِهِمْ، فَصَرَّفَهُمُ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُونَ بِهِمْ مِنْ سُوءٍ، وَخَتَمَ الْآيَةَ بِالْأَمْرِ بِتَقْوَاهُ، وَأَنْ يَعْتَمِدُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

## تفسير الآيات:

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ التَّكْلِيفَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ مِنْ بَدَايَةِ السُّورَةِ، أَرَدَفَهُ بِمَا يُوجِبُ

عليهم القبول والانقياد، وذلك من وجهين: الأول: كثرة نعم الله عليهم؛ لأن كثرة النعم تُوجب على المُنعَم عليه الاشتغال بخدمة المُنعِم، والانقياد لأوامره ونواهيه. والوجه الثاني: في السبب الموجب للانقياد للتكليف، وهو الميثاق الذي واثقكم به<sup>(١)</sup>، فقال:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

أي: واذكروا- أيها المؤمنون- نعم الله تعالى عليكم، فتذكروها بقلوبكم وأستيتكم، ومنها نعمة الهداية للإسلام<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾

أي: واذكروا أيضاً- أيها المؤمنون- عهدَه الذي عاهدكم به بمبايعة نبيه صلى الله عليه وسلم على متابعتِه ومُنَاصرتِه ومُؤازرتِه، والقيام بدينه، وتبليغِه<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨].

﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

أي: حيث التزمتُم بهذا العهد بإعلان السمع والطاعة، فقلتم: سَمِعْنَا مَا دَعَوْتَنَا بِهِ- أيها الرسول الكريم- من الآيات القرآنيَّة والكونيَّة، سَمِعَ فَهَمَّ

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/١٨٢)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٢٤٠)

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢١٩، ٢٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٦١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/١٣٨).

قال ابن عثيمين: (قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إنما أمر الله تعالى أن تذكُر النعمة؛ من أجل أن تعرف فضلَه علينا؛ حتى يسهل علينا الانقياد لطاعته؛ لأن الإنسان بمقتضى فطرته وطبيعته لا بد أن يتفاد لمن أحسن إليه) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/١٣٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢١٩، ٢٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٦١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/١٣٨-١٣٩).

وإذعانٍ وانقيادٍ، وأطعنا ما أمرتنا به، واجتنبنا ما نهيتنا عنه<sup>(١)</sup>.

عن جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا<sup>(٢)</sup> وَمَكْرَهِنَا<sup>(٣)</sup>، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا<sup>(٤)</sup>، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ))<sup>(٥)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

أي: وامتنلوا ما أمركم الله تعالى به، واجتنبوا ما نهاكم عنه في جميع أحوالكم<sup>(٦)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

أي: إنَّه يعلم ما يتخالَجُ في الصُّمَائِرِ والسَّرَائِرِ، وما تَنْطَوِي عليه القُلُوبُ من الأفكارِ والخواطِرِ؛ فاحذروا أن يَطَّلِعَ من قُلُوبِكُمْ على أمرٍ لا يرضاه، كأن

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦١/٢-٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٩/١).

(٢) مَنْشَطِنَا: المَنْشَطُ مَفْعَلٌ مِنَ النَّشَاطِ، أي: حِينَ نَشَاطِنَا. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٥٧/٥)، ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقن (٢٨٤/٣٢).

(٣) وَمَكْرَهِنَا: المَكْرَهُ: وهو ما يَكْرَهُه الإنسانُ ويشقُّ عليه؛ أراد في وقتِ الكَسَلِ والمشَقَّةِ في الخروج. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١٦٨/٤)، ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقن (٢٨٤/٣٢)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٧/١٣).

(٤) وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا: الأَثَرَةُ الاسمُ من: آثَرُ يُوَثِّرُ إثَارًا: إذا أعطى، والاستتار: الانفرادُ بالشيء، والمراد أن طَوَاعِيَتِهِمْ لمن يتولَّى عليهم لا تتوقَّف على إيصالِهِمْ حقوقِهِمْ، بل عليهم الطاعة ولو منتهم حقُّهم. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢٢/١)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٨/١٣).

(٥) رواه البخاري (٧٠٥٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٠).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٩/١).

تُضْمِرُوا عَدَمَ الْوَفَاءِ بِمِيثَاقِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨).

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ لَمَّا حَتَّ عَلَى الْإِنْقِيَادِ لِلتَّكْلِيفِ، وَهِيَ مَعَ كَثْرَتِهَا مَحْصُورَةٌ فِي نَوْعَيْنِ: التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَهَذَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ثُمَّ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ النَّوْعِ الثَّانِي وَهُوَ الشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾.

أَي: يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، كُونُوا بِمُقْتَضَىٰ إِيمَانِكُمْ ذَوِي قِيَامٍ بِالْحَقِّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَخَدِّهِ، لَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةً، وَلَا لِنَيْلِ غَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا<sup>(٣)</sup>.

﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾.

أَي: وَكُونُوا أَيْضًا شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ، وَلَا تَجُورُوا فِي أَحْكَامِكُمْ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالصَّادِقِ وَالْعَدُوِّ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٩/١ - ١٤٠).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٢٤٢/٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٣/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٥/١).

أي: ولا يَحْمِلَنَّكُمْ عداوة قومٍ ويُبغضهم على ألا تَعْدِلُوا في حُكْمِكُمْ فيهم، فَتَجُورُوا عليهم<sup>(١)</sup>.

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

أي: عليكم بالعدل - أيها المؤمنون - مع كلِّ أحدٍ، فاستعمالُ العدلِ أقربُ إلى التقوى الكاملة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

أي: امتثلوا ما أمركم الله تعالى به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، ومن ذلك القيام بالعدل، وترك الجور<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

أي: إن الله تعالى هو وحده العالمُ ببواطنِ ما تعملونه - أيها المؤمنون - من خيرٍ أو شرٍّ ومُجازيكم بها<sup>(٤)</sup>.

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩)

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٣/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٦/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٤/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

قال السعدي: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: كلما حرصتم على العدل، واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم؛ فإن تمَّ العدلُ كملتِ التقوى ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

وقال ابن عاشور: (ومعنى ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، أي: للتقوى الكاملة التي لا يشُدُّ معها شيء من الخير؛ وذلك أن العدل هو ملاكُ كبح النفس عن الشهوة، وذلك ملاكُ التقوى) ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٦/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٥/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٦-١٤٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٢٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٢/٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٧/١).

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَوْامِرَ وَنَوَاهِي، ذَكَرَ وَعْدَهُ مَنِ اتَّبَعَ أَوْامِرَهُ وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ<sup>(١)</sup>.  
وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى مِمَّا حُجِّمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَعَدَ بَيَانِ أَنَّ الْعَدْلَ  
هُوَ أَقْرَبُ مَا يُتَّقَى بِهِ عِقَابُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ قِوَامُ الصَّلَاحِ لِلْأَفْرَادِ،  
وَالْإِصْلَاحِ فِي الْأَقْوَامِ، وَلَمَّا عُلِّلَ هَذَا الْأَمْرَ الْمَطْلُوقُ بِأَنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِدَقَائِقِ  
الْأَعْمَالِ وَخَفَايَاهَا، وَكَانَ هَذَا التَّعْلِيلُ يُشِيرُ إِلَى جِزَاءِ الْعَامِلِينَ الْمُتَّقِينَ وَغَيْرِ  
الْمُتَّقِينَ - قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ الْجِزَاءِ الْعَامِّ<sup>(٢)</sup>:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾

أَي: وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - الَّذِي لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ - الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ عَمِلُوا  
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ مُخْلِصِينَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَمُتَابِعِينَ شَرِيعَتَهُ، وَعَدَّهُمْ بِسِتْرِ  
ذُنُوبِهِمْ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ مُوَآخَذَتِهِمْ بِهَا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

أَي: وَلَهُمْ ثَوَابٌ كَبِيرٌ، وَعَطَاءٌ جَزِيلٌ غَيْرٌ مُحَدُودٍ، وَهُوَ الْجَنَّةُ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠)﴾

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ لِلصَّالِحَاتِ، ثَنَّى بِذِكْرِ مَنْ يُقَابِلُهُمْ

(١) يُنظَر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٩٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٤٤).

(٢) يُنظَر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢٢٧).

(٣) يُنظَر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٦٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٥٢-١٥٣).

(٤) يُنظَر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٢٥-٢٢٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٦٢-٦٣)، ((تفسير

السعدي)) (ص: ٢٢٤).

وما لهم من العقاب<sup>(١)</sup>؛ فقال:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠)﴾.

أي: وأما الكفار المكدِّبون بالأدلة الدالة على الحق، فهم أهل نار الجحيم الملازمون لها، لا يخرجون منها أبداً<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: يا معشر المؤمنين، تذكروا ما أنعم الله تعالى به عليكم بقلوبكم وألسنتكم؛ لأجل القيام بواجب شكر الله عز وجل على ذلك<sup>(٣)</sup>.

﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

أي: حيث أنعم الله تعالى عليكم، بأن ردَّ كيد أعدائكم الذين هموا بالبطش بكم، فصرفهم وحجزهم عنكم، وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم؛ فلم يستطيعوا أن يتألوكم بسوء<sup>(٤)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٩٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٤٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٥٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٥٩-١٦٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٦٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٦٤-١٦٥).



﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

أي: وافعلوا ما أمركم الله تعالى به، واجتنبوا ما نهاكم عنه<sup>(١)</sup>.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ بِكَفِّ أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ عَنْهُمْ، وَرَدَّ كَيْدِهِمْ فِي نُحُورِهِمْ - أَمَرَهُمْ بِمَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى الْإِنْتِصَارِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَعَلَى جَمِيعِ أُمُورِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أي: وعلى الله تعالى وحده دون غيره، فليعتمد المؤمنون الذين آمنوا بالله تعالى وبكل ما يجب عليهم الإيمان به، فليعتمدوا عليه في جلب منافعهم ودفع مضارهم، مما يتعلق بشؤون الدنيا والآخرة؛ ثقةً به عز وجل، ونفويضاً إليه<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- الحث على التأمل في نعم الله تعالى؛ نبه على ذلك قوله: ﴿وَاذْكُرُوا

نِعْمَةَ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

٢- تهديد من خرج عن التقوى، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾،

يعني أنه لا بد أن تكون التقوى مبنية على صلاح القلب، وليست مجرد قول باللسان، ويكرر الله عز وجل التقوى في آيات كثيرة؛ لأنها في الحقيقة عليها

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ١٦٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ١٦٥-١٦٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣١٩).

مدارُ الإسلام، فإذا اتقى الإنسانُ ربَّه فسوف يقومُ بدينِ الله تعالى على ما يُريدُ اللهُ جلَّ وعلا<sup>(١)</sup>.

٣- وجوبُ الإخلاصِ لله عزَّ وجلَّ في الشَّهادة؛ لقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، ومن ثمَّ فلا يكونُ هناك محاباةً لقريبٍ أو صديقٍ، ولن يحملك بُغضُك لشخصٍ على أن لا تشهد له ما دُمت مُخلصاً لله تعالى بالشَّهادة<sup>(٢)</sup>.

٤- وجوبُ الشَّهادةِ بالقِسْطِ ولو كنتَ كارهاً؛ دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾؛ لأنَّ بعضَ النَّاسِ قد تحمَّله كراهةً أن يتصرَّرَ الشَّخصُ على كتمانِ الشَّهادةِ<sup>(٣)</sup>.

٥- أمرُ الله تعالى جميعَ الخلقِ بأن لا يُعامِلُوا أحداً إلا على سبيلِ العَدْلِ والإنصافِ، وتركِ المَيْلِ والظُّلْمِ والاعتسافِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>.

٦- بُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا﴾ أنَّ على المؤمنِ أن يكونَ ضابطاً نفسه، سَمَحاً يُعَامِلُ النَّاسَ بِالْعَدْلِ، وإن اختلفَ معهم، وهي قِمةٌ أعلى مُرتقى، وأصعبُ على النفسِ وأشقُّ؛ فهي مرحلةٌ وراءَ عَدَمِ الاعتداءِ والوقوفِ عنده، تتجاوزُهُ إلى إقامةِ العَدْلِ، مع الشُّعورِ بالكُرهِ والبُغْضِ! إنَّ التَّكْلِيفَ الأوَّلَ أيسرُ؛ لأنَّه إجراءٌ سَلْبِيٌّ ينتهي عند الكَفِّ عن الاعتداءِ، فأما التَّكْلِيفُ الثَّانِي فأشقُّ؛ لأنَّه إجراءٌ إيجابِيٌّ يحِمُّلُ النفسَ على

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٣٩، ١٤٢، ١٥٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/١٤٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٢٤٢)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢٢٧)، ((تفسير

ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٤٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٢٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٤٢).

مباشرة العدل والقسط مع المبعوضين المشنوثين! والمنهج التربوي الحكيم يُقدّر ما في هذا المرتقى من صعوبة؛ فيُقدّم له بما يعين عليه؛ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>.

٧- يُستفاد من قوله: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أن الأعمال الصالحة منها ما يبعُد عن التقوى، ومنها ما يقرب، وينبني على تفاضل الأعمال، وتفاضل الأعمال قد دلّ عليه الكتاب والسنة والعقل، وأن الأعمال تتفاوت، والعَمَل يتفاوتون أيضًا، ويُستفاد أيضًا أن الإيمان يزيد وكذلك ينقص<sup>(٢)</sup>.

٨- أن الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بدّ من عمل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ ولهذا فالَّذين يُرَكِّزون على العقيدة، فيقولون: عقيدتنا سليمة والحمد لله، ولا يتعرّضون للعمل؛ عندهم قُصور، بل لا بدّ مع العقيدة من عمل صالح<sup>(٣)</sup>.

٩- وجوب تقوى الله عزّ وجلّ عند ذكر النعم؛ حتى لا يطغى الإنسان، ويرتفع ويربأ بنفسه؛ لقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٠- وجوب التوكّل على الله عزّ وجلّ، وأنه من الإيمان؛ لقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فوجّه الأمر إلى المؤمنين؛ لأنهم هم أهل التوكّل، ولأن ترك التوكّل على الله نقص في الإيمان<sup>(٥)</sup>.

## الفوائد العلميّة واللطائف:

١- قال الله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل: (نعم الله)؛ لأنه

(١) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٥٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٤٢، ١٤٩).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/١٥٨).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/١٦٧).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

ليس المقصودُ منه التأملُ في أعدادِ نِعَمِ الله، بل المقصودُ منه التأملُ في جنسِ نِعَمِ الله؛ لأنَّ هذا الجنسَ جنسٌ لا يُقدِرُ غيرُ الله عليه<sup>(١)</sup>.

٢- أنه يجبُ على الإنسانِ أن يذكرَ الميثاقَ الذي واثقَ اللهَ عليه، وهو العهدُ بالسَّمعِ والطَّاعةِ المذكورُ في قوله: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، وِستَفَادُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ السَّمْعَ الْمَجْرَدَ لَا يُعْنِي شَيْئًا، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ سَمْعًا وَاسْتِجَابَةً، فَأَمَّا مَجْرَدُ السَّمْعِ فَلَا؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- في قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ إشارةٌ إلى التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

٤- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الْمَسَاوَاةِ وَالْعَدْلِ، وَأَكْثَرُ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ نَفْيُ الْمَسَاوَاةِ، مَعَ إِثْبَاتِ الْعَدْلِ؛ فَالْتَّعَالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> [الزمر: ٩].

٥- تَأْكِيدُ الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ مَعَ الْأَعْدَاءِ، وَالشَّهَادَةُ لَهُمْ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ يُفِيدُ وَجُوبَهُ مَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ بِالْأَوْلَى<sup>(٥)</sup>.

٦- مِنَ اللَّطَائِفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فِي الْمُؤْمِنِينَ

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣١٩/١١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٩/٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤١/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٢٤٢/٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٨/١).

(٥) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٢٢٧/٦)، ((تفسير ابن عادل)) (٢٤٣/٧).

جاءت الجملة فعلية متضمنة الوعد بالماضي الذي هو دليل على الوقوع، فأنفُسهم متشوقة لما وُعدوا به، مُتَشَوِّفَةٌ إليه، مبهجة طول الحياة بهذا الوعد الصادق. وفي الكافرين جاءت الجملة اسمية دالة على ثبوت هذا الحكم لهم، وأنهم أصحاب النار؛ فهم دائمون في عذاب؛ إذ حَتَمَ لهم أنهم أصحاب الجحيم، ولم يأت بصورة الوعيد، فكان يكون الرجاء لهم في ذلك<sup>(١)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فيه: تقديرٌ محذوف، أي: عَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، ويكون العمل صالحاً إذا تَضَمَّنَ أمرين؛ الأول: الإخلاص لله كما في قوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، والثاني: المتابعة لشريعة الله؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ))<sup>(٢)</sup>.

٨- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تَفَضُّلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِبَادِهِ؛ حيث جعل الثواب بمنزلة الأجر، كأنَّ العَامِلَ أَجِيرٌ إِذَا وَفَى الْعَمَلَ أُعْطِيَ أَجْرَهُ، مع أَنَّ الْمِنَّةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْلَى وَأَخْرَأُ<sup>(٣)</sup>.

٩- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عِظَمُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ الصَّالِحَاتِ؛ حيث عَظَّمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وتَعْظِيمُ الْعَظِيمِ لِلشَّيْءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَظِيمٌ عَظْمَةً لَا يَنْخِيلُهَا الْإِنْسَانُ وَلَا يَتَصَوَّرُهَا، وهو كذلك<sup>(٤)</sup>.

١٠- أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مَثَانٍ؛ إِذَا ذَكَرَ أَهْلَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ذَكَرَ أَهْلَ الْعَمَلِ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٩٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٥٣).

والحديث أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

(١/١٥٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٥٩).

السَّيِّئِ؛ كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ثم نثى بعدها بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وفائدة ذلك: أن لا يغلب جانب الرجاء أو جانب الخوف<sup>(١)</sup>.

١١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أَنَّ الْكُفْرَ قَدْ يَصْحَبُهُ التَّكْذِيبُ، وقد لا يصحبه؛ ولهذا أحياناً يذكر الله الكفر فقط؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وأحياناً يذكر التكذيب فقط؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ [الزمر: ٣٢]، وأحياناً يقرن بينهما؛ وذلك لأن كلا منهما قد يكون وحده موجبا للخلود في النار، فإذا اجتمعا جميعاً، صار ذلك أشد وأعظم، والعياذ بالله<sup>(٢)</sup>.

١٢- قوله: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: المراد بالآيات هنا الآيات الشرعية<sup>(٣)</sup> والكونية<sup>(٤)</sup>؛ فمن أنكر ربوبية الله وخلقه للمخلوقات، وتصرفه في الكون، فهذا مكذب بالآيات الكونية، وقد يُعْرَضُ بذلك، لكنه يكفر، ويكذب بالآيات الشرعية، ويُعْرَضُ عن طاعة الله<sup>(٥)</sup>.

١٣- أن الخلود في النار ليس إلا للكفار؛ فقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يُفِيدُ الحصرَ، والمصاحبة تقتضي الملازمة، كما يُقال: أصحاب الصحراء، أي: الملازمون لها<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١٦٠/١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٦٢/١).

(٣) الآيات الشرعية: هي ما جاءت به الرُّسُلُ، وكانت آيات دالة على الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ البشَرَ لا يُمكن أن يأتوا بمثلها. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١٥٩/١).

(٤) الآيات الكونية: وهي هذا الكون بما فيه من الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجُومِ، والليل والنَّهار، والبحار والأنهار، وغير ذلك من المخلوقات العظيمة. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١٥٩/١).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١٥٩/١).

(٦) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٢١/١١)، ((تفسير ابن عادل)) (٢٤٤/٧).

١٤ - قال تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ الآية، أمر الله تعالى أن نذكر نِعْمَتَهُ، لا من أجل مجرد الذكر والخبر، ولكن للقيام بشكر هذه النعمة؛ لأنه لا يكفي مجرد أن أقول: إن الله سلّمني من العدو، أو إن الله نصرني على العدو، هذا لا يكفي، لا بد أن يكون ذلك شكراً لله عز وجل، فإن كان شكراً بأن كان الإنسان يتحدث بنعمة الله ثناءً على الله، فهذا من الشكر<sup>(١)</sup>.

١٥ - أنه يجب على الإنسان أن يذكر نعمة الله عليه في جلب المنافع ودفع المضار؛ وجه ذلك: أمر الله جلّ وعلا بذكر نِعْمِهِ بكف أيدي الأعداء عنا في قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٦ - يُستفاد من قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ أن كف الأذى والضّرر من النعم، وهو كذلك، وكثير من الناس يظنون أن النعم هي الإيجاد، وهذا قصور؛ النعمة: إمّا إيجاد معدوم، وإمّا كف موجود؛ ولهذا يُشكر الله عز وجل على هذا وهذا<sup>(٣)</sup>.

١٧ - من فوائد هذا التذكير للمتأخرين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ترغيبهم في التأسّي بسلفهم في القيام بما جاء به الدين؛ من الحقّ والعدل، والبرّ والإحسان، واحتمال الجهد، والصبر على المشاق في هذه السبيل، وهي سبيل الله، وهذا هو المعنى العامّ للجهاد في سبيل الله<sup>(٤)</sup>.

### بلاغة الآيات:

١ - قوله: ﴿واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثاقَهُ الّذي واثقكم به إذ قُلتُمْ سَمِعْنَا

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٦٣/١)).

(٢) يُنظر: (المصدر السابق) ((١٦٦/١)).

(٣) يُنظر: (المصدر السابق) ((١٦٧/١)).

(٤) يُنظر: (تفسير المنار) (لمحمد رشيد رضا) (٢٣١/٦).

وَأَطَعْنَا ﴿إِذ﴾ في قوله: ﴿إِذ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ظرف لـ ﴿وَأَثَقْتُم بِهِ﴾، أو ظرف لمحدوفٍ وقع حالاً من الضمير المجزور في ﴿بِهِ﴾ أو من ﴿مِثَاقَهُ﴾، أي: كائناً وقت قولكم: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم، والتزامهم بالمحافظة عليه<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ للتَّحذِيرِ من إضمارِ المعاصي، ومن توهم أنَّ الله لا يعلمُ إلا ما يبدو منهم، وتعليلٌ للأمرِ بالأتقاء؛ فحرف (إِنَّ) أفاد أن الجملة علةٌ لما قبلها على الأسلوبِ المقرَّر في البلاغة<sup>(٢)</sup>.

- وإظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿الله﴾ في موقعِ الإضمارِ؛ لتربيةِ المهابةِ، وتعليلِ الحكم، وتقويةِ استقلالِ الجملة<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾: فيه تأكيدٌ شديدٌ على أمرِ العَدْلِ؛ فقوله: ﴿اعْدِلُوا﴾ تأكيدٌ ثانٍ؛ حيث قد نهاهم أولاً أن يحملهم الضغائنُ على تركِ العَدْلِ، ثم أمرهم بقوله: ﴿اعْدِلُوا﴾؛ فصرَّح لهم بالأمرِ بالعَدْلِ؛ تأكيداً وتشديداً، ثم استأنفَ فذكرَ لهم وجهَ الأمرِ بالعَدْلِ، وهو قوله: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: العَدْلُ أقربُ إلى التقوى، وأدخَلَ في مناسبتِها. أو أقربُ إلى التقوى؛ لكونه لُطفاً فيها، وفيه تنبيهٌ عظيمٌ على أن وجودَ العَدْلِ مع الكفارِ الذين هم أعداءُ الله إذا كان بهذه الصِّفة من القوَّة؛ فما الظنُّ بوجوده مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأجباؤه<sup>(٤)</sup>!

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١١/٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٢/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٤/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٢/٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦١١/١)، ((تفسير أبي حيان)) (١٩٦/٤)، ((إعراب القرآن

وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٤٢٥/٢).



٤- قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ جملةٌ تَصَمَّنُ التهديدَ بمخالفةِ التَّقْوَى، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ﴾ الخَيْرُ أدقُّ من العليم؛ لأنَّ الخَيْرَ من الخُبْر وهو العِلْمُ ببواطنِ الأُمْرِ؛ ولذلك سُمِّيَتِ المزارعةُ مَخَابِرَةً؛ وَسُمِّيَ الزَّارِعُ خَيْرًا؛ لأنَّهُ يدسُّ الحَبَّ فِي الأَرْضِ فَيَخْتَفِي، فَالْخَيْرُ هو العَلِيمُ بِخَفَايَا الأُمُورِ<sup>(١)</sup>.

٥- قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: فِيهِ بَيَانٌ لِلوَعْدِ بَعْدَ تَمَامِ الكَلَامِ قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: قَدَّمَ لَهُمْ وَعْدًا، فِقِيل: أَيُّ شَيْءٍ وَعَدَهُ لَهُمْ؟ فِقِيل: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ فَجُمْلَةٌ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مُبَيَّنَةٌ لَجُمْلَةٍ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ فَاسْتَعْنِيَ بِالْبَيَانِ عَنِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا لَهُمْ، وَإِنَّمَا عَدَلَ عَنِ هَذَا النِّظْمِ لِمَا فِي إِثْبَاتِ الْمَغْفِرَةِ لَهُمْ بِطَرِيقِ الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبَاتِ وَالتَّقَرُّرِ<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: فِيهِ قَصْرٌ: وَهُوَ إِمَّا قَصَرَ ادَّعَائِي؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا أَحَقَّ النَّاسِ بِالْجَحِيمِ، وَكَانُوا خَالِدِينَ فِيهِ، جُعِلُوا كَالْمَنْفَرِدِينَ بِهِ، أَوْ هُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ إِذَا كَانَتْ إِضَافَةٌ ﴿أَصْحَابُ﴾ مُؤَدَّةً بِمَزِيدِ الْإِخْتِصَاصِ بِالشَّيْءِ كَمَا فِي مُرَادِفِهَا، وَهُوَ ذُو كَذَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]؛ فَيَكُونُ وَجْهُ هَذَا الْإِخْتِصَاصِ أَنَّهُمُ الْبَاقُونَ فِي الْجَحِيمِ أَبَدًا<sup>(٣)</sup>.

٧- قوله: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ إِظْهَارٌ ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ فِي مَوْجِعِ الْإِضْمَارِ؛ لِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ، أَي: مَنَعَ أَيْدِيَهُمْ أَنْ تُمَدَّ إِلَيْكُمْ عَقِيبَ هَمِّهِمْ بِذَلِكَ، لَا أَنَّهُ كَفَّهَا

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٤٧، ١٥١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦١١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٣٦).

وهذا الوجه بناءً على القول بأن جملة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تفسيريّة لا محلّ لها من الإعراب، مفسّرة للمفعول الثاني لـ ﴿وَعَدَ﴾، وأمّا على بقية أوجه الإعراب فليس فيها هذا الوجه.

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٣٧).

عنكم بعدما مدّوها إليكم<sup>(١)</sup>.

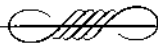
٨- قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾:

جملة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ تذييل مقرر لما قبله<sup>(٢)</sup>.

- وفيه تقديم المتعلق ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ على المتعلق به: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾؛ لإفادة الحصر، أي: ينبغي أن يتوكل المؤمنون على الله فقط، لا على غيره<sup>(٣)</sup>.

- وإظهار الاسم الجليل ﴿اللَّهِ﴾ في موقع الإضمار؛ لتعليل الحكم، وتقوية استقلال الجملة التذييلية<sup>(٤)</sup>.

- وإيثار صيغة أمر الغائب وإسنادها إلى المؤمنين - حيث جاء الأمر بالتوكل بصيغة الغائب ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وليس بصيغة الخطاب، فلم يقل: (توكلوا) بعد قوله: ﴿وَاتَّقُوا﴾ - لإيجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني، ولالإيدان بأن ما وُصفوا به عند الخطاب من وصف الإيمان داع إلى ما أمروا به من التوكل والتقوى؛ وأزغ عن الإخلال بهما، ولأجل الفاصلة، وإشعارًا بالعلية، وإفادة لعموم وصف الإيمان<sup>(٥)</sup>. وهذا أيضًا التفات من الخطاب إلى الغيبة.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٣/٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٦٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٤/٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/١٩٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٣ - ١٤).

## الآيات (١٢ - ١٤)

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوهُمُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿ نَقِيبًا ﴾: ضَمِينًا وَأَمِينًا، وشاهدًا، أو كفيلاً، وَسُمِّيَ نَقِيبًا؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ دَخِيلَةَ أَمْرِ الْقَوْمِ، وَيَعْلَمُ مَنَاقِبَهُمْ<sup>(١)</sup>.

﴿ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ﴾: أَي: نَصَرْتُمُوهُمْ وَأَعْتَمْتُمُوهُمْ وَقَوَّيْتُمُوهُمْ، أَوْ عَظَّمْتُمُوهُمْ، وَالتَّعْزِيرُ: النَّصْرَةُ مَعَ التَّعْظِيمِ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٦٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢٠)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩١٤).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٣٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٦٤)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٦١).

﴿وَأَقْرَضْتُمْ﴾: أي: أنفقتم في سبيل الله، والقَرْضُ: ما يُدْفَعُ من المالِ بِشَرَطِ رَدِّ بَدَلِهِ، وَأَصْلُ الْقَرْضِ: الْقَطْعُ؛ ومنه سُمِّيَ الْقَرْضُ؛ فَكَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ قَطَعْتَهُ مِنْ مَالِكَ<sup>(١)</sup>.

﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أي: فَصَدَّ الطَّرِيقِ وَوَسَطَهُ، وَالسَّوَاءُ: الْوَسْطُ، وَالسَّبِيلُ الطَّرِيقُ<sup>(٢)</sup>.

﴿نَقَضْتُمْ﴾: أي: بَدَدْتُمْ إِيَّاهُ بَعْدَ الْقَبُولِ بِهِ، وَتَرَكْتُمْ الْعَمَلَ بِهِ، وَأَصْلُ النَّقْضِ ضِدُّ الْإِبْرَامِ: وَهُوَ فَكُّ تَرْكِيبِ الشَّيْءِ وَرُدُّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْلاً؛ فَنَقَضَ الْبِنَاءَ: هَدَمَهُ، وَنَقَضَ الْمَبْرَمَ: حَلَّهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿لَعَنَاهُمْ﴾: طَرَدْنَاهُمْ وَأَبْعَدْنَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا، وَاللَّعْنُ: الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ عَلَى سَبِيلِ السَّخَطِ<sup>(٤)</sup>.

﴿خَائِنَةٌ﴾: خِيَانَةٌ، أَوْ جَمَاعَةٌ خَائِنَةٌ مِنْهُمْ، أَوْ خَائِنَةٌ بِمَعْنَى خَائِنٍ، كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ طَائِعِيَّةٌ<sup>(٥)</sup>.

﴿نَصَارَى﴾: جَمْعُ نَصْرَانٍ وَنَصْرَانَةٍ، قِيلَ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَرْيَةٍ نَصْرَةَ أَوْ نَصْرَانَةَ، وَهِيَ قَرْيَةٌ نَزَلَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقِيلَ: كَلِمَةُ النَّصَارَى فِي الْأَصْلِ

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٧١، ٧٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٦٦)، (تفسير ابن كثير) (٣/٥٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٥٨)، (التيبان) لابن الهائم (ص: ٨٩، ١٤٩).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٤٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢١).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٠٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٢٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٤١).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٠٩، ٨٤٧)، (تذكرة الأريب) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، (التيبان) لابن الهائم (ص: ١٤٩).

مَأخُودَةٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، ثم صار لازماً لهم بعد نسخ شريعتهم، وأصل (نصر): يدلُّ على إتيانٍ خَيْرٍ وإيتائه<sup>(١)</sup>.

﴿حَظًّا﴾: نصيباً مقدَّراً، وأصل (حفظ): النَّصِيبُ وَالْجَدُّ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: هَيَّجْنَا، أَوْ أَلَزَمْنَا، مِنْ غَرِيَ بِكَذَا، أَي: لَهَجَ بِهِ وَلَصِقَ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْغِرَاءِ، وَهُوَ مَا يُلصِقُ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

### المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَسْلَافِ الْيَهُودِ عَهْدًا مُؤَكَّدًا، وَأَقَامَ عَلَيْهِمْ اثْنَيْ عَشَرَ رَيْسًا، يَتَلَقَّى كُلُّ رَيْسٍ مِمَّنْ تَحْتَهُ الْمَبَايَعَةَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَوَلَّى تَوْجِيهَهُمْ وَحَثَّهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَمُطَابَقَتِهِمْ بِذَلِكَ، وَيُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّهُ مَعَهُمْ، لِيَنْ قَامُوا بِمَا وَاثَقَهُمْ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ كَمَا يَنْبَغِي، وَدَفْعِ الزَّكَاةِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَالْإِيمَانِ بِرُسُلِ اللَّهِ، وَنَصْرِهِمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ابْتِغَاءَ رِضَاهِ، فَإِنْ قَامُوا بِذَلِكَ، فَسَيَعْفُو اللَّهُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَسَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ تَحْتَ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، وَمَنْ كَفَرَ وَخَالَفَ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ، فَقَدْ ضَلَّ وَغَوَى عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

ثم أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ - بسببِ عَدَمِ وَفَائِهِمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَقْضِهِمِ الْمِيثَاقَ - طَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً غَلِيظَةً لَا تَتَأَثَّرُ بِالْمَوَاعِظِ، وَلَا خَيْرَ فِيهَا؛ يُبَدِّلُونَ

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٨، ٧٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١ / ١٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢ / ١٤)،

((المفردات)) للراغب (١ / ٢٤٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (١ / ١٣٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٠٦)، ((تذكرة

الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي

(ص: ١٥٣).

كلام الله في التوراة، وتركوا قَدْرًا كبيرًا مما ذُكِّروا به من الوحي متعمدين، ثم خاطب الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يكتشف من اليهود المكر والخديعة، والغدر والخيانة، إلا قليلاً منهم؛ يوفون بعهودهم التي يبرمونها، ثم أمره أن يعفو عن إساءة هؤلاء القوم، وأن يعرض عنهم؛ إن الله يحب المحسنين.

ثم بين تعالى أنه أخذ أيضًا العهد والميثاق من الذين ادَّعوا أنهم نصارى بأن يطيعوا الله، ويتبعوا رسله، فتركوا قَدْرًا كبيرًا مما ذُكِّروا به من الوحي متعمدين، فعاقبهم الله أن جعل بينهم التباغض والكراهية والشقاق إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم سبحانه في ذلك اليوم بما كانوا يفعلونه في الدنيا، وسيعاقبهم عليه.

### تفسير الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)﴾ فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٤)﴾.

مُنَاسِبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَمِيثَاقِهِ، الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ بِالْحَقِّ وَالشَّهَادَةِ بِالْعَدْلِ، وَذَكَرَهُمْ نِعْمَةً عَلَيْهِمُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، فِيمَا هَدَاهُمْ لَهُ مِنْ

الحقُّ والهُدَى؛ شرَعَّ بَيِّنٌ لَهُمْ كَيْفَ أَخَذَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِينَ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى<sup>(١)</sup>، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)﴾.

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ نَاسَبَ ذِكْرَ مِيثَاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَقِبَ ذِكْرِ مِيثَاقِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾؛ تحذيرًا من أن يكون ميثاق المسلمین كميثاقهم، ولكي يُوَدِّي المسلمون من جانبهم ما استُحْفِظُوا عليه، ويتَّقُوا أن يَنْقُضُوا ميثاقهم معه<sup>(٢)</sup>، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أي: قد أخذنا على من تقدّم من أسلاف اليهود عهدًا ثَقِيلًا مَوْكَدًا وغلِيظًا<sup>(٣)</sup>.

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

أي: وأقمنا عليهم اثني عشر رئيسًا، موكولًا إليهم مُهِمَّةٌ تَلْقَى مَبَايِعَهُ مَنْ تَحْتَهُمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ وفاءً بعهد الله تعالى، ومُهِمَّةٌ تُوجِبُهُمْ وَحْتَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَمُطَالَبَتِهِمْ بِهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٦٤/٣)، وَيُنظَرُ أَيْضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٩/٦).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣٩/٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٠١)، ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٨٥٦/٢)، ((تفسير الرازي)) (٣٢٢/١١).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٣٤-٢٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٦٩).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٣٥-٢٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٤/٣)، ((تفسير السعدي)) =

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾.

أي: وقال الله تعالى لبني إسرائيل: إِنِّي مَعَكُمْ بِالْحِفْظِ وَالْعَوْنِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ<sup>(١)</sup>.  
ثم ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَانْقَهَمَ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>، فقال:

﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾.

أي: واللَّهُ إِنْ أَدَيْتُمْ - يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ - الصَّلَاةَ عَلَى نَحْوِ مُسْتَقِيمٍ ظَاهِرًا  
وِبَاطِنًا، وَدَفَعْتُمُ الزَّكَاةَ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا كَمَا أَمَرْتُكُمْ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾.

أي: وَإِنْ صَدَقْتُمْ رُسُلِي فِيمَا جَاءُوكُمْ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ، وَأَقْرَرْتُمْ وَأَدْعَيْتُمْ  
وَأَنْقَدْتُمْ لَهُمْ، دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِهِمْ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٤)</sup>.

= (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٣٩-١٤١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٦٩-١٧٠).

قال ابن عطية: (اختلف المفسرون في كيفية بعثة هؤلاء النباء بعد الإجماع على أن النبي كبير القوم القائم بأمرهم، الذي يُنْقَبُ عنها وعن مصالِحهم فيها) ((تفسير ابن عطية)) (٢/١٦٧).  
(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧٠، ١٧٧).

قال ابن عاشور: (والظاهر أن هذا القول وقع وعدًا بالجزاء على الوفاء بالميثاق) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٤١).

(٢) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/٦٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧٠-١٧١).

قال ابن عاشور: (وجملة ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ...﴾ الآية، استئناف محض ليس منها شيء يتعلّق ببعض ألفاظ الجملة التي قبلها، وإنما جمعها العامل، وهو فعل القول، فكِلْتَاهُما مقول؛ ولذلك يحسنُ الوقفُ على قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ثم يستأنف قوله: ﴿لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ إلى آخره) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٤١). ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) (٦/١١٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧١).



﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾

أي: وَإِنْ نَصَرْتُمُوهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ<sup>(١)</sup>.

كما قال الله تعالى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨-٩].

(١) اختار هذا القول: ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/٢٤٤-٢٤٥)، وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/٦٦)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/١٤٢).

وممن قال بهذا القول من السلف: مجاهد، والسدي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٣). قال ابن جرير: (وأولى هذه الأقوال - عندي في ذلك - بالصواب قول من قال: معنى ذلك: نصرتموهم، وذلك أن الله جل ثناؤه قال في سورة الفتح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨-٩] فالتوقير: هو التعظيم، وإذا كان ذلك كذلك، كان القول في ذلك إنما هو بعض ما ذكرنا من الأقوال التي حكيناها عن حكينا عنه، وإذا فسد أن يكون معناه التعظيم، وكان النصر قد يكون باليد واللسان؛ فأما باليد فالذب بها عنه بالسيف وغيره، وأما باللسان فحسن الشاء، والذب عن العرض - صحَّ أنه النصر؛ إذ كان النصر يحوي معنى كلِّ قائل قال فيه قولاً مما حكينا عنه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٤-٢٤٥).

وقال ابن عاشور: (والتعزير: النصر؛ يقال: عززه مخففاً، وعززه مشدداً، وهو مبالغة في عززه عزراً إذا نصره، وأصله المنع؛ لأنَّ الناصر يمنع المعتدي على منصور) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٤٢). قال الأزهرى: (وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ قال: عظمتهم. وقال غيره: ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم. وقال إبراهيم بن السري: وهذا هو الحق، والله أعلم؛ وذلك أنَّ العزْر في اللغة: الرذ، وتأويل عزرت فلاناً، أي: أدبته، إنما تأويله: فعلت به ما يردعه عن الصبيح؛ كما أن نكلت به تأويله: فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاودة؛ فتأويل ﴿عَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم، بأن تردوا عنهم أعداءهم، ولو كان التعزير هو التوقير لكان الأجود في اللغة الاستغناء به، والنصرة إذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها؛ لأنَّ نصرة الأنبياء هي المدافعة عنهم، والذب عن دينهم وتعظيمهم وتوقيرهم) ((تهذيب اللغة)) (٢/٧٨).

واختار أنَّ التعزير هنا بمعنى: التعظيم والتوقير. الواحد في ((الوجيز)) (ص: ٣١١)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٥).

واختار كلا المعنيين: الواحد في ((التفسير الوسيط)) (٢/١٦٦)، وابن عطية في ((تفسيره)) (٢/١٦٨)، وابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (١/٦٧).

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

أي: وإن أنفقتم في سبيل الله تعالى عن إخلاصٍ وصدقٍ؛ ابتغاءَ مَرْضَاةِ  
الكريم الوهاب، واحتسابًا لجزيل الأجر والثواب<sup>(١)</sup>.

﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾

أي: لئن قُمتُم بهذه الأمور التي افترضتها عليكم، لأُغطينَّ بعفوي عنكم على  
ذنوبكم التي سَلَفَتْ منكم، ولا أُوأخِذكم بها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا ذُخِلْنَكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

أي: وسأُدخِلُكم يومَ القيامةِ جَنَاتٍ تَجْرِي فِيهَا الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا  
وَقُصُورِهَا<sup>(٣)</sup>.

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

أي: فَمَنْ خَالَفَ هَذَا الْمِيثَاقَ الْمَوْكَّدَ وَجَحَدَهُ، فَقَدْ عَدَلَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ  
الوَاضِحِ، وَتَاهَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ<sup>(٤)</sup>.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ  
مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين -  
سورة المائدة)) (١/١٧١-١٧٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦).  
قال ابن عثيمين: قوله: ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أجعلها مكفرة بالحسنات التي فعلت، من  
إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل وتعزيرهم، وإفراض الله قرضًا حسنًا؛ فالسيئات  
تُكفر بهذه الحسنات ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧٤-١٧٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٤٧-٢٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧٦).

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴿﴾

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾

أي: فبسبب عدم وفاء اليهود بالعهد المؤكد الذي أخذ عليهم؛ طردناهم من رحمتنا، وأبعدناهم عن الحق والهدى<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿قَاسِيَةً﴾ قراءتان<sup>(٢)</sup>:

١- ﴿قَاسِيَةً﴾ بتشديد الياء من غير ألف، على وزن (فعليل)؛ للمبالغة، وقيل: لإفادة معنى التكرير، وهذا أبلغ في الذم والمدح من (فاعل)، وقيل: (قَاسِيَةً)، أي: رديئة، فتكون القلوب القَاسِيَةُ هي التي لَيْسَتْ بخالصة الإيمان، أي قد خالطها كفرٌ، فهي فاسدة<sup>(٣)</sup>.

٢- ﴿قَاسِيَةً﴾ بالألف وتخفيف الياء، اسم فاعلٍ من قَسَا يَقْسُو، والقلوب القَاسِيَةُ هي الغليظة البائنة عن الإيمان، والتي نُزِعَتْ منها الرِّحْمَةُ والرَّأْفَةُ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٤٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٨/١-١٨٩).

(٢) قال ابن عثيمين: ﴿قَاسِيَةً﴾ اسم فاعل، و(قَاسِيَةً) صفة مُشَبَّهة، والصفة المُشَبَّهة أغلظ من اسم الفاعل؛ لأنها وصفٌ ملازمٌ... فالصفة المُشَبَّهة ملازمةٌ، إذن [في] ﴿قَاسِيَةً﴾... قراءتان، وإذا كان في الآية قراءتان، فالمعنى أن الأمرين كلاهما حاصلٌ؛ فهي قَاسِيَةٌ وهذا وصفها الملازمٌ، وقاسية عند وجود ما يُوجِبُ لبِنَ القلبِ تقسو، والعياذ بالله؛ فهي قَاسِيَةٌ وَضَقَاءٌ، قَاسِيَةٌ فَعَلًا ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٩/١).

(٣) قرأ بها حمزة، والكسائي. يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).  
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ١٢٩)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢٤)، ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي (٤٠٨/١).  
((تفسير أبي حيان)) (٢٠٤/٤).

(٤) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾

أي: وبسبب عدم وفائهم بالعهد المؤكّد الذي أخذ عليهم، عاقبناهم أيضًا بأن جعلنا قلوبهم ملازمةً لصفة القسوة والغلظة، منزوعًا منها الخير، وإذا ما اتعظوا؛ فإنه لا تجدي فيهم المواعظ، وإذا تليت عليهم الآيات؛ فإنهم لا يتنفعون بها، فلا يرغبهم تشويق، ولا يرهبهم تخويف<sup>(١)</sup>.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

أي: إن قسوة قلوبهم جعلتهم يحرفون كلام ربهم في التوراة التي أنزلها على نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، فتأولوا كلامه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقله تعالى وتقدّس<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

أي: ونسوا نصيبًا من وحي الله تعالى، فضاع منهم، كما أنهم أهملوا - وتركوا عن عمدٍ - نصيبًا منه، فلم يعملوا به؛ رغبةً عنه، فضيعوا أمر الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا تَرَأَى عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

أي: ولا ترائل - يا محمد - تكتشف وتشاهد من اليهود شيئًا مما هم مستمرون

= ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي (١/٤٠٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٢٢٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٥١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٥١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٠/١١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٩-١٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٦)، ((مجموع رسائل ابن رجب)) (٣/٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩٠-١٩١).

عليه مِنَ الْمَكْرِ وَالْعَدْرِ، وَالْخِيَانَةِ وَالْخَدِيعَةِ لَكَ وَلَا صَحَابِكَ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْيَهُودِ  
قَدْ سَلِمُوا مِنْ ذَلِكَ؛ فَهَمْ يُؤْفُونَ بِمَا عُوْهُدُوا عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾

أي: فَجَاوِزْ - يَا مُحَمَّدٌ - عَنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ، وَلَا تَوَاخِذْهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَعْرِضْ  
عَنْهُمْ<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

أي: إِنَّمَا أَمَرْنَاكَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ  
عِبَادَهُ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ مِنْ إِحْسَانِهِمُ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)﴾

﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾

أي: وَأَخَذْنَا مِنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّهُمْ نَصَارَى يَنْصُرُونَ الْحَقَّ، وَيَتَّبِعُونَ الْمَسِيحَ  
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَخَذْنَا عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاقِيقَ عَلَى طَاعَتِي وَأَتَابِعِ  
رُسُلِي<sup>(٤)</sup>.

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥٢/٨ - ٢٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٦/٣)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٦/٣ - ٦٧)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٧/٣)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٧/٣)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٠١).

أي: فَتَسُوا نَصِيْبًا مِّنْ وَحْيِ اللّٰهِ تَعَالَى، فضع منهم، كما أنّهم أهملوا - وتركوا عن عمدٍ - نصيبًا منه، فلم يعملوا به؛ رغبةً عنه، فضيعوا أمرَ اللّٰهِ سبحانه<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

أي: لَمَّا تَرَكَ هَوْلَاءُ النَّصَارَى الْوَفَاءَ بَعْهْدِي، عَاقَبْنَا هُمْ بِأَنْ جَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الشَّقَاقَ وَالْعَدَاءَ وَالتَّبَاعُضَ؛ بِالْأَهْوَاءِ الَّتِي حَدَّثَتْ بَيْنَهُمْ، وَاخْتَلَفَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ، فَتَسَلَّطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَعَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّٰهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

أي: وَسَوْفَ يُخْبِرُهُمُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ - عِنْدَ وُرُودِهِمْ عَلَيْهِ فِي مَعَادِهِمْ - بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُ، وَنَكْثِهِمْ عَهْدَهُ، فَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِحَسَبِ اسْتِحْقَاقِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

## الفوائد التربوية:

١ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَّخِذُوا نَقِيبَاءَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِمْ؛ عِنْدَ النِّزَاعِ يَكُونُونَ مُصْلِحِينَ، وَعِنْدَ الْإِشْكَالِ يَكُونُونَ مُوَضِّحِينَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

٢ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ هَذِهِ الْمَعِيَّةُ دَلَالَةٌ عَلَى عِظَمِ الْإِعْتِنَاءِ وَالنُّصْرَةِ،

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٢/١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥٧/٨ - ٢٦١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٢٤/١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٢/١ - ٢٠٣).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٣/١ - ٢٠٤).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٧٧/١).

فَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ، فَلَا شَيْءَ إِذْنُ ضِدَّهُ، وَمَهْمَا يَكُنْ ضِدَّهُ مِنْ شَيْءٍ، فَهُوَ هِبَاءٌ لَا وُجُودَ فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ وَلَا أَثَرَ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَنْ يَضِلَّ طَرِيقَهُ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَلَنْ يَفْلُقَ وَلَنْ يَشْقَى؛ فَإِنَّ قُرْبَهُ مِنَ اللَّهِ يُطَمِّئُنُهُ وَيُسْعِدُهُ، وَعَلَى الْجَمَلَةِ فَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَقَدْ ضَمِنَ، وَقَدْ وَصَلَ، وَمَا لَهُ زِيَادَةٌ يَسْتَزِيدُهَا عَلَى هَذَا الْمَقَامِ الْكَرِيمِ<sup>(١)</sup>.

٣- فِي إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ اعْتِرَافٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فِي الرِّزْقِ، وَمِلْكِيَّةٌ ابْتِدَاءً لِلْمَالِ، وَتَحْقِيقٌ لِلتَّكَافُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي عَلَى أَسَاسِهِ تَقُومُ حَيَاةُ الْمَجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ، وَإِقَامَةٌ لِأَسَسِ الْحَيَاةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي يَكْفُلُ أَلَّا يَكُونَ الْمَالُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ، وَأَلَّا يَكُونَ تَكْدُّسُ الْمَالِ فِي أَيْدٍ قَلِيلَةٍ سَبَبًا فِي الْكَسَادِ الْعَامِّ، وَيُقْضِي إِلَى الْفَسَادِ وَالْاِخْتِلَالِ فِي الْمَجْتَمَعِ بَشْتَى أَلْوَانِهِ، كُلُّ هَذَا الشَّرُّ تَحْوُلٌ دُونَهُ الزَّكَاةُ، وَيَحْوُلٌ دُونَهُ مَنَهِجُ اللَّهِ فِي تَوْزِيعِ الْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- وَجُوبُ نُصْرَةِ الرُّسُلِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾، فَنُصْرَتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ فِي الْجِهَادِ وَالِدَّفَاعِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنُصْرَتُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ أَنْ يَنْصُرُوا شَرَائِعَهُمْ وَيُقِيمُوهَا بَيْنَ النَّاسِ، فَوَاجِبٌ عَلَيْنَا نَحْنُ الْآنَ أَنْ نَنْصُرَ شَرِيعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(٣)</sup>.

٥- أَنَّهُ يُبْدَأُ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ قَبْلَ بَيَانِ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْكُمْ سِبَّاتِكُمْ وَلَا دَخْلَنَّاكُمْ﴾، وَهُوَ شَاهِدٌ لِمَا اشْتَهَرَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ التَّخْلِيَةَ قَبْلَ التَّحْلِيَةِ، أَي: إِزَالَةُ الشَّوَابِ وَالْعَوَاتِقِ قَبْلَ أَنْ يَحْصَلَ الْمَطْلُوبُ<sup>(٤)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ فِيهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٢٠٣/٤)، ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٥٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٥٨).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/١٨٥).

اهتدى إلى سواء السبيل؛ أي: وَسَطَهَا دُونَ حَافَتَيْهَا، وَجَهُ ذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا تَبَّتْ فِي حُكْمِ الْكَافِرِ ضَلَالٌ سِوَاءِ السَّبِيلِ، فَيُثَبِّتُ ضِدَّ حُكْمِهِ لِلْمُؤْمِنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا تَضَادَّتِ الْأَعْمَالُ تَضَادَّتِ الْجِزَاءَاتُ<sup>(١)</sup>.

٧- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أَنَّ لِلْقُلُوبِ أَحْوَالَ: قِسْوَةً وَلِينًا، وَأَنَّهُ كَلَّمَا عَصَى الْإِنْسَانُ رَبَّهُ فَسَأَ قَلْبُهُ، وَعَلَى الْعَكْسِ: كَلَّمَا أَطَاعَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ لَانَ قَلْبُهُ، وَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ أَنْ تَلِينَ قُلُوبُهُمْ، وَيَسْأَلُونَ مَا هُوَ الدَّوَاءُ لِقَسْوَةِ الْقَلْبِ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ الدَّوَاءَ لِقَسْوَةِ الْقَلْبِ: كَثْرَةُ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup>، وَالْإِكْتِثَارُ مِنَ الذِّكْرِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِتَدْبِيرٍ.

٨- أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبٌ لِقَلَّةِ فَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ لِلْعُدْوَانِ فِي فَهْمِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، وَتَحْرِيفَ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الْجَهْلَ وَفَقْدَ الْعِلْمِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ الْاسْتِكْبَارَ وَالْعُدْوَانَ، فَالْمَعَاصِيَ سَبَبٌ لِعَدَمِ الْأَخْذِ بِالنُّصُوصِ، وَسَبَبٌ لِتَحْرِيفِهَا<sup>(٣)</sup>.

٩- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أَنَّ قِسْوَةَ الْقَلْبِ، وَتَحْرِيفَ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنِسْيَانَ مَا ذُكِّرَ بِهِ الْإِنْسَانُ؛ مِنْ خِصَالِ الْيَهُودِ، وَإِذَا كَانَتْ مِنْ خِصَالِهِمْ، فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّعِدَّ عَنْهَا، وَأَنْ يَفِرَّ مِنْهَا فِرَارَهُ مِنَ الْأَسَدِ<sup>(٤)</sup>.

١٠- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٦).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/١٩٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/١٩٨).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).



حُسْنُ مَعَامَلَةِ الْإِسْلَامِ لِعُدْوِهِ، وَذَلِكَ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَالصَّفْحِ، وَلَا سِيَّما إِذَا ظَهَرَ النَّصْرُ لَنَا، فَحِينَئِذٍ يَأْتِي دَوْرُ الْعَفْوِ؛ لِأَنَّ الْعَفْوَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يُمَدَّحُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، هُوَ: الْعَفْوُ مَعَ الْقُدْرَةِ، أَمَّا الْعَفْوُ مَعَ الْعِجْزِ، فَهَذَا لَيْسَ بِعَفْوٍ، وَلَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ<sup>(١)</sup>.

١١ - قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذا كالتعليل لما سبق من قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾، أي: إِنَّمَا أَمَرْنَاكَ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ يُحِبُّ ذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي التَّأَخُّرُ فِي الْعَمَلِ بِهِ، وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الْجَالِيَةِ لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>.

١٢ - أَنَّ عَدَمَ الْمُواخَذَةِ عَلَى الذَّنْبِ مِنَ الْإِحْسَانِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٣ - أَنَّ إِضَاعَةَ حَقِّ اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ إِقْيَاءِ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، بِمَعْنَى أَنَّكَ مَتَى وَجَدْتَ عِدَاوَةً وَبَغْضَاءً بَيْنَ النَّاسِ، فَهَذَا بِسَبَبِ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ دِينِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا﴾، فَالْفَاءُ فِي ﴿فَأَعْرَيْنَا﴾ لِلْسَّبَبِيَّةِ، وَالْعَكْسُ يَكُونُ بِالْعَكْسِ، بِمَعْنَى أَنَّ النَّاسَ إِذَا قَامُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاتَّقَوْا عَلَيْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُلْقِي بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْوَلَايَةَ<sup>(٤)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١ - أَنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ مَفْرُوضَةٌ عَلَى الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾، فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ مَفْرُوضَةٌ، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩٩).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/١٩٥، ٢٠٠).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/١٩٩).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٠٥).

مفروضة أن تكون مماثلة لما وجب علينا في الكيفية والوقت والمقدار<sup>(١)</sup>.

٢- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿أَقِمُّوا الصَّلَاةَ﴾ أنه يجب إقامتها على أصولها التي تجعل منها صلة حقيقية بين العبد والرب، وعُنصرًا تهذيبيًا وتربويًا وفق المنهج الرباني القويم، وناهيا عن الفحشاء والمنكر؛ حياءً من الوقوف بين يدي الله بحصيلة من الفحشاء والمنكر<sup>(٢)</sup>.

٣- بيان فضل الله عز وجل على العباد؛ حيث إنه يُعطيهم الرزق، ثم يقول تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، وهو المعطي أولاً، والمثيب ثانياً؛ لقوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾، والحكمة في التعبير عن الإنفاق في سبيل الله بالقرض، أن الله جعل الإنفاق في سبيله بمنزلة القرض الذي يلزم المستقرض أن يوفيه<sup>(٣)</sup>.

٤- قوله تعالى: ﴿لَا كُفْرَانَ﴾ إشارة إلى إزالة العقاب، وقوله: ﴿وَلَا دُخْلَنَكُمْ﴾ إشارة إلى إيصال الثواب؛ فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات<sup>(٤)</sup>.

٥- أن نعيم الجنة نعيم للنفس والقلب، والسمع والبصر، وكل شيء، وذلك حينما ذكر أن هذه الجنات جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا لا شك أنه يُطرب السمع، فحيف جريان النهر يطرب السمع؛ ولهذا تجد الإنسان يقف عند الشلالات متمتعاً بالاستماع إليها، وكذلك النظر أيضاً، وكذلك القلب، والنفس تستريح<sup>(٥)</sup>.

٦- في هذه الآية ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ لطيفة

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٣).

(٢) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٥٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٠٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٥).

جليلة، وهي أن الضلال بعد الإيمان أظهر وأعظم؛ لأن الكفر إنما عظم قبضه لعظم النعمة المكفورة، فإذا زادت النعمة زاد قبح الكفر، وبلغ النهاية القُصوى<sup>(١)</sup>.

٧- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سِوَاءَ السَّبِيلِ﴾ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْغَالِبَ أَنْ وَسَطَ السَّبِيلِ وَالطَّرِيقِ هُوَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ ﴿سِوَاءَ﴾ بِمَعْنَى وَسَطٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، أَي: فِي وَسْطِهَا وَمَسْتَقَرِّهَا، وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ؛ أَنَّ مَا تَطَرَّفَ عَنِ الْوَسْطِ، فَهُوَ ضَلَالٌ<sup>(٢)</sup>.

٨- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾: عَبَّرَ بِالْمَاضِي ﴿نَسُوا﴾؛ لِأَنَّ النَّسْيَانَ لَا يَتَجَدَّدُ، فَإِذَا حَصَلَ مَضَى، حَتَّى يَذْكُرَهُ مَذْكُورًا<sup>(٣)</sup>.

٩- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أَنَّ النَّسْيَانَ يَأْتِي لِمَعْنَيْنِ: الْأَوَّلُ: النَّسْيَانَ الْعَمَلِيَّ، وَمَعْنَاهُ التَّرْكَ، وَالثَّانِي: النَّسْيَانَ الْعِلْمِيَّ، وَهُوَ النَّسْيَانَ بَعْدَ الذِّكْرِ، وَالْمَرَادُ مِنَ الْآيَةِ كِلَاهُمَا<sup>(٤)</sup>.

١٠- أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ أُقِيمَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَلَكِنَّهُمْ تَرَكَوا الْعَمَلَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

١١- أَنَّ خِيَانَةَ الْيَهُودِ لَا تَزَالُ بَاقِيَةً؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾، وَفِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٦)</sup>، وَإِرْشَادٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ أَلَّا يَنْخَدِعُوا بِهِمْ.

١٢- إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وَمَحَبَّةُ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٢٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٨٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٤٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩١).

(٥) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٥٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩٨).

(٦) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٥٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٩٩).

الله عزَّ وجلَّ ثابتةً بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ<sup>(١)</sup>.

١٣- إقامة الحُجَّةِ على الخَصْمِ بما يدَّعيه؛ لقوله: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾؛ لآئِه تَقَدَّمَ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ دون قَوْلِهِ: (وَمِنَ النَّصَارَى)؛ لإقامة الحُجَّةِ عليهم بما ادَّعوه، فهم يدَّعون أَنَّهُم نَصَارَى، ومع ذلك نَسُوا حِطًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ؛ فَقَدْ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الْاسْمِ؛ ادَّعَاءً لِنُصْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَدَّعُونَ هَذِهِ الصِّفَةَ، وَلَكِنَّهُمْ لَيْسُوا مَوْصُوفِينَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يُحَقِّقُوا فِي حَيَاتِهِمْ وَاقِعًا<sup>(٢)</sup>.

١٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ وكذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وقَوْلِهِ: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾، أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يُغْفَلْ أُمَّةٌ مِنَ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ؛ فَأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الْيَهُودِ، وَأَخَذَهُ عَلَى النَّصَارَى، وَأَخَذَهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ بَلْ أَخَذَهُ عَلَى جَمِيعِ بَنِي آدَمَ<sup>(٣)</sup>.

١٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، الْعَدَاوَةُ: ضِدُّهَا الْوَلَايَةُ، وَالْبَغْضَاءُ: ضِدُّهَا الْمَحَبَّةُ، وَهَنَّاكَ فَرْقٌ بَيْنَ حَبِيبٍ لَيْسَ وَلِيًّا وَبَيْنَ حَبِيبٍ هُوَ وَلِيٌّ، وَبَيْنَ بَغِيضٍ لَيْسَ عَدُوًّا، وَبَغِيضٍ هُوَ عَدُوٌّ؛ لِأَنَّ الْبَغِيضَ قَدْ يَعْتَدِي عَلَيْكَ فَيَكُونُ بِذَلِكَ بَغِيضًا عَدُوًّا، وَقَدْ لَا يَعْتَدِي عَلَيْكَ، وَلَكِنْ يَكْرَهُكَ فَقَطْ، فَلَا يَكُونُ عَدُوًّا<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٩٩/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٣٢٦/١١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦٠/٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٤٦/٦)، ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٦٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٤/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٤/١).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢٠٥/١).

١٦ - الرَّدُّ عَلَى الْجَبْرِيَّةِ؛ لقوله: ﴿يَصْنَعُونَ﴾، فأضاف الفعل إليهم، والأصل أَنَّ الْفِعْلَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى أَحَدٍ، فَإِنَّهُ قَائِمٌ بِهِ، مختار له، والجبرية يقولون: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجَبَّرٌ عَلَى عَمَلِهِ، حتى في الحركات الإرادية، يقولون: هو مُجَبَّرٌ، حتى لو أراد الإنسان أن يأكل أو يشرب، يقولون: هو مُجَبَّرٌ على ذلك، ولا شك أن قولهم هذا يُخَالِفُ الْمَحْسُوسَ وَالْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ<sup>(١)</sup>.

### بِلاغة الآيات:

١ - قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ...﴾

- قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فيه تأكيد الخبر الفعلي والاهتمام به؛ ف(قَدْ)؛ للاهتمام به، والقسم الذي دلَّت عليه هذه اللام الموطئة يُفيدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْعَهْدَ الْمَوْثِقَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَعْمَلُنَّ بِالتَّوْرَةِ الَّتِي شَرَعَهَا لَهُمْ؛ لإفادة تأكيد هذا الأمر وتحقيقه، والاهتمام بما رُتِبَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَدْ عَلَّمَهُ بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ، وَإِنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى تَوَارِثِهِمْ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَارِيخِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ﴾: ذكر الله سبحانه نفسه بالعبية؛ تعظيمًا وتكبيرًا له جَلَّ وَعَلَا، وَجْهَهُ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا)، وهذا كما يقول الملك لجنوده: إِنَّ الْمَلِكَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا كَذَا، لَا يَقُولُ: إِنِّي أَمْرُكُمْ، فإظهار الاسم الجليل (الله)؛ لتربية المهابة، وتفخيم الميثاق، وتهويل الخطب في نقضه، مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المُستدعي للانقطاع عما قبله<sup>(٣)</sup>.

٢ - وقوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: فيه التفات، حيث عبر بقوله: ﴿بَعَثْنَا﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٠٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢٣٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٣٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/١٧٦).

بعد ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ﴾، ولم يقل: (وَأَخَذْتُ)؛ للجري على سنن الكبرياء، وقيل: لأن البعث كان بواسطة موسى عليه السلام<sup>(١)</sup>، فمن أساليب البلاغة الانتقال من أسلوب إلى آخر؛ لتبنيه المخاطب، ولا شك أن تغير الأسلوب يوجب الانتباه<sup>(٢)</sup>.

- وفيه: تقديم الجار والمجرور ﴿مِنْهُمْ﴾ على المفعول الصريح ﴿إِنِّي عَشَرٌ﴾؛ للاهتمام بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر<sup>(٣)</sup>.

٣- وقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ فيه: التفات أيضا؛ حيث لم يقل: (وَقُلْنَا) كما قال ﴿وَبَعَثْنَا﴾، وفائدته: تربية المهابة، وتأكيد ما يتضمّنه الكلام من الوعد<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ فيه: تقديم الصلاة والزكاة على الإيمان؛ تشريفاً لهما، وقد علم وتقرر أنه لا ينفع عمل إلا بالإيمان<sup>(٥)</sup>، وأخر الإيمان بالرسول عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، مع أنه مقدم عليهما؛ لأن اليهود كانوا مقرّين بأنه لا بدّ في حصول النجاة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، إلا أنهم كانوا مُصرّين على تكذيب بعض الرسل، فذكر أن بعد إقام الصلاة وإيتاء الزكاة لا بدّ من الإيمان بجميع الرسل؛ حتى يحصل المقصود، وإلا لم يكن لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة تأثير في حصول النجاة بدون الإيمان بجميع الرسل<sup>(٦)</sup>.

٥- قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فيه: تخصيص الإنفاق (الإقراض)

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٤/٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٧٦/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٤/٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٥/٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٢٠٣/٤).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٢٥٠/٧)، ((تفسير الشربيني)) (٣٦١/١)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١٨٤/١).

بالذِّكْرِ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى شَرْفِهِ وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ<sup>(١)</sup>.

- وفائدة إعادة قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالرغم من أنه داخل تحت إيتاء الزكاة؛ لأن المراد بالزكاة الواجبة وبالقرض الصدقة المندوبة، وخصها تنبيها على شرفها، وقد نبه على الصدقات المندوبة بذكرها فيما يترتب على المجموع تشريفاً وتعظيماً لموقعها من النفع المتعدي<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾: فيه إيجازٌ بديع، وبيان ذلك: أن العداوة والبغضاء اسمان لمعنيين من جنس الكراهية الشديدة؛ فهما ضدان للمحبة، وظاهر عطف أحد الاسمين على الآخر في القرآن أنهما ليسا من الأسماء المترادفة؛ لأن التزام العطف بهذا الترتيب يبعد أن يكون لمجرد التأكيد؛ فإذا كان كذلك لم يصح اجتماع معني العداوة والبغضاء في موصوف واحد في وقت واحد؛ فيتعين أن يكون إلقاءهما بينهما على معنى التوزيع، أي: أعربنا العداوة بين بعضٍ منهم والبغضاء بين بعضٍ آخر؛ فوقع في هذا النظم إيجازٌ بديع؛ لأنه يرجع إلى الاعتماد على علم المخاطبين بعدم استقامة اجتماع المعنيين في موصوف واحد؛ إذ إن بين معني العداوة والبغضاء التضاد والتباين؛ فالعداوة كراهية تصدُر عن صاحبها: معاملةً بجفاء، أو قطيعةً، أو إضراراً؛ لأن العداوة مشتقة من العدو، وهو التجاوز والتباعد. وأما البغضاء فهي شدة البغض والكراهية، غير مصحوية بعدو، فهي مُضمرة في النفس<sup>(٣)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾: خبرٌ فيه توبيخٌ لهم وزجرٌ عمّا

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٠٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٢٥٠)، ((تفسير الشربيني))

(١/٣٦١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٤٧، ١٤٨).

أَدْعَوْهُ مِنْ أَنَّهُمْ نَاصِرٍ وَدِينِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ؛ إِذْ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مُجَرَّدَ دَعْوَى لَا حَقِيقَةَ<sup>(١)</sup>.

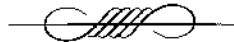
- وفيه تعريض؛ حيث يُفِيدُ لفظُ ﴿قَالُوا﴾ بطريقِ التَّعْرِيفِ الكِنَائِيَّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ غَيْرُ مُوَفَّى بِهِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُوَفَّى بِهِ<sup>(٢)</sup>.

٨- قوله: ﴿فَبِمَا نَفَضْنَاهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾: فيه تأكيدُ الكلامِ وتمكينُه في النَّفْسِ بِذِكْرِ (مَا)<sup>(٣)</sup>.

٩- قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التعبيرُ بصيغةِ المضارعِ في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على التَّجَدُّدِ وَالاسْتِمْرَارِ<sup>(٤)</sup>.

- والجملةُ استئنافٌ لِيَبَانَ قَسْوَةُ قُلُوبِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَا قَسْوَةَ أَشَدَّ مِنْ تَغْيِيرِ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>، وَقِيلَ: حَالٌ مِنْ مَفْعُولِ ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾، أَيْ: لَعَنَّاهُمْ حَالٌ كُونِهِمْ مُحَرِّفِينَ الْكَلِمِ<sup>(٦)</sup>.

١٠- قوله: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: فيه تأكيدُ الوعيدِ بِذِكْرِ كَلِمَةِ (سَوْفَ). وَالْإِلْتِفَاتُ إِلَى ذِكْرِ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ (اللَّهُ)؛ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ، وَإِدْخَالِ الرَّوْعَةِ؛ لِتَشْدِيدِ الْوَعِيدِ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ<sup>(٧)</sup>.



(١) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٢٠٧/٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق))، ((تفسير ابن عاشور)) (١٤٦/٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (١٦/٣).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير البيضاوي)) (١١٨/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (١٦/٣).

(٦) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (١٦/٣).

(٧) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٢٠٨/٤)، ((تفسير أبي السعود)) (١٧/٣)، ((تفسير ابن عاشور))



## الآيتان ( ١٥ - ١٦ )

﴿ يَأْهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طُرُقُ السَّلَامَةِ، أَوْ طُرُقُ الْجَنَّةِ، أَوْ طُرُقُ اللَّهِ، وَهِيَ دِينُهُ <sup>(١)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يُوجِّهُ اللَّهُ الْخِطَابَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مُبَيِّنًا لَهُمْ أَنَّهُ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَعْرِفُونَ أوصافه فِي كُتُبِهِمْ، يُظْهِرُ كَثِيرًا مِمَّا كَانُوا يُخْفُونَ عَنِ النَّاسِ، وَيُوضِّحُ مَا حَرَّفُوا وَبَدَّلُوا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَيُتْرِكُ كَثِيرًا مِمَّا غَيَّرُوهُ وَكَتَمُوهُ مِمَّا لَا فَائِدَةَ مِنْ بَيَانِهِ وَذَكَرَهُ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ كِتَابٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْعَوَايَةِ، وَيُبَيِّنُ لِلخَلْقِ كُلِّ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَيُرْشِدُ اللَّهُ بِهِ مَنْ أَرَادَ الْوَصُولَ إِلَى رِضَاهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيُوقِفُهُمْ لِسُلُوكِ طُرُقِ النَّجَاةِ وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَتَّى يَبْلُغُوا الْجَنَّةَ؛ دَارَ السَّلَامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ بِمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ، وَهُوَ دِينُهُ الْحَنِيفُ.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٧٥)، ((المفردات)) للربيع (ص: ٣٩٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩).

## تفسير الآيتين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)﴾  
 مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى نَقْضَ الْعَهْدِ، وَدَخَصَ حُجَّتَهُمْ، وَوَضَّحَ أَكْذُوبَتَهُمْ مِنْ ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُؤُهُ﴾ اقْتَضَى ذَلِكَ الْإِلْتِفَاتَ إِلَى وَعْظِهِمْ عَلَى وَجْهِ الْإِمْتِنَانِ عَلَيْهِمْ، وَإِبْطَالِ مَا عَسَاهُمْ يَظُنُّونَهُ حُجَّةً، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾

أَي: يَا أَيُّهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى - يَا مَنْ تَعَلَّمُونَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَثُبُوتَ بَعْثِهِ - هَا قَدْ أَتَاكُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٢)</sup>.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾

أَي: جَاءَكُمْ يُظْهِرُ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَهُ عَنِ النَّاسِ، وَيُوضِّحُ مَا بَدَّلْتُمُوهُ وَحَرَّفْتُمُوهُ وَأَوَّلْتُمُوهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ الْمُرَادِ.

وَمِمَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ: رَجْمُ الزَّانِيِ الْمُحْصَنِ، وَمِنْ ذَلِكَ: مَا أَخْفَاهُ الْيَهُودُ مِنْ صِفَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِهِمْ، وَإِنْكَارُهُمْ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ هُوَ الرَّسُولُ الْمُتَنْظَّرُ، وَمِنْ ذَلِكَ: كَتَمَ النَّصَارَى بِشَارَةَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لَهُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٢٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٦٩).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٦١-٢٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٠٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٦٢)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٥/٧٨)، ((تفسير ابن =

﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

أي: ويترك ذكر كثير مما كتمتموه وغيرتموه مما لا فائدة في بيانه، ولا ذكره<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

أي: قد جاءكم - يا أهل التوراة والإنجيل - من الله تعالى القرآن العظيم، الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم؛ نورٌ يُستضاء به في ظلمات الجهالة، وعماية الضلالة، ويُبَيِّرُ لكم به معالم الهداية، وهو نورٌ في قلوب أهل المتبعين له، ونورٌ في وجوههم، ونورٌ في قبورهم، ونورٌ لهم يوم القيامة، وهو كتابٌ يُبَيِّنُ للخلق كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم<sup>(٢)</sup>.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٦).

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

أي: يرشد الله عز وجل ويسدّد بهذا القرآن العظيم، من ابتغى بلوغ مرّضاة الله تعالى فأقبل عليه، وأسلم وآمن بالله ربّاً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً،

= كثير) ((٦٧/٣))، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٧٠ - ٣٧١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٠٦ - ٢٠٧).

(١) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ١٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٠٧).  
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٠٧ - ٢٠٨، ٢١٢ - ٢١٣).

وذهب ابن جرير إلى أن المراد بقوله: ﴿نُورٌ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، وقال به قتادة. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦١)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٢٩).

فِيرْشُدُهُ وَيُوفِّقُهُ إِلَى اتِّبَاعِ شُرَائِعِ الْإِسْلَامِ، الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَتَّى يَسْتَقَرَّ فِي الْجَنَّةِ؛ دَارِ السَّلَامِ، الْمَنْزَهَةِ عَنْ كُلِّ آفَةٍ، وَالْمُؤَمَّنَةِ مِنْ كُلِّ مَخَافَةٍ<sup>(١)</sup>.

﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾

أَي: وَيُخْرِجُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ، وَهَدَاهُ سُبُلَ السَّلَامِ، مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالطَّاعَةِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

أَي: وَيُرْشِدُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ إِلَى طَرِيقٍ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الْقَوِيمُ<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد التربويّة:

١- أَنَّهُ كَلَّمَا اتَّبَعَ الْإِنْسَانُ مَا يُرْضِي اللَّهَ، أَزَادَ مَعْرِفَةً بِشَرِيعَةِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، وَعَلَى الْعَكْسِ؛ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُهْدَى سُبُلَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِلْهُدَايَةِ<sup>(٤)</sup>.

٢- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أَنَّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَ الشَّرِيعَةِ فَقَدْ سَلِمَ سَلَامَةً مُطْلَقَةً؛ فِي عَقِيدَتِهِ، وَأَعْمَالِهِ، وَجَزَائِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَسْلُوكَ سَيُؤَدِّي بِهِ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٤-٢٦٥)، ((التفسير الوسيط)) للواحد (٢/ ١٦٩)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٧١)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١١٨-١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٧٠-٣٧١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٥)، ((التفسير الوسيط)) للواحد (٢/ ١٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢١٠).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢١٥).

إلى دارِ السَّلامِ التي يدعو اللهُ تعالى إليها؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> [يونس: ٢٥].

٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ أَنَّ الجاهليَّةَ كُلَّهَا ظلماتٌ؛ ظلمةُ الشُّبهاتِ والخُرَافاتِ والأساطيرِ والتصوراتِ، وظلمةُ الشَّهواتِ والتزَعُّاتِ والاندفاعاتِ في التَّيِّه، وظلمةُ الحَيِّرةِ والقَلقِ، والانتقاعِ عن الهدى، والوَخْشَةِ من الجنابِ الأيمنِ المأنوسِ، وظلمةُ اضطرابِ القِيَمِ، وتخلُّلِ الأحكامِ والقِيَمِ والموازينِ<sup>(٢)</sup>.

٤- أَنَّهُ كَلَّمَا تَمَسَّكَ الإنسانُ بشريعةِ الله هداه اللهُ تعالى؛ لقوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾؛ فالمعاصي سببٌ للزَّيغِ، والطَّاعةُ والامثالُ سببٌ للهدايةِ والرَّشدِ، وهذا له أمثلةٌ كثيرةٌ في القرآن<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- قوله: ﴿يَبَيِّنُ لَكُمْ﴾ عبَّرَ بالمضارعِ في ﴿يَبَيِّنُ﴾ إشارةً إلى أن دينه وبيانه لا يتقطعُ أصلاً بحفظِ كتابه، فكَلَّمَا دَرَسْتَ سُنَّةَ قِيَّضَ اللهُ عَالِمًا يردُّ النَّاسَ إليها بالكتابِ المعجزِ القائمِ أبداً؛ فلذلك لا يحتاجُ الأمرُ إلى نبيٍّ مجدِّدٍ إلا عند الفتنَةِ التي لا يطيقها العلماءُ، وهي فتنةُ الدَّجَالِ وبأجوجٍ ومأجوجٍ<sup>(٤)</sup>، وينزلُ عيسى عليه السَّلامُ حاكماً بشريعةِ الإسلامِ، لا نبياً برسالةٍ مستقلةٍ، وشريعةٍ ناسخةٍ<sup>(٥)</sup>.

٢- قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: هم اليهودُ والنَّصارى، أضافهم اللهُ تعالى إلى

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢١٨).

(٢) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/ ٨٦٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٢١).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧٠).

(٥) يُنظر: ((طرح الشريب)) للعراقي (٧/ ٢٦٥).

الكتاب، وسمّاهم أهلاً له؛ لإقامة الحجّة عليهم ونفي العذر؛ فعندهم علمٌ معرفة؛ ويعرفون الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يعرفون أبناءهم<sup>(١)</sup>.

٣- رِفْعَةُ شَأْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: ﴿رَسُولُنَا﴾، فَإِنَّ إِضَافَةَ رِسَالَتِهِ إِلَى اللهِ لَا شَكَّ أَنَّهَا شَرَفٌ، وَكُلُّ مَا يُضَافُ إِلَى اللهِ فَهُوَ شَرَفٌ<sup>(٢)</sup>.

٤- أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ مُرْسَلٌ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَهُوَ مُرْسَلٌ إِلَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٣)</sup>.

٥- أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ أَهْلَ كِتْمَانٍ لِلْعِلْمِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، وَأَنَّ مَنْ كَتَمَ الْعِلْمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَفِيهِ سَبَبٌ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَأْبُهُمْ؛ فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ شَابَهُمْ فِي أَفْبَحِ خَصَلَةٍ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهِيَ كِتْمَانٌ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ<sup>(٤)</sup>.

٦- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ إِعْلَامَهُ بِمَا يُخْفُونَ مِنْ كِتَابِهِمْ - وَقَدْ أَخْفَى النَّصَارَى التَّوْحِيدَ، وَأَخْفَى الْيَهُودُ كَثِيرًا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ كَرَجْمِ الزَّانِي، وَتَحْرِيمِ الرِّبَا كَافَّةً، كَمَا أَخْفَوْا جَمِيعًا خَبَرَ بَعَثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - وَهُوَ أُمِّيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا يَضْحَبُ الْقُرْآنَ؛ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ اللهُ تَعَالَى<sup>(٥)</sup>.

٧- قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: مَا أَدَقَّ هَذَا التَّعْبِيرَ وَأَصْدَقَهُ! إِنَّهُ «السَّلَامُ» هُوَ مَا يَسْكُبُهُ هَذَا الدِّينُ فِي الْحَيَاةِ كُلِّهَا؛ سَلَامُ الْفَرْدِ، وَسَلَامُ الْجَمَاعَةِ، وَسَلَامُ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٦/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢١١/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢١٢/١).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٢٠٨/٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((في ظلال القرآن))

العالم، سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح، سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السلام مع الحياة، والسلام مع الكون، والسلام مع الله رب الكون والحياة، السلام الذي لا تجده البشرية - ولم تجده يوماً - إلا في هذا الدين وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته، ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق سبيل الحرب في الجاهليات القديمة أو الحديثة، ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق حرب القلق الناشئ من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير، وحرب القلق الناشئ من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتحطُّبها في أوضاع الحياة<sup>(١)</sup>.

٨- قوله: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ لم يقل: (سبيل السلام)، مع أن التعبير الغالب أنه يُعبّر عن طريق الإسلام بالإنفراد، وعن طرق الضلال بالجمع، لكن هنا لما قال: ﴿اتَّبِعْ رِضْوَانَهُ﴾ تعين أن يكون المراد بالسبيل هنا شرائع الإسلام؛ لأنه إذا كان متبعا لرضوان الله فقد اهتدى وأسلم وأمن، لكن الإسلام له شرائع وله سبيل؛ فلهذا قال: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، وإضافة السبيل إلى السلام من باب إضافة الشيء إلى مُسَبِّهه؛ أي: السبيل التي يحصل بها السلام، فالسلام من كل شيء، والسلام من النار، والسلام من الزيف، والسلام من الشبهات، يعني تشمل كل معنى تحتمله كلمة السلام، أمّا الإسلام جملة فهو سبيل واحد<sup>(٢)</sup>.

٩- إثبات الرضا لله تعالى؛ لقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، فالرِضْوَانُ بمعنى الرضا أو الرضا الكثير، والرضا: صفة فعلية من صفات الله عز وجل، تتعلق بمشيئته ولها سبب، وسببها عمل العبد بتوفيق الله<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/ ٨٦٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٠٨، ٢١٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢١٥).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ فيه الردُّ على القَدَرِيَّةِ الذين يقولون: إنَّ الله لا علاقة له بفعل العَبْدِ<sup>(١)</sup>.

١١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أَنَّ الشَّرِيعَةَ نُورٌ، وهي كذلك؛ هي نورٌ لا شك، ولا يُحْسُ بذلك إِلَّا مَنْ آتَاهُ اللهُ تعالى إيمانًا وبقينًا كاملاً، وكلِّمَا كَمُلَ الإِيمَانُ ازدادَ الإنسانُ نورًا، وتَبَيَّنَ له نورُ الشَّرِيعَةِ<sup>(٢)</sup>.

١٢- قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لفظة ﴿صِرَاطٍ﴾ مُفْرَدَةٌ؛ لأنَّ الحَقَّ واحدٌ لِذَاتِهِ، ومُتَّفِقٌ من جميعِ جِهَاتِهِ، وأما الباطلُ ففيه كثرةٌ، وكلُّها مُعْوَجَةٌ<sup>(٣)</sup>.

### بِلاغَةُ الآيَتَيْنِ:

١- قوله: ﴿بَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: فيه التفاتٌ إلى خطابِ الفريقين - اليهود والنصارى<sup>(٤)</sup>، ووَحَّدَ الكِتَابَ مع أن لكلِّ فريقٍ كِتَابًا؛ لأنَّه أرادَ جِنْسَ الكِتَابِ<sup>(٥)</sup>.

٢- قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: جملةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ مسوقةٌ لبيانِ أنَّ فائدةَ مجيءِ الرِّسُولِ ليستَ منحصرَةً فيما دُكِرَ<sup>(٦)</sup>.

- وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ على الفاعِلِ ﴿نُورٌ﴾ للمُسَارَعَةِ إلى بيانِ كَوْنِ المَجِيءِ من جِهتهِ العالِيَةِ، والتَّشْوِيقِ إلى الجائِي، ولأنَّ فيه نوعَ تطويلٍ يُخِلُّ تقديمه بتجاوُبِ أطرافِ النَّظْمِ الكَرِيمِ، وتنكيرُ ﴿نُورٌ﴾؛ للتَّفْخِيمِ<sup>(٧)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢١٩/١).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦٢/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٢٠/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٢٧/١١).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٢٧١/٣)، ((تفسير أبي السعود)) (١٧/٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١١٨/٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٨/٣).

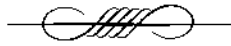
(٧) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٨/٣)، ((تفسير الألووسي)) (٢٦٩/٣).



- وجملة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ بَدَلٌ مِنْ جُمْلَةٍ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ بَدَلِ اشْتِمَالٍ؛ لِأَنَّ مَجِيءَ الرَّسُولِ اشْتَمَلَ عَلَى مَجِيءِ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ؛ وَلِذَلِكَ فَصِلَتْ عَنْهَا - أَيْ: لَمْ تُعْطَفْ عَلَيْهَا بِالْوَاوِ - وَأُعِيدَ حَرْفُ ﴿قَدْ﴾ الدَّاخِلِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُبْدَلِ مِنْهَا؛ زِيَادَةً فِي تَحْقِيقِ مَضْمُونِ جُمْلَةِ الْبَدَلِ؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ بِالْمُبْدَلِ مِنْهُ أضعفُ مِنْ تَعَلُّقِ الْبَدَلِ الْمَطَابِقِ<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ فيه: تَوْحِيدُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِهِ﴾ مع أنه عائدٌ عَلَى ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنُّورِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ وَاحِدٌ: (الْقُرْآنُ)، أَوْ لِأَنَّهُمَا كَوَاحِدٍ فِي الْحُكْمِ؛ إِذَا كَانَ النُّورُ غَيْرَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ<sup>(٢)</sup>.

- وَتَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ (بِهِ)؛ لِلاِهْتِمَامِ، وَإِظْهَارِ لَفْظِ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ) فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ؛ لِإِظْهَارِ كِمَالِ الْاِعْتِنَاءِ بِأَمْرِ الْهَدَايَةِ<sup>(٣)</sup>.



(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٥١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير البضاوي)) (٢/١١٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٨).

## الآيات (١٧ - ١٩)

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾: على حين فتورٍ من الإرسال، وانقطاع الوحي، وأصل الفتور: السكون بعد الحدة، واللين بعد الشدة، والضعف بعد القوة<sup>(١)</sup>.

﴿بَشِيرٍ﴾: مبشّرٌ من أطاعه، وأصل البشري: ظهور الشيء مع حسنٍ وجمالٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿نَذِيرٍ﴾: مُنذِرٌ من عصاه، وأصل النذارة: التخويف<sup>(٣)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يُخبر تعالى مُقسِّمًا أنَّ النَّصارى - القائلين بأنَّ الله هو عيسى ابنُ مريم - قد

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٧٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٢٢)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٥١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٦)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٦٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٣٩).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٦٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤١٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٢٣٢).

كَفَرُوا، وَأَمَرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لَهُؤْلَاءِ النَّصَارَى عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ شَيْئًا يَدْفَعُ بِهِ الْهَلَكَ عَنْ الْمَسِيحِ وَعَنْ أُمَّهُ وَعَنْ سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَهُمْ وَيُبِيدَهُمْ، لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ الْهَلَكَ، فَالْجَمِيعُ تَحْتَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَهْرِهِ، وَالْمَسِيحُ وَأُمَّهُ فِي ذَلِكَ كَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَذَلِكَ عَلَى بَطْلَانِ أَلُوَهِيَّةِ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا؛ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ثم يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ كَلًّا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ادَّعَوْا أَنَّهُمْ فِي الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ أَبْنَائِهِ، وَأَحِبَّائِهِ، وَأَمَرَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِنْ كُنتُمْ حَقًّا كَمَا تَدَّعُونَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ وَأَحِبَّاءِهِ، فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ الَّتِي تَقْتَرِفُونَهَا؟! فَالْأَمْرُ لَيْسَ كَمَا تَدَّعُونَ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ سَبْحَانَهُ، فَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَإِلَيْهِ سَبْحَانَهُ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ فِي الْآخِرَةِ.

ثم وَجَّهَ اللَّهُ الْخُطَابَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّهُ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوضِّحُ لَهُمُ الطَّرِيقَ الْقَوِيمَ، وَالذِّينَ الْحَقَّ، فِي وَقْتِ اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ بَعْدَ انْقِطَاعِ مِنَ الرُّسُلِ؛ أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ فَيَقُولُوا: مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ، فَقَدْ جَاءَهُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَمَنْ ذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَى خَلْقِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُمَّ بَلَا أَبٍ، وَقُدْرَتُهُ عَلَى إِهْلَاكِهِ وَأُمَّهُ وَجَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ.

### تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ

شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾  
مُنَاسَبَةَ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِينَ، وَأَتَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا بِهِ، بَلْ  
نَقَضُوهُ، ذَكَرَ أَقْوَالَهُمُ الشَّنِيعَةَ، فَذَكَرَ قَوْلَ النَّصَارَى وَرَدَّ عَلَيْهِمْ <sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿٢﴾

أَي: أَقْسِمُ عَلَى أَنْ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ هُوَ اللَّهُ، قَدْ كَفَرُوا <sup>(٣)</sup>.  
﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ  
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ﴿٤﴾

أَي: قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ - لَهُؤَلَاءِ النَّصَارَى الْجَهْلَةَ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَيَّ، وَضَلُّوا عَنِ  
سَوَاءِ السَّبِيلِ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، قُلْ لَهُمْ: فَمَنْ الَّذِي يُطِيقُ إِذْنَ  
أَنْ يَدْفَعَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ جَلًّا وَعِزًّا شَيْئًا، فَبِرَدِّهِ إِذَا قَضَاهُ؟! فَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ  
ابْنَ مَرْيَمَ بِإِعْدَامِهِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِعْدَامِ أُمَّهِ مَرْيَمَ، وَإِعْدَامِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ  
الْخَلْقِ جَمِيعًا؛ فَمَنْ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِ وَصَرْفِهِ عَنِ ذَلِكَ؟! وَإِذَا كَانَ الْمَذْكُورُونَ  
لَا امْتِنَاعَ عِنْدَهُمْ يَمْنَعُهُمْ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَهُمْ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ - دَلَّ  
عَلَى بُطْلَانِ إِلَهِيَّةِ مَنْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْإِهْلَاكِ، وَلَا فِي قُوَّتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْفَكَالِكِ <sup>(٥)</sup>.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٦﴾

(١) يُنظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٦٦).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)،  
((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٢١-٢٢٣).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦٦/٨-٢٦٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٨/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٦-٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٢٣-٢٢٥).

أي: ولله عز وجل وحده أمر تدبير جميع ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وتصريفها؛ فهم خلقه، مملوكون له مُدَبَّرُونَ بأمره، فيهلك منهم ما يشاء، ويُبقي منهم ما يشاء، ويوجد ما أراد حتى لو كان من أم بلا أب، ويُعِدُّ ما أراد، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يدفعه عنه دافع؛ يُنْفِذُ فيهم حكمه، ويُمِضِي فيهم قضاءه، ولن يقدر على ذلك أحد غير الله الواحد القهار؛ فكيف زعمتم - أيها النصارى - أن المسيح إله، وهو لا يطبق شيئاً من ذلك؟! وكيف يكون المملوك العبد إلهاً معبوداً؟! فهذا من أعظم المُحال<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

أي: إنَّ المعبود الحقَّ جلَّ جلاله هو القادرُ على كلِّ شيء؛ فلا يُعجزه شيءٌ أرادَه، ولا يُغلبه شيءٌ طلبه، ومن ذلك قُدْرَتُه على خَلْقِ عيسى عليه السَّلام من أمِّ بلا أب، وهو القادرُ أيضاً على إهلاكِ المسيح وأمه ومن في الأرض جميعاً سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾

أي: قال كلُّ من اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، في مودته وإكرامه وإعزازِه لنا، وحُنوِّه وعطفِه علينا<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦٧/٨-٢٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٨)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٢٥-٢٢٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٨)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١/٢٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٦٩/٨-٢٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٦٨-٦٩)، ((تفسير =

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾

أي: قل لهم- يا محمد- إن كان الأمر كما تدعون من أنكم أبناء الله تعالى وأحباؤه، فأخبروني- إذن- لِمَ أَعَدَّ اللهُ لَكُمْ نَارَ جَهَنَّمَ عَلَى كُفْرِكُمْ وافتراءكم وذُنُوبِكُمْ؛ فَإِنَّ الْحَبِيبَ لَا يُعَذِّبُ حَبِيبَهُ، وأنتم مُقْرُونَ أَنَّهُ مُعَذِّبُكُمْ!؟

كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٨٠].

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾

أي: ليس الأمر كما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه، بل أنتم خلق خلقكم الله مثلما خلق سائر بني آدم<sup>(٢)</sup>.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾

أي: يُعَامِلُكُمْ كما يعامل سائر البشر، فتجري عليكم بِحِكْمَتِهِ أَحْكَامُهُ الدَّائِرَةُ بَيْنَ عَدْلِهِ وَفَضْلِهِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِتِلْكَ الْأَمَانِيِّ، وبمنازل أنبيائكم وصالحي آبائكم عند الباري؛ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا نَالُوا الْقُرْبَ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ، واجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، فَجِدُّوا أَنْتُمْ أَيْضًا فِي ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

أي: وَلِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ وَحَدَهُ أَمْرٌ تَدْبِيرٌ جَمِيعٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَتَصْرِيْفُهُ، فَهَمْ خَلَقَهُ وَمُلْكُهُ، وَإِلَيْهِ وَحَدَهُ سُبْحَانَهُ الْمَرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ

= ابن عثيمين- سورة المائدة ((٢٣٧/١)).

وينظر أيضًا: ((التفسير الوجيز)) للواحدي (ص: ٣١٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٥٦/٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧٠-٢٧١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٩/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢٣٧-٢٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦٩/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص:

٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢٣٨/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧١-٢٧٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢٣٩/١).

في الآخرة، فأَيُّ شَيْءٍ خَصَّكُمْ بهذه الفضيلة التي تَزْعُمونها، وأنتم من جُملة المماليك، ومن جُملة من يرجع إلى الله في الدارِ الآخرة، فيُجازيكم بأعمالكم، واعلموا- يا مَنْ تَدْعُونَ أنكم أبناءُ الله وأحباؤه- أنه إن عَذَّبكم بذُنُوبِكُمْ، لم يَكُنْ لكم منه مانعٌ، ولا لكم عنه دافعٌ؛ لأنه لا نَسَبَ بينه وبين أحدٍ فيحاييه، فاتَّقوا غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ، ولا تَغْتَرُوا بالأمانِيِّ وقَضَائِلِ الآبَاءِ<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٩).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾.

أي: يا أيها اليهودُ والنصارى- الذين أنعمَ اللهُ عليكم بالتوراةِ والإنجيلِ، وتعلمونَ منهما بعثةَ محمدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم- ها قد أتاكم محمدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم<sup>(٢)</sup>.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرَّسْلِ﴾.

أي: جاء يوضحُ لكم الحقَّ، ويبيِّنُ كلَّ ما تحتاجون إليه من المطالبِ الإلهيةِ، والأحكامِ الشرعيةِ، وذلك بعدَ شِدَّةِ حاجةٍ إليه، ومُضيِّ زمنٍ طويلٍ بين إرسالي عيسى عليه السلامِ وبعثةِ محمدٍ خَيْرِ الأنامِ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٢-٢٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

قال الألوسي: (الفترةُ فعلةٌ من: فتر عن عمله، يفتُر فتورًا. إذا سَكَنَ، والأصلُ فيها الانقطاعُ عما كان عليه من الجِدِّ في العملِ، وهي عندَ جميعِ المُفسِّرين انقطاعُ ما بينَ الرَّسولين) ((تفسير الألوسي)) (٣/ ٢٧٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أنا أولى الناس بابن مريم؛ الأنبياء أولادُ عَلَاتٍ<sup>(١)</sup>، وليس بيني وبينه نبي))<sup>(٢)</sup>.

وعن عياض بن حمار المُجاشعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: ((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يورثي هذا: كل مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلالاً، وإني خلقتُ عبادي حُفَاءَ كَلْهَمٍ، وإنهم أُنْتَهَمُ الشياطينُ فاجتالْتَهُمْ<sup>(٣)</sup> عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يُسْرِكُوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يُغِسلُهُ الماءُ، تَقْرُؤُهُ نائماً وَبِقِظَانٍ، وإن الله أمرني أن أُحْرِقَ قُرَيْشًا، فقلتُ: رَبِّ إِذَا يَتَلَعُوا رَأْسِي<sup>(٤)</sup> فَيَدْعُوهُ حُبْرَةً، قال: اسْتَخْرِجْهُمْ كما اسْتَخْرِجُوكَ، واغزهم نُغْرِكَ<sup>(٥)</sup>، وأنفق فسنفق عليك، وابعث جيشاً تبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك...)) الحديث<sup>(٦)</sup>.

(١) أولاد عَلَاتٍ: العلات - بفتح العين، وتشديد اللام -: الصرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عَّلَ منها، والعَلَلُ الشُّرْبُ بعد الشُّرْبِ، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى. ينظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٤٨٩/٦)، ((شرح النووي على مسلم)) (١١٩/١٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) واللفظ له.

(٣) فاجتالْتَهُمْ: أي: استخففتهم فجالوا معهم في الضلال؛ يُقال: جالَ واجتالَ: إذا ذهب وجاء، ومنه الجولان في الحرب، واجتال الشيء إذا ذهب به وساقه، والجالل: الزائل عن مكانه. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٣١٧/١).

(٤) يَتَلَعُوا رَأْسِي: أي: يَشْدَحُوهُ ويشجوه، والتَّلْعُ: الشَّدْحُ، وقيل: هو صرُّك الشيء الرَّطْبَ بالشيء اليابس حتى يَشْدَحُ. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢٢٠/١)، ((شرح النووي على مسلم)) (١٩٨/١٧).

(٥) نُغْرِكَ: نُعْنِكَ؛ من أغرته: إذا جهزته للغزو، وهيأت له أسبابه. ينظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٩٨/١٧) ((مرفأة المفاتيح)) للملا الهروي (٣٣٦٩/٨).

(٦) رواه مسلم (٢٨٦٥).



﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾.

أي: أرسلناه إليكم؛ قطعاً لعذركم؛ كي لا تحتجوا قائلين بأنه لم يأتنا رسول منذ عهد طويل، يُبشِّرُ بالخيرِ من آمن به وأطاعه، ويُنذِرُ بالشرِّ من كذَّبَ به وعصاه<sup>(١)</sup>.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾.

أي: فيها قد جاءكم هذا البشيرُ والنذيرُ؛ محمدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فالآن لا حُجَّةَ لكم، ولا عُذْرَ بَقِيَ لديكم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: لا يُعجزُ اللهُ تعالى شيءٌ أرادَه، ولا يفوته شيءٌ طلبَه، ومن ذلك قُدْرَتُه على بعثِ الرُّسلِ وإنزالِ الكتُبِ، وإثابةِ المؤمنينِ المُطيعينِ، ومعاقبةِ المكذِّبينِ العاصينِ<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد التربويّة:

١ - أنه ينبغي أن يُنادى المخاطب بالوصف الذي يقتضي أن يقوم بما وُجِّه إليه؛ لقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وهذا موجودٌ في اللُّغة العربيّة، فإذا كنت تُخاطبُ مؤمناً تقول: يا أيُّها المؤمنُ، وإذا كنت تُخاطبُ رجلاً تقول: يا أيُّها الرَّجُلُ، ومن فوائد ذلك: أولاً: توبيخُ هذا الرَّجُلِ إذا خالف؛ لأنّه لا ينبغي أن يُخالِفَ وهو متَّصفٌ بهذه الصِّفة. ثانياً: حثُّه على الموافقةِ باعتباره هذا الوصفَ الذي اتَّصفَ به<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٥-٢٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٤٥-٢٤٧، ٢٥١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).

## الفوائد العلمية واللطائف:

١ - قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ فيه فائدة لغوية؛ إذ إنَّ (هو) ضميرُ فَضْلٍ، وضميرُ الفَصْلِ يُفيد ثلاثة أشياء: الأول: الحَضْر، والثاني: التوكيد، والثالث: التمييز بين الصِّفَة والحَبْر، وهذا الأخيرُ أحياناً يُستغنى عنه، ويُعرَف الخبرُ بدونه، لكن يُؤتى به، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّنَا تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠]، وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أكدوا تأكيداً بهذا الضمير أن الله هو المسيح ابنُ مريم<sup>(١)</sup>.

٢ - جوازُ انتسابِ الإنسانِ إلى أمِّه إذا لم يكن له أبٌّ؛ لقوله: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - شِدَّةُ الرَّدِّ على النَّصارى؛ حيث قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ إذ إنَّ الله إذا أراد شيئاً فإنَّ الشَّرْفَ والجاهَ والرِّئاسةَ ولو في الدِّينِ لا تمنع ممَّا أراد الله؛ لأنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ من أولي العِزِّمِ من الرُّسُلِ<sup>(٣)</sup>.

٤ - قوله: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾ فيه الرَّدُّ على أهلِ الباطلِ بالأدلةِ السمعيةِ والعقليةِ<sup>(٤)</sup>.

٥ - أنَّه عند المناظرة يَنْبغي أن تَبْدَأَ بأوَّلِ مَا يَحْتَجُّ به المناظرُ، وتبيِّن أنَّه على خِلافِ ما ناظرَ عليه؛ ووجهُ ذلك: أنَّ الله بدأَ بِذِكْرِ إهلاكِ المسيحِ وأُمَّه، الذي

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٣١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٣٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

يَعْتَقِدُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُ إِلَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

٦- يَبْنِي فِي الْمُنَازِرَةِ إِطَالُ حُجَّةِ الْخَصْمِ، ثُمَّ الْإِتْيَانُ بِمَا يُثَبِّتُ خِلَافَ قَوْلِهِ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، فَتَقْضَى سَبْحَانَهُ دَعْوَاهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَحِبَّةً وَأَبْنَاءً بِأَمْرَيْنِ: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ أَذْنَبُوا. وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ عُدُّبُوا. فَكَيْفَ يَقُولُونَ أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَهُمْ يَعْصُونَهُ وَيُذْنَبُونَ؟! ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ حَبِيبًا لَهُمْ وَهُوَ يُعَذِّبُهُمْ؟! ثُمَّ احْتَجَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَبْطَلَ حُجَّتَهُمْ، فَقَالَ: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾، أَي: كَسَائِرِ الْبَشَرِ<sup>(٢)</sup>.

٧- لَمَّا بَطَلَ مُدَّعَى النَّصَارَى أُلُوهُيَّةَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَنْتَقَنِ مِنْهَا جِ وَأَخْصَرِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حَيْثُ وَصَفَهُ بِمَا هُوَ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ فِي بَطْلَانِ قَوْلِهِمْ؛ لِبَعْدِهِ عَنِ رَتْبَةِ الْأُلُوهُيَّةِ فِي الْحَاجَةِ إِلَى امْرَأَةٍ فَقَالَ: ﴿ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى كِفَالَتِهَا بِمَا لَهَا مِنَ الْأُمُومَةِ، وَكَانَ رَيْبًا دَقَّ عَلَى بَعْضِ الْأَفْهَامِ ذَلِكَ - أَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دَالًّا عَلَى أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لِلَّهِ<sup>(٣)</sup>.

٨- أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ - أَي: لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - لَمْ يَنْقَطِعْ وَلَنْ يَنْقَطِعَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، فَلَمْ يَقُلْ: فَلِمَ عَذَّبَكُمْ؛ لِئَسْتَفَادَ بِذَلِكَ أَنَّ تَعَذِّيبَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ مُسْتَمِرٌّ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ يُعِيدُ الِاسْتِمْرَارَ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (١/٢٣٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((الْمَصْدَرُ السَّابِقُ)) (١/٢٣٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((نَظْمُ الدَّرَرِ)) لِلْبِقَاعِيِّ (٦/٦٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (١/٢٤١).

٩- الاحترارُ عما يؤهّم باطلاً؛ حيث قال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾، ولم يُقل: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ فقط؛ لأنّه لو قالها بدون أن يُقرّنها بقوله: ﴿بِذُنُوبِكُمْ﴾ لأوهم أنّ الله تعالى يُعذّب بغير ذنب<sup>(١)</sup>.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فيه الإشارةُ إلى أن ما بين السماء والأرض هو خلقٌ عظيمٌ، حتى جعله الله عزّ وجلّ عديلاً، أو قسيماً للسموات والأرض<sup>(٢)</sup>.

١١- قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، وقبلها قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاختلَفَ ختم الآيتين، فقال في السابِقة: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لأنّ المقام مقام ردّ على الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، أمّا هنا فالمقام مقام تهديد ووعيد، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: إليه وحده المرجع لا إلى غيره؛ فقد تقدّم الخبر ﴿وَإِلَيْهِ﴾، وتقديم الخبر يُفيد الحصر، إذن: فليست المسألة مسألة دعوى أنكم أبناء الله وأحباؤه، وإنّما المسألة مسألة عمل؛ إمّا سيّئ وإمّا حسن<sup>(٣)</sup>.

١٢- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ فيه إقامة الحُجّة على الأمّة؛ حيث إنّ محمداً رسولُ الله، فهو حُجّة عليه الصلوة والسّلام، فبمجرد أن شهد الله أنّه رسولُه، كان ذلك حُجّةً، وقد قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup> [النساء: ١٦٦].

١٣- أنه لا حظّ للرّسول عليه الصلوة والسّلام في شيءٍ من الرّبوبيّة؛ لقوله:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٤٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٣٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٣٩ - ٢٤٠).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٤٩).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾، ووجه ذلك: أنه رسول، والرسول لا يمكن أن يكون شريكاً للمُرسل فيما يختص به<sup>(١)</sup>.

١٤ - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَيَّنٌ لِلخَلْقِ، وأنه ليس فيما جاء به شيء من الغموض والإلغاز؛ لقوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾، أما غير العرب من أهل الكتاب فبإثباته يكون عن طريق الترجمة؛ ولهذا لم ينتشر الإسلام في البلاد الأعجمية إلا بواسطة الترجمة، وأنه إذا احتجنا إلى معرفة اللغات الأجنبية لبيان الشريعة، كان ذلك ممّا يُثاب عليه؛ لأن من صفات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ بَأْيِّ وَسِيلَةٍ، وعلى هذا فمن تعلم اللغة غير العربية من أجل الدعوة إلى الله، كان مثاباً على ذلك؛ لأنها وسيلة لتبيين الشريعة ونشرها<sup>(٢)</sup>.

١٥ - رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت على فترة من الرُّسل؛ ليس بينه وبين عيسى رسول؛ لقوله: ﴿عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وكلما طال زمن الرسالة صار الناس أشد حاجة إلى الرسول؛ ولهذا جعل الله ذلك منة عظيمة على أهل الكتاب؛ حيث جاءهم على فترة، ومثل هذا يكون أيضاً في الواقع المحسوس، فالإنسان الذي يشرب الماء على عطش أشد شوقاً إلى الماء والحاجة إليه من إنسان يشربه على ري<sup>(٣)</sup>.

١٦ - إثبات الرِّسالات السابقة للرسول عليه الصلاة والسلام؛ لقوله: ﴿عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ والظاهر أن هذا يُشير إلى أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر الأنبياء؛ لقوله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ يعني ليس بعده رسول، وهذا هو الذي صرح الله به في كتابه في قوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقد قال: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ولم يقل: (وخاتم المرسلين) مع أنه قال: ﴿رَسُولٌ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٤٩).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٥٠).

الله ﷻ؛ لأنه قد يكون نبياً ولا يكون رسولاً، ومحمدٌ رسولُ الله صلواتُ الله وسلامه عليه خاتمُ الأنبياء والمرسلين<sup>(١)</sup>.

١٧- رحمةُ الله تعالى بالخلق؛ حيث أُرسلَ الرُّسل؛ لئلا يكونَ لأحدٍ حجةٌ عليه سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، ومن ثمَّ فمن لم تبُلِّغه الرسالة فإنه معذور<sup>(٢)</sup>.

١٨- أنه لا حجةَ للإنسان بالقدرِ على مخالفةِ الرُّسل؛ لقوله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ وَجْهُ الدَّلالة: لو كان لهم حقٌّ لم يرتفع بإرسالِ الرُّسل، وهو كذلك<sup>(٣)</sup>.

١٩- أنه متى احتيجَ إلى التوكيد، فلا عيبَ في التكرار؛ لقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ بعد قوله: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، ولهذا كان من آدابِ الخطبة أن الإنسان يُكرِّر في المواضع المهمَّة، وأن هذا لا يُعدُّ عيباً ولا يُعَدُّ زيادةً<sup>(٤)</sup>.

٢٠- ختمَ الله عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ بالقُدرةِ في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ إشارةً إلى أنه تبارك وتعالى قادرٌ على بعثِ الرُّسل، وقادرٌ على ألاَّ يُبعثَهُم، وأنَّ الأمرَ كلَّهُ بيده تبارك وتعالى<sup>(٥)</sup>.

### بلاغَةُ الآيات:

١- قوله: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: ﴿فَمَنْ﴾ استفهامٌ للإنكارِ والتوبيخِ، أي: لا يوجدُ أحدٌ يستطيعُ أن يردَّ إرادته؛ لأنه هو المالكُ لأمرِ الوجودِ كلِّه، ولا

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٥١ / ١)).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) ((٢٥٢ / ١)).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي ((٧١ / ٦))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٤٧ / ١)).

يملك أحدٌ من أمره شيئاً يستطيع به أن يصرفه عن عملٍ يُريده، أو يحمله على أمرٍ لا يُريده، أو يستعمل بعملٍ دونه<sup>(١)</sup>، والفاء عاطفةٌ للاستفهام الإنكاري على قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾؛ للدلالة على أن الإنكار ترتب على هذا القول الشنيع؛ فهي للتعقيب الذكري<sup>(٢)</sup>.

- وتكبير ﴿شَيْئاً﴾ للتقليل والتحقير، ولَمَّا كان الاستفهام في قوله: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ بمعنى النفي، كان نفي الشيء القليل مقتضياً نفي الكثير بطريق الأولى<sup>(٣)</sup>.

٢- قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ فيه: عطفُ العامِّ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ على الخاصِّ ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾؛ ليكونا قد ذكرا مرتين: مرةً بالنص عليهما، ومرةً بالاندراج في العامِّ، وذلك على سبيل التوكيد والمبالغة في تعلق نفاذ الإرادة فيهما، وكذلك تأكيد عجز المسيح<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تذييلٌ فيه تعظيم شأن الله تعالى، وردٌّ آخرٌ عليهم بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وملك ما فيها من قبل أن يظهر المسيح؛ فالله هو الإله حقاً، وأنه يخلق ما يشاء، فهو الذي خلق المسيح خلقاً غير معتاد؛ فكان موجب ضلالٍ من نسب له الألوهية<sup>(٥)</sup>.

- وجملة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ جملةٌ مؤكدةٌ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢٥٦-٢٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٥٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/١٥٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢١٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٢٠).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/١٥٥).

لِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ ودالة على أنه إذا أراد فعَلٌ؛ لأنَّ مَنْ له ذلك المُلكُ يفعلُ في مُلكِهِ ما يشاء<sup>(١)</sup>.

٤- قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ فيه إيجازٌ؛ حيثُ إنَّ ظاهرَ اللَّفظِ: أنَّ جميعَ اليهودِ والنصارى قالوا عن جميعهم ذلك، وليس كذلك، بل في الكلامِ لَفٌّ وإيجازٌ. والمعنى: وقالت كلُّ فرقةٍ من اليهودِ والنصارى عن نفسها خاصَّةً: نحن أبناءُ الله وأحبَّاءُهُ<sup>(٢)</sup>.

٥- قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ فيه: تعريضٌ أيضًا بأنَّ المسيحَ عليه السَّلامُ بشرٌ<sup>(٣)</sup>.

٦- قوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيه احتِراسٌ؛ لأنَّه لَمَّا رَبَّ على نَوَالِ العذابِ إِيَّاهم أَنَّهُم بَشَرٌ، دَفَع تَوْهَمَ النَّصارى أَنَّ البشريَّةَ مقتضيةٌ استحقاقَ العذابِ بوراثَةِ تبعَةِ خَطِيئَةِ آدَمَ، فقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، أي: من البَشَرِ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.

٧- قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ فيه إيثارُ الجملةِ الفعليةِ على غيرها؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ البيانِ<sup>(٥)</sup>.

٨- قوله: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾: زيادةٌ ذَكَرَ ﴿مِنْ﴾ في الفاعِلِ؛ للمبالغةِ في نفيِ المَجِيءِ، وتَنكِيرِ ﴿بَشِيرٍ﴾ و﴿نَذِيرٍ﴾؛ للتَّخفيفِ<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٥٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٥٧).

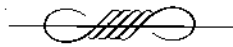
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٨).

(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/٢٢).



٩- قوله ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ التنوين في ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾؛ للتفخيم، أي: لا تعتذروا بذلك؛ فقد جاءكم بشيرٌ أيُّ بشيرٍ، ونذيرٌ أيُّ نذيرٍ<sup>(١)</sup>.

- قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: اعتراض تذييليٌّ مُرَّرٌ لمضمون ما قبَّله، وإظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿وَاللَّهُ﴾ للتعليل، وتقوية استقلالِ الجملة<sup>(٢)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٢/٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢٠/٣).

## الآيات (٢ - ٢٦)

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مِمَّا تَرْضَوْنَ وَمَا لَكُمْ لِمَا آتَاكُمْ مِنْهُ أَنْ تُكَفِّرُوا بِهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (٢)

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُوا عَلَىٰ آدَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٣)

﴿ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (٤) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنُودُوا آدَابًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَكَلِمَاتٍ إِنَّا لَمُهَيَّبُونَ بِمَا نَعْمَدُ ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٨﴾

## غريب الكلمات:

﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾: أي: المطهَّرة المُعظَّمة؛ فالتقدِّيسُ: هو التَّطهيرُ والتَّعظيمُ<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ آدَابِكُمْ﴾: ولا تَرَجِعُوا مُدْبِرِينَ، والردُّ: صرفُ الشيءِ بذاته، أو بحالِهِ من أحوالِهِ؛ يُقال: رَدَدْتُهُ فارتدَّ، والارتدادُ والرَّدَّةُ: الرَّجوعُ في الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ، ومنه قيل للكافرِ بعدَ إسلامِهِ: مُرْتَدٌّ. وأصلُ الدُّبُرِ: آخِرُ الشَّيْءِ وَخَلْفُهُ، وهو ضدُّ القُبُلِ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَتَنْقَلِبُوا﴾: أي: فترجعوا، والانقلابُ: الانصرافُ؛ يُقال لِمَنْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ

(١) ينظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٨، ١٤٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١/٥٠٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٦٠).

(٢) ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٣٢٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٤٨، ٣٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٧٦، ٩٧٧).

ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُ: قَدْ انْقَلَبَ عَلَى عَقِبِهِ، وَأَصْلُ (قلب): صَرَفُ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ إِلَى وَجْهِهِ، أَوْ رُدُّهُ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ<sup>(١)</sup>.

﴿جَبَّارِينَ﴾: أَقْوِيَاءَ عِظَامِ الْأَجْسَامِ، وَقِيلَ: طَوَالًا؛ وَصِفُوا بِذَلِكَ لِكَثْرَتِهِمْ وَفُوتِهِمْ، وَعِظَمَ خَلْقِهِمْ، وَطَوِيلِ جُسُودِهِمْ، وَجَبَّارُونَ جَمْعُ جَبَّارٍ، وَهُوَ الْقَهَّارُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِي عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ، وَالْمَتَسَلِّطِ، وَالْقَتَّالِ، وَأَصْلُ (جبر): جِنْسٌ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْعُلُوِّ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَافْرُقْ﴾: فَافْصِلْ، مِنْ فَرَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ: إِذَا فَصَلْتَ بَيْنَهُمَا، سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ بِفَضْلِ يُدْرِكُهُ الْبَصَرُ، أَوْ بِفَضْلِ تُدْرِكُهُ الْبَصِيرَةُ، وَالْفَرْقُ يُقَارِبُ الْفَلَقَ، لَكِنَّ الْفَلَقَ انشِقَاقٌ، وَالْفَرْقُ انْفِصَالٌ، وَأَصْلُ الْفَرْقِ: الْفِصْلُ وَالتَّمْيِيزُ، وَالتَّرْتِيبُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ<sup>(٣)</sup>.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾: جَمْعُ فَاسِقٍ، وَهُوَ الْخَارِجُ مِنَ الشَّرْعِ، وَالْفَاسِقُ أَعْمٌ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْفُسُوقُ: خُرُوجٌ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَخُرُوجٌ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ؛ فَأَصْلُ الْفُسُوقِ: الْخُرُوجُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ، إِذَا خَرَجَتْ عَنْ قِشْرَتِهَا<sup>(٤)</sup>.

﴿يَتَيْهُونَ﴾: يَحَارُونَ وَيَضِلُّونَ، وَيَذْهَبُونَ مُتَحِيرِينَ؛ مِنْ تَاهَ يَتِيهِ: إِذَا تَحَيَّرَ<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/١٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨١).

(٢) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٧٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٥٠١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٣)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٥٣).

(٣) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٣٥٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٤٩٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٢، ٦٣٣)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٧٤).

(٤) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٦، ٨١٩)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١١٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٣).

(٥) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٦٩)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٩٤).

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تَحْزُنْ؛ يُقال: أَسَيْتُ عَلَى كَذَا، أَي: حَزَنْتُ، وَالْأَسَى: الْحُزْنُ<sup>(١)</sup>.

### مُشْكِلُ الْإِعْرَابِ:

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾: جَارٌّ وَمَجْرُورٌ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، صِفَةٌ لـ ﴿رَجُلَانِ﴾.

وَجُمْلَةٌ ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لـ ﴿رَجُلَانِ﴾، وَجِيءَ هُنَا بِأَفْصَحِ الْإِسْتِعْمَالِينَ مِنْ كَوْنِهِ قَدَّمَ الْوَصْفَ بِالْجَارِّ عَلَى الْوَصْفِ بِالْجُمْلَةِ؛ لِقُرْبِهِ مِنَ الْمَفْرُودِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ. وَقِيلَ: هِيَ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿يَخَافُونَ﴾، أَوْ حَالٌ مِنْ ﴿رَجُلَانِ﴾ وَجَاءَتِ الْحَالُ مِنَ النَّكْرَةِ؛ لِتَخْصُصِهَا بِالْوَصْفِ. أَوْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ فِي الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾؛ لَوْقُوعِهِ صِفَةً لِمَوْصُوفٍ، وَعَلَى أَنَّهَا حَالٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِضْمَارِ (قَدْ)، أَي: قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا<sup>(٢)</sup>.

### الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يقول الله تعالى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: واذكُرْ - يا مُحَمَّدُ - تَوْجِيهَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ - عَلَى سَبِيلِ التُّضْحِ وَالْإِرْشَادِ - أَنْ يَتَذَكَّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، بِأَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءً، وَجَعَلَ لَهُمْ مَلُوكًا، وَأَتَاهُمْ مِنَ النَّعْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِمْ.

وَبَعْدَ هَذَا التَّذْكِيرِ بِالنَّعْمِ نَادَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَطَلَّبَ

(١) ينظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/١٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).

(٢) ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢٢٢)، ((التيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٣٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٢٣٣)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٥٠).

منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، التي هي بيت المقدس التي كتبها الله لهم، وأن يأخذوها من يد أعدائهم، ونهاهم عن التراجع عن القتال، والنكول عن الجهاد؛ فإن ذلك يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة، فردوا عليه أن في هذه البلدة قوماً أشداء أقوياء ضحاماً؛ وأنه لا طاقة لهم بقتالهم، وأنهم لن يدخلوها ما دام هؤلاء موجودين فيها، وعلى تقدير خروجهم منها فيمكن لهم أن يدخلوها؛ ثم بين الله تعالى أن رجلين منهم مؤمنين يخافان الله، قد أنعم الله عليهما بأن وفقهم لطاعته والخوف منه وحده، وأنعم عليهما أيضاً بالصبر واليقين، والرأي القويم، قد استنكرا إحجام قومهما عن الجهاد، فقالا لبني إسرائيل: إنه لا يحول بينكم وبين غلبة هؤلاء والنصر عليهم سوى دخولكم باب الأرض المقدسة، فإن دخلتموها انتصرتُم عليهم؛ فتوكلوا على الله، واعتمدوا عليه إن كنتم مؤمنين.

لكن هذه النصيحة لم تلق قبولاً من بني إسرائيل، وكرروا نبيهم نفيهم دخول الأرض المقدسة أبداً ما دام هؤلاء القوم فيها، وقالوا لموسى عليه السلام: إذا كان دخول هذه الأرض يهزم أمره، فاذهب أنت وربك لقتال سكانها الجابرة، وأخرجاهم منها.

عند ذلك توجه موسى عليه السلام إلى ربه بيت إليه الشكوى، معتذراً من عصبان قومه، وأنه لا يستطيع أن يحمل أحداً على القتال إلا نفسه وأخاه هارون، ودعا الله أن يفصل بينه وبين هؤلاء القوم الفاسقين؛ فاستجاب الله دعاءه، وعاقبهم بأن حرم عليهم دخول الأرض المقدسة أربعين سنة، يظنون ضائعين حائرين في الأرض، لا يهتدون لطريق، ولا يستقرون في مكان، ونهى موسى عليه السلام أن يحزن عليهم جرأ تلك العقوبة التي استحقتوها لخروجهم عن طاعة الله سبحانه.

## تفسير الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)﴾  
مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى الْحُجَجَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَثَبَتْ لَهُمْ رِسَالَةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَصَ شُبُهَاتِهِمْ، وَأَبْطَلَ دَعَاوِيَهُمْ، ثُمَّ لَمَّا لَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا كُفْرًا وَعِنَادًا- بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَاقِعَةً مِنْ وَقَائِعِ أَسْلَافِهِمْ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَمَرَّدَهُمْ عَلَيْهِ، وَعِصْيَانَهُمْ لَهُ، مَعَ تَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ لِيَعْلَمَ الرَّسُولُ بِهَذَا أَنَّ مَكَابِرَةَ الْحَقِّ وَمَعَانِدَةَ الرَّسْلِ خُلِقَ مِنْ أَخْلَاقِهِمُ الْمُرُورَةِ عَنْ سَلَفِهِمْ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ هُمْ جَارُونَ مَجْرَى أَسْلَافِهِمْ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ تَسْلِيَةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

أي: واذكر- يا محمد- حين خاطب موسى عليه السلام بني إسرائيل، أن اذكروا- يا قومي- بقلوبكم وألسنتكم نعم الله تعالى عليكم؛ فإن ذكرها داع إلى القيام بشكره عليها، وداع إلى محبته عز وجل، ومعين على عبادته سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢١٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٢٦٥)، وينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٧٦-٢٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٧٦-٢٧٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٢٥٤). وقال ابن عثيمين: (هنا هل نقول: إن متعلق «إذ»، «اذكروا»، فيكون هنا الخطاب موجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أن المراد: اذكروا، أي: يا أهل الكتاب؟ نقول: يحتمل هذا أو هذا) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٢٥٤).

وقال ابن عثيمين: (المعنى: واذكروا لهم- يا محمد- على جهة إعلامهم بغير كتبهم؛ ليتحققوا نبوتك، وينتظم في ذلك نعم الله عليهم، وتلقيهم تلك النعم بالكفر، وقلة الطاعة والإنابة =

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى هَذِهِ النَّعْمَ، فَقَالَ (١):

﴿إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾

أي: فاذكروا إنعام الله تعالى عليكم بأن جعلنا فيكم أنبياءً يأتونكم بوجهه، ويخبرونكم بآياته، كلما هلك نبيٌّ قام فيكم نبيٌّ آخر، من لدن إبراهيم عليه السلام وإلى من بعده، حتى ختموا بعيسى عليه السلام (٢).

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ مَلُوكًا﴾

قيل المعنى: جعلنا لكم من غيركم خدماً وحشماً، سخّرهم ليخدموكم (٣). وقيل المراد: ملوك من ملوك بني إسرائيل؛ لأن الملوك شرف في الدنيا (٤). وقيل المعنى: صيركم أحراراً تملكون أمركم ولا تملكون، بعد زوال استعباد عدوكم لكم، الذي كان يقهركم ويستخدمكم (٥)، وقيل غير ذلك (٦).

= ((تفسير ابن عطية)) (١٧٣/٢).

- (١) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (١٧٣/٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٤/١).
- (٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧٧-٢٧٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٧٢/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٤-٢٥٥).
- قال ابن عثيمين: (هل المراد هنا بالأنبياء الرسل، أو الأنبياء الذين دون الرسل؟ يحتمل هذا وهذا؛ لأن فيهم رسلاً، وفيهم أنبياء بلا رسالة) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٥/١).
- (٣) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٢٧٨/٨)، والواحد في ((الوجيز)) (ص: ٣١٤).
- وممن روي عنه من السلف مثل هذا القول قتادة. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧٨/٨).
- (٤) ذكره ابن عطية في ((تفسيره)) (١٧٣/٢)، وجعله ابن عاشور وابن عثيمين مما يشمله معنى الآية. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٥/١).
- (٥) وهذا اختيار القرطبي في ((تفسيره)) (١٢٣/٦)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٧)، وجعله ابن عاشور وابن عثيمين مما يشمله معنى الآية. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦١/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٥/١).
- وممن روي عنه من السلف نحو هذا القول السدي. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٨١/٨).
- (٦) قال جماعة من السلف: إن كل من له امرأة وخادم ومسكن، فهو ملك =

﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

أي: ومنحككم الله- يا معشر اليهود- من نعمة الدينية والدنيوية، وكراماته العلية، ما لم يعطه لأحد سواكم من أهل زمانكم، فقُتّموهم شرفاً وفضلاً<sup>(١)</sup>.

كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦].

وكما قال عز وجل إخباراً عن موسى لما قال قومه: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ \* إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَبٌ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَيَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠].

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر موسى عليه السلام بني إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم، وكان في طيات ذلك الحث على الوفاء بما عاقدوا الله عليه من الطاعة- كان هذا كالتمهيد لطلب امتثالهم للأمر الذي تضمنته هذه الآية، يقتال الجبارين؛ ليهيئ نفوسهم إلى قبول هذا الأمر العظيم عليهم، وليوثقهم بالنصر إن قاتلوا أعداءهم<sup>(٢)</sup>.

= وممن روي عنه من السلف نحو هذا القول: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجاهد، والحسن، والحكم. (تفسير ابن جرير) ((٢٧٨/٨)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٢٨٣-٢٨٤/٨))، (تفسير ابن كثير) ((٧٤/٣))، (تفسير السعدي) (ص: ٢٢٧)، (تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة) ((٢٥٥/١-٢٥٦)).

قال ابن كثير: (والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه، وهو محمول على عالمي زمانهم) (تفسير ابن كثير) ((٧٤/٣)).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن عاشور) ((١٦١/٦))، (تفسير السعدي) (ص: ٢٢٧).



﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

أي: نادى موسى عليه السلام بني إسرائيل؛ أن جاهدوا - يا قومي - عدوكم حتى تدخلوا الأرض المطهرة المعظمة - بيت المقدس<sup>(١)</sup> - وتصبح في ملككم؛ فقد قضى الله وقدر أن تكون لكم بعد أن تستنقذوها من أيدي أعدائكم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

أي: ولا تنكثوا عن الجهاد، وترجعوا القهقري؛ فتخسروا دنياكم بما يفوتكم من نصر على الأعداء وفتح لبلادكم، وتخسروا آخرتكم بما يفوتكم من ثواب، وما تستحقونه من عقاب<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)﴾

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾

أي: قالوا - جواباً لطلبه مُنادين له باسمه مُجرداً من كل ما يدل على تقديره

(١) وهذا اختيار ابن كثير في ((تفسيره)) (٧٤ - ٧٥)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٧٧)، والشنقيطي في ((العدب النمير)) (١/١١١).

وممن روي عنه هذا القول من السلف: ابن عباس، والسدي، وابن زيد، والضحاك. ينظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٣٢).

واختار الواحدي أنها الشام. ينظر: ((الوجيز)) (ص: ٣١٤).

واختار ابن عاشور أنها أرض فلسطين. ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٦٢).

وقيل غير ذلك. ينظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/١٧٤).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٧٤ - ٧٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٥٥ - ٢٥٦).

واختار الواحدي أنها سميت أرضاً مقدسة، أي: مطهرة؛ لأنها طهرت من الشرك. ينظر: ((التفسير الوسيط)) (٢/١٧٢)، وينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٥٩).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٢٨٧ - ٢٨٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٧٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧ - ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٥٩ - ٢٦٠).

وإجلاله-: يا موسى، في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها، وقاتل أهلها أناس عمالقة، ذوو خلقة ضخمة، وأجسام طويلة، وقوة شديدة؛ فلن نقدر على مقاومتهم، ولا طاقة لنا بحربهم؛ وهذا من ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر ربهم ورسولهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَأِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾

أي: ونحن نؤكد جازمين لك- يا موسى- بأننا ممتنعون عن الدخول إليها مطلقاً، ما دام يسكنها أولئك الجبارون، ولم يخرجوا منها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

أي: فأمّا إن افترضنا خروجهم منها، ففي هذه الحال يمكننا الدخول إليها<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)﴾

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾

أي: لما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله تعالى ومُتابعة رسوله موسى عليه السلام، قال لهم رجلان ممن يخافون الله تعالى، قد أنعم عليهما بالتوفيق لطاعته، والخوف منه وحده سبحانه، فيقولان كلمة الحق دون أن يخافا في الله تعالى لومة لائم، وأنعم عليهما أيضاً بالصبر واليقين، والشجاعة وحصافة الرأي<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٨٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٧٥/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦٠ - ٢٦١، ٢٧٤).

(٢) ((تفسير ابن جرير)) (٢٩٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٧٥/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٣/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٩٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٧٥/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٣/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٩٣/٨، ٢٩٧، ٢٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٧٦/٣ - ٧٧)، =

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

أي: قَالَا لقومهم - استنهاضًا لهممهم، وتشجيعًا لهم على قتال عدوهم - ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا مجرد دخول باب الأرض المقدسة التي يستوطنونها؛ فإنكم إن فعلتم ذلك كانت الغلبة لكم عليهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَمَرَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ قَوْمَهُمَا بِالْأَخْذِ بِالسَّبَابِ النَّافِعَةِ، أَرْشَدَاهُم إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَا:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: فَوَضُّوا جَمِيعَ أُمُورِكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَمِنْهَا قِتَالُ أَعْدَائِكُمْ، وَاعْتَمِدُوا عَلَيْهِ اعْتِمَادًا تَامًّا صَادِقًا، إِنْ كَانَ لَدَيْكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِصِدْقِ وَعْدِهِ<sup>(٢)</sup>.

= ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٦٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦٣ - ٢٦٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٦٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦٥).

قال ابن عاشور: ((والباب)) يجوز أن يُراد به مدخل الأرض المقدسة، أي: المسالك التي يُسلك منها إلى أرض كنعان، وهو الثغر والمضيق الذي يُسلك منه إلى منزل القبيلة يكون بين جبَلَيْن وَعَرَيْن؛ إذ ليس في الأرض المأمورين بدخولها مدينة، بل أرض؛ لقوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾، فأراد: فإذا اجتزتم الثغر ووطئتم أرض الأعداء، غلبتموهم في قتالهم في ديارهم، وقد بَسَمَى الثغر البحري بابًا أيضًا... وحمل المفسرون الباب على المشهور المتعارف، وهو باب البلد الذي في سُورِهِ، فقالوا: أرادوا باب قريتهم، أي: لأن فتح مدينة الأرض يُعدُّ ملكًا لجميع تلك الأرض... ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٦٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٦٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٠٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦٥ - ٢٦٧).

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤).

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾.

أي: قال اليهود: إِنَّا نَرْفُضُ - يا موسى - رَفْضًا بَاتًا وَدَائِمًا، دُخُولَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي يَسْكُنُهَا الْجِبَارُونَ مَا دَامُوا بَاقِينَ فِيهَا<sup>(١)</sup>.

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

أي: وَلَكِنْ امْضِ - يا موسى - أَنْتَ وَرَبُّكَ لِقِتَالِهِمْ، أَمَّا نَحْنُ فَمَا كَثُرْنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَلَنْ نَبْرَحَهُ مَعَكَ لِلْمَضِيِّ إِلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>.

فَلَمَّا نَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنِ الْقِتَالِ غَضِبَ عَلَيْهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ<sup>(٣)</sup>:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾.

أي: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، لَا أَقْدِرُ أَنْ أَحْمِلَ أَحَدًا عَلَى طَاعَتِكَ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي هَارُونَ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٠٢/٨ - ٣٠٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٧/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٠٣/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٧/١).

(٣) ((تفسير ابن كثير)) (٧٩/٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٠٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٨/١).

فإن قيل: لم قال: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾، وكان معه الرجلان المذكوران؟

قيل: كأنه لم ينتق بهما كل الوثوق؛ لِمَا رَأَى مِنْ إِطْبَاقِ الْأَكْثَرِينَ عَلَى التَّمَرُّدِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٣٥/١١)، ((تفسير الشربيني)) (٣٦٧/١)، ((تفسير القاسمي))

(١٠٢/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٦/٦ - ١٦٧).

﴿فَأَفْرُقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

أي: فافصل بيننا وبين هؤلاء القوم الخارجين عن طاعتك، بحكم وقضاء منك تقضيه فينا وفيهم، فتبعدهم عنا<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦).

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

أي: فأجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام فقال: إن عقوبتهم أن يحرم عليهم دخول الأرض المقدسة التي نكصوا عن دخولها، مدة أربعين سنة يضلون فيها ضائعين وحائرين في الأرض، لا يهتدون إلى طريق، ولا يبقون مطمئنين<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٥-٣٠٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٦٨).

(٢) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٣١٤-٣١٥)، وابن عطية في ((تفسيره)) (٢/ ١٧٦)،

وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ٧٩)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٨)، وابن عثيمين في

((تفسير سورة المائدة)) (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

قال السعدي: (ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم تُرقها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٦٩).

قال القرطبي: ﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرف زمان للتيه، في قول الحسن وقتادة، قالوا: ولم يدخلها أحد منهم، فالوقف على هذا على ﴿عَلَيْهِمْ﴾، وقال الربيع بن أنس وغيره: إن ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف للحريم، فالوقف على هذا على ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، فعلى الأول إنما دخلها أولادهم، قاله ابن عباس. ولم يبق منهم إلا يوشع وكالب، فخرج منهم يوشع بدرّياتهم إلى تلك المدينة وفتحوها. وعلى الثاني فمن بقي منهم بعد أربعين سنة دخلوها. ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١٣٠). وينظر: ((إيضاح الوقف والابتداء)) للأنباري (٢/ ٦١٦).

مُنَاسِبَتِهَا لِمَا قَبَلَهَا:

لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَايَةِ الرَّحْمَةِ عَلَى الْخَلْقِ -  
خُصُوصًا قَوْمَهُ - وَأَنَّهُ يَحْزَنُ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى (١):

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

أي: فلا تحزن عليهم - يا موسى - ممَّا عاقبهم الله تعالى به؛ فهم يستحقون  
هذه العقوبة؛ لخروجهم عن طاعة ربهم سبحانه (٢).

### الفوائد التربويّة:

١- أن من رزقه الله علمًا فقد أنعم عليه نعمة عظيمة، تحتاج إلى التذكير؛ لأنّ  
نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم ذكرهم بهذه النعمة، من خلال تذكيرهم بنعمة  
الأنبياء فيهم، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾ (٣).

٢- يُستفاد من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾  
أنه ينبغي للداعية أن يذكّر من يوجّه إليهم الخطاب بنعم الله عليه؛ لأنّ تذكيرهم  
بالنعم يوجب لهم محبة الله (٤).

٣- أنه كلما أنعم الله على عبده بنعمة وجب عليه من السمع والطاعة ما لم  
يجب على غيره؛ لأمره بدخول الأرض المقدّسة، بعد ذكر النعم مباشرة؛ حيث  
قال: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ (٥).

٤- تقديم مقام العلماء على الأمراء؛ لقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾ ثم قال:

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٨١)، ((تفسير السعدي))  
(ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٥٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٥٦).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، فبدأ بالعلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء، وذكر بعدهم الأمراء؛ لأنهم إما يكونون من الملوك، أو من ورثتهم أو نوابهم أو ما أشبه ذلك<sup>(١)</sup>.

٥- أنه ينبغي أن يُذكر الإنسان بما خصّه الله تعالى به من النعم؛ وذلك لقوله: ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- يُستفاد من قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أن الإيمان شرط في إخلاص التوكل على الله عز وجل؛ إذ لا يتوكل على الله تمام التوكل إلا من كان عنده إيمان بما وعد الله به في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٣)</sup> [الطلاق: ٣].

٧- أنه ينبغي للداعية أن يذكر ما يهيج النفوس ويغريها بالقبول؛ لأنه ذكر في الآية أن الأرض مقدّسة؛ هذا الأول، والثاني: أن الله كتبها لهم. والثالث: قوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ﴾ وكان هذه بشارة بأنهم سيتصرون، وسوف يدخلون الأرض؛ فالبشارة من وجوه ثلاثة<sup>(٤)</sup>.

٨- أنه ينبغي للداعية إلى الله أن يذكر عواقب السيئات؛ من أجل تنفير النفوس منها، وإن كانت الدعوة إلى الله تعالى تحصل ببيان الحلال والحرام، لكن إذا ذكر التّرييب والترهيب كان في ذلك حفز للنفوس على الامتثال؛ وجه ذلك أن موسى قال لقومه: ﴿فَتَقَلَّبُوا خَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٩- أن التوكل على الله عز وجل من أسباب النصر؛ لقول هذين الرجلين: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٧/١).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢٦٧/١).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢٦٩/١).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢٧٢/١).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢٧٦/١).

١٠- أَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا يَعْتَمِدَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى السَّبَبِ الْحَسِّيِّ فَقَطْ؛ لِقَوْلِهِمَا بَعْدَ أَنْ وَجَّهَا قَوْمَهُمَا إِلَى أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾<sup>(١)</sup>.

١١- أَنَّ إِفْرَادَ اللَّهِ بِالتَّوَكُّلِ مِنَ الْإِيمَانِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَأَنَّ نَقْصَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ نَقْصٌ فِي الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ مَا رُتِّبَ عَلَى شَيْءٍ أَزْدَادَ بَرِيادَتِهِ وَنَقْصَ بِنَقْصِهِ<sup>(٢)</sup>.

١٢- جَوَازُ دُعَاءِ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ النُّسُوقِ وَالفُجُورِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَفَرَّعَ عَلَى هَذِهِ الْفَائِدَةِ جَوَازُ هِجْرَانِ الْفَسَقَةِ؛ لِأَنَّ الْهَجْرَ مَفَارِقَةٌ<sup>(٣)</sup>.

١٣- أَنَّ التَّخَلِّيَّ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْفِسْقِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٤- إِرْشَادُ الْإِنْسَانِ أَلَّا يَحْزَنَ عَلَى الْفَاسِقِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا بَدَّلَ جُهْدَهُ فِيمَا يَجِبُ مِنَ الدَّعْوَةِ، فَإِنَّ هِدَايَةَ الْخَلْقِ لَيْسَتْ إِلَيْهِ، بَلْ إِلَى اللَّهِ، فَلَا يَحْزَنُ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦]<sup>(٥)</sup>.

### الفوائد العامة واللطائف:

١- نِدَاءُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا قَوْمِ﴾ يَتَضَمَّنُ اسْتِعْطَافًا لَهُمْ؛ لِأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مِنْ قَوْمِكَ أَوْ مِنْ غَيْرِ قَوْمِكَ<sup>(٦)</sup>.

٢- الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ وُجُودَ الْأَنْبِيَاءِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ، فَقَالَ: ﴿إِذْ جَعَلَ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٢٧٦).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٨٠).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٨١).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٨٢).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٨٤).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٥٨).



فِيكُمْ أَنْبِيَاءٌ ﴿٢٠﴾ وَلَا شَكَّ أَنْ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْمُلُوكِ، وَإِنْ كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ <sup>(١)</sup>.

٣- في قوله ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فائدة عظيمة؛ وهي أَنَّ الْقَوْمَ وَإِنْ كَانُوا جَبَّارِينَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا وَعَدَهُمْ هَؤُلَاءِ الضَّعَفَاءُ بِأَنَّ تِلْكَ الْأَرْضَ لَهُمْ، فَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مَقْرِينَ بِصِدْقِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمُوا قَطْعًا أَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُمْ وَيُسَلِّطُهُمْ عَلَيْهِمْ؛ فَحِينَئِذٍ يُقَدِّمُونَ عَلَى قِتَالِهِمْ مِنْ غَيْرِ جُبْنٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا هَلَعٍ <sup>(٢)</sup>.

٤- أَنَّ الْكِتَابَةَ نَوْعَانِ: شَرْعِيَّةٌ، وَقَدْرِيَّةٌ؛ فَالْكِتَابَةُ فِي قَوْلِهِ ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بِمَعْنَى الْكِتَابَةِ الْقَدْرِيَّةِ، وَتَأْتِي غَالِبًا مَقْرُونَةً بِاللَّامِ، أَمَا الْكِتَابَةُ الشَّرْعِيَّةُ فَتَأْتِي غَالِبًا لَا دَائِمًا مَقْرُونَةً بِ(عَلَى)؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ [الحشر: ٣] فَالْكِتَابَةُ هُنَا: قَدْرِيَّةٌ <sup>(٣)</sup>.

٥- أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا أَحَقَّ بِأَرْضِ الشَّامِ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فَهَمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا، وَهِيَ مَكْتُوبَةٌ لَهُمْ حِينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ؛ لَا لِأَنَّهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا شَكَّ أَنََّّهُمْ فِي عَهْدِ مُوسَى هُمْ أَفْضَلُ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَاطَبُ قَوْمًا صَدَّقُوا وَآمَنُوا بِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، إِذَنْ فَقَوْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ هَذِهِ أَرْضُ الْمِيْعَادِ، نَقُولُ: إِنَّ شَاءَ اللَّهُ هِيَ أَرْضُ مِيْعَادِ هَلَائِكِكُمْ، أَمَا أَنَّهَا أَرْضٌ لَكُمْ مَكْتُوبَةٌ شَرْعًا فَلَا، وَأَمَا قَدْرًا فَيُمْكِنُ، لَكِنْ شَرْعًا لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا حَقٌّ إِطْلَاقًا؛ قَالَ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ أَوْرَثَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِلَادَ فِرْعَوْنَ وَأَرْضَهُ؛ لِأَنََّّهُمْ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٦/١).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٩/١).

كانوا مُسلمين، فكَذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِثُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(١)</sup>.

٦- بَيَانُ جَفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا قَوْمِ﴾ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿يَا مُوسَى﴾، وَلَمْ يَقُولُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ جَفَائِهِمْ وَغِلْظِ طَبَائِعِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

٧- سَوْءُ ظَنِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاللَّهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ نَبِيَّهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَدَّهُمْ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ لَهُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وَلَكِنَّهُمْ اعْتَمَدُوا عَلَى الْأَمْرِ الْمَادِيِّ، فَقَالُوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٨- بَعْدَ أَنْ قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ جَاءَ تَأْكِيدُ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِمْ: ﴿فَإِن يَخْرُجُوا﴾ وَلَمْ يَقُولُوا: (فَإِذَا خَرَجُوا)، كَأَنَّهُمْ يَسْتَبْعِدُونَ خُرُوجَهُمْ؛ لِأَنَّ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةَ: تَمَيِّزٌ عَنِ (إِذَا) بِأَنَّ (إِنْ) يَكُونُ فِعْلُ الشَّرْطِ فِيهَا حَاصِلًا وَغَيْرَ حَاصِلٍ؛ فَإِنَّهَا لِلْمَشْكُوكِ فِيهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَحْبِلَةِ، لَكِنْ (إِذَا) تَكُونُ لِلشَّرْطِ الْمَقْطُوعِ بِوُقُوعِهِ حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا<sup>(٤)</sup>.

٩- بَيَانُ جُبْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، وَهَذَا غَايَةٌ مَا يَكُونُ مِنَ الْجُبْنِ؛ لِأَنَّ الْجَبَانَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: لَا أَدْخُلُ الْبَلَدَةَ أَوْ الْقَرْيَةَ أَوْ الْمَدِينَةَ إِلَّا إِذَا خَرَجَ مِنْهَا أَهْلُهَا، ثُمَّ أَكَّدُوا هَذَا الْجُبْنَ مَرَّةً ثَانِيَةً بِقَوْلِهِمْ: ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٧٠).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧٢).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧٤).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٦١)، وينظر أيضًا: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧٧).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٧٤)، وينظر أيضًا: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٧٢).

١٠- أَنْ مَن غُزِيَ فِي عُقْرِ دَارِهِ فَهُوَ ذَلِيلٌ، وَهَذَا مَثَلٌ مَشْهُورٌ: مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا؛ لقوله: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾، وأهل البلد مغلوبون<sup>(١)</sup>.

١١- لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ الرَّجُلَانِ الْمَذْكُورَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ دَخُولِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ تَقَاعَسُوا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَّ بِنَصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ وَوَعَدَهُ حَقٌّ، عَبْرًا بِأَدَاةِ التَّحْقِيقِ (إِذَا) فَقَالَا: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾، ثُمَّ أَكَّدَا خَبْرَهُمَا إِيقَانًا بِوَعْدِ اللَّهِ فَقَالَا: ﴿فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾، أَي: لِأَنَّ الْمَلِكَ مَعَكُمْ دُونَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

١٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ نَاسَبَ أَوَّلَ آيَةِ آخِرِهَا؛ فَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ الْقَوْمَ بِاتِّخَاذِ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ أَمْرَهُمْ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى وَعْدِهِ وَنَصْرِهِ وَخَبِيرِ رَسُولِهِ؛ وَلِذَلِكَ ذَيَّلًا بِقَوْلِهِمَا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ لِأَنَّ الشَّكَّ فِي صِدْقِ الرَّسُولِ مَبْطُلٌ لِلْإِيمَانِ<sup>(٣)</sup>.

١٣- إِصْرَارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَعَلَى الْجُبْنِ وَالخَوَرِ؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمْ مُصْرُونَ عَلَى مَعْصِيَةِ نَبِيِّهِمُ الَّذِي قَالَ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٤- الْفَطْرَسَةُ الْعَظِيمَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ حَيْثُ قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، حَتَّى قَوْلِهِمْ: «اذْهَبْ»-

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٧٥).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٧٦/ ٦).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٢٠).

(٤) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٧٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

بهذه الصيغة كأنهم أمرون لموسى - أيضًا فيه استعلاء واستكبار، ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ يعني: ما رجوه رجاء وقالوا: ألا تذهب يا رسول الله، أو يا نبي الله، أو ما أشبه ذلك، وجه ثالث من الغطرسية في قولهم: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، أي: لا نتحرك ولا نذهب معكم، لم يقولوا مثلاً: إِنَّا رِذَاءٌ لَكَ نَحْمِيكَ مِنْ ظَهْرِكَ، وما أشبه ذلك! ففيها أيضًا مُتَهَيَّ الغطرسية من بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

١٥- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ مواجهةً لنبئهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة فيه إلى نصرته نبئهم، وإعزاز أنفسهم، وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم وأمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - حين شاورهم في القتال يوم «بدر» مع أنه لم يُحْتَم عليهم - : يا رسول الله، لو خُصت بنا هذا البحر لخُصناه معك، ولو بلغت بنا برك العُماد<sup>(٢)</sup> ما تخلف عنك أحدٌ، ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ، مِن بَيْن يَدَيْكَ وَمِن خَلْفِكَ، وَعَن يَمِينِكَ وَعَن يَسَارِكَ<sup>(٣)</sup>.

١٦- أن التحريم يُطلق على المنع القدرى؛ لقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾؛ فالله تعالى لم يُرد أنه حرم عليهم دخولها شرعاً، لكن قدرًا،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٨٠).

(٢) برك العُماد - نُفُتِح الباءُ وتُكسِر، وتُضَمُّ الغينُ وتُكسِر - : هو اسمٌ موضعٌ أو بلدٌ باليمن، وقيل: هو موضعٌ وراء مكةَ بخمسِ ليالٍ ممَّا يلي البحر. والبرك: حجارةٌ مثل حجارة الحرة، خشيئة يصعب المسلكُ عليها، وعرة. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ١٢١)، ((معجم البلدان)) لياقوت (١/ ٣٩٩ - ٤٠٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨).

وينظر ما أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وما أخرجه البخاري (٣٩٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

والتحريمُ يكونُ كونياً، ويكونُ شرعياً، فبينَ التحريمِ القَدْرِيّ الكونِيّ: قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، ومنَ التحريمِ الشرعيّ: قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾<sup>(١)</sup> [المائدة: ٣].

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (إِذْ) ظَرْفٌ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مُقَدَّرٍ، أَي: وَادْكُرُوا وَقَتَ قَوْلِ مُوسَى لِقَوْمِهِ نَاصِحًا لَهُمْ وَمُسْتَمِيلًا لَهُمْ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَيْهِ ﴿يَا قَوْمِ...﴾؛ فَتَوَجَّهَ الْأَمْرُ بِالذِّكْرِ إِلَى الْوَقْتِ دُونَ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْحَوَادِثِ، مَعَ أَنَّهَا الْمَقْصُودَةُ بِالذَّاتِ؛ لِلْمَبَالِغَةِ فِي إِجَابِ ذِكْرِهَا؛ لِأَنَّ إِجَابَ ذِكْرِ الْوَقْتِ إِجَابٌ لِذِكْرِ مَا وَقَعَ فِيهِ بِالطَّرِيقِ الْبُرْهَانِيِّ<sup>(٢)</sup>.

٢- وفي قوله: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ فيه - على أحدِ وجوه التفسيرِ المذكورة - تَشْبِيهُ بَلِيغٌ، حَيْثُ جَعَلَهُمْ كَالْمُلُوكِ فِي تَصَرُّفِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَسَلَامَتِهِمْ مِنْ الْعِبُودِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ لِلْقَيْطِ، أَوْ اسْتَعْمَلَ فِعْلَ ﴿جَعَلَكُمْ﴾ فِي مَعْنَى الْاسْتِقْبَالِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿آتَى أَمْرَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ فَصَدًّا لِتَحْقِيقِ الْخَيْرِ، فَيَكُونُ الْخَيْرُ بِشَارَةً لَهُمْ بِمَا سَيَكُونُ لَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾: كَرَّرَ النَّدَاءَ الَّذِي ابْتَدَأَ بِهِ مَقَالَتَهُ، وَهُوَ النَّدَاءُ بـ ﴿يَا قَوْمِ﴾؛ اِهْتِمَامًا بِشَأْنِ الْأَمْرِ، وَمَبَالِغَةً فِي حَثِّهِمْ عَلَى الْاِمْتِثَالِ بِهِ<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله: ﴿إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾: فِيهِ تَأْكِيدٌ؛ حَيْثُ أَكَّدُوا الْاِمْتِنَاعَ الثَّانِي مِنَ الدُّخُولِ بَعْدَ الْمَحَاوِرَةِ أَشَدَّ تَوْكِيدٍ؛ دَلٌّ عَلَى شِدَّتِهِ فِي الْعَرَبِيَّةِ بِثَلَاثَةِ

(١) يُنظَر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٨٣/١).

(٢) يُنظَر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٢/٣).

(٣) يُنظَر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦١/٦).

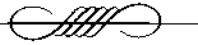
(٤) يُنظَر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٣/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٢/٦).

مؤكدات: (إن)، و (لن)، وكلمة (أبدًا)، حيث أكدوا نفيهم للإقدام عليهم بقولهم: ﴿إِنَّا﴾، وعظموا تأكيدهم بقولهم: ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾، وزادوه تأكيدًا بقولهم: ﴿أَبَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

٥- قوله: ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾: فيه تصريح بمفهوم الغاية التي في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾؛ لقصد تأكيد الوعد بدخولها إذا خلت من الجبارين الذين فيها<sup>(٢)</sup>؛ فأكدوا على دخولهم إذا خرج منها هؤلاء القوم الجبارون بقولهم: ﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ - فهو مؤكد بـ(إن) واسميّة الجملة - وهذا لا يحتاج إلى توكيد، لكن يدل على شدة بلاهتهم؛ لأن المعروف أنه متى خلت البلاد من الأعداء فخرجوا منها، فالدخول في هذه الحالة لا يحتاج إلى تأكيد<sup>(٣)</sup>.

٦- قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: فيه تعريض؛ حيث يجوز أن يكون المراد بالخوف: الخوف من الله تعالى، أي: كان قولهما لقومهما: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ ناشئًا عن خوفهما من الله تعالى، فيكون تعريضًا بأن الذين عصوهما لا يخافون الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

٧- قوله: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾: فيه تقديم الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِمُ﴾ على المفعول به ﴿الْبَابَ﴾؛ للاهتمام بالمقدم<sup>(٥)</sup>.



(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٧٧/٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٦/٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٣/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٧٤/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٥/٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٤/٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٤/٣).

## الآيات (٢٧ - ٣٢)

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا  
وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن  
بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ  
جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ  
﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ  
يَتَوَلَّى عَجَازٌ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ  
النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا  
يَعْتَرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا  
فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ  
كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

## غريب الكلمات:

﴿ نَبَأٌ ﴾: النُّبَأُ: الخبرُ الذي له قَدْرٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، ويحصلُ به علمٌ أو غلبَةٌ  
ظنٌّ، وأصلُ (نبا): الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ؛ وسُمِّيَ الخبرُ نَبَأً؛ لانتقاله من مكانٍ  
إلى مكانٍ<sup>(١)</sup>.

﴿ قُرْبَانًا ﴾: ما يُقَرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ من ذبْحٍ أو غيره، وصارَ اسمًا للنَّسِيكَةِ  
التي هي الذَّبِيحَةُ، وأصلُ القُرب: خِلافُ البُعدِ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٣٨٥)،

((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨٨-٧٨٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٠)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٦٦٤)، ((التيبان))

لابن الهائم (١/ ١٣٣).

﴿بَسَطْتُ﴾: مَدَدْتُ، وَالبَسَطُ فِي الشَّيْءِ: فَتَحُهُ وَتَوَسَّعْتُهُ، وَقِيلَ: إِمدَادُهُ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿تَبَوَّءَ﴾: أَي: تَرَجَّعَ، أَوْ تَنَقَّلَ وَتَنَصَّرَفَ، وَلَا يُقَالُ: (بَاءً) إِلَّا بَشْرًا، وَيُقَالُ: بَاءً بِكَذَا إِذَا أَقْرَبَهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأْتُمِي﴾: أَي: يَأْتِمُ قَتْلِي، وَالإِثْمُ وَالأَثَامُ: اسْمٌ للأَفْعَالِ المَبْطُئَةِ عَنِ الثَّوَابِ، أَوْ الذَّنْبِ الَّذِي تُسْتَحَقُّ العُقُوبَةُ عَلَيْهِ، وَأَصْلُ الإِثْمِ: البُطْءُ وَالتَّأخُّرُ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَطَوَّعَتْ﴾: سَهَّلَتْ وَزَيَّنَتْ، أَوْ طَاوَعَتْ وَأَعَانَتْ، وَأَجَابَتْ وَانْقَادَتْ، وَأَصْلُ الطَّوْعِ: الانْقِيَادُ وَالإِصْحَابُ، وَيَضَادُّهُ الكُرْهُ<sup>(٤)</sup>.

﴿يَبْحَثُ﴾: يَخْفِرُ، وَالبَحْثُ: طَلَبُ الشَّيْءِ فِي التُّرَابِ، وَيُطَلَّقُ كَذَلِكَ عَلَى الكَشْفِ وَالتَّلَبِّ<sup>(٥)</sup>.

﴿يُؤَارِي﴾: يَسْتُرُ، مِنْ وَارَيْتُ كَذَا: إِذَا سَتَرْتَهُ<sup>(٦)</sup>.

﴿يَا وَيَلْتَا﴾: يَا فَضِيحَتَاهُ! وَالْوَيْلُ: كَلِمَةٌ دُعَاءٍ بِالهِلَاكِ وَالعَذَابِ، وَتُطَلَّقُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٢٨/٨)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٩٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١١٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٥٠-٢٥٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦٠/١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٠).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٤٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢٥، ٥٢٩، ٥٣١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٨٣، ٥٨٧).

(٥) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٣/٢٠٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٢٠٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٠٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٤٥).

(٦) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٦٦)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٦٥).



كذلك على حلول الشرِّ، وتُستعملُ في التَّحسُّرِ، والويلةُ: الفضيحةُ والبليَّةُ<sup>(١)</sup>.

﴿سَوْءَةٌ أَخِي﴾: السَّوْءَةُ: العورةُ، وما لا يجوزُ كَشْفُهُ مِنَ الجَسَدِ، والمُرَادُ هُنَا بَدَنُهُ وَجِيفَتُهُ، وَأَصْلُ (سوء): يَدُلُّ عَلَى القُبْحِ<sup>(٢)</sup>.

﴿النَّادِمِينَ﴾: جَمْعُ نَادِمٍ، وَهُوَ المَتَحَسِّرُ مِنَ تَغْيِيرِ رَأْيِهِ فِي أَمْرٍ فَائِتٍ، مِنْ نَدِمَ: إِذَا تَفَطَّنَ لشيءٍ قَدْ كَانَ<sup>(٣)</sup>.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جَمْعُ بَيِّنَةٍ، وَهِيَ: الدَّلَالَةُ الوَاضِحَةُ؛ يُقَالُ: بَانَ الشَّيْءُ وَأَبَانَ، إِذَا اتَّضَحَ وَانْكَشَفَ<sup>(٤)</sup>.

﴿لَمُسْرِفُونَ﴾: لِمُفْرِطُونَ، وَالسَّرْفُ: تَجَاوُزُ الحُدُودِ فِي كُلِّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ الإِنْسَانُ، وَأَصْلُهُ: تَعَدَّى الحُدُودَ، وَالإِغْفَالُ لِلشيءِ أَيضًا<sup>(٥)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَى اليَهُودِ وَغَيْرِهِمْ خَيْرَ ابْنِي آدَمَ، وَهُوَ خَيْرٌ حَقًّا؛ إِذْ أَخْرَجَ كُلَّ أَخٍ مِنْهُمَا شَيْئًا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقبِلَ اللهُ قُرْبَانَ أَحَدِهِمَا، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الأُخْرَى، فَحَسَدَ الَّذِي لَمْ يَقْبَلِ اللهُ قُرْبَانَهُ أَخَاهُ، فَتَوَعَّدَهُ بِالقَتْلِ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ: إِنَّمَا يَقْبَلُ اللهُ مِنَ المَتَّقِينَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّ مَدَدَتِ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي، فَلَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ، وَالَّذِي يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ هُوَ خَوْفِي مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ تَتَحَمَّلَ أَنْتَ

(١) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٨/ ٣٦٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٨٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٥).

(٢) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٢/ ٢٣٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٢٦)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٨١).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩٦).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٣٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٧).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٠٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٥٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٠٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣١).

إِثْمَ قَتْلِي مَعَ إِثْمِ مَا ارْتَكَبْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَتَكُونُ - بِسَبَبِ ذَلِكَ - مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَهَذِهِ هِيَ عَقُوبَةُ كُلِّ ظَالِمٍ.

فَسَهَّلْتُ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ؛ فَأَصْبَحَ مِنَ الَّذِينَ خَسِرُوا دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَتَهُمْ، فَلَمَّا قَتَلَهُ تَحَيَّرَ كَيْفَ يَصْنَعُ بِأَخِيهِ الْمَقْتُولِ؟! حِينَهَا بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَحْفَرُ فِي الْأَرْضِ وَيُثِيرُ التُّرَابَ؛ لِيُشَاهِدَهُ الْقَاتِلُ، فَيَفْطِنَ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يُغْطِي بَدَنَ أَخِيهِ، فَلَامَ الْقَاتِلُ نَفْسَهُ، وَقَالَ: عَجَبًا، كَيْفَ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى فِعْلِ مَا فَعَلَهُ هَذَا الْغُرَابُ فَأُغْطِيَ بَدَنَ أَخِي؟! فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْجَرِيمَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا وَلَدُ آدَمَ بَقَتْلِهِ أَخَاهُ ظَلْمًا؛ حَكَّمَ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا وَاحِدَةً دُونَ أَنْ تَكُونَ مُسْتَحِقَّةً لِلْقَتْلِ - بِسَبَبِ قِصَاصٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ - فَهُوَ يَفْعَلُهُ ذَلِكَ مِثْلَ مَنْ اسْتَحْلَلَ دِمَاءَ جَمِيعِ النَّاسِ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَهُوَ مِثْلُ مَنْ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا، وَلَقَدْ جَاءَتْ رِسَالُ اللَّهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَيِّنَاتِ، ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَعْمَلُونَ الْمَعَاصِي، وَيُرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، مُنْتَهِكِينَ حُدُودَهُ.

## تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

### مُنَاسِبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

الْمُنَاسِبَةُ بَيْنَ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا مُنَاسِبَةٌ تَمَاطُلٌ وَمُنَاسِبَةٌ تَضَادٌّ؛ فَأَمَّا التَّمَاطُلُ، فَإِنَّ فِي كِلَيْتِهِمَا عَدَمَ الرِّضَا بِمَا حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَصَوْا أَمْرَ رَسُولِهِمْ إِيَّاهُمْ بِالذُّخُولِ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ عَصَى حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ قَبُولِ قُرْبَانِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَفِي كِلَيْتِهِمَا جُرْأَةٌ عَلَى اللَّهِ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ؛ فَبَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا: فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ، وَابْنُ آدَمَ قَالَ: لِأَقْتُلَنَّ الَّذِي تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ. وَأَمَّا التَّضَادُّ، فَإِنَّ فِي إِحْدَيْهِمَا إِقْدَامًا مَذْمُومًا مِنْ ابْنِ آدَمَ، وَإِحْجَامًا مَذْمُومًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنَّ فِي إِحْدَيْهِمَا اتِّفَاقَ أَخْوَيْنِ هُمَا مُوسَى وَأَخُوهُ عَلَى

امْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي الْأُخْرَى اخْتِلَافِ أَخْوَابِ بِالصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ  
مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾  
﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ﴾.

أي: وأفضص - يا محمد - خبر ابني آدم لصلبه<sup>(٢)</sup> على هؤلاء اليهود وغيرهم،  
بالصدق الثابت الذي لا لبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا  
نقصان<sup>(٣)</sup>.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦٨/٦).

قال أبو حيان: (فتقدم قوله أوائل الآيات: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، وبعده  
﴿فَدَجَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وقوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ  
وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ثم قصة محاربة الجبارين، وتبين أن عدم اتباع بني إسرائيل محمدا صلى الله عليه  
وسلم إنما سببه الحسد، هذا مع علمهم بصدقه، وقصة ابني آدم انطوت على مجموع هذه  
الآيات من بسط اليد، ومن الإخبار بالمغيب، ومن عدم الانتفاع بالقرب، ودعواه مع المعصية،  
ومن القتل، ومن الحسد). ((تفسير أبي حيان)) (٢٢٧/٤).

(٢) وقد نقل ابن جرير الإجماع على ذلك، فقال: (إجماع أهل الأخبار والسيرة والعلم بالتأويل على  
أنهما كانا ابني آدم لصلبه، وفي عهد آدم وزمانه) ((تفسير ابن جرير)) (٣٢٥/٨)  
ونسبه ابن كثير وغيره إلى جمهور العلماء. يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٨١/٣)، ((أضواء البيان))  
للشقيطي (٣٧١/١).

وقال ابن كثير: (... فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة، وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم  
لصلبه، كما هو ظاهر القرآن، وكما نطق به الحديث في قوله: «إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ  
مِنْ دِمَاهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»، وهذا ظاهر جلي) ((تفسير ابن كثير)) (٩٠/٣).  
والمشهور أن اسمهما: هايل وقايل. يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٨١/٣)، ((أضواء البيان))  
للشقيطي (٣٧١/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣١٧/٨-٣٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٨١-٨٢)، ((تفسير  
السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٨٥-٢٨٦).

أي: حين أخرج كل واحد من الأخوين شيئاً؛ يُتَقَرَّبُ به مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فُقِبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ لَا قُتِلْنَا﴾

أي: فلما قُبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا قُرْبَانُهُ، وَلَمْ يُقْبَلِ مِنَ الْآخَرِ، وَعَلِمَ الَّذِي لَمْ يُقْبَلِ مِنْهُ بِذَلِكَ، حَسَدَ أَخَاهُ، فَتَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

أي: رَدَّ عَلَيْهِ أَخُوهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ اللَّهُ الْعَمَلُ مِمَّنْ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِ؛ فَعَمِلَهُ خَالِصًا لِلَّهِ، مُوَافِقًا لِأَمْرِ اللَّهِ؛ فَمَنْ اتَّقَاهُ فِي عَمَلٍ تَقَبَّلَهُ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>، فَأَيُّ ذَنْبٍ لِي يُوجِبُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٢٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٨٥/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٨٦/١ - ٢٨٧).

قال ابن كثير: (ثم المشهور عند الجمهور أن الذي قَرَّبَ الشاةَ هو هابِلُ، وأنَّ الذي قَرَّبَ الطَّعَامَ هو قابيل، وأَنَّ قُبِلَ من هابِلَ شاتِه، حتى قال ابنُ عَبَّاسٍ وغيره: إِنَّهُ الْكَبِشُ الَّذِي قُبِيَ بِهِ الدَّبِيحُ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَمْ يُتَقَبَّلِ مِنْ قَابِلِ، كَذَلِكَ نَصَّ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ) ((تفسير ابن كثير)) (٨٥/٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٨٥/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

(٣) وهذا اختيارُ ابنِ كَيْمِيَّةٍ فِي ((مجموع الفتاوى)) (٣٢٢/١٠)، وَالسَّعْدِيُّ فِي ((تفسيره)) (ص: ٢٢٩).

واختارَ تفسِيرَ التَّقْوَى هَاهُنَا بِأَنَّهَا امْتِنَالُ الْأَمْرِ واجْتِنَابُ النَّوَاحِي: ابنُ جَرِيرٍ فِي ((تفسيره)) (٣٢٧/٨)، وابنِ عَثِيمِينَ فِي ((تفسير سورة المائدة)) (٢٨٧/١).

وقال ابنُ عَاشُورٍ: (وقد أفاد قولُ ابنِ آدَمَ حَصْرَ الْقَبُولِ فِي أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ؛ فَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنَ ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ مَعْنَاهُ الْمَعْرُوفُ شَرْعًا الْمُحْكَمِيُّ بِلَفْظِهِ الدَّالُّ عَلَيْهِ مُرَادُ ابْنِ آدَمَ، كَانَ مَفَادُ الْحَصْرِ أَنَّ عَمَلَ غَيْرِ الْمُتَّقِي لَا يُقْبَلُ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذَا كَانَ شَرِيْعَتَهُمْ، ثُمَّ نُسِخَ فِي الْإِسْلَامِ بِقَبُولِ الْحَسَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَقِيًا فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْمُتَّقِينَ الْمُخْلِصُونَ فِي الْعَمَلِ؛ فَيَكُونُ عَدَمُ الْقَبُولِ أَمَارَةً عَلَى عَدَمِ الْإِحْلَاصِ، وَفِيهِ إِخْرَاجُ لَفْظِ التَّقْوَى عَنِ الْمُتَعَارَفِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِالتَّقْبُلِ تَقْبُلًا خَاصًّا، وَهُوَ التَّقْبُلُ التَّامُ الدَّالُّ عَلَيْهِ احْتِرَاقُ الْقُرْبَانِ، فَيَكُونُ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، أَي: هُدًى كَامِلًا لَهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، أَي: الْآخِرَةُ الْكَامِلَةُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ =

لك فتلي، إلا أني اتقيتُ الله الذي تقواه واجبةٌ عليّ وعليكِ!؟ فكن أنت من المتقين حتى يُتقبلَ منك أيضًا<sup>(١)</sup>.

﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨)﴾

﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾

أي: لو مددت إليّ يدك من أجل أن تقتلني، فلن أقبلك على صنيعك الفاسد بمثله<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾

أي: لا أريد أن أقدم على قتلك؛ لأنني أخافُ غضبَ وعقابَ الله، الذي نتوجه إليه وحده بالعبادة، والخالق المالك لجميع الخلائق ومُدبرها سبحانه<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾

= تقبلُ الفرائين خاصةً، ويحتمل أن يُراد ﴿المُتَّقِينَ﴾ بالقرّبان، أي: المريرين به تقوى الله، وأن أخاه أراد بقرّبانه [المباهاة]، ومعنى هذا الحصر أن الله لا يتقبل من غير المتقين، وكان ذلك شرعاً زمانهم) (تفسير ابن عاشور) (١٧٠/٦).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٣٢٧/٨)، (تفسير ابن كثير) (٨٥/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٢٩)، (تفسير ابن عاشور) (١٧٠/٦)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١/٢٨٧).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٣٣٠-٣٢٨/٨)، (تفسير ابن كثير) (٨٥/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٢٩)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١/٢٨٨).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٣٣٠/٨)، (تفسير ابن كثير) (٨٥/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٢٩)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١/٢٨٨).

أي: إنِّي أريدُ أن ترجعَ مُتَحَمِّلاً إثمَ قتلِي، مع إثمك الذي اكتسبته من معاصي سابقة<sup>(١)</sup>.

﴿فَتَكُونَنَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

أي: فتكونَ بذلكِ من سُكَّانِ الجحيمِ الملازمينَ لها، وهذا عقابُ كلِّ ظالمٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ (٣٠)﴾

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾

أي: فسوّلتْ له نفسه وسهّلتْ عليه قتلَ أخيه، الذي يقتضي الشرعُ والطبعُ احترامه والرفقةَ به، فاستجابَ لنفسه الأمارَةَ بالسوءِ، فقتلَ أخاه<sup>(٣)</sup>.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾

فصارَ بقتلِ أخيه من الذين خابوا وخسروا دنياهم وآخرتهم<sup>(٤)</sup>.

عن عبد الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((لا تُقتلُ نفسٌ ظلماً، إلاَّ كانَ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ من دَمِها<sup>(٥)</sup>؛ لأنَّه أوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ))<sup>(٦)</sup>.

(١) وقد نقلَ ابنُ جريرٍ الإجماعَ على هذا المعنى. ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٣٢). ويُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣١٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٣٦ - ٣٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٨٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٧٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٨٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٨٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٨٩).

(٥) كِفْلٌ من دَمِها: أي: ضِعْفٌ من إثمها، أو: جزءٌ ونصيبٌ من إثمها. ينظر: ((مشارق الأنوار)) للقاضي عياض (١/٣٤٦)، ((شرح النووي على مسلم)) (١١/١٦٦)، ((مختار الصحاح))

للرازي (ص: ٢٧١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/٥٨٨).

(٦) رواه البخاري (٣٣٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٧).

وَلَمَّا قَتَلَ أَخَاهُ حَارَ كَيْفَ يَصْنَعُ بِأَخِيهِ الْمَقْتُولِ<sup>(١)</sup>، قال تعالى:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾.

أي: فأرسل الله تعالى له غرابًا يحفر في الأرض، ويثير التراب - قيل: ليدفن غرابًا ميتًا<sup>(٢)</sup>؛ ليشاهده القاتل، فيتفطن من خلال ذلك إلى الطريقة التي يستتر بها بدن أخيه<sup>(٣)</sup>.

﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾.

أي: فقال القاتل حينئذٍ لائمًا وموئخًا لنفسه: كيف لم أقدر على مثل ما فعله الغراب فاستتر بذلك بدن أخيه<sup>(٤)</sup>!

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

قال الشوكاني: (قيل: إنه لما قتل أخاه لم يدرك كيف يواريه؛ لكونه أول ميت مات من بني آدم) ((فتح القدير)) (٣٧/٢).

(٢) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٣٤٠/٨)، والواحد في ((الوجيز)) (ص: ٣١٦)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٩).

وقال ابن عثيمين: (قوله: ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ذكر المفسرون أن غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فبحث القاتل في الأرض ثم دفن الغراب، ولكن ظاهر الآية خلاف ذلك؛ لأن الله يقول: ﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾، ولم يقل: غرابين) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٨٩/١ - ٢٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٤٠، ٣٤٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩٠/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٤٥-٣٤٦/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩٠/١).

أي: فصَارَ نادماً على قَتْلِهِ لِأَخِيهِ<sup>(١)</sup>.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢).

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

أي: بسبب جريرة قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً، حكمتنا على بني إسرائيل بأنه من تجرأ منهم فقتل نفساً واحدة بغير سبب من فصاص، أو فساد في الأرض - فإن النفس إذا قتلت نفساً بغير حق استحقت القتل بها فصاصاً، وكذا إذا كان منها فساد في الأرض كقطع الطريق وإخافة السبيل - فهو مثل من استحل دماء جميع الناس<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

أي: من حرم قتل من حرم الله تعالى قتله، ولم يقدم على قتله، فقد حيا الناس كلهم بسلامتهم منه<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٤٦/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

وقال ابن عثيمين: (هذا القاتل أصبح من النادمين على قتل أخيه، وعلى عجزه عن مواراة سواة أخيه، فجمع الندم للأمرين جميعاً) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٠٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٤٧-٣٥٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٩٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٠٤-٣٠٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٥٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٩٢)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٢٩).

قال ابن عثيمين: (قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، أي: أنقذها من الموت أو القتل، وليس المعنى: أنه نفخ فيها الروح؛ لأن ذلك لا يكون إلا لله عز وجل، وهذا يشمل أشياء: أولاً: لو هم الإنسان بقتل شخص فطوعت له نفسه قتل أخيه، ثم استيقظ ورأى أن ذلك =



﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾

أي: فذاتى رُسُلُنَا بني إسرائيل ومعهم البراهينُ الظاهرة، والدلائل الواضحة، التي لا يبقى معها حُجَّةٌ لأحد<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾

أي: ثم إنَّ كثيرًا من بني إسرائيل بعدَ مجيء رُسُلِنَا إليهم بالبيِّناتِ القاطعةِ للحُجَّةِ، الموجبةِ للاستقامة؛ عاملونَ في الأرضِ بالمعاصي؛ مخالفةً للهُدَى واتباعًا للهوى، فازتكبوا محارمَ الله تعالى، وانتهكوا حدودَه سبحانه بعدَ علمهم بها<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد التَّربويَّة:

١- يُستفادُ من قوله: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ أنه قد يشتركُ الرَّجُلَانِ في عمل، ويكونُ بينهما من الفرقِ كما بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ؛ إمَّا في ردِّ عَمَلِ الثاني، وإمَّا في زيادةِ ثوابِ الأوَّل، وإن لم يُحرَمِ الثاني من الثَّوابِ، وفي هذه الفِصَّةِ أنَّ الثاني حُرِمَ مِنَ الثَّوابِ<sup>(٣)</sup>.

= حرام، ثم كفَّ عن هذا القتل، يكون قد أحيأ هذه النفس، فبعد أن طوَّعت له نفسه قتلَه تراجع. ثانيًا: الدَّفْعُ: دَفْعُ الصَّائِلِ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ شَخْصًا، فِدْفَعَهُ، ويكون بهذا أحيأ نفسًا، أي: أنقذها من القتل.

ثالثًا: ... أن يَبْعَ شَخْصٌ فِي هَلَكَةِ كَحْرِيقِ أَوْ غَرَقِ أَوْ هَدْمِ، فَيَأْتِي شَخْصٌ آخَرَ فَيَنْقُذُهُ ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٧/١).

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣٥٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٤/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٨/١ - ٣٠٩).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣٥٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٤/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٩/١).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٢٨٣/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩١/١).

٢- أنه لا حرج على الإنسان أن يُخبر بوصف محمود إذا لم يقصد الفخر، وإنما قصد مصلحة الغير؛ لقول هذا الذي تقبل منه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ لأن هذه الجملة تصلح لأن يكون القائل يريد أن يحث هذا على التقوى<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ هذا القول - بهذا التأكيد المنبئ عن الإصرار - ينبعث من غير موجب، اللهم إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر؛ شعور الحسد الأعمى الذي لا يعمر نفساً طيبةً، وهذا الخلق مذموم في كل شريعة، وكان ممّا حمل الأَخ على قتل أخيه حسده على مزية القبول<sup>(٢)</sup>.

٤- في قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ نموذج لطبيعة الخير والسماحة، ونموذج كذلك من الطيبة والوداعة<sup>(٣)</sup>.

٥- أن الإنسان ينبغي له إذا امتنع من شيء محرّم، أن يُبين لصاحبه أنه إنما امتنع لا عجزاً ولا خوفاً، ولكن للمعنى الذي من أجله امتنع، وذلك لقوله: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٦- أن الخوف من الله هو أقوى الأسباب الرادعة عن معصيته؛ لقوله: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٧- يُستفاد من قوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ الحذر من النفس الأمارة بالسوء؛ لأنها قد تطوَّع للإنسان أكبر المعاصي، فيجب على الإنسان أن يكون حازماً بالنسبة لنفسه ويقظاً، فلا يتبعها فيما تطوَّع له من معاصي الله<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٢٨٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٩٣).

(٢) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٧٦) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٧٠).

(٣) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٧٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٢٩٥).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٢٩٨).

٨- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ حَسَدًا أَخَاهُ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحْوَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْفِيقِ، فَإِنَّ الْخَسَارَةَ سَتَعُودُ عَلَى هَذَا الْحَاسِدِ<sup>(١)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- أهمية هذه القصة؛ وجه ذلك: أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرًا خَاصًّا أَنْ يَتْلُوَهَا؛ فَقَالَ: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَعْرِفَ أَخْبَارَ مَنْ سَبَقَ، لَا سِيَّمَا فِيمَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ؛ لِنَأْخُذَ مِنْهَا الْعِبْرَ<sup>(٣)</sup>.

٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَهُ الْحُكْمُ فِي الْقَبُولِ وَالرَّدِّ؛ يَتَقَبَّلُ أَوْ لَا يَتَقَبَّلُ، وَلَكِنْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْقَبُولِ مِيزَانًا، وَجَعَلَ لِلرَّدِّ مِيزَانًا<sup>(٤)</sup>.

٤- أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُوصُوفٌ بِصِفَاتِ الْأَفْعَالِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾، وَلِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٥- جَاءَ الْفِعْلُ ﴿فَتَقَبَّلَ﴾ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَهَذِهِ الصِّيَاغَةُ تُفِيدُ أَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ: عَدَمُ الْبَحْثِ عَنِ كَيْفِيَّةِ هَذَا التَّقَبُّلِ، وَعَدَمُ الْخَوْضِ فِيهِ، وَالثَّانِي: الْإِيحَاءُ بِأَنَّ الَّذِي قَبِلَ قُرْبَانَهُ لَا جَرِيرَةَ لَهُ تُوجِبُ الْحَفِظَةَ عَلَيْهِ، وَتَبَيَّنَتْ قَتْلُهُ، فَالْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَدٌ فِيهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٩٩).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٨٥ - ٢٩١).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩١).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩٢).

(٥) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩٣).

(٦) يُنْظَرُ: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/ ٨٧٥).

٦- قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ على قول الخوارج والمعتزلة لا تقبل حسنة إلا ممن أتقاه مطلقاً، فلم يأت كبيرة، وعند المرجئة إنما يتقبل ممن أتقى الشرك؛ فجعلوا أهل الكبائر داخلين في اسم المتقين، وعند أهل السنة والجماعة يتقبل العمل ممن أتقى الله فيه فعمله خالصاً لله، موافقاً لأمر الله؛ فمن أتقاه في عمل تقبله منه، وإن كان عاصياً في غيره، ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه، وإن كان مطيعاً في غيره<sup>(١)</sup>.

٧- يُستفاد من قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ إثبات الإرادة للعبد، وأن هذا معلوم منذ خلق البشر، فيكون في ذلك رد على الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس له إرادة، وإنما يفعل الشيء قهراً وجبراً<sup>(٢)</sup>.

٨- أن من أريد قتله ولم يدافع عن نفسه خوفاً من الإثم<sup>(٣)</sup>، فإنه لا حرج عليه؛ لقوله: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾<sup>(٤)</sup>.

٩- قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ يدل على أن الله عز ذكره قد كان أمر ونهى آدم بعد أن أهبطه إلى الأرض، ووعد وأوعد، ولولا ذلك ما قال المقتول للقاتل: فتكون من

(١) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٣٢٢/١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩٦/١).

(٣) قال ابن عثيمين: (لأنه ربما يقتل الصائل فيتعجل؛ لأن الواجب في دفع الصائل أن يدافع بالأسهل فالأسهل، فإن رجع عن صوله بالتهديد لم يضرب، وإن رجع بالضرب اليسير لم يضرب كثيراً، وإن رجع بالضرب الكثير لم يقتل، وإن لم يندفع إلا بالقتل فالحكم أنه يقتل، إلا أن العلماء - رحمهم الله - استثنوا من ذلك مسألة، وقالوا: ما لم يخف أن يادره بالقتل، فإن خاف أن يادره بالقتل، فلا بأس أن يقتله لأول وهلة، كما لو كان هذا الصائل معه سلاح أشهره على صاحبه، وصاحبه يخاف أن يطلقه عليه فيقتله، فحينئذ لا حرج أن يادره بالقتل؛ لأن هذا الصائل ربما لا يعطيك فرصة أن تدفعه بيدك مثلاً، أو تصيح به، أو ما أشبه ذلك، وحينئذ لا بأس أن تادره بالقتل) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩٦/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩٦/١).

أصحاب النار بِقَتْلِكَ إِيَّاي، ولا أَخْبِرْهُ أَنَّ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ<sup>(١)</sup>.

١٠- في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ إن قيل: كيف يُعَقَّلُ أن يَبُوءَ القَاتِلُ بِإِثْمِ المَقْتُولِ مع أَنَّهُ تعالى قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨]، فالجواب: أَنَّ المَرادَ تَحْمِلُ إِثْمَ قَتْلِي وَإِثْمِكَ الَّذِي كَانَ مِنْكَ قَبْلَ قَتْلِي، وَهَذَا بِحَذْفِ المِضَافِ، أَوْ أَنَّ يَكُونُ المَرادُ تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ بِإِثْمِ قَتْلِي وَإِثْمِكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُكَ<sup>(٢)</sup>.

١١- إذا قيل: كيف جازَ أن يقول: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ مع أَنَّهُ لا يَجوزُ للمُسلِمِ أن يُريدَ من غَيرِهِ أن يَعصِيَ اللَّهَ؟ فالجواب من عِدَّةِ وجوه: الأَوَّلُ: أَنَّ المَعنى إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ قَتْلِي إِنْ قَتَلْتَنِي؛ لِأَنِّي لا أَقْتُلُكَ، فَإِنْ أَنْتَ قَتَلْتَنِي فَإِنِّي مُريدٌ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِ مَعْصِيَتِكَ اللَّهَ فِي قَتْلِكَ إِيَّاي، وَهُوَ إِذَا قَتَلَهُ فَهُوَ لا مُحالَةَ بَاءً بِهِ فِي حُكْمِ اللَّهِ، فَإِرادَتُهُ ذَلِكَ غَيرُ مَوجِبَةٍ لَهُ الدُّخُولِ فِي الخِطَأِ. الثاني: أَنَّ المَرادَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِعَقوبَةِ قَتْلِي، وَلا شَكَّ أَنَّهُ يَجوزُ للمَظْلومِ أن يُريدَ مِنَ اللَّهِ عِقابَ ظالِمِهِ.

الثَّالثُ: أَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ الظَّالِمَ إِذَا لَمْ يَجِدْ يَوْمَ القِيامَةِ ما يُرِضِي خِصَمَّهُ أَخذَ مِنَ سَيِّئاتِ المَظْلومِ وَحَمَلَ عَلَى الظَّالِمِ؛ فَعلى هَذَا يَجوزُ أن يُقالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي فِي أَنَّهُ يُحْمَلُ عَلَيْكَ يَوْمَ القِيامَةِ إِذَا لَمْ تَجِدْ ما يُرِضِينِي، وَبِإِثْمِكَ فِي قَتْلِكَ إِيَّاي<sup>(٣)</sup>.

١٢- قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا...﴾ الآية، أَصْلُ فِي دَفْنِ المَيِّتِ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٣٣/٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٤٠/١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٣٣/٨)، ((تفسير الرازي)) (٣٤٠/١١).

(٤) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٠).

١٣- أن أفعال الحيوان كأفعال الإنسان؛ مخلوقة لله ويأمره؛ لقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

١٤- أن الحيوانات قد تكون مُرشدة للبشر كما في هذه القصة؛ الغراب أرشد ابن آدم إلى أن يحفر لأخيه ويدفنه، وصارت سنة البشر إلى يومنا هذا، إلا من ضلَّ عن الصراط المستقيم؛ لقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾<sup>(٢)</sup>.

١٥- يُستفاد من قوله: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ أن الله سبحانه تعالى يُسِّرُ للإنسان إذا ضاقت به الأرض ما لم يطرأ له على بال؛ فإن هذا الرجل ضاقت عليه الأرض؛ ماذا يصنع بأخيه الذي قتله؟ إلى أن بعث الله هذا الغراب<sup>(٣)</sup>.

١٦- يُستفاد من قوله: ﴿كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ أن الواجب في الدفن ما تُؤَارَى به السؤة، أي: ما يُغَطَّى به الجسم، لكن العلماء رحمهم الله زادوا على ذلك شرطاً لا بد منه، وهو أن يكون الدفن مانعاً من وصول السباع إليه، ومن خروج رائحته<sup>(٤)</sup>.

١٧- يُستفاد من قوله: ﴿كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ أن بدن الميت كله عورة؛ لأن القبر يُؤَارِي البدن كله؛ ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إن بدن الميت كله عورة، لكن هذا بالنسبة إلى وجوب تعميم الكفن لا بالنسبة للنظر<sup>(٥)</sup>.

١٨- في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ مشهد عظيم؛ وهو مشهد أول حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة، وهو أيضاً

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٩٩/١).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٢٣/٦)، ((تفسير ابن عادل)) (٢٩٦/٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٢٨٦/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٠/١).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٢٢/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠١/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٢/١).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

مشهدٌ أوَّلِ عِلْمٍ اِكْتَسَبَهُ البَشَرُ بالتَّقليدِ وبالتَّجربةِ، وهو أيضًا مَشْهَدٌ أوَّلِ مَظَاهِرِ تَلَقَّى البَشَرِ مَعَارِفَهُ من عوالمٍ أضعفَ منه، كما تشبَّه الناسُ بالحيوانِ في الزَّيتِ، فلبَسوا الجلودَ الحسنةَ الملوَّنةَ، وتكلَّلوا بالرَّيشِ الملوَّنِ، وبالزُّهورِ والحجارةِ الكريمةِ<sup>(١)</sup>.

١٩ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا وَيْلَتَى﴾ أَنَّ فاعَلَ المعصيةِ إذا لم يَتُبْ فَإِنَّهُ يُجَارَى بالخسرانِ والندَمِ، وَضِيْقِ النَّفْسِ<sup>(٢)</sup>.

٢٠ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَبَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّ نَدَمَهُ لم يَكُنْ نَدَمَ التَّوْبَةِ، وَإِلَّا لَقَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّدَمُ النَّاشِئُ من عَدَمِ جِدْوَى فِعْلَتِهِ، وَمَا أَعْقَبَتْهُ لَهُ مِنْ تَعَبٍ وَعِنَاءٍ وَقَلْبٍ، وَمَصْدَاقُ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: ((مَا مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِا؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ))<sup>(٣)</sup>، وَقِيلَ: حَتَّى وَإِنْ كَانَ نَدَمَ تَوْبَةٍ فَلَمْ يَكُنْ مَوْفِيًا شَرْوَطَهُ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ، أَوْ نَدَمٌ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ نَدَمُهُ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

٢١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ القَتْلَ يَجُوزُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَقْتُلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَقٍّ مَتَعَمَّدًا فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَحِلُّ قَتْلُهُ، إِنْ كَانَ مُكَلَّفًا مُكَافِئًا، لَيْسَ بِوَالِدٍ لِلْمَقْتُولِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُفْسِدًا فِي الأَرْضِ، بِإِفْسَادِهِ لِأَدْيَانِ النَّاسِ أَوْ أَبْدَانِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ، كَالكُفَّارِ المَرْتَدِّينَ وَالمَحَارِبِينَ، وَالدُّعَاةِ إِلَى البِدْعِ الَّذِينَ لَا يَنْكَفُ شَرُّهُمْ إِلَّا بِالقَتْلِ، وَكَذَلِكَ قُطِّعَ الطَّرِيقُ وَنَحُوهُمْ، مِمَّنْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ لِقَتْلِهِمْ، أَوْ أَخَذَ أَمْوَالَهُمْ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٧٤).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٠٣).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٧٤) ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٧٧).

والحديث تقدم تخريجه.

(٤) يُنظَرُ ((تفسير القرطبي)) (٦/١٤٢)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٣٩).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

٢٢- إثبات العلة للأحكام الشرعية؛ لقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ وهذه من أقوى صيغ التعليل، وإثبات العلة والحكمة لا شك أنها من كمال الله عز وجل، فالله تعالى لا يشرع شيئاً إلا لحكمة، ولا يقدر شيئاً إلا لحكمة<sup>(١)</sup>.

٢٣- يُستفاد من قوله: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أن الله عز وجل ضاعف العقوبة على كل من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض؛ حيث جعله كالذي قتل الناس جميعاً<sup>(٢)</sup>.

٢٤- يُستفاد من قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ...﴾ جواز تخصيص معين في الحكم وإن كان عاماً؛ لكونه أكثر الناس عملاً به؛ وجهه أن الله خص هذه الكتابة على بني إسرائيل مع أنها عامة؛ لأنهم هم أكثر من انتهكوا حرمة الله عز وجل بقتل النفوس<sup>(٣)</sup>.

٢٥- وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قرن الله قتل النفس بالفساد في الأرض، وجعل كلا منهما مبرراً للقتل، واستثناء من صيانة حق الحياة، وتفضيح جريمة إزهاق الروح؛ ذلك أن أمن الجماعة المسلمة في دار الإسلام، وصيانة النظام العام الذي تستمتع في ظله بالأمان، وتزاوُل نشاطها الخير في طمأنينة، ذلك كله ضروري كأمين الأفراد، بل أشد ضرورة؛ لأن أمن الأفراد لا يتحقق إلا به، فضلاً على صيانة هذا النموذج الفاضل من المجتمعات، وإحاطته بكل ضمانات الاستقرار كيما يزاول الأفراد فيه نشاطهم الخير، وكما تترقى الحياة الإنسانية في ظله وتثمر، وكما تفتح في جوه براعم الخير والفضيلة والإنتاج والنماء<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٩ / ١).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٣١٢ / ١).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٨٧٨ / ٢).



٢٦- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أَنَّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ مَبِيحٌ لِقَتْلِ النَّفْسِ، وَلَكِنَّهُ مَقِيدٌ بِالْأَدَلَّةِ الْأُخْرَى الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ فَسَادٍ يُبِيحُ قَتْلَ النَّفْسِ، بَلْ مِنْهُ مَا يُبِيحُ الْقَتْلَ، وَمِنْهُ مَا يُبِيحُ دَوْنَهُ، فَتُحْمَلُ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّخْصِيصِ<sup>(١)</sup>.

٢٧- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أَنَّ إِنْقَاذَ الْمَعْصُومِ كإِنْقَاذِ جَمِيعِ الْمَعْصُومِينَ؛ عَتَبَارًا بِالْجِنْسِ، فَمَنْ أَنْقَذَ مَعْصُومًا مِنْ هَلَكَةٍ، فَكَأَنَّمَا أَنْقَذَ النَّاسَ جَمِيعًا بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ، كَمَا أَنَّ مَنْ كَذَّبَ رَسُولًا، فَكَأَنَّمَا كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ<sup>(٢)</sup>.

٢٨- قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿رُسُلْنَا﴾: الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَضَافَ الرُّسُلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ، وَرَبَّمَا نَقُولُ: وَتَشْرِيفًا لَهُمْ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ يَشْرَفُ بِشَرَفِ مُرْسَلِهِ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَرَّفَهُمْ بِإِضَافَةِ رِسَالَتِهِمْ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا، وَقَدْ تَأْتِي الرِّسَالَةُ مُضَافَةً إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الأعراف: ١٠١]، وَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَهُمَا، فَهَمْ رُسُلُ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ، وَرُسُلٌ إِلَى الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوهُمْ رِسَالَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

٢٩- أَنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الرِّسَالَةُ فَهُوَ مَعْدُورٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، وَهَذَا لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالنُّصُوصُ فِي هَذَا وَاضِحَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣١٥).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/٣٠٨).

الرُّسُلِ ﴿١﴾ [النساء: ١٦٥].

٣٠- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْإِعْذَارِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ؛ حَيْثُ جَعَلَ مَعَ كُلِّ رَسُولٍ آيَةً بَيِّنَةً يُؤْمِنُ عَلَى مِثْلِهَا الْبَشَرُ، حَتَّى لَا يَقُولَ النَّاسُ: مَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا رَسُولٌ؟ أَيْنَ الْبَيِّنَةُ عَلَى أَنْ هَذَا رَسُولٌ؟ فَإِذَا جَاءَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ قَامَتِ الْحُجَّةُ<sup>(٢)</sup>.

٣١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ الْعِلْمُ بِشِرَاسَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهِمْ أَهْلُ الْعَطْرَسَةِ وَالْإِسْتِكْبَارِ وَالتَّكْذِيبِ، وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ الرُّسُلِ الْمُبَيِّنِينَ لَمْ يَهْتَدُوا، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ - بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ، وَبَعْدَ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ - مُسْرِفُونَ مُتَجَاوِزُونَ لِلْحَدِّ<sup>(٣)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قَوْلُهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾:

- فِيهِ إِيجَازٌ بِالْحَذْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: كَأَنَّهُ قَالَ: لِمَ تَقْتُلَنِي؟ قَالَ: لِأَنَّ قُرْبَانَكَ صَارَ مَقْبُولًا، فَقَالَ: وَمَا ذَنْبِي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>!؟

- وَفِيهِ تَعْرِيفٌ؛ إِذِ الْمَعْنَى: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا تَقَبَّلَ قُرْبَانِي، وَرَدَّ قُرْبَانَكَ لِمَا فِيْنَا مِنَ التَّقْوَى وَعَدَمِهِ، أَي: إِنَّمَا أُتَيْتَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ لَا مِنْ قِبَلِي؛ فَلِمَاذَا تَقْتُلَنِي!؟ وَلَمْ يُصْرِّحْ بِذَلِكَ؛ بَلْ سَلَكَ مَسَلَكَ التَّعْرِيفِ حَذَرًا مِنْ تَهْيِيجِ عَضْبِهِ، وَحَمَلًا لَهُ عَلَى التَّقْوَى، وَالْإِقْلَاعِ عَمَّا نَوَاهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٦/١).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٣١٨/١).

(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٣٩/١١)، ((تفسير أبي حيان)) (٢٢٨/٤).

(٥) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٦/٣، ٢٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٧٠/٦).

٢- قوله: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ﴾: جملة اسمية مُصدّرة بـ(ما) الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها ﴿بِاسِطٍ﴾ من الباء؛ للمبالغة في إظهار برأته عن بسط اليد، وللتبرّي عن هذا الفعل الشنيع رأساً، والتحرّز من أن يُوصَفَ به، ويُطلَقَ عليه<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ فيه تشبيه؛ حيثُ شبه قتل أخيه بشيءٍ مُتعاصٍ عنه ولا يُطِيعه؛ بسبب معارضة التعقّل والخشية؛ وشبّهت داعية القتل في نفس القاتل بشخصٍ يُعيّنه، ويُدلّل له القتل المتعاصي<sup>(٢)</sup>.

- وفيه: إطنابٌ حسنٌ، وكان مقتضى الإيجاز أن يحذف ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾، ويقتصر على قوله: ﴿فَقَتَلَهُ﴾، لكن عدل عن ذلك؛ لقصد تفضيح حالة القاتل في تصوير خواطره الشريرة، وقساوة قلبه؛ إذ حدّثه بقتل من كان شأنه الرحمة به والرّفق<sup>(٣)</sup>.

٤- قوله: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾: الاستهزاء فيه للإنكار والنفي<sup>(٤)</sup>.

٥- قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيه: تشبيه تمثيلي، ومناط التشبيه اشتراك فعلي القتل في هنك حرمة الدماء والتجرؤ على الله، وتشجيع الناس على القتل، والمقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس: المبالغة في تعظيم أمر القتل العمد العدوان، وتفخيم شأنه، يعني كما أن قتل كل الخلق أمرٌ مُستعظم عند كل أحد، فكذلك يجب أن يكون قتل الإنسان الواحد مُستعظماً مهيباً،

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٢٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٢٢)، ((تفسير أبي حيان))

(٢/٢٢٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٢٧).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٧٢).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٣٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٧٣).

فالمقصودُ مشاركتُهما في الاستعظام، لا بيانُ مشاركتِهما في مقدارِ الاستعظام<sup>(١)</sup>.

والتشبيهُ بين قاتِلِ النَّفْسِ وقَاتِلِ الكَلِّ قد يَحْصُلُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ لَا مِنْ جَمِيعِهَا. إِحْدَاهَا: القَوْدُ-القِصَاصُ-؛ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ. وَالثَّانِيَةُ: الوَعِيدُ؛ فَقَدْ وَعَدَ اللهُ قَاتِلَ النَّفْسِ بِالخُلُودِ فِي النَّارِ. وَالثَّلَاثَةُ: انتِهَاكُ الحُرْمَةِ؛ فَإِنَّ نَفْسًا وَاحِدَةً فِي ذَلِكَ وَجَمِيعِ الأَنْفُسِ سِوَاهَا، وَالمُنْتَهَكُ فِي وَاحِدَةٍ مَلْحُوظٌ بِعَيْنِ مُنْتَهَكِ الجَمِيعِ<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيه تشبيه؛ حيث شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم؛ لأن كل إنسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله، وثبوت الحرمة، فإذا قُتل فقد أُهين ما كرم على الله، وهتكت حرمة، وعلى العكس؛ فلا فرق إذن بين الواحد والجميع في ذلك، والفائدة في ذكر ذلك هي: تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب؛ ليشمتر الناس عن الجسارة عليها، ويتراعبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعًا عظم ذلك عليه؛ فنبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها<sup>(٣)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: تذييل لحكم شرع القصاص على بني إسرائيل، وهو: خبرٌ مُستعملٌ في الكِنَايَةِ عن إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَأَنَّهُمْ- مع ما شُدِّدَ عَلَيْهِمْ فِي شَأْنِ القِتْلِ- لم يَزَالُوا يَقْتُلُونَ، كَمَا أَشْعَرَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أَي: بَعْدَ أَنْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ، وَحُذِفَ مُتَعَلِّقُ (مُسْرِفُونَ)؛ لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ، وَالمَرَادُ:

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١ / ٣٤٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٣ / ٣٠)، ((إعراب القرآن وبيانه))

لمحي الدين درويش (٢ / ٤٦٣).

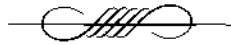
(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤ / ٢٣٨).

(٣) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١ / ٦٢٦).

مُسْرِفُونَ فِي الْمَفَاسِدِ الَّتِي مِنْهَا قُتِلَ الْأَنْفُسُ<sup>(١)</sup>.

- وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: فيه تقديم الجارِّ والمجرورِ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ على الخبرِ ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾؛ للاهتمام، وهو يُفيدُ زيادةَ تفضيحِ الإسرافِ فيها مع أهميَّةِ شأنها<sup>(٢)</sup>.

- وفيه مِنَ الفصاحةِ: تأكيدُ الخبرِ؛ إذ الحاجةُ تدعو إلى تأكيدِ الخبرِ، والمقامُ يدعو إلى تأكيدِ الخبرِ، وإن كان المخبرُ من أهلِ الصدق، حتَّى يطمئنَّ المخاطبُ، وقد أكَّدَ هذا الخبرُ بمؤكِّدين، وهما: ﴿إِنَّ﴾ واللامِ في ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٧٩/٦).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٢٧/٦)، ((تفسير المتار)) لمحمد رشيد رضا (٢٩٠/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٨/١).

## الآيتان (٣٢ - ٣٤)

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿ يُصَلَّبُوا ﴾: يُعَلَّقُوا، وتُشَدُّ أَصْلَابُهُمْ عَلَى خَشَبٍ لِلْقَتْلِ<sup>(١)</sup>.

﴿ مِنْ خَلْفٍ ﴾: أي: يُخَالَفُ بَيْنَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ فِي الْقَطْعِ؛ فَتُقَطَّعُ الْيَدُ الْيُمْنَى مَعَ الرَّجْلِ الْيُسْرَى، وَالْعَكْسُ<sup>(٢)</sup>.

﴿ يُنْفَوْا ﴾: أي: يُطْرَدُوا، وَفِيهِ: يُسَجَّنُوا وَيُحْبَسُوا؛ لِأَنَّ الْمَحْبُوسَ بِمَنْزِلَةِ الْمَطْرُودِ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَصْلُ (نَفَى): الطَّرْدُ، وَتَعْرِيَةُ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، وَإِبْعَادُهُ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿ خِزْيٌ ﴾: هَوَانٌ وَهَلَاكٌ، وَأَصْلُ الْخِزْيِ: الْإِبْعَادُ<sup>(٤)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنْ جَزَاءَ مَنْ يُبَارِزُونَ اللَّهَ بِالْعَدَاوَةِ، وَيَعْتَدُونَ عَلَى أَحْكَامِ دِينِهِ،

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٣٠١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٦)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠).

(٣) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٨/٣٧٥)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٨٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٥٦)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣١٧).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/١٧٩)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٨٥).

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ وَعَمَلِ الْمَعَاصِي؛ مِنْ إِخَافَةِ السُّبُلِ، وَمِنْ قَطْعِ  
لِلطَّرِيقِ، وَاجْتِنَابِ لِلأَمْوَالِ، وَانْتِهَاكِ لِلْحُرْمَاتِ - يُخْبِرُ أَنَّ جَزَاءَهُمُ الْقَتْلُ، أَوْ  
الصَّلْبُ، أَوْ أَنْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمُ الْيُمْنَى مَعَ الْأَرْجُلِ الْيُسْرَى، أَوْ يُطْرَدُوا مِنَ الْبَلَدِ  
الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى غَيْرِهِ، تِلْكَ الْعُقُوبَةُ لَهُمْ ذُلٌّ وَفُضِيحَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ؛ هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ.

وَاسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ مَنْ تَابَ، وَتَرَكَ مَحَارِبَةَ اللَّهِ وَالسَّعْيَ فِي الْأَرْضِ  
بِالْفُسَادِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِمْ أَوْ لَوْ الْأَمْرَ، فَإِنْ أَتَوْا تَائِبِينَ نَادِمِينَ، فَاعْلَمُوا - أَيُّهَا  
الْمُؤْمِنُونَ - أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ؛ فَلَنْ يُؤَاخِذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ،  
بَلْ يَغْفِرُهَا لَهُمْ، وَرَحِيمٌ؛ إِذْ عَفَا عَنْهُمْ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ الْعِقَابَ.

### تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا  
أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ  
خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾.

مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى تَغْلِيظَ الْإِثْمِ فِي قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَتْبَعَهُ  
بَيَانَ الْفُسَادِ الَّذِي يُوجِبُ الْقَتْلَ؛ فَإِنَّ بَعْضَ مَا يَكُونُ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ لَا يُوجِبُ  
الْقَتْلَ، فَقَالَ<sup>(١)</sup>:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أَي: إِنَّ جَزَاءَ مَنْ يُبَارِزُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْكَفْرِ  
وَالْعِدَاوَةِ، وَيُضَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْإِعْتِدَاءِ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ، فَيَفْعَلُونَ الْمَنْهِيَّاتِ،

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٣٤٥/١١) ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٣٩)، ((تفسير ابن عادل))  
(٣٠٣/٧).

وَيَتْرُكُونَ الْمَأْمُورَاتِ عَلَىٰ وَجْهِ الْاِسْتِكْبَارِ وَالْعِنَادِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

أي: ويسارعون في عمل المعاصي في أرض الله؛ من إخافة سبل المؤمنين، أو سبل أهل ذمتهم، وقطع طرقهم، واغتصاب أموالهم، وانتهاك حرمهم<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنْ يُقْتَلُوا﴾.

أي: جزاء أولئك الذين يفعلون ذلك؛ القتل<sup>(٣)</sup>.

﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾.

أي: أو<sup>(٤)</sup> يوضع الجناة مشدودين على خشبية ونحوها؛ قيل: لقتلهم، وقيل:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٧٢ / ٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٤ / ٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩-٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٩ / ١).

قال ابن الجوزي: (وقال سعيد بن جبيرة: أراد بالمحاربة لله ورسوله، الكفر بعد الإسلام، وقال مقاتل: أراد بها الشرك) ((زاد المسير)) (٥٤٢ / ١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٧٢ / ٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٤ / ٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٩ / ١).

قال ابن جرير: (عن مجاهد: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ قال: الفساد: القتل، والزنا، والسرقه) ((تفسير ابن جرير)) (٣٧٢ / ٨).

قال ابن الجوزي: (قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عباس، ومقاتل) ((زاد المسير)) (٥٦٧ / ١).

قال السعدي: (والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتقطع بذلك) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٨١ / ٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٢٠ / ١).

(٤) اختلف أهل العلم في معنى ﴿أو﴾ التي تكررت في هذه الآية الكريمة، فقيل: هي للتخيير، فيفعل الإمام أو نائبه ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة.

وممن قال من السلف: إن ﴿أو﴾ هنا للتخيير: ابن عباس - في رواية عنه - ومجاهد، =



بَلْ يُصَلَّبُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ تُقَطَّعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾

أي: أَوْ تُقَطَّعُ أَيْدِيهِمُ الْيُمْنَى وَأَرْجُلُهُمُ الْيُسْرَى؛ وَيَكُونُ الْقَطْعُ فِي الْيَدِ مِنْ مَفْصِلِ الْكَفِّ مِنَ الذَّرَاعِ، وَيَكُونُ الْقَطْعُ فِي الرَّجْلِ مِنَ مَفْصِلِ الْقَدَمِ مِنَ الْعَقَبِ<sup>(٢)</sup>.

= وإبراهيم، وعطاء، ورواية عن الحسن، وسعيد بن المسيّب. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٧٨/٨). وقيل: للتنوع، وأن هذه العقوبات تختلف بحسب الجرائم. وممن قال من السلف: إنَّ ﴿أَوْ﴾ هنا للتنوع: ابن عباس - في رواية عنه - وإبراهيم، وأبو مجلز، والحسن، وقتادة، والشّدّي، وعطاء الخراساني، وسعيد بن جبّير، والربيع، ومورّق العجلي. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٧٣/٨).

قال ابن جرير: (وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا: تأويل من أوجب على المحارب من العقوبة على قلبه استحقاؤه، وجعل الحكم على المحاربين مختلفاً باختلاف أفعالهم) ((تفسير ابن جرير)) (٣٨١/٨).

ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٣٩٤-٣٩٥)، ((العذب النمبر)) للشنقيطي (٢/٤٨٩-٤٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٢٣-٣٢٤). (١) قال ابن عطية: (أما صلبه فجمهور من العلماء على أنه يقتل ثم يصلب نكالا لغيره، وهذا قول الشافعي، وجمهور من العلماء على أنه يصلب حيا، ويقتل بالطعن على الحشبة، وزوي هذا عن مالك وهو الأظهر من الآية، وهو الأتكي في النكال) ((تفسير ابن عطية)) (٢/١٨٥)، وينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٨٣).

وقال الشنقيطي: (الظاهر أنه يصلب بعد القتل زمنا يحصل فيه اشتهاؤ ذلك؛ لأن صلبه ردع لغيره) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٣٩٦).

وقال ابن عثيمين: (قوله: ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ يعني: يصلبون، وهل المراد الصلب بعد القتل؛ فيكون الجمع بين الأمرين؟ أو هو صلب فقط دون قتل؟ ظاهر الآيات الكريمة الثاني أن يصلب حتى يفتضح بجنايته، ثم بعد ذلك ينظر ولي الأمر فيه بما يراه مناسبا، لكن المعروف أن الصلب يكون بعد القتل، وقيل: يصلبون قبل القتل، فالأقوال ثلاثة: الرأي الأول: يصلبون بعد القتل، والرأي الثاني: يصلبون قبل القتل، والرأي الثالث: أن الصلب عقوبة منفردة، يعني: ليست مركبة مع القتل، وهذا القول هو ظاهر الآية) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٢٠-٣٢١).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٣٨٣-٣٨٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٢١).

﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾

أي: أو يُطْرَدُوا مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي هُمْ فِيهِ إِلَى بَلَدٍ غَيْرِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾

أي: هذا الجزاء الذي جُوزَوا به؛ ذُلٌّ وَعَارٌ وَفَضِيحَةٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

أي: ولهم مع ذلك عذابٌ أُخْرَوِيٌّ، وهو عذابٌ جهنَّم<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ (٣٤)﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾

(١) فُطِرْدَ مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي حَازَبَ فِيهِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَسَعَى فِيهِ بِالْفَسَادِ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ عَطِيَّةٍ فِي ((تفسيره)) (١٨٥/٢)، وَالْفَرَطِيُّ فِي ((تفسيره)) (١٥٣/٦)، وَابْنُ عَثِيمِينَ فِي ((تفسير سورة المائدة)) (٣٢٤، ٣٢١/١).

وَقِيلَ: بَلِ الْمَرَادُ إِخْرَاجُهُ مِنْ وَطَنِهِ؛ لِأَنَّ مَفَارِقَةَ الْأَوْطَانِ أَمْرٌ شَاقٌّ عَلَى النَّفُوسِ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ عَاشُورٍ فِي ((تفسيره)) (١٨٤/٦)، وَالشَّقِيطِيُّ فِي ((أضواء البيان)) (٣٩٦/١). وَنَسَبَهُ لِابْنِ جَرِيرٍ. لَكِنْ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: (وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى النَّفْيِ مِنَ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: هُوَ نَفْيُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ غَيْرِهِ، وَحَبْسُهُ فِي السَّجْنِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي نُفِيَ إِلَيْهِ، حَتَّى تَظْهَرَ تَوْبَتُهُ مِنْ فُسُوقِهِ، وَتُرْوَعَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ رَبِّهِ) ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٩/٨). وَلَمْ يُحَدِّدِ الْبَلَدَ الَّذِي يُنْفَى مِنْهَا.

وَمَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ نَحْوَ هَذَا الْقَوْلِ: سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. يَنْظُرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣٨٧/٨). وَقِيلَ: يُحْبَسُ فِي الْبَلَدَةِ الَّتِي نُفِيَ إِلَيْهَا، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ فِي ((تفسيره)) (٣٨٩/٨). وَقِيلَ: مَعْنَى النَّفْيِ مِنَ الْأَرْضِ: الْحَبْسُ فِي السَّجْنِ؛ لِأَنَّ الْمَسْجُونََ بِمَنْزِلَةِ الْمُخْرَجِ مِنَ الدُّنْيَا، وَهَذَا اخْتِيَارُ الْوَاحِدِيِّ فِي ((الوجيز)) (ص: ٣١٧).

وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٠٠/٣ - ١٠١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣٩٠/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٠١/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٢١/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣٩٠/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٠١/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

أي: ما عدًا من رجَعُوا إلى الله تعالى، وكفُوا عن مُحارِبَةِ اللهِ ورسوله وعن سَعِيهِمْ في الأرضِ بالفسادِ، فَوَضَعُوا السِّلَاحَ، وكفُوا عن قَطْعِ الطَّرِيقِ من تلقاءِ أنفسهم، قَبْلَ أن تَقْدِرُوا عليهم<sup>(١)</sup>.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾

أي: فاعلموا- أيها المؤمنون- أن الله تعالى غيرُ مُؤَاخِذٍ من تاب منهم بذنوبه، ولكنه يَسْتُرُهَا، وَيَتَجَاوَزُ عن المؤاخِذَةِ بها، في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، فَيُسْقِطُ عنه ما وَجِبَ عليه من عُقُوبَاتٍ، وهو رَحِيمٌ به إذ عَفَا عنه، ورفَعَ ما عليه من عقابٍ<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- يُسْتَفَادُ من قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾ الآية: عِظْمُ جَرِيْمَةِ مُحَارِبَةِ اللهِ ورسوله، وأنَّ الإنسانَ إذا حَارَبَ الله ورسوله فَإِنَّهُ يُخْشَى عليه؛ وذلك لعِظْمِ العُقُوبَةِ، فَإِنَّ عِظْمَ العُقُوبَةِ يَدُلُّ على عِظْمِ الجَرِيْمَةِ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٠١-٤٠٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٠٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٣٢٢).

قال الرازي: (لا خلاف أن هذا الاستثناء راجع إلى ما تقدم من أول الآية، وأنَّ التوبةَ حاصلةٌ لهؤلاء جميعًا) ((تفسير الرازي)) (٢٣/٣٢٨).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٠٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٣٢٢).

قال السعدي: (فيسقط عنه ما كان لله، من تحتم القتل والصلب والقطع والنفي، ومن حقَّ الأدمي أيضًا، إن كان المحارب كافرًا ثم أسلم، فإن كان المحارب مسلمًا فإنَّ حقَّ الأدمي لا يسقط عنه من القتل وأخذ المال، ودلَّ مفهوم الآية على أنَّ توبة المحارب- بعد القدرة عليه- أنها لا تسقط عنه شيئًا، والحكمة في ذلك ظاهرة) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

وقال الشنقيطي: (الإجماع على سقوط حدود الله عنهم بتوبتهم قبل القدرة عليهم) ((أصواء البيان)) (١/٣٩٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/٣٢٢).

١- قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾ يقتضي وجوب عقاب المحاربين بما ذكر الله فيها، لأن الحصر يفيد تأكيد النسبة<sup>(١)</sup>.

٢- يفيد قوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾ الآية: أن الله تعالى يريد من عباده أن يطهروا الأرض من الفساد؛ ولذلك عاقب الذين يسعون في الأرض فسادًا بهذه العقوبة العظيمة<sup>(٢)</sup>.

١- مما تفيدُه الآية أن قطاع الطريق يُجمع لهم بين العقوبة في الدنيا والآخرة؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- أن هؤلاء المجرمين مع عظيم جرمهم إذا تابوا قبل القدرة عليهم سقط عنهم الحد<sup>(٤)</sup>، ويؤخذ سقوط الحد من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

٢- استدلَّ بقوله تعالى: ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنه إذا كانت التوبة قبل القدرة عليه تمنع من إقامة الحد في الحرابة؛ فغيرها من الحدود- إذا تاب من فعلها قبل القدرة عليه- من باب أولى<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٢٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣٢٧).

(٤) يُنظر: ((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (١٧/ ١٣٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٢٧).

(٦) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

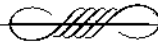
لا خلاف بين الفقهاء في أن حد قطاع الطريق يسقط بالتوبة إذا تحققت قبل القدرة عليهم، أما بقية الحدود فمذهب الحنفية والشافعية في مقابل الأظهر، والحنابلة في رواية أنها تسقط بالتوبة أيضًا قبل أن تُرفع للحاكم. ينظر: ((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (١٧/ ١٣٣، ١٣٤). وقطاع الطريق وإن سقطت عنهم حدود الله تعالى بالتوبة قبل القدرة عليهم، لكن يبقى عليهم =

## بَلَاغَةُ الْآيَاتِينَ:

١- قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾: كلامٌ مُستأنفٌ سيقَ لبيانِ حُكْمِ نوعٍ من أنواعِ القتلِ، وما يتعلَّقُ به من الفسادِ بأخذِ المالِ ونظائره، وتعيينِ موجِبِهِ العاجلِ والآجلِ، إثرَ بيانِ عِظَمِ شأنِ القتلِ بغيرِ حقٍّ في قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ...﴾، وأدرجَ فيه بيانَ ما أُشيرَ إليه إجمالاً من الفسادِ المبيحِ للقتلِ<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعُ...﴾: التعبيرُ بصيغةِ التفعُّلِ في هذه الأفعالِ؛ للمبالغةِ في العقوباتِ (القتل، والصلب، والقطع)، وقد قُصدَ من المبالغةِ هنا إيقاعُه بدونِ لينٍ ولا رفقٍ؛ تشديداً عليهم<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ ليفيدَ أنَّه خاصٌّ بهم دونَ الأفرادِ الذين يعملونَ مثلَ عملِهِم من غيرِ أن يكونوا مُحارِبِينَ، ومُعتَرِّين بالقوَّةِ والعصبيةِ<sup>(٣)</sup>.



= الفصاحُ في النَّفسِ والجراحِ، وGRAMMAةِ المالِ، والدَّيةِ لما لا فصاحَ فيه، إلا أن يُعفى لهم عن ذلك، وهذا لا خلافَ فيه بينَ أهلِ العلمِ. ينظر ((المعني)) لابن قدامة (١٥١/٩).

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣١/٣).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨٣/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣٠١/٦).

## الآيات (٣٥ - ٣٧)

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتٍ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نُقِيلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿وَابْتَغُوا﴾: واطلبوا، من بغى الشيء، أي: طلبه<sup>(١)</sup>.

﴿الْوَسِيلَةَ﴾: القربة، والزُلْفَى؛ يقال: تَوَسَّلَ إِلَيَّ بِكَذَا، أي: تَقَرَّبَ، وحقيقَةُ الوَسِيلَةِ إلى الله تعالى: مُرَاعَاةُ سَبِيلِهِ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَتَحَرِّيِ مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ، وَأَصْلُ الوَسِيلَةِ: التَّوَصُّلُ إِلَى الشَّيْءِ بِرَغْبَةٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾: لِيَتَحَامَوْا بِبَدَلِهِ، وَالْفِدَى وَالْفِدَاءُ: حِفْظُ الْإِنْسَانِ عَنِ النَّائِبَةِ بِمَا يَبْدُلُهُ، وَالْبَدَلُ مِنَ الشَّيْءِ؛ صِيَانَةٌ لَهُ، وَأَصْلُ (فدي) : جَعَلَ شَيْءٌ مَكَانَ شَيْءٍ حِمَى لَهُ<sup>(٣)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يَأْمُرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَطَلَبِ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ؛ حَتَّى يُفْلِحُوا بِأَنْ يَنْجُوا مِمَّا يَخَافُونَ، وَيَحْضِلُوا عَلَى مَا يَطْمَعُونَ، وَيَسْعَدُوا بِسَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ.

(١) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٧١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٤٧).

(٢) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٢)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٦).

(٣) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٨٣)، ((المفردات)) للراغب (٢/ ١٨١)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٩٧).

ثم أخبر تعالى أن الكفار لو أنهم يملكون كل ما في الأرض ومثله معه، وأرادوا أن يُقدّموه فديةً مقابل تخلصهم من عذاب الآخرة؛ فلن يتقبل الله منهم ذلك الفداء، ولهم عذاب مؤلم موجه، يُريد هؤلاء الكفار أن يخرجوا من النار بعد أن ذاقوا عذابها، ولن يخرجوا منها أبدًا، ولهم عذاب دائم.

### تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى جَزَاءَ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَسَعَى فِي الْأَرْضِ فِسَادًا مِنْ الْعُقُوبَاتِ الْأَرْبَعِ، وَالْعَذَابِ الْعَظِيمِ الْمُعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ - أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَابْتِغَاءِ الْقُرْبَاتِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُنْجِي مِنَ الْمَحَارِبَةِ، وَالْعِقَابِ الْمُعَدَّ لِلْمَحَارِبِينَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

أي: يا معشر المؤمنين، امتثلوا ما أمركم الله تعالى به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، واطلبوا القرب منه، والحظوة لديه بالعمل بما يُرضيه عز وجل<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٠٢-٤٠٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٢٢).

قال ابن كثير في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾: (عن ابن عباس: أي القربة. وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل، والحسن، وقناة، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد. وقال قناة: أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يُرضيه. وقرأ ابن زيد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه) ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٠٣).

ثُمَّ خَصَّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَيْهِ: الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ؛ فَهُوَ مِنْ أَجْلِ الطَّاعَاتِ، وَأَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ، وَمَنْ قَامَ بِهِ، فَهُوَ عَلَى الْقِيَامِ بِغَيْرِهِ أُخْرَى وَأَوْلَى<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي: وجاهدوا- أيها المؤمنون- أعداء الله تعالى؛ لإعلاء كلمته سبحانه بأموالكم، وأنفسكم، وألستكم؛ كي تنجوا مما ترهبون، وتظفروا بما ترغبون، وتدرکوا السعادة الأبدية في جناته<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ، وَيَتَّقُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَيُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ، وَبَيَّنَّ عَاقِبَةَ هَذَا بِأَنَّهُ الْفَلَاحُ - بَيَّنَّ عَاقِبَةَ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِذَلِكَ مِنَ الْكُفَّارِ، فَقَالَ تَعَالَى<sup>(٣)</sup>:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾.

أي: لو كان للكفار ملك ما في الأرض كلها، وملكوا ضعفه معه<sup>(٤)</sup>.

﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣٢).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣٧)، يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٤٢).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣٨).



أي: وأرادوا أن يُقدِّموا ذلك كلَّه يومَ القيامةِ فديةً؛ ليتخلَّصوا بها من عذابِ الآخرة<sup>(١)</sup>.

﴿مَا تَقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

أي: لَمَّا تَقَبَّلَ اللهُ تعالى منهم ذلكَ الفِداءَ مهما بذلوا، وقد حَقَّ عليهم عذابٌ مؤلِّمٌ، مُوجِعٌ<sup>(٢)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه أنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((يُجاءُ بالكافرِ يومَ القيامةِ فيقالُ له: أَرَأَيْتَ لو كان لك مِلاءُ الأرضِ ذهبا، أَكُنْتَ تفتدي به؟ فيقولُ: نعم، فيقالُ له: قد كُنْتَ سئِلْتَ ما هو أيسرُ من ذلكِ!))<sup>(٣)</sup>.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧)﴾

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾

أي: يُريدُ هؤلاءُ الذين كفروا برَبِّهم أنَ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ بعدَ دُخولِها، ولكنَّ أنى لهم ذلكُ؟! فلن يُخْرِجُوا منها أبداً<sup>(٤)</sup>.

كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٥ - ٤٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣٨).

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٤٠ - ٣٤١).

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ﴾

أي: ولهم عذاب دائم ثابت، لا يزول عنهم، ولا يتقبل مطلقاً؛ فهم ما كانوا فيه أبداً<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- توجيه النداء إلى المؤمنين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدل على أن امتثال الأمر الذي يعقبه من مقتضيات الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان<sup>(٢)</sup>.

٢- يستفاد من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ أنه ينبغي إغراء الشخص المخاطب بما يحمله على الامتثال؛ لأن وصف الإنسان بالشيء الذي يحمله على الفعل والامتثال لا شك أنه يُغريه، ويزيده نشاطاً، فنقول مثلاً: يا أيُّها الكريم، أكرم الضيف؛ فإن ذلك يكون دافعاً له على إكرام الضيف<sup>(٣)</sup>.

٣- يستفاد من قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أنه كلما كانت العبادة تُقرب إلى الله أكثر، كان الاهتمام بها أكثر؛ لأن الحكم يدور مع علته، فإذا قيل: اسلك الطريق المقرب إلى الله، فإن من المعلوم أن ما يكون أقرب أو أشد تقريباً فهو أولى<sup>(٤)</sup>.

٤- الإشارة إلى الإخلاص؛ لقوله: ﴿فِي سَبِيلِهِ﴾ حيث أضافه إلى نفسه عز وجل؛ إشارة إلى أنه يجب على الإنسان أن يكون جهاداً في سبيل الله<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٠٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٠٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٢٩).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٣٣٣).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٣٣٦).

## الفوائد العلمية واللطائف:

١ - قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ جملة اعتراضية بين آيات وعيد المحاربين وأحكام جزائهم، وبين ما بعده من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، وهذه عادة القرآن في تخلل الأغراض بالموعظة، والترغيب والترهيب<sup>(١)</sup>.

٢ - لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِتَرْكِ مَا لَا يَنْبَغِي بِقَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وهو شاقٌّ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ، وَأَمَرَ بِفِعْلِ مَا يَنْبَغِي، بِقَوْلِهِ: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، وَكَانَ الْإِنْقِيَادُ لِذَلِكَ مِنْ أَشَقِّ الْأَشْيَاءِ عَلَى النَّفْسِ، وَأَشَدُّهَا ثَقَلًا عَلَى الطَّبْعِ؛ فَلِهَذَا السَّبَبِ أَرْدَفَ ذَلِكَ التَّكْلِيفَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ فِيهِ التَّنْبِيهُ إِلَى مَجَامِعِ التَّكْلِيفِ؛ فَإِنَّهَا مَحْصُورَةٌ فِي نَوْعَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا؛ أَحَدُهُمَا: تَرْكُ الْمَنْهِيَّاتِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وَثَانِيهِمَا: فِعْلُ الْمَأْمُورَاتِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، وَلَمَّا كَانَ تَرْكُ الْمَنْهِيَّاتِ مُقَدِّمًا عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ بِالذَّاتِ؛ لَا جَرَمَ قَدَّمَهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي الذِّكْرِ؛ لِأَنَّ التَّرْكَ عِبَارَةٌ عَنْ بَقَاءِ الشَّيْءِ عَلَى عَدَمِهِ الْأَصْلِيِّ، وَالْفِعْلُ هُوَ الْإِيقَاعُ وَالتَّحْصِيلُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ عَدَمَ جَمِيعِ الْمَحْدَثَاتِ سَابِقٌ عَلَى وَجُودِهَا، فَكَانَ التَّرْكَ قَبْلَ الْفِعْلِ لَا مَحَالَةَ<sup>(٣)</sup>.

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ مَعْنَاهُ ابْتَغُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْوَسِيلَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ، بَأَنَّ يَتَّخِذُ الْإِنْسَانُ وَسَائِلَ فِي

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨٧/٦).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٥٠/١١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣١/٦)، ((تفسير ابن عادل)) (٣١٣/٧).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٤٩/١١).

دُعَاةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ فَبَعْضُ الْمُحَرِّفِينَ قَالَ: الْمَرَادُ بِالْوَسِيلَةِ: الْوَلِيُّ أَوِ النَّبِيُّ، أَوْ جَاهُ النَّبِيِّ أَوْ جَاهُ الْوَلِيِّ، وَهَذَا تَحْرِيفٌ بَاطِلٌ<sup>(١)</sup>.

٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَنَّ مَدَارَ النَّجَاةِ وَالْفَلَاحِ عَلَى مَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ، لَا عَلَى مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهَا، كَمَا يَتَوَهَّمُ الْكُفَّارُ فِي أَمْرِ الْفِدْيَةِ<sup>(٢)</sup>.

٦- اسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا؛ لِأَنَّ تَعَالَى جَعَلَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ تَهْدِيدَاتِ الْكُفَّارِ، وَأَنْوَاعِ مَا خَوَّفَهُمْ بِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى يَخْتَصُّ بِالْكَفَّارِ لَمَا كَانَ لِتَخْصِصِ الْكُفَّارِ بِهِ مَعْنَى، وَيُؤَكِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾، وَهَذَا يُفِيدُ الْحَصْرَ، فَكَانَ الْمَعْنَى: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ لَا لِغَيْرِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

٧- أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ لَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا الْبَتَّةَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَبَرُ اللَّهِ حَقٌّ<sup>(٤)</sup>.

٨- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا هُوَ لَازِمٌ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْأَلَامِ النَّفْسِيَّةِ: غَمًّا وَحَزَنًا، وَقِسْوَةً وَظُلْمَةً قَلْبٍ، وَجَهْلًا، فَإِنَّ لِلْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي مِنَ الْأَلَامِ الْعَاجِلَةِ الدَّائِمَةِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَلِهَذَا تَجِدُ غَالِبَ هَؤُلَاءِ لَا يُطَيِّبُونَ عَيْشَهُمْ إِلَّا بِمَا يُزِيلُ الْعَقْلَ، وَيُلْهِي الْقَلْبَ: مِنْ تَنَاوُلِ مُسْكِرٍ، أَوْ رُؤْيَةِ مُثْلِهِ، أَوْ سَمَاعِ مُطْرِبٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَيَبْزَأُ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْمُؤْمِنِينَ: ﴿أَوْ لِيكَ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣١).

(٢) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣١٢).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣١٧).

(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣١٢)،

((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٤٣).

سَيَّرَحْمَهُمُ اللَّهُ ﴿﴾ [التوبة: ٧١] فَإِنَّ اللَّهَ يُعَجِّلُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ فِي قُلُوبِهِمْ،  
وغيرها بما يَجِدُونَهُ من حلاوة الإيمان، ويذوقونه من طعمه، وانسراح صدورهم  
للإسلام، إلى غير ذلك من الشُّرُورِ بالإيمان، والعلم والعمل الصالح، بما لا  
يُمكنُ وصفه<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

- ١- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ فيه من البلاغة: استعمال ما يكون به التَّنبِيه  
في الأمور الهامة؛ وجهه: أن الله صَدَّرَ هَذِهِ الأوامر الثلاثة المهمة بالتَّذْءِ<sup>(٢)</sup>.
- ٢- قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ فيه: تقديم المجرور ﴿إِلَيْهِ﴾ على متعلقه  
﴿الْوَسِيلَةَ﴾ للحصر، أي: لا تَتَوَسَّلُوا إِلَّا إِلَيْهِ لا إلى غيره؛ فيكون تعريضاً  
بالمشركين؛ لأنَّ المسلمين لا يُظَنُّ بهم ما يفتضي هذا الحصر<sup>(٣)</sup>.
- ٣- قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فيه: توكيد (ما) الموصولة، في ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٤- قوله: ﴿لِيُقْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ فيه: إيجازٌ  
بالحذف؛ حيثُ إنَّ في الكلام جملةً محذوفةً، والتقدير: وبذلوه وافتدوا به ما  
تُقْبَلُ منهم؛ إذ لا يترتب انتفاء التقبُّل على كينونة ما في الأرض ومثله معه، إنَّما  
يترتب على بذل ذلك، أو الافتداء به<sup>(٥)</sup>.
- ٥- قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيان حالهم في  
أثناء مكابدة العذاب، مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ ممَّا قبله؛ كأنه قيل: فكيف يكون

(١) يُنظر: ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (١/ ١١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٣٢).

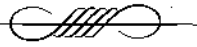
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٤٤).

حَالَهُمْ؟ أَوْ مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ فَقِيلَ ﴿يُرِيدُونَ...﴾<sup>(١)</sup>.

٦- قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ فيه: إنبازُ الجُمْلَةِ الاسميَّةِ على الفِعلِيَّةِ، مع تصديرِها بـ(ما) الحِجَازِيَّةِ الدالَّةِ - بما في خبَرِها مِن الباءِ - على تَأَكِيدِ النَّفْيِ، والمبالغةِ؛ لبيانِ كَمالِ سِوَاءِ حالِهِم بِاستمرارِ عَدَمِ خُروجِهِم مِنها؛ فَإِنَّ الجُمْلَةَ الاسميَّةَ الإيجابيَّةَ كما تُفِيدُ - بمَعونَةِ المَقامِ - دِوامَ الثُّبوتِ، تُفِيدُ السُّلبيَّةَ أَيْضًا بِمَعونَتِهِ دِوامَ النَّفْيِ لا نَفْيَ الدَّوامِ<sup>(٢)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٤).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٢٦).

## الآيات (٣٨ - ٤٠)

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿ نَكَالًا ﴾: أي: عقوبةً وتنكيلًا، وعبرةً وعظةً لِمَن وراءهم، وأصلُ (نكل): المنعُ والامتناعُ؛ وسمي النكال؛ لأنه فعلٌ به ما يمنعُه من المعاودة، ويمنعُ غيره من إتيانٍ مثلِ صنيعه<sup>(١)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يأمرُ اللهُ تعالى بقطعِ يدِ السَّارِقِ والسَّارِقَةِ مقابلَ ما اقترفاهُ من أخذِ المالِ الحرامِ، وعقوبةً رادعةً من اللهِ تعالى لهما، وزجرًا لغيرهما عن الوقوعِ في هذا الجرمِ الخطيرِ، واللهُ سبحانه عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

فَمَن تَابَ مِنَ السَّرِقَةِ الَّتِي ظَلَمَ بِهَا نَفْسَهُ وَغَيْرَهُ، وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ.

ثم ذَكَرَ اللهُ تعالى ما يدلُّ على عظمةِ مُلكِهِ ونفاذِ أمرِهِ قائلاً: أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ مَن يَمْلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ يُعَذِّبُ مَن يُرِيدُ، وَيَغْفِرُ لِمَن يُرِيدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٥٢، ١٨٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٥٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٧٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٨)، ((التيبان)) لابن الهيثم (ص: ٨٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩١٤).

## تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٨).

مناسبة الآية لما قبلها:

في مناسبة الآية لما قبلها وجهان:

الأول: أنه تعالى لما أوجب في قوله: ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ قَطْعَ الأيدي والأرجل عند أخذ المال على سبيل المحاربة؛ بين في هذه الآية أن أخذ المال على سبيل السرقة يوجب قطع الأيدي فقط، وجاءت السنة بقطع الأرجل أيضاً في السرقة<sup>(١)</sup>؛ إذ السرقة أيضاً جرامة من حيث المعنى؛ لأن فيها سعياً بالفساد إلا أن تلك تكون على سبيل الشوكة والظهور<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنه تعالى لما ذكر تعظيم أمر القتل في قوله: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾؛ ذكر بعد هذا الجنايات التي تُبيح القتل والإيلاء، فذكر أولاً: قطع الطريق، وثانياً: أمر السرقة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾

أي: ومن سرق - رجلاً كان أو امرأة - فاقطعوا أيها الناس<sup>(٤)</sup> يده اليمنى (فتقطع

(١) ينظر: ((إرواء الغليل)) للالباني (٨ / ٨٥) فما بعدها.

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١ / ٣٥١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤ / ٢٤٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧ / ٣١٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦ / ١٣٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦ / ٢٩٦).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١ / ٣٥١).

(٤) قال ابن عثيمين: قوله: ﴿فاقطعوا أيديهم﴾... الخطاب للأمة جميعاً، لكن المقصود بالذات والعين هو الإمام أو نائبه، لكن المسؤولية على الجميع، بمعنى: لو تهاون الإمام وجب على =



مِن مَّفْصِلِ الْكَفِّ<sup>(١)</sup>.

﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا﴾

أي: جاء هذا الحُكْمُ بالقطع مُجازاةً للسَّارِقِ والسَّارِقَةِ على ما اكتسبَاهُ من المالِ الحرامِ<sup>(٢)</sup>.

﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾

أي: وجاء الحُكْمُ بالقطع أيضًا عقوبةً رادعةً لهما على لُصُوصِيَّتِهِمَا، وزجرًا لهما عن اعتيادِ هذا الجُرمِ، وزجرًا لغيرهما عن الإقدامِ عليه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

أي: واللَّهُ عزَّ وجلَّ ذو القَهْرِ والغَلْبَةِ، العزيزُ في انتقامِهِ من هذا السَّارِقِ وهذه السَّارِقَةِ، وغيرهما من أهلِ معاصيه، وهو الحكيمُ في حُكْمِهِ فِيهِمْ، وقَضَائِهِ عَلَيْهِمْ، وفي غير ذلك من أوامره ونَوَاهِيهِ وَسَّرَائِعِهِ وَأَقْدَارِهِ؛ فَحُكْمُهُ فِي الْجَمِيعِ نَافِذٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَضَعُهُ فِي مَوْضِعِهِ اللَّائِقِ<sup>(٤)</sup>.

= الأُمَّةُ أَنْ تُطَالِبَ بِقُطْعِ يَدِ السَّارِقِ ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٤٦ - ٣٤٧).  
(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٠٧ - ٤٠٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٠٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٤٤ - ٣٤٩).

قال ابنُ كثيرٍ: (عن عامرِ بنِ شراحيلِ الشَّعْبِيِّ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقْرَأُهَا: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا»، وَهَذِهِ قِرَاءَةٌ شَادَّةٌ، وَإِنْ كَانَ الْحُكْمُ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ مُوَافِقًا لَهَا، لَا بِهَا، بَلْ هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْ دَلِيلٍ آخَرَ، وَقَدْ كَانَ الْقَطْعُ مَعْمُولًا بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَرَّرَ فِي الْإِسْلَامِ وَزِيدَتْ شُرُوطُ آخَرَ... هِيَ مِنْ تَمَامِ الْمَصَالِحِ) ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٠٧).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٤٩ - ٣٥٠).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٤٩ - ٣٥٠).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٥٠).

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٩).

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾.

أي: فَمَنْ رَجَعَ - بَعْدَ سَرْقَتِهِ التي ظَلَمَ بِهَا نَفْسَهُ وَغَيْرِهِ - إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَصْلَحَ عَمَلَهُ وَمَا أَفْسَدَهُ بِظُلْمِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتُرُ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُؤَاخَذَتِهِمْ بِهَا، وَهُوَ رَحِيمٌ بِهِمْ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ أَنَّهُ يُوقِّفُهُمُ لِلتَّوْبَةِ، وَيَقْبَلُهَا مِنْهُمْ (٢).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤٠).

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى قَطْعَ الْيَدِ، وَعِقَابَ الْآخِرَةِ عَلَى السَّارِقِ قَبْلَ التَّوْبَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ إِنْ تَابَ - أَرَدَفَهُ سُبْحَانَهُ بَيَانِ أَنَّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ؛ فَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ (٣)، فَقَالَ:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٠ - ٣٧١).

قال ابن كثير: (فَأَمَّا أَمْوَالُ النَّاسِ فَلَا بَدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَيْهِمْ أَوْ بَدْلُهَا - عِنْدَ الْجُمْهُورِ) ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٠). وَيُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٩٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٢ - ٣٧٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/٣٥٧).

قال ابن عثيمين: (وَأَتَى بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي مَكَانِهَا اللَّاتِي؛ لِأَنَّ مَا سَبَقَ مِنَ الْآيَاتِ كَانَ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ، فَلَعَلَّ النَّفْسَ تَقُولُ: لِمَاذَا كُلُّ هَذِهِ الشَّدَّةِ، لِمَاذَا هَذِهِ الْغَلْظَةُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾. ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٧).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي: أَلَمْ تَعْلَمْ<sup>(١)</sup> أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَتَصَرِّفُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أي: يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ بِعَذْلِهِ، وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ؛ فَكُلُّ الْعِبَادِ مُلْكُهُ وَإِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَلَا نَسَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فُحْيَايِهِ، وَإِنَّمَا يُعَذِّبُ وَيَغْفِرُ بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَرَادَهُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنْ ذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَى تَعْذِيبِ مَنْ أَرَادَ تَعْذِيبَهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْغُفْرَانِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مِنْهُمْ<sup>(٤)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- أَنَّ فِعْلَ الْمَعَاصِي، وَتَرْكَ الْوَاجِبَاتِ ظُلْمٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ أَمَانَةٌ، يَجِبُ أَنْ يَسْعَى لَهَا بِمَا هُوَ الْأَصْلَحُ وَالْأَنْفَعُ،

(١) قيل: المخاطب هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: الخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَمِيعُ، وقيل: المخاطبُ هو كُلُّ مَكْلُفٍ، وَمَنْ يَصْحُ تَوَجُّهُ الْخِطَابِ إِلَيْهِ، وقيل: للمجتري على السرقة وغيرها من المحظورات. ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٥٦)، ((تفسير القرطبي)) (٦/١٧٦)، ((تفسير البغوي)) (١/٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤١٢-٤١٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٨٠).

فإذا خالف فهو ظالمٌ، خائنٌ للأمانة<sup>(١)</sup>.

٢- حثَّ الإنسانَ على التوبةِ حتَّى لو ظلمَ؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ واللهُ تعالى لم يقل هذا لمجرّدِ الخير؛ بل لأجلِ الحثِّ على التوبةِ<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- من الحكم في الابتداء بالسارق في قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، وبالزانية في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ [النور: ٢] أن السرقة مبناهما على القوة والجلد والنشاط والجُرأة، والرّجالُ أخصُّ من النساء في هذا، فبدأ بهم؛ ولذلك نجد السُّراقَ من الرجالِ أكثرَ من النساءِ، أمّا الزّنا فبالعكس؛ لأنّ الزّنا سلعُ البغايا- والعياذ بالله- فبدأ بالزّانية؛ لأنّ أكثرَ ما يوجد سببه من النساءِ، ولأنّ أثرَ الزّنا يظهرُ عليها في الحبل، وإزالة العُدرة؛ فهو في حقّها أشنعُ، وقيل غير ذلك<sup>(٣)</sup>.

٢- ظاهرُ قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ وجوبُ قطعِ أيديهما بأيّ سرقةٍ، لكن السُّنة قيّدتْ عمومَ هذه الآية من عدّة أوجه<sup>(٤)</sup>:  
منها: الحِرْزُ؛ فإنّه لا بدّ أن تكونَ السرقةُ من حِرْزٍ، وحِرْزُ كلِّ مالٍ ما يُحفظُ به عادةً، فلو سرقَ من غيرِ حِرْزٍ فلا قطعَ عليه.

ومنها: أنّه لا بدّ أن يكونَ المسروقُ نصاباً، وهو رُبعُ دينارٍ، أو ثلاثةُ دراهمٍ، أو ما يُساوي أحدهما؛ فلو سرقَ دونَ ذلك فلا قطعَ عليه.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٧٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٢٤)، ((تفسير الراغب الأصفهاني)) (٤/٣٤٤)، ((غرائب

التفسير وعجائب التأويل)) (١/٣٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٤٦).

(٤) يُنظر: ((المغني)) لابن قدامة (٩/١٠٤).

ومنها: أنه يُشترط أيضًا أن يكون المسروق مالا مُحترَمًا.  
ومنها: اشتراط انتفاء الشبهة<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿فَاقْطِعُوا﴾ استدلَّ به على أنه يجبُ على الأمة أن ينصبوا لأنفسهم إمامًا معيَّنًا؛ لأنه تعالى أوجبَ بهذه الآية إقامة الحدِّ على السَّارقِ، فلا بدَّ من شخصٍ يكون مخاطبًا بهذا الخطابِ، وأجمعت الأمة على أنه ليس لأحدٍ الرعيَّة إقامة الحدودِ على الأحرارِ العُناةِ إلا الإمام، فلمَّا كان هذا تكليفًا جازمًا، ولا يُمكنُ الخروجُ من عهدهِ إلا بوجوده وجبَ نصبُه؛ لأنَّ ما لا يأتي الواجبُ إلا به، وكان مقدورًا للمُكلَّف، فهو واجبٌ<sup>(٢)</sup>.

٤- قطع يد السَّارقِ والسَّارقة يكون لليمنى، كما أجمع عليه العلماء، وفَسَّرَ ذلك قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (فاقطعوا أيماهما)، فالغالبُ أنَّ الأخذَ والإعطاءَ والسَّرقةَ باليمينِ؛ فَنَاسَبَ أن تُقطعَ اليمنى دونَ اليسرى، فتقطعَ اليدُ اليمنى برُبع دينارٍ؛ بعدَ ذرِّءِ الشُّبُهاتِ المنصوصِ عليها في كتبِ الفقه<sup>(٣)</sup>.

٥- جعلَ اللهُ حدَّ السرقةِ قطعَ اليدِ؛ لتناولها المالَ؛ لقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، ولم يجعلْ حدَّ الزَّنا قطعَ الذَّكرِ مع موافقةِ الفاحشةِ به؛ لأمرٍ: أحدها: أنَّ للسَّارقِ مثلَ يدهِ التي قُطعتْ، فإنَّ انزجرَ بها اعتاصَّ بالباقية، وليس للزَّاني مثلَ ذكره إذا قُطع، ولم يعتصَّ بغيره لو انزجرَ بقطعه. الثاني: أنَّ الحدَّ زجرٌ للمحدودِ ولغيره، وقطعُ يدِ السَّارقِ ظاهرٌ، وقطعُ الذَّكرِ في الزَّنا باطنٌ. الثالث: أنَّ

(١) ينظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٨٣) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٣٢).

(٣) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٣٤)، ((تفسير الشرييني)) (١/٣٧٤)، ((تفسير ابن كثير))

(٣/١٠٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣١٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٢٤)،

((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٣٥٩-٣٦٣).

قَطَعَ الذِّكْرَ إِبْطَالَ لِلنَّسْلِ، وليس في قطع اليد إبطال للنَّسْلِ<sup>(١)</sup>.

٦- قوله: ﴿بِمَا كَسَبَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ فيه ردٌّ ظاهرٌ على الجبريَّة، ووجه آخرٌ معنويٌّ، وهو: أنه لو كان السارقُ والسارقةُ مُجبرينِ ما صحَّ أن يُعاقبا؛ لأنَّ المُجبرَ لا حُكْمَ لِفِعْله، حتَّى المُكرهُ على الكُفْرِ إذا كان قلبه مُطمئنًا بالإيمان، فإنَّه لا يكفُر<sup>(٢)</sup>.

٧- أن الحدودَ كفَّارةٌ؛ لقوله: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا﴾ ولا يُضاعِفُ اللهُ عليه الجزاء<sup>(٣)</sup>.

٨- في قوله تعالى: ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ توضيحٌ للحكمةِ في إيجابِ الحدودِ، والنكالُ يكونُ للغيرِ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]، فإنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ يَدَهُ سوف تُقَطَعُ بالسَّرقةِ سوف يَنكُلُ عنها ولا يسْرِقُ<sup>(٤)</sup>.

٩- حُسْنُ الخِتَامِ في الآياتِ الكريمةِ، وأنها مطابِقةٌ تمامًا للأحكامِ التي خُتِمتَ بها، فالعِزَّةُ من معناها العَلْبَةُ، ولا شكَّ أنَّ إيجابَ قَطْعِ الأيدي بدلٌ على العِزَّةِ والعَلْبَةِ وكَمالِ السُّلْطَةِ، كما أنَّ الحِكمةَ أيضًا تُناسِبُ القَطْعَ؛ لأنَّ فيها حُكْمًا صارمًا، وفيها أيضًا حِكمةٌ بالغةٌ؛ فلذلك كانتِ الجملةُ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مطابِقةً تمامًا لما دُكِرَ في الآيةِ الكريمةِ من قطعِ يدِ السَّارقِ<sup>(٥)</sup>، وقد رُوِيَ أنَّ بعضَ الأعرابِ سَمِعَ قارئًا يقرأ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ إلى آخرها، وختَمَها بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فقال: ما هذا كلامٌ فصيحٌ! ف قيل له: ليس التلاوةُ كذلك، وإنما هي ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: بخِ بخِ؛ عزَّ فحكَمَ فَقَطَعَ<sup>(٦)</sup>!

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٣٢٧/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٦٤/١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٣٣٢/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٨/١).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٢٥٥/٤).

١٠- في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ردُّ على كلِّ ناعقٍ يقول: إنَّ قطعَ الأيدي وحشيَّةٌ، وأنَّ ذلك يستلزمُ أن يكونَ نصفُ الشعبِ أشلَّ، ليس له إلا يدٌ واحدةٌ؛ فيقال: بل هذه هي عينُ الحكمةِ وعينُ الصَّوابِ؛ فاللهُ تعالى أوجبَ قطعَ يدِ السَّارقِ لحِكمَتَيْنِ: ليطهَّرَ صاحبها من هذه الرذيلةِ الدنيَّةِ الخبيثةِ، وكذلك ليردِّعَ النَّاسَ عن أموالِ النَّاسِ؛ لأنَّ المالَ هو سريانُ الحياةِ، وبه قوامُ شؤونها، فأمرَ بقطعِ يدِ السَّارقِ؛ محافظةً على أموالِ المجتمعِ؛ لأنَّه لو تُركَ النَّاسُ لحصلتِ الفوضى، وابتزازُ الأموالِ، والسَّطوُّ على الآمنينَ، فكان قطعُ اليدِ لا شكَّ أنَّه هو الحكمةُ<sup>(١)</sup>.

١١- الفائدةُ من ذكرِ قوله: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ...﴾ بعدَ قوله: ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ هي أنَّ السَّارقَ قد تَقَطَّعَ يدهُ، ومعلومٌ أنَّ إقامةَ الحدِّ تكفِّرُ ذنبه، لكنَّه إذا كان في قرارةِ نفسه يُريدُ أن يسْرِقَ إذا سَنَحَتْ له الفرصةُ، فهو في هذه الحال لم يتُبْ، فإنَّ الحدودَ كفارةٌ لِمَا مَضَى، وأمَّا ما يبقى في قلبه من إرادةِ المعصيةِ، فلا بدَّ أن يتوبَ منها<sup>(٢)</sup>.

١٢- في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أنَّ السَّارقَ إذا تَابَ قَبْلَ القطعِ تابَ اللهُ عليه، واستدُلَّ بها على أنَّه يسقطُ عنه الحدُّ؛ لأنَّ ذَكَرَ الغفورِ الرَّحِيمِ في آخِرِ هذه الآيةِ يدلُّ على سقوطِ العقوبةِ عنه، والعقوبةُ المذكورةُ في هذه الآيةِ هي الحدُّ، فظاهرُ الآيةِ يقتضي سُقوطها<sup>(٣)</sup>.

١٣- يقترنُ قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كثيرًا في القرآن؛ لأنَّ بالأوَّلِ زوالَ المكروهِ، وبالثاني حصولَ المحبوبِ؛ فالأوَّلُ غفورٌ، يعني: للدُّنوبِ، والثاني رحيمٌ، يعني:

(١) ينظر: ((العذب النمير)) للشنيطي (٣/ ١٨١ - ١٨٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٦٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٧٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٧).

أَنَّهُ يُوصِلُ الْخَيْرَ إِلَى عِبَادِهِ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١).

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾: فيه دَفْعُ تَوْهَمٍ؛ حيث ذَكَرَ (السَّارِقَةَ) مع (السَّارِقِ)؛ لدَفْعِ تَوْهَمٍ أَنْ يَكُونَ صِبْغَةُ التَّذْكِيرِ فِي ﴿السَّارِقِ﴾ قَيْدًا بِحَيْث لَا يُجْرَى حَدُّ السَّرِقَةِ إِلَّا عَلَى الرِّجَالِ، وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ لَا يُقِيمُونَ لِلْمَرْأَةِ وَرِزْنًا؛ فَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهَا الْحُدُودَ، وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى ذِكْرِ الْأُنْثَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ (٢) [البقرة: ١٧٨].

٢- قوله: ﴿جَزَاءً﴾ مصدرٌ مُؤَكَّدٌ لِفِعْلِهِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿فَاقْطَعُوا﴾، أَي: فَجَازَوْهُمَا جِزَاءً (٣)، عَلَى أَحَدِ الْأَوْجِهِ فِي الْإِعْرَابِ.

٣- قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَكَّدَتْ الْجُمْلَةُ بِـ(إِنْ)؛ مِنْ أَجْلِ طُمَأْنِينَةِ الْعَبْدِ التَّائِبِ بِأَنْ تُوْبَتْ لَهُ لَنْ تَذْهَبَ سُذْيُ (٤).

- وَجَاءَ بِلَفْظَتِي ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عَلَى هَيْئَةٍ صِبْغَةِ الْمِبَالِغَةِ؛ لِلْمُبَالِغَةِ فِي وَصْفِهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ؛ وَلِذَلِكَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ، وَهُوَ تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهُ (٥).

- وَإِظْهَارُ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ ﴿اللَّهُ﴾؛ لِلإِشْعَارِ بِعِلَّةِ الْحُكْمِ، وَتَأْيِيدِ اسْتِقْلَالِ الْجُمْلَةِ (٦).

٤- قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الاستفهامُ إنْكَارِيٌّ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٧٢/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٩٠، ١٩١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٥).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٧٢/١).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٥).

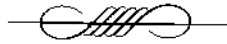
(٦) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).



لتقرير العلم، والجملة استئناف بياني؛ جوابٌ لمن يسأل عن انقلاب حال السارق من العقاب إلى المغفرة بعد التوبة، مع عظيم جرّمه: بأنّ الله هو المتصرّف في السموات والأرض وما فيهما؛ فهو العليم بمواضع العقاب، ومواضع العفو<sup>(١)</sup>.

٥- قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فيه: مناسبة حسنة؛ حيثُ قدّم التعذيب على المغفرة؛ لأنّه في مقابلة تقدّم السّرقة على التوبة، ولأنّ الكلام هنا عن الحدود والعقوبات؛ فناسب أن يُقدّم التعذيب على المغفرة<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيه: إظهار في مقام الإضمار - حيث قال: (والله)، ولم يقل: (وهو)؛ لإظهار كمال قدرة الله عزّ وجلّ، والجملة تذييل مقرر لما قبلها<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٩٤).

(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٣٢)، ((تفسير الرازي)) (١١/٣٥٧)، ((تفسير أبي السعود))

(٣/٣٦)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٣٣).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٦).

## الآيات (٤١ - ٤٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ سَمَّعُوا لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضَ عَنْهُمْ فَمَا يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾: أي: اليهود، وهاد فلان: إذا تحرى طريقة اليهود في الدين؛ قيل: أصل (يهود) من: ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، أي: بُنِّئنا، وكان اسم مدح، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح، وقيل: كانت اليهود تُنسب إلى يهوذا بن يعقوب<sup>(١)</sup>.

﴿سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ﴾: قابِلُونَ وَمُصْعُونَ له بكثرة، مبالغة من (سامعون)، وأصل (سمع): إيناس الشيء بالأذن<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٩٥)، ((المفردات)) للراغب (١/٨٤٧)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/١٠٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٢، ١٣٩)، =

﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ﴾: مُطِيعُونَ لَهُمْ، أَوْ عُيُونَ لَهُمْ، وَجَوَاسِيسٌ يَتَجَسَّسُونَ لَهُمُ الْأَخْبَارَ<sup>(١)</sup>.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾: يَقْلِبُونَ وَيُغَيِّرُونَ أَلْفَاظَ التَّوْرَةِ، أَوْ حُدُودَ اللَّهِ فِي التَّوْرَةِ، بِإِزَاتِهَا وَإِثْبَاتِ غَيْرِهَا، وَأَصْلُ التَّحْرِيفِ وَالْإِنْحِرَافِ: إِمَالَةُ الشَّيْءِ وَالْعُدُولُ بِهِ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ. وَالْكَلِمُ جَمْعُ كَلِمَةٍ، وَأَصْلُ (كَلِمَ): يَدُلُّ عَلَى نُطْقِ مُفْهِمٍ بِالنَّظَرِ إِلَى أَحَدٍ مَدْلُوكِيهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿فِتْنَتُهُ﴾: صَلَاتُهُ، وَتُطْلَقُ الْفِتْنَةُ عَلَى الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ، وَالشَّرِّ وَالْعَذَابِ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: الْإِخْتِيَارُ وَالْإِبْتِلَاءُ وَالْإِمْتِحَانُ، مَأْخُودَةٌ مِنَ الْفِتْنِ: وَهُوَ إِدْخَالُ الذَّهَبِ النَّارَ؛ لِتُظْهَرَ جُودَتُهُ مِنْ رَدَائَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿خِزْيٍ﴾: هَوَانٌ وَهَلَاكٌ، وَأَصْلُ الْخِزْيِ: الْإِبْعَادُ<sup>(٤)</sup>.

﴿لِلسُّخْتِ﴾: السُّخْتُ هُوَ الرِّشَاءُ، أَوْ كَسْبُ مَا لَا يَحِلُّ، أَوْ كُلُّ مَالٍ حَرَامٍ يَلْزَمُ

= ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠، ١٥١)، ((حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)) (٣/٢٤٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥١٨).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/١٠٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٢، ١٣٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠، ١٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥١٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٤٢) و(٥/١٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٢٨، ٧٢٢، ٧٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٦٥، ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٩٣).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/٧٦، ١٠١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٤٧٢ - ٤٧٣)، ((المفردات)) للراغب (١/٦٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٢٩، ١٣٩ - ١٤٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٨).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/١٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٥).

أَكَلَهُ الْعَارُ، وَأَصْلُ (سَحَت): الْإِسْتِصَالُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَالُ الْحَرَامُ سُحْتًا؛ لِأَنَّهُ لَا بَقَاءَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ، وَأَصْلُ الْقِسْطِ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ: الْعَدْلِ، وَالْجَوْرِ؛ يُقَالُ: أَقْسَطَ: إِذَا عَدَلَ، وَقَسَطَ: إِذَا جَارَ<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: يُعْرِضُونَ بَعْدَ الْإِقْبَالِ، فَالْفِعْلُ (تَوَلَّى) إِذَا عُدِّيَ بِهِ (عَنْ) لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا- كَمَا هُنَا- اقْتَضَى مَعْنَى الْإِعْرَاضِ، وَتَرَكَّ قَرِيبَهُ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْمَادَّةُ يَدُلُّ عَلَى الْقُرْبِ، سِوَاءٍ مِنْ حَيْثُ: الْمَكَانُ، أَوْ النِّسْبَةُ، أَوْ الدِّينُ، أَوْ الصَّدَاقَةُ، أَوْ النُّصْرَةُ، أَوْ الْإِعْتِقَادُ، وَكُلٌّ مِّنْ وَرِثِي أَمْرٍ آخَرَ فَهُوَ وَرِثِيهِ<sup>(٣)</sup>.

### المَعْنَى الْإِجْمَالِيَّة:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَخْرُجُكَ - يَا مُحَمَّدُ - الَّذِينَ يُسَارِعُونَ إِلَى الدُّخُولِ فِي الكُفْرِ؛ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِالْإِسْتِثْمِ، بَيْنَمَا خَلَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْهُ، وَمِنَ الْيَهُودِ؛ فَهَمْ يُصْغِفُونَ لِلْكَذِبِ - الَّذِي يَصْدُرُ مِنْ أَحْبَابِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ - بِكَثْرَةٍ، وَهَمْ يَخْضَعُونَ لِأَمْرِ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الْأَحْبَابِ وَالرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَأْتُونَ مَجْلِسَهُ؛ هَؤُلَاءِ الْأَحْبَابُ وَالرُّؤَسَاءُ الْمَعْرِضُونَ عَنْ مَجْلِسِكَ يُحَرِّفُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ مُتَعَمِّدِينَ، وَهَمْ

(١) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِابْنِ قَتَيْبَةَ (ص: ١٤٣)، ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (٣/ ١٤٣)، ((الْمَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاغِبِ (ص: ٣٩٩-٤٠٠)، ((التَّبْيَانُ)) لِابْنِ الْهَائِمِ (ص: ١٥١)، ((الْكَلِيَّاتُ)) لِلْكَفَوِيِّ (ص: ٥٢٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِابْنِ قَتَيْبَةَ (ص: ١٠٣)، ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (٥/ ٨٥)، ((الْمَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاغِبِ (ص: ٦٧٠).

(٣) يُنْظَرُ: ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لِابْنِ فَارَسٍ (٦/ ١٤١)، ((الْمَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاغِبِ (ص: ٨٨٥-٨٨٦)، ((التَّبْيَانُ)) لِابْنِ الْهَائِمِ (ص: ٨٩).

يعلمون الحق، ويقولون لأتباعهم: تحاكموا إلى محمد، فإن حكم لكم بما يوافق أهواءكم فاقبلوه، وإن لم يحكم بذلك فلا تأخذوا بحكمه.

ثم أخبر تعالى أنه من يرذ أن يفتنه ويضله فلن يملك له النبي صلى الله عليه وسلم من الله شيئاً يستنقذه مما أراه الله له من الضلالة، وأما أولئك اليهود الذين لا يقبلون من الحق إلا ما وافق هوى لهم لم يرده الله أن يطهر قلوبهم من الكفر والشرك؛ لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان، ولهم في الآخرة عذاب عظيم هو عذاب النار.

هؤلاء اليهود سماعون للباطل، مستجيبون له، يأكلون المال الحرام بكثرة، ثم أرسد الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى أنهم إذا جاؤوه يحتكمون إليه، فله أن يحكم بينهم إن شاء، أو يعرض عن الحكم بينهم، وأخبره تعالى أنه إن يعرض عنهم فلن يضروه شيئاً، وإن اختار أن يحكم بينهم فليحكم بينهم بالعدل، والله يحب المتصفين بالعدل بين الناس في أحكامهم.

ثم يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كيف ينصّبك هؤلاء اليهود حكماً، وهم في حقيقة الأمر يكذبونك، وعندهم كتاب الله التوراة فيها حكم الله!؟ لكنهم أعرضوا عنه، وطلبوا حكماً غير ما عندهم؛ لعله يوافق أهواءهم، وما أولئك الذين هذا صنيعهم؛ بالمؤمنين.

### تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾

## مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْضَ التَّكْلِيفِ وَالشَّرَائِعِ، وَمِنْهَا أَحْكَامُ الْحِرَابَةِ وَالسَّرْقَةِ، وَكَانَ فِي ذِكْرِ الْمُحَارِبِينَ أَنَّهُمْ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ كَوْنَهُمْ مُتَسَارِعِينَ إِلَى الْكُفْرِ - لَذَا صَبَرَ رَسُولُهُ عَلَى تَحْمُلِ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ تَعَالَى أَلَّا يَحْزَنَ وَلَا يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُنَافِقِينَ وَأَمْرِ الْيَهُودِ؛ مِنْ تَعْتُهُمْ وَتَرْبُصُهُمْ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ الدَّوَائِرُ، وَنَصِبِهِمْ لَهُ حَبَائِلَ الْمَكْرُوهِ، وَمَا يَحْدُثُ مِنْهُمْ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَنَصِبِ الْمُحَارِبَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرِّذَائِلِ الصَّادِرَةِ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا تَقَرَّرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، كَانَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ عِلَّةٌ لِعَدَمِ الْحَزَنِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَلَا مِنْ أَمْرِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْكَامِ<sup>(٢)</sup>.

## سبب النزول:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مَحْمَمًا<sup>(٣)</sup> مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أُنشِدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ؛ نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ! قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلَنَجْتَمِعَ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٦٠)، ((تفسير الرازي)) (١١/٣٥٨).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٣٨).

(٣) محمماً: اسمٌ مفعول، أي: مُسَوِّدُ الْوَجْهِ، مِنَ الْحُمَمَةِ، وَهِيَ الْفَحْمَةُ، وَجَمْعُهَا حُمَمٌ، وَالتَّحْمِيمُ بِمَعْنَى التَّسْوِيدِ. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/٤٤٤).

مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوْلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ، فَأَمَرَ بِهِ فَرَجِمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾، يَقُولُ: اتَّوَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ أَمَرَكَم بِالتَّحْمِيمِ وَالجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فِي الْكُفَّارِ كُلِّهَا<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾

أي: لا تجعل - يا محمد - هؤلاء المنافقين، الذين يتسابقون إلى الكفر، يَدْخُلُونَ الحِزْنَ عَلَى نَفْسِكَ بِمَا يَفْعَلُونَهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾

أي: الَّذِينَ أَظْهَرُوا الإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَقَلْبُهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ خَاوِيَةٌ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[البقرة: ٨].

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾

أي: وَلَا تَجْعَلِ الحِزْنَ يُصِيبُكَ أَيضًا بِسَبَبِ الْيَهُودِ<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٧٠١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤١٨/٨-٤١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٣/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩٧/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٩٦/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤١٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٣/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٩٧/١).

(٤) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٤١٩/٨)، وابن كثير في ((تفسيره)) (١١٣/٣)، وابن =

## ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾

أي: يُكثرون الإصغاء إلى الكذب الصادر من أخبارهم ورؤسائهم، فيخفون به، ويقبلونه منهم، ومن ذلك: تقليدُهم في قولهم: إنَّ مُحَمَّدًا ليس بنبيٍّ، وفي قولهم: إنَّ حُكْمَ الزاني المحصن في التوراة: التَّحْمِيمُ والجَلْدُ، وليس الرَّجْمُ<sup>(١)</sup>.  
 قيل: المرادُ هؤلاء المنافقون من اليهود، وقيل: المرادُ بهم اليهودُ فقط،  
 وقيل: المنافقون واليهود<sup>(٢)</sup>.

## ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾

أي: يستجيبون لأوامر أقوام آخرين من الأخبار والرؤساء المعرضين عن الإتيان إلى مجلسك - يا مُحَمَّدُ<sup>(٣)</sup>.

## ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾

أي: إنَّ هؤلاء القوم الآخِرِينَ من أخبار اليهود الذين يتَّبِعُهُمُ العامَّةُ، يَصْرِفُونَ كلامَ الله عن معناه الحقيقيِّ عمدًا، ويتأوَّلونه على غير تأويله، وهم يعلمون

= عاشور في (تفسيره) ((١٩٩-١٩٨/٦)). فيكون الوقفُ على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾. وقيل: الابتداء من قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾، أي: ومن الذين هادوا قومٌ سماعون للكذب، ويكون الأمرُ للرسول عليه الصلوة والسلام بعدم الحزن على مسارعة المنافقين في الكفر، لا المنافقين واليهود. يُنظر: (تفسير القرطبي) ((١٨١/٦))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٣٩٧/١-٣٩٨)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٤٢٠-٤١٩/٨))، (تفسير السعدي) ((ص: ٢٣١))، (تفسير ابن عاشور) ((١٩٩/٦))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٣٩٨/١)).

(٢) اختار ابنُ جرير أنَّهم المنافقون من اليهود. يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٤٢٠/٨)). واختار أنَّهم اليهود: ابنُ عثيمين في (تفسير سورة المائدة) ((٣٩٨/١))، واختار أنَّهم المنافقون واليهود: ابنُ عاشور في (تفسيره) ((١٩٩/٦)).

(٣) وهذا اختيارُ ابن كثير في (تفسيره) ((١١٣/٣))، والسعدي في (تفسيره) ((ص: ٢٣١))، وابن عاشور في (تفسيره) ((١٩٩/٦-٢٠٠)).



الحق، فيقولون: المرادُ كذا وكذا، على خلاف ما أَرَادَ اللهُ ورسوله<sup>(١)</sup>.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾

أي: إن أولئك الأَحْبَارَ الَّذِينَ يَتَّبِعُهُمُ الْعَامَّةُ، يقولون لِاتِّبَاعِهِمْ: تَحَاكَمُوا إِلَى مُحَمَّدٍ؛ فَإِنْ حَكَمَ لَكُمْ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَكُمْ فَاقْبَلُوا حُكْمَهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْكَمْ لَكُمْ بِهِ فَاحْذَرُوا مِنْ قَبُولِهِ، وَاتَّبَاعِهِ عَلَى ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَدِّ الزَّانِي<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول الله تعالى مسلماً لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُخَفِّفًا عَنْهُ مِنْ ثَقَلِ حُرْزِهِ عَلَى مَسَارِعَتِهِمْ فِي الْكُفْرِ<sup>(٤)</sup>:

(١) واختار أن التحريف صفة للقوم الآخرين الذين لم يأتوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السعدي في (تفسيره) (ص: ٢٣١)، وابنُ عاشور في (تفسيره) (٦/٢٠٠)، وابنُ عثيمين في (تفسير سورة المائدة) (١/٣٩٩).

وممن قال بنحو هذا القول من السلف: ابنُ زيد: يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٨/٤٢٦)، (تفسير ابن أبي حاتم) (٤/١١٣٢).

واختار ابنُ جرير أن التحريف صفة للذين يُسارعون في الكفر. يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٨/٤٢٣).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن كثير) (٣/١١٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٣٢)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١/٣٩٩).

قال ابنُ عاشور: (وإنما قالوا: فاحذروا؛ لأنه يفتحُ عليهم الطعن في أحكامهم التي مضوا عليها، وفي حُكْمِهِمُ الْحَاكِمِينَ بِهَا) (تفسير ابن عاشور) (٦/٢٠٠).

(٣) قال ابنُ عثيمين: (وهذا مثالٌ وليس حصراً للمعنى الآية، بل المراد أنهم يُعَيَّنُونَ - أي: الأَحْبَارَ - أَحْكَامًا لِعَامَّتِهِمْ، وَيَقُولُونَ: إِنْ حَكَمَ بِهَا مُحَمَّدٌ فَاقْبَلُوهَا، وَإِنْ لَمْ يَحْكَمْ فَاحْذَرُوا) (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١/٤٠٠).

(٤) يُنظر: (تفسير أبي حيان) (٤/٢٦٢). قال ابنُ جرير في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: (وهذا تسليةٌ من الله تعالى ذَكَرَهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُرْزِهِ عَلَى مَسَارِعَةِ الَّذِينَ قَصَّ قَصَّتَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، يَقُولُ لَهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: لَا يَحْزَنُكَ تَسْرُعُهُمْ إِلَى جُحُودِ نَبِيِّتِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ حَتَمْتُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَبُّونَ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ لِلْسَّابِقِ مِنْ غَضَبِي عَلَيْهِمْ، وَغَيْرِ نَافِعِهِمْ حُرْزُكَ عَلَى مَا تَرَى مِنْ تَسْرُعِهِمْ إِلَى مَا جَعَلْتَهُ سَبِيلًا لِهَلَاكِهِمْ وَاسْتِحْقَاقِهِمْ وَعَيْدِي... فَلَا تُشْعِرْ نَفْسَكَ بِالْحَزَنِ عَلَى مَا فَاتَكَ =

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.

أي: إذا حتمَّ اللهُ تعالى على أحدٍ أنه لا يتوبُ من ضلَّالته، ولا يرجعُ عن غيِّه ممَّن هو أهلٌ لذلك؛ فلن تملكَ له - يا محمَّدُ - من الله تعالى استنقاذًا ممَّا هو فيه من الحيرة والضلَّالة، فليس بمقدورك هدايته<sup>(١)</sup>.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي: إن أولئك اليهود الذين لا يقبلون من الحقِّ إلا ما وافق أهواءهم، لم يُردِ اللهُ تعالى أن يُطهِّرْ قلوبهم من دنس الكُفْرِ، ووسخ الشُّركِ وغير ذلك، بطهارة الإسلام، ونظافة الإيمان، فيتوبوا؛ فلذلك صَدَرَ منهم ما صَدَرَ<sup>(٢)</sup>.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي: لهم في الحياة الدنيا ذلٌّ وهوانٌ، وفضيحةٌ وعارٌ، ولهم في الآخرة غضبٌ الجبار، وعذابُ النار<sup>(٣)</sup>.

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ

= من اهتدائه للحقِّ ((تفسير ابن جرير)) (٤٢٧/٨). ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠٠/١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢٧/٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٠١/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠١/١).

قال الرازي: (لفظ الفتنة محتمل لجميع أنواع المفاسد، إلا أنه لما كان هذا اللفظ مذكورًا عقب أنواع كُفْرهم التي شرَّحها اللهُ تعالى، وجب أن يكون المراد من هذه الفتنة تلك الكُفريات التي تقدَّم ذكرها، وعلى هذا التقدير فالمراد: ومن يُرد اللهُ كُفْرَه وضلَّالته فلن يقدر أحدٌ على دفع ذلك عنه). ((تفسير الرازي)) (٣٦٠/١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢٨/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠١/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢٨/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠١/١ - ٤٠٢).

عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) ﴿﴾

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾

أي: إن هؤلاء اليهود الذين وصفتُ لك - يا مُحَمَّدُ - صفتهم؛ سَمَاعُونَ لِلْبَاطِلِ، مُسْتَجِيبُونَ لَهُ، مثل قول بعضهم لبعض: مُحَمَّدٌ لَيْسَ بِنَبِيٍّ، وكقول بعضهم: إِنَّ حُكْمَ الرَّانِي الْمُحَصَّنِ فِي التَّوْرَةِ الْجَلْدُ وَالتَّحْمِيمُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ<sup>(١)</sup>.

﴿أَكَاوُنَ لِلْسُّخْتِ﴾

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَاتِهِ مَا يَدْخُلُ فِي آذَانِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ مِنَ الْكَلَامِ؛ أَتَبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ مَا يَدْخُلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَيُطَوَّنُهُمْ مِنَ الطَّعَامِ، وَهِيَ غِذَاءُ إِنْ خَبِيثَانَ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ:

﴿أَكَاوُنَ لِلْسُّخْتِ﴾

أي: وَمِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ الْمَالَ الْحَرَامَ؛ كَالرَّشَاوِي وَغَيْرِهَا<sup>(٣)</sup>.  
﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾

أي: فَإِنَّ أَتَاكَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ - يَا مُحَمَّدُ - لِلاَحْتِكَامِ إِلَيْكَ، فَلَكَ أَنْ تَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِنْ شِئْتَ، أَوْ تَدَعَّ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ، فَالْخِيَارُ إِلَيْكَ فِي ذَلِكَ؛ فَهَمْ لَا يَقْصِدُونَ بِتَحَاكُمِهِمْ إِلَيْكَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ، بَلْ يَطْلُبُونَ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٩٦/٢٨ - ١٩٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢٨/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١١/١ - ٤١٢).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٣٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٢/١ - ٤١٣).

قال ابن عثيمين: «أو» هنا هل هي للتنويح أو للتخيير؟ الجواب: هذه للتخيير، وإذا كانت =

﴿وَأِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾.

أي: وإن تُعْرِضْ - يا مُحَمَّدُ - عن هؤلاء المحتكِمِينَ إِلَيْكَ مِنَ الْيَهُودِ، وَتَخْتَرُ تَرَكَ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ، فَلَنْ يَقْدِرُوا عَلَى الْحَاقِ أَيِّ ضَرَرٍ بِكَ فِي أَمْرِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا<sup>(١)</sup>.

﴿وَأِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾.

أي: وإنِ اخْتَرْتَ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ - يا مُحَمَّدُ - فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ أَعْدَاءً وَظَلَمَةً، خَارِجِينَ عَنِ طَرِيقِ الْعَدْلِ<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

أي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْعَادِلِينَ فِي حُكْمِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ<sup>(٣)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَكَلُوا<sup>(٤)</sup>)).<sup>(٥)</sup>

= للتخيير؛ فهل هو تخييرُ نَشَأَ أو مصلحة؟ نقول: هو تخييرُ مصلحةٍ ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١٣)،

والقاعدةُ تقول: إذا خيَّرَ العبدُ بين شَيْئَيْنِ فَأَكْثَرَ، فَإِنْ كَانَ التَّخْيِيرُ لِمَصْلَحَتِهِ فَهُوَ تَخْيِيرُ نَشَأَ واختيار، وإن كَانَ لِمَصْلَحَةٍ غَيْرِهِ فَهُوَ تَخْيِيرُ اجْتِهَادٍ فِي مَصْلَحَةٍ غَيْرِهِ. يُنظر: ((قواعد التفسير عند المفسرين)) لخالد السبت (ص: ٨٧٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤٥ - ٤٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١٣ - ٤١٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١٥).

(٤) وَمَا وَكَلُوا - بفتح الواو وضم اللام المخففة -: أي: ما كانت لهم عليه ولايةٌ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْيَتِيمِ، أو وَقْفٍ، أو حِسْبَةٍ، ونحو ذلك، ورُوي (وُكَلُوا) - بضم الواو وتشديد اللام -: أي ما جعلوا والينَ عليه. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/٢١١)، ((مرفأة المفاتيح)) للقراري (٦/٢٤٠٤).

(٥) رواه مسلم (١٨٢٧).

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٣).

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾. أي: كيف يجعلك هؤلاء اليهود - يا مُحَمَّدٌ - حَكَمًا بينهم وهم يكذبونك، وعندهم التوراة التي أنزلت على موسى، والتي فيها حكم الله على ما يريدون، ومن ذلك حكم الله فيها على الزاني المحصن بالرَّجْمِ!؟ ومع هذا أعرضوا عن حُكْمِهَا، وهم يعلمون أنه الحق، وطلبوا حُكْمَ غيرها؛ لاحتمال موافقته لأهوائهم بظنهم الفاسد<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: إنهم ليسوا من أهل الإيمان؛ فإن ذلك ليس من صنيعهم ودأبهم، أمَّا هؤلاء فقد جعلوا الهتهم أهواءهم، وجعلوا أحكام الشَّرع تابعة لها، ولو كانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان لم يعدلوا عن حكم الله في التوراة التي بين أيديهم<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد التربويَّة:

١- في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ تعليمٌ وتأديبٌ للمؤمنين ألاَّ يُخاطبوا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم باسمه، وأن يُخاطبوه بوصفه<sup>(٣)</sup>.

٢- الإشارةُ إلى أن المدارَ في الإيمان والصَّلاح والفساد، على القلب؛ لقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤٧-٤٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١٩-٤٢٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٢٠-٤٢١).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٢٠).

يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴿١﴾، فالإيمان باللسان ليس إيماناً حتى يكون مبنياً على إيمان القلب، وإلا فإنه لا ينفَعُ صاحبه؛ فالإيمان محلُّه القلب<sup>(١)</sup>. وفي الحديث: ((ألا وإنَّ في الجسدِ مضغَةً، إذا صلحت صلحَ الجسدِ كلُّهُ، وإذا فسدت فسَدَ الجسدُ كلُّهُ))<sup>(٢)</sup>.

٣- يُستفادُ من قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أَنَّ مَنْ حَرَفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَيَقْتَضِي هَذَا التَّحْذِيرَ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ لِثَلَا يَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي مِثَابَةِ الْيَهُودِ<sup>(٣)</sup>.

٤- أَنَّ التَّحْرِيفَ الْمَذْمُومَ، هُوَ الَّذِي يَقَعُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ لِلْحَقِّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، فَهَمُّ يُرِيدُونَ أَنْ يُزِيلُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، أَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي تَأَوَّلَ بِتَأْوِيلٍ سَائِغٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْمُ، وَلَا يُعَدُّ فِعْلُهُ تَحْرِيفًا يَأْتُمُّ بِهِ<sup>(٤)</sup>.

٥- يُستفادُ من قوله: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ ذَمُّ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَإِذَا لَمْ يُوَافِقْ أَهْوَاءَهُمْ ذَهَبُوا يَتَطَلَّبُونَ الرُّخْصَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ<sup>(٥)</sup>.

٦- يُستفادُ من قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ دَائِمًا أَنْ يُطَهِّرَ قَلْبَهُ، وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ، وَاعْتِنَاءُ الْمَرْءِ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَشَدَّ مِنْ اعْتِنَائِهِ بِعَمَلِ الْجَسَدِ؛ لِأَنَّ عَمَلَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٠٣، ٤٠٩، ٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٠٦).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٤٠٥).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٤٠٧).

الجسد يقع من كل إنسان؛ من مؤمن ومنافق، لكن عمل القلب هو المهم<sup>(١)</sup>.

٧- أنه يجب على الإنسان المستدلل أن ينظر إلى النصوص من جميع الجوانب، وذلك أنك إذا نظرت إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ لقلت: إن إرادة الله تعالى لتطهير القلب مجرد مشيئة، لكن إذا قيدتها بالنصوص الأخرى عرفت أن عدم إرادة الله تطهير قلوب هؤلاء؛ لأنهم ليسوا أهلاً لذلك، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> [الصف: ٥].

٨- يُستفاد من قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الوعيد لهؤلاء لعلهم يرجعون؛ فإن الوعيد على المعصية من أسباب العُدول عنها، بحيث لا يُقدم عليها، وإذا أقدم استعتب وتاب<sup>(٣)</sup>.

٩- يُستفاد من قوله: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ التحذير من هذا الوصف القبيح، وهو الاستماع للكذب، أو نقل الكذب؛ لأن الله أكد بيان هذا الوصف القبيح من اليهود<sup>(٤)</sup>.

١٠- التحذير من أكل المال بالباطل؛ لقوله: ﴿أَكَاوُنَ لِلشُّحْتِ﴾، والله عز وجل لم يذكر هذا الوصف إلا لتحذره<sup>(٥)</sup>.

١١- يُستفاد من قوله: ﴿أَكَاوُنَ لِلشُّحْتِ﴾ أن من اكتسب المال الحرام ففيه شبهة من اليهود؛ فأكلوا الربا مشابهون لليهود، وأكلوا الأموال بالغش مشابهون لليهود، وأكلوا الأموال بالحلف الكاذب مشابهون لليهود؛ فكل من اكتسب مالاً بغير حق

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤١٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٠٩).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٠).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٥).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٦).

بطريقٍ محرّمٍ فهو مشابهٌ لليهود، كالرّاشي والمرثسي، فالرّشوة شائعةٌ في اليهود<sup>(١)</sup>.

١٢- أنه لا يجوزُ للإنسان أن يُراعيَ في حُكْمه قريبًا ولا صديقًا، ولا غنيًا ولا فقيرًا؛ لقوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾، وهذا يعني: أن ينظرَ إلى القضية من حيث هي قضية، لا من حيث إنَّها قضية فلان بن فلان<sup>(٢)</sup>.

١٣- يُستفادُ من قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحثُّ على الإقساطِ، أي: العدلِ؛ وجّه ذلك: كونُ الله يُخبرُ أنه يحبُّ المُقسطين يتضمَّن الحثُّ على العدلِ، فهذا ليس مُجرَّدَ خبرٍ، بل هو خيرٌ يُرادُ به الحثُّ والإغراء على العدلِ<sup>(٣)</sup>.

١٤- يُستفادُ من قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ﴾ أنَّ من استفتى عالمًا طلبًا للرخصة، ففيه شبهةٌ من اليهود<sup>(٤)</sup>.

### الفوائدُ العلميَّةُ واللطائفُ:

١- نداؤه تعالى له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ هنا، وفي ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ في مواضعٍ أخرى تشريفٌ وتعظيمٌ وتفخيمٌ لقدره، ونداءٍ غيره من الأنبياء باسمه، فقال: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، و﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٥]، ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ﴾ [مريم: ١٢].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٦/١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤١٧/١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤٢١/١).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٥٨/١١) ((تفسير أبي حيان)) (٢٦٠/٤)، ((تفسير ابن عادل))

(٣٣٤/٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣١٩/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة

المائدة)) (٤٠٢/١).



٢- تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته بقوله: ﴿لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- أَنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي الْكُفْرِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُسَارِعُ فِيهِ بِخَطِيئَةِ حَشِيئَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَسَمَ، فَقَالَ: ﴿لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، يَعْنِي: وَهَنَاكَ أَنَا سٌ لَا يُسَارِعُونَ فِيهِ، فَالِدَاعِيَةُ إِلَى الْكُفْرِ مَسَارِعٌ فِيهِ، وَغَيْرُ الدَاعِيَةِ غَيْرُ مَسَارِعٍ<sup>(٢)</sup>.

٤- قَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿مَنْ بَعْدَ مَوَاضِعِهِ﴾، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى قَالَ: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]؛ لِأَنَّ آيَةَ سُورَةِ النَّسَاءِ فِي وَصْفِ الْيَهُودِ كُلِّهِمْ، وَتَحْرِيفِهِمْ فِي التَّوْرَةِ، فَهُوَ تَغْيِيرُ كَلَامِ التَّوْرَةِ بِكَلَامٍ آخَرَ عَنْ جَهْلٍ أَوْ قَصْدٍ، أَوْ خَطَأً فِي تَأْوِيلِ مَعَانِي التَّوْرَةِ أَوْ فِي أَلْفَظِهَا، فَكَانَ إِبْعَادًا لِلْكَلامِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، أَي: إِزَالَةً لِلْكَلامِ الْأَصْلِيِّ سِوَاءِ عَوْضٍ بغيرِهِ أَوْ لَمْ يُعَوْضْ، وَأَمَّا هَذِهِ الْآيَةُ فَفِي ذِكْرِ طَائِفَةٍ مَعَيَّنَةٍ أَبْطَلُوا الْعَمَلَ بِكَلَامٍ ثَابِتٍ فِي التَّوْرَةِ؛ إِذْ أَلْعَوُوا حُكْمَ الرَّجْمِ الثَّابِتَ فِيهَا دُونَ تَعْوِيضِهِ بغيرِهِ مِنَ الْكَلَامِ، فَهَذَا أَشَدُّ جَرَأَةً مِنَ التَّحْرِيفِ الْآخَرَ؛ فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ بَعْدَ مَوَاضِعِهِ﴾ أْبْلَغَ فِي تَحْرِيفِ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ لَفْظَ (بَعْدَ) يَقْتَضِي أَنْ مَوَاضِعَ الْكَلِمِ مُسْتَقَرَّةٌ، وَأَنَّهُ أَبْطَلَ الْعَمَلَ بِهَا مَعَ بَقَائِهَا قَائِمَةً فِي كِتَابِ التَّوْرَةِ<sup>(٣)</sup>.

٥- أَنَّ الْيَهُودَ لَا يَقْبَلُونَ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

٦- شِدَّةُ كَرَاهَةِ أَحْبَارِ الْيَهُودِ لِلْحَقِّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ لَمْ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠٢/١).

(٢) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣٨/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠٢/١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٠٠/٦).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠٦/١).

يقولوا: (فلا تأخذوه)، بل قالوا: ﴿فَاخْذَرُوا﴾، وهذا أشدُّ وقعًا من قولهم: (فلا تأخذوه)، وكان مقتضى المقابلة أن يُقال: وإن لم تؤتوه فلا تأخذوه<sup>(١)</sup>.

٧- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا﴾ أَنَّ الثَّيْبَ الذَّمِّيَّ يُرْجَمُ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قَالَ: لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَمَرَ بِرَجْمِهِ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ بِرَجْمِ الثَّيْبِ الذَّمِّيِّ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ فَقَدْ ثَبَتَ الْمَقْصُودُ، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا أَمَرَ بِذَلِكَ بِنَاءً عَلَى مَا ثَبَتَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَشْرُوعًا فِي دِينِنَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَفْتَى عَلَى وَفْقِ شَرِيعَةِ التَّوْرَةِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَانَ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ فِي ذَلِكَ وَاجِبًا، وَالثَّانِي: أَنَّ مَا كَانَ ثَابِتًا فِي شَرْعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْأَصْلُ بِقَاوُضِهِ إِلَى طَرِيقِ النَّاسِخِ، وَلَمْ يَوْجَدْ فِي شَرْعِنَا مَا يَدُلُّ عَلَى نَسْخِ هَذَا الْحُكْمِ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ بَاقِيًا<sup>(٢)</sup>.

٨- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ وَ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ رَدُّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلِيَّةِ، الَّذِينَ يَنْفُونَ مَشِيئَةَ اللَّهِ لِأَفْعَالِ الْعِبَادِ، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ مُرِيدِ إِسْلَامِ الْكَافِرِ إِرَادَةً كَوْنِيَّةً، وَأَنَّهُ لَمْ يُطَهِّرْ قَلْبَهُ مِنَ الشُّكِّ وَالشُّرْكِ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لَأَمَّنَ<sup>(٣)</sup>.

٩- عَتُوُ الْيَهُودِ، وَأَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ يَتَوَلَّوْنَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾؛ لِأَنَّ ﴿ثُمَّ﴾ تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّرَاخِي<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٠٧).

(٢) يُنظر: ((أحكام القرآن)) للجصاص (٥/٩٨)، ((تفسير الرازي)) (١١/٣٥٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٦٢). ((تفسير الرازي)) (١١/٣٦٠).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٢٣).

١٠- في قوله ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ نفى لضرره صلى الله عليه وسلم، لكن قد يؤذونه، فالأذية لا يلزم منها الضرر؛ فقد قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وقال في الحديث القدسي: ((يا عبادي، إنكم لن تبغوا ضري فتضروني))<sup>(١)</sup>، فنفى أن يضره أحد، أمّا الأذية فقد أثبتّها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقوله في الحديث القدسي: ((يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر))<sup>(٢)</sup>، فالضرر منفي عن الله عز وجل، والأذية ثابتة<sup>(٣)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ استئناف ابتدائي؛ لتهوين تألب المنافقين واليهود على الكذب والاضطراب في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم وسوء طواياهم معه<sup>(٤)</sup>.

- وفيه كناية في قوله: ﴿لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾؛ حيث إن نهيه عن أن يحصل له إحزان مسند إلى الذين يسارعون في الكفر، والإحزان فعل الذين يسارعون في الكفر، والنهي عن فعل الغير إنما هو نهى عن أسبابه، أي: لا تجعلهم يحزنونك، أي: لا تهتم بما يفعلون ممّا شأنه أن يدخل الحزن على نفسك<sup>(٥)</sup>.

٢- قوله: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ فيه تكرار؛ تأكيداً لما قبله، وتمهيداً لما بعده،

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤١٣ - ٤١٤).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٦٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٦)، ((تفسير ابن عاشور))

(١٩٤/٦).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٩٧).

وتقريراً للمعنى، وإفادة اهتمام المتكلم به، و﴿سَمَاعُونَ﴾ من صفات المبالغة<sup>(١)</sup>، وأفاد تكرار ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أن هذه الخصلة أصبحت خصلة لهم؛ تهش نفوسهم لسَماعِ الكذبِ والباطلِ، وتنقبضُ لسَماعِ الحقِّ والصدقِ، وهذه طبيعة القلوبِ حين تُفسدُ، وعادةُ الأرواحِ حين تنطمس<sup>(٢)</sup>؛ ففيه كنايةٌ عن نفسي الكذبِ في جماعتهم بين سامعٍ ومخلقٍ؛ لأن كثرة السمع تستلزم كثرة القول<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ هذا التركيب يدل على انتفاء الحيلة في تحصيل أمرٍ ما، أي: لا تقدر على أقل شيء من الله، أي: لا تستطيع نيل شيء من تيسير الله؛ لإزالة ضلالة هذا المفتون؛ لأن مادة الملك تدل على تمام القدرة<sup>(٤)</sup>.

- وتنكير ﴿شَيْئًا﴾ للتقليل والتحقيق، ويدل على انتفاء ملك الشيء القليل، ويقضي انتفاء ملك الشيء الكثير بطريق الأولى<sup>(٥)</sup>.

٤- قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ فيه إشارة إلى المذكورين من المنافقين واليهود، وما في اسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ من معنى البعد؛ للإيدان ببعد منزلتهم في الفساد<sup>(٦)</sup>.

٥- قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: تكرير ﴿لَهُمْ﴾ مع اتحاد المرجع؛ لزيادة التقرير والتأكيد، وتنكير ﴿خِزْيٌ﴾ للتفخيم<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٢٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٦١)، ((تفسير أبي السعود))

(٣/٣٧-٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٠١)، ((تفسير الشربيني)) (١/٣٧٦).

(٢) ينظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٨٩٣).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٩٩).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٦/٢٠١).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٦) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٣٨).

(٧) ينظر: ((المصدر السابق)).

مع ما يُفيد تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ من القصرِ والحصرِ، وما يُفيدة تنكيرِ ﴿عَذَابٍ﴾ من التّفخيمِ والتّهويلِ كذلك، ووصفه بـ ﴿عَظِيمٍ﴾ بصيغة المبالغة.

٦- قوله: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ﴾ الاستفهامُ للتعجب؛ إذ من العجيبِ أنّهم يتركون كتابهم ويُحكّمونك، وهم غير مؤمنين بك، ثم يتولّون بعد حُكْمِكَ إذا لم يُرضهم، والجملة استثنائية، مسوقة لبيان أنّ عندهم ما يُغنيهم عن التّحكيم<sup>(١)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ تذييلٌ مُقرّر لفحوى ما قبله، ووضع اسم الإشارة ﴿أَوْلَيْكَ﴾ موضع ضميرهم (هُم)؛ للقصدِ إلى إحضارهم في الذّهن بما وُصفوا به من القبائح؛ إيماءً إلى عِلَّةِ الحُكْم<sup>(٢)</sup>، وأتى بـ «أولاء» مقرونةً بالكافِ الدالّةِ على بُعدِ المشارِ إليه، وهذا لدنو منزلتهم وليس لعلوّها، يعني: ما هؤلاء المنحطّون الذين نزلوا إلى أسفلِ السّافلين بالمؤمنين، وأتى بحرفِ الجرِّ في قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ للتوكيد<sup>(٣)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٦٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٠٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٢٠-٤٢١).

## الآيتان (٤٤ - ٤٥)

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا  
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا  
وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا  
أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ  
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ  
وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾: جمع رباني، منسوب إلى الرب أو إلى الربان، وهو الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة، والتدبير، والقيام بأمر الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم، ويشمل ذلك: العالم الحكيم، والفقيه التقي العابد، والمعلم المصلح، والذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وأصل (رب): يدل على إصلاح الشيء والقيام عليه ولزومه، وضم الشيء للشيء<sup>(١)</sup>.

﴿وَالْأَحْبَارُ﴾: العلماء، وهنا تختص بعلماء اليهود من ولد هارون، جمع حبر، وأصل (حبر): يدل على الأثر في حُسْنٍ وبهاء<sup>(٢)</sup>.

﴿اسْتُحْفِظُوا﴾: استودعوا، والحفظ هو التعاهد، وقلة الغفلة، ويُستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية، وهو نقيض النسيان<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥/٥٢٩-٥٣١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٣٨١-٣٨٢)،

((المفردات)) للراغب (ص: ٣٣٦-٣٣٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/١٢٧)،

((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٦، ١٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٠٨).

(٣) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٣/١٩٨)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، =

﴿فَلَا تَخْشَوْا﴾: الخَشْيَةُ: خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ، وهي: أشدُّ من الخوفِ وأخصُّ منه؛ فهي خوفٌ مقرونٌ بمعرفةٍ، وأكثرُ ما تكونُ الخَشْيَةُ عنِ عِلْمٍ بالمخوفِ منه، وهي مأخوذةٌ من قولهم: شجرةٌ خاشيةٌ: أي يابسةٌ، وأصلُ (خشي) : يدلُّ على خوفٍ وذعرٍ<sup>(١)</sup>.

﴿فِصَاصٌ﴾: وهو: مُقَابِلَةُ الفِعْلِ بِمِثْلِهِ، وتتبعُ الدَّمَّ بالقَوْدِ، كَقَتْلِ القَاتِلِ بَدَلِ القَتْلِ، وأصلُ القَصِّ: تتبُّعُ الشَّيْءِ والأَثَرِ، ومنه اشتقَّ القِصَاصُ في الجِراحِ؛ لأنَّهُ يُفَعَّلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بالأوَّلِ، فكأنَّه اقتصَّ أثره<sup>(٢)</sup>.

﴿كَفَّارَةٌ﴾: الكَفَّارَةُ: ما يُغَطِّي الإِثْمَ، وأصلُ الكُفْرِ: السِّتْرُ والتَّغْطِيَةُ<sup>(٣)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّة:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ مُشْتَمِلَةً عَلَى الْهُدَى وَالتَّوْرَ؛ يَحْكُمُ بِهَا بَيْنَ الْيَهُودِ أَنْبِيَائِهِمُ الَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا وَخَضَعُوا لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَحْكُمُ بِهَا أَيْضًا بَيْنَهُمُ الرِّبَائِيُونَ وَالْأَحْبَارُ؛ وَذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ مُسْتَأْمِنِينَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، مَأْمُورِينَ بِتَبْلِيغِهِ، وَشُهَدَاءَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَهَى اللَّهُ عُلَمَاءَ الْيَهُودِ أَنْ يَخَافُوا مِنَ النَّاسِ فِي تَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ، بَلْ يَخَافُونَهُ وَخُدَّهَ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَتْرَكُوا الْحُكْمَ بِمَا فِي كِتَابِهِ مِنْ أَجْلِ مَنَاعِ الدُّنْيَا القَلِيلِ الزَّائِلِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَهُ تَعَالَى فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ فَرَضَ عَلَى الْيَهُودِ فِي التَّوْرَةِ القِصَاصَ بِأَنْ تُقْتَلَ النَفْسُ

= ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٤٤).

(١) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٨٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٨٣)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ٥٠٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٢٨).

(٢) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧١ - ٦٧٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦).

(٣) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٩١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧١٧).

إِذَا قَتَلْتَ نَفْسًا أُخْرَى عَمْدًا بغيرِ حَقٍّ، وكذا العَيْنُ مقابلُ العَيْنِ، والأنفُ مقابلُ الأنفِ، والأذنُ مقابلُ الأذُنِ، والسِّنُّ مقابلُ السِّنِّ، كما فَرَضَ القِصاصَ في الجُرُوحِ؛ فللمجروحِ أن يفتَصَّ بالمِثلِ ممَّن جَرَحَهُ ظُلْمًا، فمَن تنازَلَ عن حَقِّهِ من القِصاصِ فيما سبقَ فَعَفَا عَمَّن تَعَدَّى عليه، فسَيُكَفِّرُ اللهُ ذنوبَهُ جزاءَ عَفْوِهِ عنه، وأخْبَرَ تعالى أَن مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بما أَنْزَلَهُ فأولئك هم الظَّالِمون.

### تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

مُنَاسِبُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا وَصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّوْرَةَ بِأَنَّ فِيهَا حُكْمَهُ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ وتضمَّن ذلك مدحَ التَّوْرَةِ؛ صرَّحَ بذلك هنا، فأثنى عليها وعلى الحاكمينَ بها، تأكيدًا لذمِّ اليهودِ في الإعراضِ عمَّا دَعَتْ إليه مِن أصلٍ وفرعٍ، وتحذيرًا من مثلِ حالِهِم<sup>(١)</sup>، فقال:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.

أي: نحنُ نَزَّلْنَا التَّوْرَةَ على موسى عليه السَّلامُ، وفيها ما يَهْدِي إلى الحقِّ، وما يُستضاءُ به في ظُلُماتِ الشَّهواتِ والشُّبهاتِ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١/١٤٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١/٤٢٤).



﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾.

أي: يحكم بحكم التوراة الأنبياء الكرام سادة الأنام عليهم السلام، الذين استسلموا لله تعالى ظاهراً وباطناً، فيحكمون بها بين اليهود، لا يخرجون عن حكمها، ولا يبدلون لها ولا يحرفونها<sup>(١)</sup>.

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أي: ويحكم بالتوراة وأحكامها أيضاً الربانيون (وهم العلماء الحكماء العباد، الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره)، والأحبار (وهم العلماء الكبار ذوو العلم الواسع، المحكمون لعلمهم)؛ وذلك لأن الله تعالى جعلهم أمناً على كتابه؛ استودعهم إياه، وأمرهم أن يظهره ويعملوا به، وأوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.

أي: شهداء على أنه كتاب الله، نزل من عند الله، وفيه حكم الله، وهم مؤتمنون على تبليغه، وحفظه من التبديل والتحريف والكتمان، ومن ذلك الحكم برجم الزاني المحصن، وإثبات أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الرسول المنتظر المذكور في التوراة<sup>(٣)</sup>.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١١٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٤/١ - ٤٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٥١/٨ - ٤٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢ - ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٥/١ - ٤٢٦).

(٣) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) للواحدي (١٩٠/٢)، ((تفسير القرطبي)) (١٨٩/٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٠٩/٦ - ٢١٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٦/١، ٤٣١). وممن قال بنحو هذا القول من السلف ابن عباس في رواية عنه. ينظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (٥٥٢/١).

مُنَاسِبَتِهَا لِمَا قَبْلُهَا:

لَمَّا قَرَّرَ فِيمَا سَبَقَ أَنَّ النَّبِيِّينَ وَالرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارَ كَانُوا قَائِمِينَ بِإِمضَاءِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ مِنْ غَيْرِ مَبَالَاةٍ؛ خَاطَبَ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَا﴾

أي: فما دُئِمْتُمْ قَدِ اسْتُحْفِظْتُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - يَا عُلَمَاءَ الْيَهُودِ<sup>(٢)</sup> - فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ فِي تَنْفِيذِ حُكْمِي وَإِمضَائِهِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ضَرْكِمْ وَلَا نَفْعِكُمْ إِلَّا بِإِذْنِي؛ فَإِنَّ الْحَفِيزَ عَلَى الشَّيْءِ، الْأَمِينَ حَقَّ الْأَمَانَةِ لَا يَخْشَى أَحَدًا فِي الْقِيَامِ بِوَجْهِ أَمَانَتِهِ، وَلَكِنَّهُ يَخْشَى الَّذِي اسْتَأْمَنَهُ، فَلَا تُخْلُوا بِهَا اسْتِرْضَاءً لِأَهْوَاءِ النَّاسِ - كَكَيْتْمَانِ حُكْمِ الرَّجْمِ، الَّذِي حَكَمَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَةِ عَلَى الزَّانِي الْمَحْصَنِ وَتَبْدِيلِهِ بِغَيْرِهِ، وَكَيْتْمَانِ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَكِنْ اخْشَوْنِي دُونَ كُلِّ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي، وَاقْضُوا أَنْظَارَكُمْ عَلَى رِضَائِي؛ فَإِنَّ النِّفْعَ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٤٩).

(٢) هذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/٤٥٥)، والواحد في ((التفسير الوسيط)) (٢/١٩٠)، وابن عطية في ((تفسيره)) (٢/١٩٦) أَنَّ الْخَطَابَ لِعُلَمَاءِ الْيَهُودِ.

وَمَنْ قَالَ بِنَحْوِ هَذَا الْقَوْلِ مِنَ السَّلَفِ: ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. يُنظَرُ: ((زاد المسير)) (١/٥٥٢).

وَذَكَرَ ابْنُ عَطِيَّةٍ أَنَّهُ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ خَطَابًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَذَهَبَ ابْنُ عَاشُورٍ إِلَى جَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ لِيَهُودِ زَمَانِ نَزُولِ الْآيَةِ، وَالْفَاءُ لِلتَّفْرِيعِ عَمَّا حُكِيَ عَنْ فِعْلِ سَلَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَكُونُوا قَدْوَةً لِخَلْفِهِمْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَتَكُونَ الْجَمَلَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَعْتَرِضَةً، وَذَهَبَ أَيْضًا إِلَى جَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ لِلنَّبِيِّينَ وَالرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارِ؛ فَهِيَ عَلَى تَقْدِيرِ الْقَوْلِ، أَي: قَلْنَا لَهُمْ: فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ. يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢١٠).

والضرَّ بيدي، وخافوا عقابي على كتمانكم أو تبديلكم ما استُحِفَّتُمْ مِنْ كِتَابِي<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

أي: ولا تتركوا الحُكْمَ بِآيَاتِ كِتَابِي - أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ - فَتَكْتُمُوا الْحَقَّ، وَتُظْهِرُوا الْبَاطِلَ؛ لِأَجْلِ مَتَاعٍ قَلِيلٍ، وَعَوَظٍ خَسِيسٍ - كَطَلْبِ بَقَاءِ جَاهٍ وَسِيَادَةٍ، أَوْ طَلْبِ مَالٍ يُبْذَلُ رِشْوَةً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا مَنَعَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ النَّاسِ، وَأَنْ يَشْتَرُوا بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؛ أَتْبَعَهُ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ<sup>(٣)</sup>.

سَبَبُ النُّزُولِ:

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((مَرَّ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مَحْمَمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَقَالَ: أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ؛ نَجَدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرْكُنَاهُ، وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ! قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلَنَجْتَمِعَ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَوْلُ مَنْ أَحْيَا

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٥٥/٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢١٠)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٤٢٧/١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٥٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٤٢٧/١).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٤٩).

أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ، فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾، يقول: اتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في الكفارِ كُلِّهَا<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾

أي: إن الذين لم يحكموا بما أنزل الله تعالى في كتابه من اليهود وغيرهم، فبدلوا حكمه، وكتبوا الحق الذي أنزله في كتابه، وحكموا بالباطل؛ هؤلاء هم الكافرون<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (١٧٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٥٦/٨، ٤٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٧/١).

والحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً أكبر يُخرج من الملة في بعض الأحوال، ككراهية حكم الله تعالى، أو ظن أن حكم غيره مثله أو أحسن منه، أو اعتقاد أن حكم الله تعالى غير صالح في بعض الأزمان كزماننا هذا، أو استبدال قوانين وأنظمة عامة بحكم الله تعالى، تخالف حكم الله؛ فتحل ما حرم الله وتحرم ما أحل الله، هذا مع تحقق وجود شروط التكفير وانتفاء موانعه، وقد يكون في أحوال أخرى كفراً أصغر لا يُخرج من الملة، كمن يحكم في قضية معينة بخلاف حكم الله تعالى لشهوة أو رشوة، فيكون كبيرة من كبائر الذنوب.

ينظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣٤٦/١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢٥٨-٢٥٩). قال السعدي: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه؛ لغرض من أغراضه الفاسدة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، وقد يكون كفراً يتنقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه، وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب ومن أعمال الكفر؛ قد استحق من فعله العذاب الشديد ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣). وقال الشنقيطي: (فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية؛ وعليه: فالكفر إنما كفر دون كفر، وإنما أن يكون فعل ذلك مستحلاً له، أو قاصداً به جحد أحكام الله وردّها مع العلم بها، أمّا من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنباً، فاعل فيبها، وإنما حمله على ذلك الهوى، فهو من سائر عصاة المسلمين) ((أضواء البيان)) (٤٠٧/١).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ

= وقال أيضًا: (واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث: أن الكفر، والظلم، والفسق، كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادًا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى: ومن لم يحكم بما أنزل الله؛ معارضة للرسل، وإبطالًا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بما أنزل الله معتقدًا أنه مرتكب حرامًا، فاعل قبيحًا، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة) ((أضواء البيان)) (١/٤٠٧-٤٠٨).

قال ابن عثيمين: (من لم يحكم بما أنزل الله استخفافًا به، أو احتقارًا له، أو اعتقادًا أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق، فهو كافر كفرًا مخرجًا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية؛ لتكون منهاجًا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والحبيلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه، ونقص ما عدل عنه). ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (٢/١٤٣).

وقال أيضًا: (والحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يستبدل هذا الحكم بحكم الله تعالى، بحيث يكون عالمًا بحكم الله، ولكنه يرى أن الحكم المخالف له أولى وأنفع للعباد من حكم الله، أو أنه مساوٍ لحكم الله، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز، فيجعله القانون الذي يجب التحاكم إليه؛ فينتل هذا كافرًا كفرًا مخرجًا عن الملة؛ لأن فاعله لم يرض بالله ربًا، ولا بمحمد رسولًا، ولا بالإسلام دينًا، وعليه ينطبق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

الثاني: أن يستبدل بحكم الله تعالى حكمًا مخالفًا له في قضية معينة، دون أن يجعل ذلك قانونًا يجب التحاكم إليه؛ فهذه ثلاث حالات:

الأولى: أن يفعل ذلك عالمًا بحكم الله تعالى، معتقدًا أن ما خالفه أولى منه وأنفع للعباد، أو أنه مساوٍ له، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز؛ فهذا كافرًا مخرجًا عن الملة؛ لما سبق في القسم الأول.

الثانية: أن يفعل ذلك عالمًا بحكم الله، معتقدًا أنه أولى وأنفع، لكن خالفه بقصد الإضرار بالمحكوم عليه، أو نفع المحكوم له، فهذا ظالم وليس بكافر، وعليه ينتزل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الثالثة: أن يكون كذلك، لكن خالفه لهوى في نفسه، أو مصلحة تعود إليه؛ فهذا فاسق وليس بكافر، وعليه ينتزل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (٢/١٤٥).

وقال أيضًا: (الأدلة دلت على أن هذا [أي: التكفير] مقيد بشروط:

بِالْأُذُنِ وَالسَّنِّ بِالسَّنِّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴿١﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى فِي التَّوْرَةِ أَحْكَامَ حَدِّ الزَّيْنِ، وَأَنَّ حُكْمَ الزَّانِي الْمُحْصَنِ هُوَ الرَّجْمُ، وَأَنَّ الْيَهُودَ غَيَّرُوهُ وَبَدَّلُوهُ - ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ تَعَالَى بَيَّنَّ فِي التَّوْرَةِ أَحْكَامَ الْقِصَاصِ، لَكِنَّ الْيَهُودَ غَيَّرُوهَا أَيْضًا<sup>(١)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسَّنَّ بِالسَّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ ﴿٢﴾

أي: وفرضنا على اليهود في التوراة أن النفس تُقتل قصاصًا، إذا قتلت نفسًا أخرى عمدًا بغير حق، وكذا العين تُفقد بالعين، والأنف تُجدع بالأنف، والأذن تُقطع بالأذن، والسِّنُّ تُقلع بالسِّنِّ، ويُقتض للمجروح مَن جرحه ظلمًا وعدوانًا بمثل الجرح الذي جرحه<sup>(٢)</sup>.

= الأول: أن يكون الحاكم عالمًا بحكم الله، والثاني: أن يكون عالمًا بمخالفة هذا الحكم لحكم الله، والثالث: أن يجعله بديلًا عن حكم الله، والرابع: ألا يرضى بحكم الله، فإذا تمت هذه الشروط صار حينئذ خارجًا عن الملَّة) (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٤٣٥-٤٣٦)). قال الرازي: (أجمع المفسرون على أن هذا الوعيد يتناول اليهود بسبب مخالفتهم حكم الله تعالى في واقعة الرجم) (تفسير الرازي) ((٣٦٨/١٢)).

وممن ذهب من السلف أن الآية في اليهود، وتشمل كذلك هذه الأمة: ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، والحسن، والشَّدي. ينظر: (تفسير ابن جرير) ((٤٦٦/٨))، (زاد المسير) لابن الجوزي (٥٥٢/١).

(١) ينظر: (تفسير الرازي) ((٣٦٨/١٢)) (تفسير أبي حيان) ((٢٧١، ٢٧٠/٤)) (تفسير ابن عاشور) ((٢١٣/٦)).

(٢) ينظر: (تفسير ابن جرير) ((٤٦٨-٤٦٩))، (تفسير ابن كثير) ((١٢٠-١٢٢/٣))، (تفسير السعدي) ((ص: ٢٣٣))، (تفسير ابن عثيمين) ((٤٤٨-٤٣٩/١)).

قال السعدي: (ومثل هذه ما أشبهها من الأطراف التي يُمكن الاقتصاص منها بدون حيف) (تفسير السعدي) ((ص: ٢٣٣)).

وهذا من جملة أحكام التوراة، التي يحكم بها النيون الذين أسلموا للذين هادوا، ويحكم بها الربانيون والأحبار، ومع ذلك يخالفها اليهود عمداً؛ فهم بترك حكم محمد صلى الله عليه وسلم بينهم أخرى وأولى<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾

أي: فمن تنازل عمداً وجب له من حق القصاص في النفس، وما دونها من الأطراف والجروح فعفاً عن الجاني، تكفر عنه ذنوبه؛ جزاء لعفوه وتنازله<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

أي: إن الذين لم يحكموا بما أنزل الله تعالى في كتابه من اليهود وغيرهم،

= قال النحاس: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ فهذا الضمير لليهود بإجماع ((إعراب القرآن)) (١/٢٦٩).

وقال الرازي: (أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أن النفس بالنفس حكمه باقٍ في شرعنا) ((تفسير الرازي)) (١١/٣٥٩-٣٦٠).

وقال القرطبي: (أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ﴾ أنه في العمدة) ((تفسير القرطبي)) (٦/٢٠٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢١٣-٢١٥).

(٢) واختار هذا القول ابن جرير في ((تفسيره)) (٤٧٩-٤٨٠)، واختاره ابن العربي في ((أحكام القرآن)) (٢/١٣٦)، وذكر أن عليه أكثر الصحابة، واختاره القرطبي في ((تفسيره)) (٦/٢٠٨) وقال: إنه الأظهر. واختاره ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٣٠/٣٦٢)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/٢١٦-٢١٧).

وممن قال من السلف بنحو هذا القول: ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وإبراهيم النخعي - في أحد قوليه - والحسن، وقتادة، والشعبي، وأبو إسحاق الهمداني. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٧٢)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/١١٤٦)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٥٤). وقيل: كفارة للجاني، فإذا عفا المجني عنه كان عفوهُ كفارةً للذنب الجاني، كما القصاص منه كفارةً له. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٧٥).

واختار السعدي أنه كفارة للعافي وللجاني أيضاً؛ لأن المجني عليه عفا عن حقه، والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حقه، يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣).

فبدّلوا حُكْمَهُ، وكتَمَوْا الحَقَّ الذي أنزله في كتابه، وحكّموا بالباطل في أحكام القصاص وغيرها، فهم ممّن جازَ على حُكْمِ اللّهِ وتعدّى حُدُودَهُ، ووضع فعَلَهُ في غير موضعه الذي جعله اللّهُ تعالى له<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التّربويّة:

١- يُستفاد من قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ أَنَّ العِبْرَةَ بالاهتداء بالدّين، وأنّه لا ينفع أهلَ الانتماء إليه إذا لم يُقيموه؛ إذ لا يَستفيدون من هِدَايَتِهِ ونوره إلّا بإقامته والعمل به، وأنّ إيثار أهل الكتاب أهواءهم على هداية دينهم هو الذي أعماهم عن نور القرآن، والاهتداء به<sup>(٢)</sup>.

٢- أَنَّ أهل العِلْم ورثة الأنبياء في إظهار حُكْمِ اللّهِ والدّعوة إلى شريعته؛ لقوله: ﴿وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَخْبَارُ﴾، عطفاً على الأنبياء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٢).

واختار ابنُ عاشور أنّ المراد بالظالمين الكافرون؛ لأنّ الظلم يُطلق على الكفر؛ فيكون هذا مؤكّداً للذي في الآية السابقة، ويحتمل أنّ المراد به الجور؛ فيكون إثبات وصف الظلم لزيادة التشنيع عليهم في كفرهم؛ لأنّهم كافرون ظالمون. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢١٧/٦).  
واختار ابنُ عثيمين: أنّ قوله سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، في من حَكَم وهو يعتقد أنّ حُكْمَ اللّهِ هو الحقّ، وأنه أنسب للعباد من حُكْمِ الطاغوت، لكنّه أراد أن يعتدي على المحكوم عليه لعداوة بينه وبينه، فهذا ظالمٌ. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٧/١).

ممّن قال بنحو هذا القول: ابنُ عبّاس. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٦٧/٨).

قال ابنُ جرير: (عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم فهو ظالمٌ فاسق). ((تفسير ابن جرير)) (٤٦٧/٨).

وتقدّم أنّ الظلم يُطلق ويُراد به المعصية تارةً، ويُراد به الكفر المخرج من الملة تارةً أخرى.

يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٠٧/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣٢٨/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٠/١).



٣- الشاءُ على أهلِ العلمِ، وأنهم هم حَفَظَةُ شريعةِ الله؛ لقوله: ﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾؛ فهم وَرَثَةُ الأنبياءِ، وهم الذين يلزمهم الدَّعوةُ إلى الله على بصيرةٍ، ونشرُ شريعةِ الله<sup>(١)</sup>.

٤- تحريمُ خَشْيَةِ الناسِ في إضاعةِ شريعةِ الله؛ لقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- يُستفادُ مِنْ قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أَنَّ المنحرفَ عن الدِّينِ وعن نشرِ العلمِ ينحرفُ لأحدِ سببَيْنِ: السَّبَبُ الأوَّلُ: خَشْيَةُ النَّاسِ، والسببُ الثاني: الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا، وَطَلَبُ الدُّنْيَا والرِّئاسةِ والمالِ، وما أشبه ذلك<sup>(٣)</sup>.

٦- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ نهيٌّ عن جميعِ المكاسبِ الخبيثةِ بالعلمِ، والتَّحِيلُ لِلدُّنْيَا بالدِّينِ، وهذا المعنى بعينه يتناول علماءُ هذه الأُمَّةِ وَحُكَّامُهَا<sup>(٤)</sup>.

### الفوائدُ العِلْمِيَّةُ واللِّطَائِفُ:

١- شرفُ التوراةِ؛ لقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾؛ حيث إنَّ الله تعالى أنزلها مِنْ عنده، لكنَّ المرادَ بالتوراةِ: التي لم تُغيَّرْ ولم تُبدَلْ<sup>(٥)</sup>.

٢- أن في التوراةِ هدىً ونورا؛ لقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وكذلك في القرآنِ الكريمِ؛ قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٣٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٣٢).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٣٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٩٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٢٨).

[البقرة: ١٨٥]، فالقرآن كله هدى وكله نور؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وفي هذه الآية قال الله تعالى في التوراة: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وهذا التعبير بينه وبين التعبير القرآني بالنسبة للقرآن الكريم فرق عظيم؛ لأن التوراة جعل فيها هدى ونور، والقرآن جعله هو الهدى والنور<sup>(١)</sup>.

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ فذكر أن في التوراة نوراً، بينما قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فوصفها بأنها ضياء، والضياء: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإشراق، كضياء الشمس، بخلاف القمر؛ فإنه نور محض، فيه إشراق بغير إحراق؛ وذلك لأن الغالب على شريعتهم الضياء؛ لما فيها من الأصار والأغلال والأثقال، ووصف شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها نور لما فيها من الحنيفة السمحة؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- أن التوراة أصل للأنبياء من بني إسرائيل الذين جاؤوا من بعد موسى عليه وعليهم السلام؛ لقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٥- وصف الأنبياء بالإسلام؛ لقوله: ﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، والمراد هنا: الاستسلام الظاهر والباطن، وفيه الإشارة إلى شرف الإسلام وفضله؛ إذ كان دين الأنبياء<sup>(٤)</sup>.

٦- وجه وصف النبيين بقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ مع أن كل نبي لا بد أن يكون مسلماً، أنه وصفهم بذلك على سبيل المدح والثناء، لا على سبيل التفصيل والتوضيح؛ فإن الأنبياء كلهم مسلمون، وقيل: بل في ذلك إعظام صفة الإسلام

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٤٢٨/١)).

(٢) يُنظر: (جامع العلوم والحكم) لابن رجب ((٢٤/٢ - ٢٥)).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٤٢٩/١)).

(٤) ينظر: (تفسير ابن عاشور) ((٢٠٨/٦))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٤٢٩/١)).

بِعَظْمٍ مَوْصُوفِهَا وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هُوَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَكَمَ عَلَى الْيَهُودِيِّينَ بِالرَّجْمِ، وَكَانَ هَذَا حُكْمَ التَّوْرَةِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ ﴿النَّبِيِّونَ﴾ تَعْظِيمًا لَهُ<sup>(١)</sup>.

٧- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لِلْيَهُودِ فِي الْخُرُوجِ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَيَّضَ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ الْكَثِيرِينَ يَحْكُمُونَ لَهُمْ بِالتَّوْرَةِ، لَكِنَّمَا عَانَدُوا وَكَفَرُوا<sup>(٢)</sup>.

٨- مِنَ اللَّطَائِفِ: أَنَّهُ جَاَزَ التَّبْدِيلَ عَلَى أَهْلِ التَّوْرَةِ، وَلَمْ يَجْزِ عَلَى أَهْلِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي أَهْلِ التَّوْرَةِ: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾، فَوَكَّلَ الْحِفْظَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فَتَعَهَّدَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ؛ فَلَمْ يَجْزِ التَّبْدِيلَ عَلَى أَهْلِ الْقُرْآنِ<sup>(٣)</sup>.

٩- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لَمَّا قَدَّمَ الْخَوْفَ - لِأَنَّهُ أَقْوَى تَأْثِيرًا - أَتْبَعَهُ الطَّمَعُ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾، وَلَمَّا كَانَ الْاِشْتِرَاءُ مَعْنَاهُ اللَّجَاجَةُ فِي أَخْذِ شَيْءٍ بِثَمَنِ، وَكَانَ الْمُثْمَنُ أَشْرَفَ مِنَ الثَّمَنِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ - جَعَلَ الْآيَاتِ مُثْمَنًا وَإِنْ اقْتَرَنْتَ بِالْبَاءِ، حَتَّى يُفِيدَ الْكَلَامُ التَّعَجُّبَ مِنَ الرَّغْبَةِ عَنْهَا، وَأَنَّهَا لَا يَصْحُحُ كَوْنُهَا ثَمَنًا، فَقَالَ: ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٤٤)، ((تفسير الشريبي)) (١/٣٧٦)، ((تفسير الرازي)) (١٢/٣٦٥، ٣٦٦)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٢٩)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٤٥).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٣٠).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٠٩).

(٤) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٤٥) وينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٤٩).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ الآية: استدلَّ به على أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا حُكي مُقرِّراً ولم يُنسخ؛ حيثُ كان الحكم عندنا على وفِّقها في الجنايات عند جميع الأئمة<sup>(١)</sup>.

١١- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أن القصاص ثابت في النفوس، ولو اختلف الناس في السنِّ والطول والقصر والعلم والعقل والذكاء، وغير ذلك؛ وجه ذلك: العموم؛ ولهذا لو أن رجلاً شاباً عالماً كريماً قتل طفلاً في المهد، فإنه يُقتل به؛ لأنه لا عبرة بالاختلاف في هذه الأشياء؛ وذلك للعموم<sup>(٢)</sup>.

١٢- الاقتصار على ذكر هذه الأعضاء دون غيرها من أعضاء الجسد؛ كاليد والرجل والإصبع؛ لأن القطع يكون غالباً عند المضاربة بقصد قطع الرقبة، فقد ينبو السيف عن قطع الرأس، فيصيب بعض الأعضاء المتصلة به من عين أو أنف أو أذن أو سن، وكذلك عند المصاولة؛ لأن الوجه يُقابل الصائل<sup>(٣)</sup>.

١٣- لا بد من المماثلة في القصاص؛ فاليمنى باليمنى، واليسرى باليسرى؛ لأنَّ التعريف في قوله: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ يدلُّ على أن الثاني هو الأول، وهذا يقتضي المماثلة، ولأنه جاء بالباء الدالة على البدل، والبدل لا بد أن يكون مساوياً للمبدل منه<sup>(٤)</sup>.

١٤- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ فيه الحثُّ على العفو عن الجاني<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٥١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢١٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٤٣).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٥٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٥٦).

١٥ - قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ المراد من التصديق العفو؛ لأن العفو كما كان عن حق ثابت بيد مستحق الأخذ بالقصاص، جعل إسقاطه كالعطية؛ ليشير إلى فرط ثوابه، وبذلك يتبين أن معنى ﴿كفارة له﴾ أنه يكفر عنه ذنباً عظيمة؛ لأجل ما في هذا العفو من جلب القلوب، وإزالة الإحـن، واستبقاء نفوس وأعضاء الأمة<sup>(١)</sup>.

١٦ - قال الله تعالى في الموضع الأول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾؛ لأن اليهود جحدوا حكم الله قصداً منهم وعناداً وعمداً، وقال في الموضع الثاني: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ لأنهم لم يـنصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا، وتعدي بعضهم على بعض<sup>(٢)</sup>.

١٧ - في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ عاد سبحانه وتعالى فحذر من مخالفة حكم الله؛ لينبه على أن التـرغيب في العفو لا يقتضي الاستخفاف بالحكم، وإبطال العمل به؛ لأن حكم القصاص شرع لحكم عظيمة: منها الزجر، ومنها جبر خاطر المعتدي عليه، ومنها التفادي من ترصد المعتدي عليهم للانتقام من المعتدين أو من أقوامهم؛ فإبطال الحكم بالقصاص يعطل هذه المصالح، وهو ظلم؛ لأنه غمض لحق المعتدي عليه أو وليه، وأما العفو عن الجاني فيحقق جميع المصالح، ويزيد مصلحة التحابب؛ لأنه عن طيب نفس، وقد تغشى غباوة حكام بني إسرائيل على أفهامهم، فيجعلوا إبطال الحكم بمنزلة العفو، فهذا وجه إعادة التحذير عقب استحباب العفو<sup>(٣)</sup>.

= قال الشيوطي: (فيه استحباب العفو عن القصاص إن أريد به (من): المجني عليه، وأن القصاص كفارة الذنب إن أريد به الجاني) ((الإكليل في استنباط التنزيل)) (ص: ١١٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢/٢١٦)، (٦/٢١٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢١٧).

## بَلَاغَةُ الْآيَتَيْنِ:

١- قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ كلامٌ مُستأنفٌ سبق لبيان علو شأن التوراة، ووجوب مراعاة أحكامها، وهو يتضمّن تعظيم التوراة وتفخيم شأنها<sup>(١)</sup>، وفيه التأكيد بـ(إن) واسميّة الجملة.

٢- قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾:

- قوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ فيه رفعٌ لشأن المسلمين، وتعريضٌ لليهود، وأنهم بمنزلة من الإسلام والافتداء بدين الأنبياء عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

- وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾: فيه من البلاغة ما يُعرف بالاحتباك؛ حيث ترك أولاً ذكر ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾؛ لدلالة ما ذكر بعد ذلك عليه، وترك ذكر الإسلام بعد ذلك؛ لدلالة ذكره أولاً عليه، والتقدير: (يحكم بها النبيون الذين أسلموا بما استُحفظوا... للذين هادوا، والرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بِمَا اسْتُحْفِظُوا)، وإنما خصّ الأوّل بذكر الإسلام؛ لأنّ الأنبياء أحقُّ به، وهو دأب إلى الحفظ قطعاً، وخصّ الثاني بالاستحفاظ؛ لأنّ الأتباع أولى به، وهو دأب على الإسلام<sup>(٣)</sup>.

- وفي إبهام ذكر التوراة أولاً في قوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾، ثمّ بيانها ثانياً بقوله تعالى: ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ تفخيمٌ وإجلالٌ لها ذاتاً وإضافةً، وتأكيّدٌ

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٤٠/٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٤٩/٢).

(٢) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٢٧/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٤١/٣).

(٣) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٤٥/٦).

لإيجابِ حفظها والعملِ بما فيها، وإيرادها بعنوان (الكتاب)؛ للإيماءِ إلى إيجابِ حفظها عن التَّغْيِيرِ من جهة الكتابة<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا﴾ فيه: التفاتٌ؛ إذ إنَّه خطابٌ لرؤساءِ اليهودِ وعلمائهم - على هذا المعنى - بطريقِ الالتفاتِ، وأمَّا حُكَّامُ المسلمين فيتناولهم النهيُّ بطريقِ الدِّلالَةِ دون العبارة<sup>(٢)</sup>.

٤- قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الجملة تذييلٌ مُقرَّرٌ لمضمونِ ما قَبَلَهَا أبلغَ تقريرٍ، وتحذيرٍ عن الإخلالِ به أشدَّ تحذيرٍ؛ حيث علَّقَ فيه الحُكْمَ بالكفرِ بمجردِ تركِ الحُكْمِ بما أنزل اللهُ تعالى؛ فكيف وقد انضمَّ إليه الحُكْمُ بخلافه - لا سيَّما مع مباشرة ما نُهوا عنه من تحريفه - ووضع غيرِه موضِعَه، وادِّعاءُ أنَّه من عندِ الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا<sup>(٣)</sup>!

- وجاءَ ضميرُ الفصلِ ﴿هُمُ﴾؛ لإفادةِ الحِصْرِ والتوكيدِ، وضميرُ الفصلِ له ثلاثُ فوائِدَ، الأولى: إفاضةُ الحِصْرِ، والثانية: التوكيدُ، والثالثة: التمييزُ بين الخبرِ والصفة؛ ولهذا سُمِّيَ ضميرُ فصلٍ<sup>(٤)</sup>.

٥- قوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ التعبيرُ بصيغةِ التفعُّلِ في ﴿تَصَدَّقَ﴾؛ للمبالغةِ في الترغيبِ فيه<sup>(٥)</sup>.

٦- قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الجملة تذييلٌ مُقرَّرٌ لإيجابِ العملِ بالأحكامِ المذكورة<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٤١/٣).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٤٢/٣).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٧/١).

(٥) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٤٣/٣).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)).

## الآيتان (٤٦ - ٤٧)

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتِنَا  
 الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً  
 لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ  
 اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أي: أتبعنا، وأزدفنا، مأخوذ من القفا؛ يقال: قفوت الرجل: إذا  
 سرت في أثره<sup>(١)</sup>.

﴿عَلَىٰ آثَارِهِم﴾: أي: على آثار الأنبياء، وأثر الشيء: حصول ما يدل على  
 وجوده، وأصل (أثر): رَسْمُ الشَّيْءِ الباقِي<sup>(٢)</sup>.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لِمَا قَبْلَهُ، أَوْ لِمَا كَانَ مُتَقَدِّمًا لَهُ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَنَحْوِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿مَوْعِظَةً﴾: الموعظة والوعظ: التخويف، أو الزجر المقترب بتخويف، أو  
 التذكير بالخير وما يرق له القلب، وقيل: ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة  
 والرهبية؛ فالوعظ هو الأمر أو النهي المقترب بما يحمل على الامتثال من الترغيب  
 أو الترهيب<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٥٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨٠)، ((تذكرة  
 الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٥٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٢)، ((الكليات))  
 للكفوي (ص: ٧٣٨).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٦١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٦).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤١١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٢٦)،  
 ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٦)، ((تفسير الخازن)) (٢/ ٤٤٨)، ((تفسير ابن كثير))  
 (١/ ٦٣١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٨٠).



## مَشْكِالِ الْإِعْرَابِ:

قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿مُصَدِّقًا﴾: منصوبٌ على أَنَّهُ حَالٌ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿فِيهِ هُدًى﴾: جملةٌ في مَحَلِّ نَصْبٍ، حَالٌ مِنْ ﴿الْإِنْجِيلِ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾: منصوبٌ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ ﴿فِيهِ هُدًى﴾، والمعطوفُ على

الحالِ حَالٌ؛ فهي في حُكْمِ الحالِ أَيضًا مِنْ ﴿الْإِنْجِيلِ﴾.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾: اسمانِ مَعطوفانِ عَلَى ﴿وَمُصَدِّقًا﴾؛ فهما في حُكْمِ

الحالِ مِنْ ﴿الْإِنْجِيلِ﴾ أَيضًا، أَي: وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ هَادِيًا وَوَاعِظًا، أَوْ مَعطوفانِ

عَلَى ﴿مُصَدِّقًا﴾ الْأُولَى؛ فهما في حُكْمِ الحالِ مِنْ ﴿عِيسَى﴾، أَي: ذَا هُدًى

وَذَا مَوْعِظَةٍ. وَيَجوزُ أَنْ يَكُونَ (هُدًى) مَفْعولًا مِنْ أَجَلِهِ وَالْعَامِلُ فِيهِ مُقَدَّرٌ؛ كَأَنَّهُ

قِيلَ: وَلِلهُدَى وَالْمَوْعِظَةِ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ<sup>(١)</sup>.

## الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّة:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَتَبَعَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ - الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ - بِعِيسَى

ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُؤْمِنًا بِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَمُؤَيَّدًا لَهَا، وَشَاهِدًا عَلَى أَنَّ التَّوْرَةَ

حَقٌّ، وَآتَاهُ اللَّهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ، شَاهِدًا وَمُوافِقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَبَيِّنَاتًا

لِلْحَقِّ، وَزَاجِرًا لِلْمُتَّقِينَ عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْآثَامِ.

وَيَأْمُرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَحْكُمَ النِّصَارِيُّ بِمَا أَنْزَلَ فِي الْإِنْجِيلِ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٣٩)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٤٠)،

((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٢٨٣-٢٨٥) ((المجتبى من مشكل إعراب القرآن))

للخراط (١/٢٣١).

أنزله على عيسى عليه السلام؛ ليقيموه ويتحاكموا إليه، ويؤمنوا بجميع ما فيه، ومنه البشارةُ ببعثةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم والأمرُ بالإيمانِ به واتباعه، وأخبرَ تعالى أن من لم يحكمْ بما أنزلَ اللهُ فأولئك هم الفاسقون.

### تفسير الآيتين:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦)﴾.

### مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ التَّوْرَةَ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ، ذَكَرَ أَنَّهُ قَفَّاهُمْ بِعِيسَى؛ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَنْوِيْهَا بِاسْمِهِ، وَتَنْزِيْهَا لَهُ عَمَّا يَدَّعِيهِ الْيَهُودُ فِيهِ، وَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ مُصَدِّقِي التَّوْرَةِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

أي: وَأَتْبَعْنَا هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ، بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَعَثْنَاهُ عَقِبَهُمْ نَبِيًّا رَسُولًا شَاهِدًا عَلَى أَنَّ التَّوْرَةَ حَقٌّ، مُؤَيِّدًا لَهَا وَمُؤَمِّنًا بِهَا، وَحَاكِمًا بِشَرِيعَتِهَا فِيمَا لَمْ يَنْسَخْهُ الْإِنْجِيلُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٢٧٧/٤).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٢٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣-٢٣٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢١٩/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٧/١-٤٥٨).

قال ابن عثيمين: (وتصديقه لما بين يديه من التوراة له معنيان: المعنى الأول: أنه يُصدِّق التوراة، ويشهد أنها حق. المعنى الثاني: أنه يُصدِّق خبرها، ويشهد بوقوع ما أُخبرت به، حيث كان عيسى ابن مريم عليه السلام مذكورًا فيها) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٨/١).

أي: وأنزلنا إليه كتابنا المسمّى بالإنجيل، فيه هُدَى إلى الحق، ونورٌ يُستضاء به من ظلمات الشبهات، وعمى الجهالة<sup>(١)</sup>.

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

أي: مثبتًا وشاهدًا وموافقًا لها، ومشتتملاً على أحكامها، إلا ما نسخه منها<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

أي: وجعلنا الإنجيل هُدَى وبيانا للحق، وزاجراً عن ارتكاب المحارم والمآثم للمتقين الذين يمثلون ما أمر الله تعالى به، ويجتنبون ما نهى عنه؛ فهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا ينبغي<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾.

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ قراءتان<sup>(٤)</sup>:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٢-٤٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٤) قال ابن جرير: (والذي يترأى في ذلك: أنَّهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأي ذلك قرأ قارئ فمصيبٌ فيه الصواب؛ وذلك أنَّ الله تعالى لم يُنزل كتاباً على نبيٍّ من أنبيائه إلا ليعمل بما فيه أهله الذين أمروا بالعمل بما فيه، ولم يُنزل عليهم إلا وقد أمرهم بالعمل بما فيه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٤).

١- ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بجعل اللام لام (كي)، فالمعنى: أن الله عز وجل أنزل الإنجيل؛ لكي يحكم أهل الإنجيل بما فيه<sup>(١)</sup>.

٢- ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بجعل اللام (لام الأمر)، فالمعنى: أن الله عز وجل أمر أهل الإنجيل بالحكم بما أنزله في الإنجيل<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾

أي: وآتينا عيسى عليه السلام الإنجيل ليحكم أهل ملته به، فليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمرُوا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، والأمر بالإيمان به واتباعه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

أي: إن الذين لم يحكموا بما أنزل الله تعالى في كتابه من التصاري وغيرهم، خارجون عن طاعة ربهم، تاركون للحق، مائلون إلى الباطل<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ بها حمزة. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٣)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ١٣١).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ١٣١)، ((الكشف)) لمكي (١/٤١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٤-٤٨٥)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٣/١٠٣)،

((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة

المائدة)) (١/٤٦٣-٤٦٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٧).

وقال ابن عثيمين: قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾... هل الفسق هنا فسق معصية أو فسق كفر؟ لأن الفسق قد يكون فسق كفر وفسق معصية؛ هذا على حسب الحال... فمن حكم بغير ما أنزل الله عادلاً عن حكم الله، زاعماً أنه يساوي حكم الله أو أنفع، فهذا كافر،... ومن حكم بغير ما أنزل الله لهوى في نفسه، فهذا فاسق ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٦٤).

## الفوائد التربوية:

الحثُّ على التقوى، وأنها سببٌ لكلِّ خيرٍ، ولكلِّ عِلْمٍ؛ لقوله: ﴿وَهَدَىٰ  
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ولا شكَّ أنَّ التقوى: هي أساسُ العملِ؛ لأنَّ مَنْ لم يتَّقِ اللهَ  
لا يعمل، ومَنْ اتقى اللهَ عملَ بأوامرِ اللهِ حسبَ ما عنده من التقوى<sup>(١)</sup>، لذا خصَّ  
الهُدَى والموعظةَ بكونهما للمُتَّقِينَ؛ لأنَّهم هم الذين يَنْتفعونَ بهما، وكلِّما زادتِ  
التقوى في الإنسانِ زاد اتعاضه بالكتبِ السَّمَوِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

## الفوائد العلمية واللطائف:

١- أنَّ عيسى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ آخِرُ الأنبياءِ؛ لقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، وليس بعده نبيٌّ يقفوه إلاَّ محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ الهاشميِّ  
القرشيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؛ ولهذا جعله قافياً لمن سبقه، ولو كان هناك نبيٌّ  
بعدَ عيسى عليه السلامُ لكان هو المقفَى<sup>(٣)</sup>.

٢- أنَّ مَنْ ليس له أبٌ يُنسبُ إلى أمِّه؛ لقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى  
ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فنُسبَ عيسى ابنُ مريمَ إلى أمِّه؛ لأنَّه ليس له أبٌ، ومن أمثلة الذي  
ليس له أبٌ: أن يزني رجلٌ بامرأة فتأتي منه بوليدٍ؛ فهنا الولدُ ليس للزاني، ومنها:  
أن يلاعِنَ الرجلُ امرأته لا تُهايمه إياها بالزنا، ويتنفي من ولدها، فيقول: ليس  
الولدُ منِّي، فحينئذٍ يكون له أمٌّ وليس له أبٌ<sup>(٤)</sup>.

٣- في نسبة عيسى عليه السلامُ إلى أمِّه في قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى  
ابْنِ مَرْيَمَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه لا والدَ له؛ تكديباً لليهودِ فيما افتروه على أمِّه مريمَ،

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٦٣ / ١).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٤٦٠ / ١)، وينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢٨ / ٨).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٦١ / ١)، ((تفسير الشرييني)) (٣٧٨ / ١).

وإشارةً إلى أنه عبدٌ مربوبٌ؛ تكذيباً للنصارى في إضافتهم بنوته إلى الله سبحانه وتعالى، فهو عليه السلام ابنُ أمِّه مريم<sup>(١)</sup>.

٤- يُستفادُ من قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ التنويهُ بعظمة التوراة وفضلها وشرفها؛ لأنه ذُكر في هذه الآية: أن عيسى مصدِّقٌ لما بين يديه من التوراة، وأن الإنجيلَ أيضًا مصدِّقٌ لما بين يديه من التوراة<sup>(٢)</sup>.

٥- أن الإنجيلَ مُنزَّلٌ من عند الله؛ لقوله: ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وهو صريحٌ جدًّا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤]، وعلى هذا فيكونُ الإنجيلُ من كلامِ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه نزلَ من عنده، وهو كلامٌ موحى، والكلامُ إذا أُضيفَ إلى المتكلمِ فهو كلامُهُ<sup>(٣)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَتَيْنِ:

١- قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ في ذِكْرِ ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ تأكيدٌ لمدلولِ فعلِ ﴿قَفَّيْنَا﴾، وإفادةٌ سرعةِ التَّقْفِيَةِ<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ﴾ فيه: إيجازٌ بالحذف، والتقدير: وقُلْنَا: لِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ؛ فيكونُ هذا إخبارًا عمَّا فُرِضَ عليهم في ذلك الوقت من الحكمِ بما تَضَمَّنَهُ الإنجيلُ، ثم حُذِفَ القول؛ لأنَّ ما قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَكَتَبْنَا﴾

(١) ينظر: (تفسير ابن جرير) (٤٠٧/٥)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٥٨/٦)

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٦٠/٦)، ((تفسير الشريبي)) (٣٧٨/١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٤٦٢/١)، ((تفسير ابن عادل)) (٣٦١/٧).

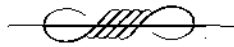
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٤٦٦/١).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢١٨/٦).

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ يدلُّ عليه، وحذفُ القولِ كثيرٌ<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فيه: وضعُ الموصولِ (ما) موضعَ الضَّميرِ (به) في قوله: ﴿بِمَا﴾؛ للتنبيهِ على عِلَّةِ ما في حيزِ الصَّلَةِ للحُكم، وفيه التفاتٌ بإظهارِ الاسمِ الجليلِ؛ لتربيةِ المهابةِ، والإشعارِ بعِلَّةِ الحُكم<sup>(٢)</sup>.

٤- قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الجملةُ تذييلٌ مقررٌ لمضمونِ الجملةِ السابقةِ، ومؤكِّدٌ لوجوبِ الامتنالِ بالأمرِ<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٣٧٠).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٥).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٣/٤٤).

## الآيات (٤٨ - ٥٠)

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَقِيمُوا الصِّرَاطَ إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنبَأُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿ وَمُهَيِّبًا ﴾: أي: شاهداً ورفيقاً، وأميناً ومؤتمناً، وحاكماً<sup>(١)</sup>.

﴿ أَهْوَاءَهُمْ ﴾: جمع هوى: وهو ميل النفس إلى الشهوة، وأصله: الخلو والسقوط، ومنه قيل للآراء الزائفة: أهواء<sup>(٢)</sup>.

﴿ شِرْعَةً ﴾: أي: سنة وطريقة، والشرع: نهج الطريق الواضح، وكل ما شرع فيه من شيء فهو شريعة، ومنه الشريعة والشريعة: وهي الطريقة الظاهرة، ومنه قيل لشريعة الماء (نهر - أو واد) شريعة؛ لأنها أظهر طرقه إليه، وأصل (شرع):

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١، ١٤٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٨)، ((البيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٥).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٤٩١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/١٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٩)، ((البيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢١١).



شيءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

﴿مِنْهَاجًا﴾: طَرِيقًا وَاضِحًا، وَالْمِنْهَاجُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَمِرُّ، وَأَصْلُ النَّهْجِ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ<sup>(٢)</sup>.

﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾: أَي: لِيَخْتَبِرَكُمْ وَلِيَمْتَحِنَكُمْ، وَأَصْلُ (بَلِيَ): الْاِمْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، وَيَكُونُ الْبِلَاءُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ<sup>(٣)</sup>.

﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾: نِسْبَةٌ إِلَى الْجَاهِلِ، وَالْمَرَادُ بِالْجَاهِلِيَّةِ: مَا كَانَ فِي الْفِتْرَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ - وَقَدْ يُوصَفُ بِهَا مَنْ تَشَبَّهَ بِبَعْضِ أَحْوَالِهَا - وَأَصْلُ (جَهَلٌ): خِلَافُ الْعِلْمِ، وَيُطْلَقُ الْجَهْلُ عَلَى: خَلْوِ النَّفْسِ مِنَ الْعِلْمِ، وَعَلَى اعْتِقَادِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَعَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا حَقُّهُ أَنْ يُفْعَلَ، سِوَاءً اعْتَقَدَ فِيهِ اعْتِقَادًا صَحِيحًا أَوْ فَاسِدًا<sup>(٤)</sup>.

﴿يَبْعُونَ﴾: أَي: يَطْلُبُونَ، وَأَصْلُ (بَغِيَ): طَلَبَ الشَّيْءَ<sup>(٥)</sup>.

﴿يُوقِنُونَ﴾: يَعْلَمُونَ عِلْمًا مُتَمَكِّنًا فِي نَفْسِهِمْ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَهُ شَكٌّ، وَأَصْلُ الْيَقِينِ: زَوَالُ الشَّكِّ<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لَابْنِ قَتَيْبَةَ (ص: ١٤٤)، ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (ص: ٢٩٢)،

((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لَابْنِ فَارَسٍ (٣/٢٦٢)، ((تَفْسِيرُ الْمَاورِدِيِّ)) (٢/٤٥)، ((الْمَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاغِبِ (ص: ٤٥٠)، ((التَّبْيَانُ)) لَابْنِ الْهَائِمِ (ص: ١٥٢)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَاشُورٍ)) (٦/٢٢٣).

(٢) يُنْظَرُ: ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لَابْنِ فَارَسٍ (٥/٣٦١)، ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (ص: ٢٩٢)، (٤٥٥)، ((الْمَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاغِبِ (ص: ٨٢٥).

(٣) يُنْظَرُ: ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لَابْنِ قَتَيْبَةَ (١/٩٢)، ((غَرِيبُ الْقُرْآنِ)) لِلْسَّجِسْتَانِيِّ (١/٤٣٣)، ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لَابْنِ فَارَسٍ (١/٢٩٣)، ((التَّبْيَانُ)) لَابْنِ الْهَائِمِ (١/١١٢).

(٤) يُنْظَرُ: ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لَابْنِ فَارَسٍ (١/٤٨٩)، ((الْمَفْرَدَاتُ)) لِلرَّاغِبِ (١/٢٠٩)، ((النِّهَايَةُ)) لَابْنِ الْأَنْبِيرِ (١/٣٢٣)، ((شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ)) (٢/١١٠).

(٥) يُنْظَرُ: ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لَابْنِ فَارَسٍ (١/٢٧١)، ((الْكَلِيَّاتُ)) لِلْكُفَوِيِّ (ص: ٢٤٧).

(٦) يُنْظَرُ: ((مَقَائِيسُ اللَّغَةِ)) لَابْنِ فَارَسٍ (٦/١٥٧)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ)) (١/٨٦).

## مُشْكِلُ الإِعْرَابِ:

١- قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾.

﴿لِكُلِّ﴾: اللام فيها مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿جَعَلْنَا﴾، وتقديمها عليه للتخصيص.

﴿جَعَلْنَا﴾: فِعْلٌ وَفَاعِلٌ، وَالفِعْلُ (جَعَلَ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَتَعَدَّى لِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ،

أَوْ يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ - كما سيأتي.

﴿مِنْكُمْ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ وَقَعَ صِفَةً لِلْاسْمِ الْمَحذُوفِ الَّذِي عُوِّضَ عَنْهُ

بِتَنْوِينِ الْعُوْضِ فِي ﴿كُلِّ﴾؛ أَي: لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْكُمْ جَعَلْنَا...، وَلَا ضَمِيرَ فِي تَوْسُطِ

﴿جَعَلْنَا﴾ بَيْنَ الصِّفَةِ وَالْمَوْصُوفِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ أَنَا أَخَذُ

وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [الأنعام: ١٤]؛ لِأَنَّهُ فَصَّلَ بَيْنَ الْجَلَالَةِ

وَصِفَتِهَا بِالْعَمَلِ فِي الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ.

﴿شِرْعَةً﴾: مَفْعُولٌ بِهِ لِعِ ﴿جَعَلْنَا﴾ الْمُتَعَدِّي لِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ

يَكُونَ الْفِعْلُ ﴿جَعَلْنَا﴾ مُتَعَدِّيًّا لِاثْنَيْنِ بِمَعْنَى (صَيَّرْنَا)؛ فَيَكُونُ ﴿لِكُلِّ﴾ مَفْعُولًا

ثَانِيًا مُقَدِّمًا، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿شِرْعَةً﴾ مَفْعُولًا أَوَّلًا<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَاحْدَرَهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾.

﴿أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾: مَصْدَرٌ مُؤَوَّلٌ بِالصَّرِيحِ (فَتَنْتَهُمْ إِيَّاكَ)، وَفِي إِعْرَابِهِ وَجْهَانٌ؛

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ، أَي: أَحْدَرَهُمْ مَخَافَةَ أَنْ يَفْتَنُوكَ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ بَدَلُ

اِسْتِمَالٍ مِنَ الْمَفْعُولِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: وَاحْدَرَهُمْ فِتْنَتَهُمْ؛ كَقَوْلِكَ: أَعْجَبَنِي زَيْدٌ عِلْمَهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٩١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٥).

(٢) ينظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٢٨)، ((البيان في إعراب القرآن)) للعكبري

(١/ ٤٤٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٩٤-٢٩٥) ((الجدول في إعراب القرآن))

## المَعْنَى الإِجْمَالِيَّة:

يُخَاطَبُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا لَهُ: أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ، شَاهِدًا بِصِدْقِ الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ الَّتِي سَبَقَتْهُ، وَأَمِينًا عَلَيْهَا، وَحَافِظًا لَهَا، مُشْتَمِلًا عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَزِيَادَةً، وَنَاسِخًا وَحَاكِمًا عَلَيْهَا، وَأَمْرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَهَا أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَنَهَاهُ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمُ الَّتِي تُعَارِضُ مَا جَاءَهُ مِنَ الْحَقِّ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ سَبِيلًا وَسُنَّةً يَتَّبِعُونَهَا، وَلَوْ شَاءَ سُبْحَانَهُ لَجَعَلَ النَّاسَ جَمِيعًا عَلَى شَرِيعَةٍ وَمَنْهَاجٍ وَاحِدٍ، لَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الشَّرَائِعَ مُخْتَلِفَةً لِيخْتَبَرَ عِبَادَهُ، ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى بِالْمُبَادَرَةِ وَالْمَسَابِقَةِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ؛ فَإِنَّ الْمَعَادَ وَالْمَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَيُخَبِرُ الْعِبَادَ بِالَّذِي كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ.

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَهُ إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا يَتَّبِعِ أَهْوَاءَهُمْ، وَلْيَكُنْ حَذِرًا مِنْهُمْ أَنْ يَصُدُّوهُ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَمَّا حَكَّمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ سَبَبَ تَوَلِّيهِمْ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ تَعَالَى أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِبَعْضِ مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ، وَأَخْبِرَهُ تَعَالَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ خَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: أَيُّرِيدُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَغَيْرُهُمُ الْأَحْكَامَ الْمَخَالَفَةَ لِلْحَقِّ، الْمَبْنِيَّةَ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُ لَا أَحَدًا أَحْسَنُ حُكْمًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ، يَتَّبِعِينَ ذَلِكَ وَيَتَّبِعُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّنَ بِهِ.

## تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٨﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَدَحَهَا وَأَثْنَى عَلَيْهَا، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا؛ حَيْثُ كَانَتْ سَائِعَةَ الْإِتِّبَاعِ، وَذَكَرَ الْإِنْجِيلَ وَمَدَحَهُ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِإِقَامَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا فِيهِ؛ شَرَعَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَمَكَانِهِ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي قَبْلَهُ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُقَرَّرًا لِنُبُوَّتِهِ وَكِتَابِهِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُنْكِرُونَ نُبُوَّتَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّ حِكْمَتَهُ تَعَالَى اقْتَضَتْ تَعَدُّدَ الشَّرَائِعِ وَمَنَاجِجِ الْهَدَايَةِ؛ فَتِلْكَ مُقَدِّمَاتٌ وَوَسِيلَةٌ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ وَالتَّوْبَةُ (١)، فَقَالَ:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾

أي: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ - يَا مُحَمَّدُ - الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي نَزَلَهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَزَلَ مُتَضَمِّنًا لِلْحَقِّ، فَأَخْبَارُهُ صِدْقٌ، وَأَحْكَامُهُ عَدْلٌ، فَلَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا جَوْرَ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (٢).

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾

أي: وَأَنْزَلْنَاهُ شَاهِدًا لِلْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ السَّابِقَةِ بِصِدْقِهَا، وَمُوَافَقًا لَهَا، وَمُطَابِقًا

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٨١)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٣٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٨٥-٤٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٦٩، ٤٧٥).

لأخبارها وأصول شرائعها، وفي وجوده أيضاً دلالة على صدقها؛ لأنها أخبرت بنزول القرآن<sup>(١)</sup>.

﴿وَمُهَيِّمْنَا عَلَيْهِ﴾

أي: وأنزلناه أميناً على الكتب الإلهية السابقة، حافظاً لها، مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة، وناسخاً لها، وحاكماً عليها كلها، فما شهد له القرآن منها بالصدق فهو مقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله تعالى، لم يخالفه<sup>(٢)</sup>.

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

أي: وما دام أن هذه هي حال القرآن؛ فاحكمم إذن - يا محمد - بين أهل الكتاب وغيرهم بهذا القرآن العظيم، في كل ما احتكموا فيه إليك<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾

أي: لا تتركن تحكيم كتابي بينهم - يا محمد - متابعة منك لأهوائهم الفاسدة المعارضة للحق، فتحكم بها إرضاء لهم بدلاً عن الحكم بما أتاك من الحق الذي هو أحق أن يحكم به<sup>(٤)</sup>.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٢٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٧٤/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٢٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٧٠/١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٩١-٤٩٢/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٧٠/١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٩٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٢٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٧٠-٤٧١/١).

أي: لكل أهل ملّة منكم - أيها الأمم - جعلنا سبيلاً تسلكونه، وسنة واضحة تتبعونها<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾

أي: ولو شاء الله لجمعكم - أيها الناس - على دين واحد، وجعل شرائعكم شريعة واحدة؛ لا يختلف متأخروها عن متقدمها، ولكنه تعالى خالف بينها؛ ليختبركم وينظر كيف تعملون<sup>(٢)</sup>، فيبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم؛ فكل أمة تحرص على سبب غيرها<sup>(٣)</sup>.

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبَلَهَا:

لَمَّا كَانَ فِي الْاِخْتِبَارِ أَعْظَمُ تَهْدِيدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ سَبَبٌ عَنْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ﴾؛ لِيُحْتَّ عَلَى السَّبِقِ لِلْخَيْرِ<sup>(٤)</sup>؛ فِقَالَ تَعَالَى:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٩٢-٤٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٧١).

قال السعدي: (وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

وقال ابن عاشور: (فمنهاج المسلمين لا يخالف الاتصال بالإسلام، فهو كمنهاج المهتدين إلى الماء، ومنهاج غيرهم منحرف عن دينهم، كما كانت اليهود قد جعلت عوائد مخالفة لشريعتهم، فذلك كالمنهاج الموصل إلى غير المورود، وفي هذا الكلام إبهام أريد به تنبيه الفريقين إلى الفرق بين حالهما، وبالتأمل يظهر لهما) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٩٨-٤٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٧٢).

(٣) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٨٢)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٧٧).

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

أي: فبادروا- أيها الناس- إلى الطاعات والأعمال الصالحات، وسارعوا إليها وفقاً لشرعه ونهجه الذي أنزله في كتابه القرآن<sup>(١)</sup>.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾

أي: معادكم- أيها الناس- من جميع الأمم، ومصيركم إلى الله تعالى وخذّه يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

﴿فَيَبْيُئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

أي: فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق، وحينئذٍ يحصل الفصل بالعدل، ويتبين المحق من المبطل، ويثاب أهل الحق، ويُعاقب أهل الباطل<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَن اِحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩)

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالْحُكْمِ فِيمَا مَضَى مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٥٠٠/٨)، (تفسير ابن كثير) (١٣٠/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٣٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٤٧٢/١).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن كثير) (١٣٠/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٣٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٤٧٢/١).

وقال ابن عثيمين: (هل المراد: المرجع في الدنيا أو في الدنيا والآخرة؟  
الجواب: مرجعنا إلى الله في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا فإن مرجعنا إلى الله: هو الذي يحكم بيننا، وهو الذي يحكم علينا، ويحكم فينا، وأمّا في الآخرة فكذلك يفصل بيننا يوم القيامة؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير) (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٤٧٢/١).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٥٠٠/٨)، (تفسير ابن كثير) (١٣٠/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٣٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٤٧٣/١).

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿١﴾ لكونه مُسَبِّحًا عَمَّا قَبْلَهُ من إنزال الكتاب على الأحوال المذكورة؛ أعاد الأمر به سبحانه مصرحًا بذلك لذاته لا لشيء آخر؛ ليكون الأمر به مؤكَّدًا غاية التأكيد بالأمر به مرتين: مرَّةً لأنَّ الله أمرَّ به، وأخرى لأنَّه على وَفَى الحِكمة، فقال تأكيدًا له وتنويهاً بعظيم شأنه، ومحدِّراً من الأعداء فيما يُلقُّونه من الشُّبه للصدِّ عنه<sup>(١)</sup>:

﴿وَأِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

أي: واحْكُم بينهم إذا تنازَعوا إليك - يا مُحَمَّدُ - بحُكمِ الله تعالى الذي أنزله إليك في القرآن، ولا تحْكُم بما عندهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾

أي: والزمِ العملَ بالقرآن الذي أنزَلَ إليك - يا مُحَمَّدُ - ولا تتَّبِعْ أهواءَ اليهود، ولا أهواءَ غيرهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

أي: وإيَّاك - يا مُحَمَّدُ - والاعترازَ بهؤلاء الأعداء من اليهود وغيرهم ممَّن يَحْتَكِمُونَ إليك، فكنْ على حَذِرٍ من أن يصدُّوكَ عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ تعالى إليك من أحكامِ القرآن، فيَحْمِلُوكَ على تركِ العملِ بها، واتِّباعِ أهوائهم<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٨٣)

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٧٩).

قال السعدي: (هذه الآية تدلُّ على أنَّه إذا حكَّم، فإنَّه يحكِّم بينهم بما أنزل اللهُ من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدَّم أنَّ الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ ودلُّ هذا على بيان القسط، وأنَّ مادته هو ما شرَّعه اللهُ من الأحكام، فإنَّها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جورٌ وظلم) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٠١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).



﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمَنَّ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

أي: فإن أعرض هؤلاء الذين يحتكمون إليك - يا محمد - من اليهود وغيرهم عن العمل بما حكمت به عليهم، فاعلم أنهم لم يتولوا عن حُكْمِكَ وقد قضيت بالحق إلا بقدر الله تعالى وحكمته فيهم؛ من أجل أنه يريد صرفهم عن الهدى، وتعجيل عقوبتهم في الدنيا؛ لما صدر منهم من ذنوب اقتضت إضلالهم ونكالهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

أي: وإن كثيرا من الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق، فالفسق طبيعة لهم وسجية<sup>(٢)</sup>.

﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾.

﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

أي: أفيطلب هؤلاء اليهود وغيرهم الأحكام المخالفة للحق، المبينة على الجهل والظلم، والتي وضعها الناس بلا مستند من شريعة الله تعالى، بحسب آرائهم وأهوائهم؛ أفيطلبون ذلك وعندهم كتاب الله فيه الهدى والنور، والعدل والحق المبين الذي لا يجوز خلافة، ومع ذلك يعدلون عنه<sup>(٣)</sup>!

= (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٨٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤ - ٢٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٨٠).

قال ابن عثيمين: قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ الجملة هذه كالتسليّة للرسول عليه الصلوة والسلام؛ لكي لا يحزن؛ لأن كثيرا من الناس فاسقون ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٨٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٨٦).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

أي: لا أحد أحسن وأعدل من الله تعالى في حكمه، ولكن ذلك يتبين لمن أيقن بالله تعالى وأسمائه وصفاته - ومن ذلك أنه أحكم الحاكمين سبحانه - فعرف الفرق بين حكمه سبحانه وحكم الجاهلية، وميز بإيقانه ما في حكم الله عز وجل من الحُسن، ودفعه يقينه إلى العمل به<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- أنه ينبغي لمن نهى عن شيء قبيح أن يبين قبحه، وأن ينقل الناس إلى ما هو خير منه؛ لقوله: ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾، فكانه قال: لا تتبع أهواءهم، واتبع ما جاءك من الحق<sup>(٢)</sup>.

٢- أنه يجب على المسلمين أن تكون لهم شخصية قائمة بعزة الإسلام، وألا يكونوا أذناناً لأعداء الله؛ لقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ موجه من الله عز وجل إلى رسوله عليه الصلاة والسلام، مع أننا نعلم علم اليقين أنه لن يفعل ذلك؛ لكن ليعتبر الناس أنه إذا كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه ربّه ومُرسله عن اتباع أهوائهم عمّا جاءه من الحق، فكيف بغيره<sup>(٤)</sup>!

٤- يُستفاد من قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أنه لا بدّ لبني آدم من الاختلاف، وهذا هو الواقع<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص:

٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٨٧ - ٤٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٧٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٠).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٨).

٥- أن الذنوب لها آثارٌ سيئة، من أعظمها التوَلَّى عن دينِ اللهِ وعمَّا أنزَلَ اللهُ؛ فالإنسانُ كلما عصَى اللهَ ابتعدَ عن قبولِ الوحيِ والشريعةِ؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمَنَّ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

٦- الحذرُ الشَّدِيدُ من موافقةِ الكفارِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٧- أن حُكْمَ اللهِ أحسنُ الأحكامِ؛ لقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾، ويترتَّبُ على هذا أن الإنسانَ إذا آمَنَ بأنَّ حُكْمَ اللهِ أحسنُ الأحكامِ، استسلمَ لحُكْمِ اللهِ ورضيَ به تمامًا، سواءً علِمَ الحِكْمَةَ أم لم يعلم، وهذا حقٌّ؛ فأَيُّ إنسانٍ يرى أن حُكْمَ أحدٍ هو أحسنُ الأحكامِ فسوف ينقادُ له، ولا يُعارض ولا يمانع<sup>(٣)</sup>.

### الفوائدُ العِلْمِيَّةُ واللِّطَائِفُ:

١- النَّناءُ على القرآن؛ لقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ لأنَّ جميعَ ما في القرآن حقٌّ، إن كان خبرًا فهو صدقٌ، وإن كان قَصَصًا فهو نافعٌ، وإن كان أحكامًا فهو عدلٌ<sup>(٤)</sup>.

٢- القرآنُ مهيمونٌ على الكتبِ؛ لأنَّه الكتابُ الذي لا يصيرُ منسوخًا ألبتَّةً، ولا يتطرَّقُ إليه التبدُّيلُ والتحرُّيفُ؛ على ما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإذا كان كذلك كانت شهادةُ القرآنِ على أنَّ التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ حقٌّ وصدقٌ باقيةً أبدًا، فكانت حقيقةُ هذه الكتبِ معلومةً أبدًا؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٢/١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٤/١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤٨٨/١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤٧٥/١).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٣٧١).

- ٣- أَنْ الْقُرْآنَ نَاسِخٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ؛ لقوله: ﴿وَمُهَيِّمِنَا عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٤- وجوبُ الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ في القرآنِ إذا تحاكمَ إلينا أهلُ الكتابِ؛ لقوله: ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، وهذا الخطابُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، لكن يشمَلُ الأُمَّةَ<sup>(٢)</sup>.
- ٥- قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: (شريعتهُم أو نحوها)؛ لأنهم على هوى، وليسوا على هدى، فكفروهم بما جاء به محمدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن هوى، ليس عن عقلٍ ولا عن شرعٍ<sup>(٣)</sup>.
- ٦- يُستفادُ من قوله: ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أَنْ ما جاء به الرسولُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حقٌّ لا يُمكنُ العدولُ عنه إلى غيره؛ لأنَّه لم يقل: (عَمَّا جَاءَكَ) أو (عَمَّا نَزَلَ) فقط، بل أضاف: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٧- أَنْ المرجعَ إلى اللهِ تبارك وتعالى شرعاً وقدرًا؛ لقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ فالمرجعُ إلى اللهِ شرعاً؛ هو الذي يحكمُ بيننا، وقدرًا؛ فإنَّ الأمر كما قال اللهُ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> [الغاشية: ٢٥-٢٦].
- ٨- في قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾ هذه الآيةُ تدلُّ على أَنَّ الخطأ والنسيانَ جائزانِ على الرسولِ؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، والتعمدُ في مثل هذا غيرُ جائزٍ على الرسولِ، فلم يبقَ إلا الخطأ والنسيان<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٧٥).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٠).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧١).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٧).

(٦) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٤).

٩- وجوب الحذر من اليهود والنصارى وغيرهم؛ لقوله: ﴿وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾<sup>(١)</sup>.

١٠- في قوله تعالى: ﴿وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ الإشارة إلى أن من أكبر غايات اليهود والنصارى أن يفتنوا المسلمين عما أنزل الله إليهم، وإذا كان الله تعالى قد تكلم في هذا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فالأمر في وقتنا أشد؛ لأنهم الآن يرون أنهم أقوى منا في المادة الحسية، فيكون حرصهم على صدنا عن سبيل الله أشد<sup>(٢)</sup>.

١١- في قوله: ﴿بِغَضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أيهم الذنوب؛ زيادة في استدراجهم وإضلالهم، وتحذيرا لهم من جميع مساوي أعمالهم؛ لئلا يعلموا عين الذنب الذي أصيبوا به، فيحملهم ذلك على الرجوع عنه، ويصير ذلك كالإلجاء<sup>(٣)</sup>.

١٢- يُستفاد من قوله: ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أن كل حكم مخالف لحكم الله فهو حكم جاهلي<sup>(٤)</sup>.

١٣- يُستفاد من قوله: ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنه لا يجوز للإنسان أن يعارض أحكام الشرع بعقله، هذا في العمليات الفقهيات، وفي العقديات العلميات من باب أولى؛ لأنه إذا كان لا يجوز للإنسان أن يعارض الشرع في الأمور العملية التي يدخلها القياس، فالأمر العلمي الخبرية من باب أولى<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٨١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٤٨٢).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٨٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٨٨).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/٤٩٠).

١٤ - قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فيه الإنكارُ على من خَرَجَ عن حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ، المُشْتَمِلِ على كُلِّ خيرٍ، النَّاهِي عن كُلِّ شَرٍّ، وَعَدَلَّ إلى ما سِوَاهِ مِنَ الآرَاءِ والأهْوَاءِ والاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرَّجَالُ بلا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، كما كان أهلُ الجاهليَّةِ يَحْكُمُونَ به من الضَّلالاتِ والجَهالاتِ، مِمَّا يَضْعُونَهَا بآرائِهِمْ وأهْوَائِهِمْ، وكما كان يَحْكُمُ به التَّنَّارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ المَلَكِيَّةِ المَأخُودَةِ عَن مَلِكِهِمْ جَنْكِيزْخان، وَالتِّي اقْتَبَسَهَا مِنْ شَرائِعِ شَتَّى، من اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ والمِلَّةِ الإسلاميَّةِ، وفيها كَثِيرٌ مِنَ الأحكامِ أَخَذَها من مَجَرَّدِ نَظَرِهِ وهِوَاهِ، فَصَارَتْ في بَيْنِهِ شَرعًا مُتَّبَعًا، يُقَدِّمُونَهَا على الحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ فَعَلَ ذلكَ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إلى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يُحْكَمُ سِوَاهِ في قَليلٍ ولا كَثيرٍ<sup>(١)</sup>.

١٥ - أَنَّهُ لا يَعْرِفُ حُسْنَ أَحكامِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ عِنْدَهُ يَقينٌ، وَكَلِّمًا كانِ الإنسانُ أَشَدَّ يَقينًا، كانَ بَيانُ حُسْنِ أَحكامِ اللَّهِ عِنْدَهُ أَكثَرَ وَأَشَدَّ؛ لِقولِهِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### بِلاغَةُ الآياتِ:

١ - قولُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فيه: إِظْهارٌ في مَحَلِّ الإِضْمارِ بِقولِهِ: ﴿الْكِتَابَ﴾؛ لِبَيانِ أَهْمِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ المَرْجِعُ والمَلادُّ والمَعْتَصِمُ إِذا حَزَبَ الأَمْرُ<sup>(٣)</sup>.

- وفي قولِهِ هُنا: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، وقولُهُ عَنِ التَّوراةِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير الشرييني)) (١/٣٧٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٩٠).

(٣) يُنظَرُ: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/٤٩٥).

التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴿٤٨﴾ وقوله عن الإنجيل: ﴿وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ... وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾، لطيفةٌ ومناسبةٌ حسنةٌ في كلِّ سياق؛ فإنه لما ذكر تعالى أنه أنزل التوراة فيها هدى ونور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ لم يذكر من أنزلها عليه؛ لاشتراك كلهم في أنها نزلت على موسى؛ فترك ذكره للمعرفة بذلك، ثم ذكر عيسى وأنه آتاه الإنجيل في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾، فذكره ليُقرَّوا أنه من جملة الأنبياء؛ إذ اليهود تُنكر نبوته، وإذا أنكرته أنكرت كتابه، فنصَّ تعالى عليه وعلى كتابه، ثم ذكر إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الكتاب ومن أنزله، مُقرِّراً لنبوته وكتابته؛ لأنَّ الطائفتين يُنكرون نبوته وكتابته، وجاء هنا ذكر المنزل إليه بكاف الخطاب؛ لأنه أنصَّ على المقصود<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ تعريفُ الكتاب للجنس؛ لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة، ويجوز أن يُقال: هو للعهد؛ لأنه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق، وإنما أريد نوعٌ معلومٌ منه، وهو ما أنزل من السماء سوى القرآن<sup>(٢)</sup>، وقيل: لما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد عبر تعالى عنها بالمفرد؛ فقال: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ وفيه: الخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة؛ ولكن ليس للموجودين خاصة، بل للماضين أيضًا بطريق التَّغْلِيْبِ<sup>(٤)</sup>.

- وقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ فيه حذف، والتقدير: لكل

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٨١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٣٨).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٨٠)، ((تفسير الشربيني)) (١/٣٧٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٢٣).

أُمَّةٍ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَنْبِيَاءُ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ فِيهِ تَنْبِيهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَي: فَاحْفَظْ شِرْعَتَكَ وَمِنْهَا جَكَ؛ لِأَنَّكَ تَسْتَرْكُ الْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ <sup>(١)</sup>.

- وَهُوَ كَالْتَعْلِيلِ لِلنَّهْيِ؛ أَي: إِذَا كَانَتْ أَهْوَاؤُهُمْ فِي مَتَابَعَةِ شَرِيعَتِهِمْ أَوْ عَوَائِدِهِمْ؛ فَدَعُوهُمْ وَمَا اعْتَادُوهُ، وَتَمَسَّكُوا بِشَرْعِكُمْ <sup>(٢)</sup>.

- وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الشَّرْعَ وَالْمَنْهَاجَ عِبَارَتَانِ عَنْ مَعْنَى وَاحِدٍ - وَالْمَرَادُ بِهِمَا الدِّينَ - فَيَكُونُ فِيهِ تَكْرِيرٌ بَعْطَفٍ أَحَدِ الْمُرَادَيْنِ عَلَى الْآخَرِ، أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ فِي الْمَعْنَى؛ لِقَصْدِ التَّكْيِيدِ <sup>(٣)</sup>.

٤ - قَوْلُهُ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ اسْتِنَافٌ فِي مَعْنَى التَّعْلِيلِ؛ لِأَمْرِهِ تَعَالَى بِاسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ؛ كَأَنَّهُ يَقُولُ: يَظْهَرُ ثَمَرَةُ اسْتِبَاقِ الْخَيْرَاتِ وَالْمَبَادِرَةِ إِلَيْهَا فِي وَقْتِ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمُجَازَاتِهِ <sup>(٤)</sup>.

٥ - قَوْلُهُ: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فِيهِ: إِظْهَارُ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ ﴿اللَّهُ﴾؛ لِتَأْكِيدِ الْأَمْرِ بِتَهْوِيلِ الْخَطْبِ <sup>(٥)</sup>.

٦ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ تَأْكِيدٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ بِذَلِكَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ خِلَافِهِ <sup>(٦)</sup>، وَكَرَّرَ النَّهْيَ عَنْ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ لِشِدَّةِ التَّحْذِيرِ مِنْهَا، وَلِأَنَّ ذَلِكَ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٣٧٣/١٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٢٨٣/٤ - ٢٨٤).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٢٣/٦).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٣٧٣/١٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٢٨٤/٤)، ((البرهان)) للزركشي

(٤٧٢/٢ - ٤٧٣).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٢٨٥/٤).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٤٦/٣).

(٦) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٣٠/٣).



في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه ألا يتبع أهواءهم المخالفة للحق<sup>(١)</sup>.

٧- قوله: ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني: بذنب التولي عن حكم الله، وإرادة خلافه، فوضع ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ موضع ذلك، وأراد أن لهم ذنوباً جمّة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب - مع عظمه - بعضها واحد منها؛ وهذا الإبهام لتعظيم التولي، واستسرافهم في ارتكابه، وجسامته وفداحة التطاول به؛ فما أحسر صفتهم، وما أبشع ما اقترفوه! واستعمال (بعض) في الإبهام وارد كثيراً في كلام العرب<sup>(٢)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله؛ ليهون عنده بقاؤهم على ضلالهم؛ إذ هو عادة أكثر الناس، وفيه كناية عن كون أكثر اليهود فاسقين<sup>(٣)</sup>.

٩- قوله: ﴿أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الاستفهام إنكاري، وتقديم المفعول ﴿أَفْحُكْمَ﴾ على فعله ﴿يَبْغُونَ﴾؛ للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجب<sup>(٤)</sup>، وإفادة الحصر، يعني: كأن هؤلاء لا يريدون إلا الحكم الجاهلي المبني على الجهل أو الجهالة<sup>(٥)</sup>.

١٠- قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فيه ما يعرف في البلاغة بـ(الإيغال)<sup>(٦)</sup>، ونوعه: الإيغال التخييري؛ إذ إن المعنى قد تم بقوله:

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٧).

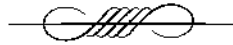
(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٢٧).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٨٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٤٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٢٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/٤٨٥).

(٦) الإيغال: هو استكمال الكلام قبل الإتيان بمقطعه، فإذا أريد الإتيان بذلك أتى بما يُفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام، وهو ضربان:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾، ولَمَّا احتاجَ الكلامُ إلى فاصلةٍ تُناسِبُ ما قَبْلَها وما بَعْدَها، أتتْ هذه الفاصلةُ ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لتُفيدَ معنى زائدًا، لولاها لم يَحْصُلْ؛ وذلك أَنَّهُ لا يَعْلَمُ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ حُكْمٍ إِلَّا مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ واحدٌ حَكِيمٌ عادِلٌ، وعدَلٌ عن قوله: (يعلمون) إلى قوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾؛ ليكون عِلْمُهُمْ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا قَطْعًا وبقين<sup>(١)</sup>.



= ١ - إيغال تخيير: كما في هذه الآية.

٢ - إيغال احتياط: وهو استكمال معنى الكلام قبل قَطْعِهِ، فإذا أريد الإتيانُ بذلك أتى بما يُفيد معنى زائدًا تنمُّةً للمبالغة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠]، ثم علم عزَّ وجلَّ أَنَّ الكلامَ يحتاج إلى فاصلةٍ تماثل مقاطع ما قبلها وما بعدها، فأتى بها مفيدةً معنى زائدًا على معنى الكلام، حيث قال: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فإن قيل: ما معنى مُدْبِرِينَ؟ وقد أغنى عنها ذِكرُ التولِّي؟ قيل: ذلك لا يُغني عنها؛ إذ التولِّي قد يكون بجانب دون جانب، كما يكون الإعراض. ينظر: ((تحرير التحبير))، لابن أبي الإصبع (ص: ٢٢٣)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٢/ ٥٠٠ - ٥٠١).

(١) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٢/ ٥٠٠ - ٥٠١).

## الآيات (٥١ - ٥٣)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْأِرُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتَؤَلَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَمَكُمُ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿أَوْلِيَاءَ﴾: أي: أصدقاء ونُصراء، والولايةُ النصرة، وأصلُ (ولي) يدلُّ على القُرب، سواء من حيث: المكان، أو النسبة، أو الدين، أو الصداقة، أو النصرة، أو الاعتقاد، وكلُّ من ولي أمر آخر فهو وليُّه<sup>(١)</sup>.

﴿مَرَضٌ﴾: أي: شكٌ ونفاقٌ، وأصلُ المرض: الفتورُ، والخروجُ عن الاعتدالِ الخاصِّ بالإنسان<sup>(٢)</sup>.

﴿أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: أي: أن يدورَ علينا الدهرُ بمكروهٍ فلا يُياعونا، فنحتاج إليهم وإلى مُعاونتهم، وأصلُ (دور) يدلُّ على إحداقِ الشيءِ بالشيءِ من حوَاليه<sup>(٣)</sup>.

﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: أي: اجتهدوا في الحلفِ والأيمانِ، أو هو كنايةٌ عن أغلظِ

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٨٥)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٦٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٥٠).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٣١٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٢١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٣).

الأيمان، وأصل (جهد): المشقة. ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾: جمع يمين: وهو القسم والحلف<sup>(١)</sup>.

### مشكل الإعراب:

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

﴿جَهْدًا﴾: منصوبٌ، وفي نصبه ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه مصدرٌ مؤكَّدٌ، ونائبه (أَقْسَمُوا) فهو من معناه لا من لفظه، والمعنى: أَقْسَمُوا إِقْسَامَ اجْتِهَادٍ فِي الْيَمِينِ. الثاني: أنه منصوبٌ على الحال من ضَمِيرِ (أَقْسَمُوا) على تأويلِ الْمَصْدَرِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، أي: جَاهِدِينَ، والتقدير: وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَاهِدِينَ أَنْفُسَهُمْ فِي أَيْمَانِهِمْ؛ أي: بِالغَيْنِ بِهَا أَقْصَى الطَّاقَةِ، وإضافة ﴿جَهْدًا﴾ إلى ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ على هذا الوجه إضافةٌ على معنى (من)، أي: جَهْدًا نَاشِئًا عَنْ أَيْمَانِهِمْ. الثالث: أنه منصوبٌ على المفعول المطلق الواقع بدلًا من فعله، والفعل المُقَدَّرُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ (أَقْسَمُوا)، والتقدير: أَقْسَمُوا يَجْهَدُونَ أَيْمَانَهُمْ جَهْدًا، وإضافة ﴿جَهْدًا﴾ إلى ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ على هذا الوجه من إضافة المصدر إلى مفعوله<sup>(٢)</sup>.

### المعنى الإجمالي:

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن مُنَاصَرَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَعَاوَنَتِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْيَهُودَ يُوَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالنَّصَارَى يُوَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَمَنْ يُنَاصِرِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بتوأيهم لأهل الكتاب.

ثم قال الله تعالى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فترى - يا محمد - المنافقين

(١) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٤٨٦) (٥/٨٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٠٨)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢).

(٢) يُنظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢٣٠)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/٢٥٠)، ((التيبان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٤٥)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٣٠٥) (٨/٤٣٢) ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/٢٧٧).

الذين في قلوبهم شكٌ وريبةٌ يُبادرونَ إلى مُناصرةِ اليهودِ والنَّصارى ومُعاونتهم؛ قائلين - ليُبْرروا فُبِحَ صنيعهم - : إِنَّمَا يُسَارِعُونَ فِي مَوَالِيهِمْ خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُمْ دَائِرَةٌ، كَأَنْ يَكُونَ لَهُوَ الْكَفَّارِ النَّصْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيَكُونُ لَهُمْ أَيْدٍ عِنْدَهُمْ تَنْفَعُهُمْ حِينَهَا، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْعُذْرَ الْوَاهِي، فَقَالَ: لَعَلَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالنَّصْرِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، أَوْ يَأْتِي بِأَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ هَلَاكُ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فَضْحُهُمْ، فَيُصْبِحَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْمَوَالُونَ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي نَفْسِهِمْ نَادِمِينَ.

ويقول المؤمنون - مُتَعَجِّبِينَ مِنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ مَا أَسْرَوْهُ فِي أَنْفُسِهِمْ - : أَهْوََاءِ الَّذِينَ حَلَفُوا بِاللَّهِ كَذِبًا مُؤَكِّدِينَ حَلْفَهُمْ أَنَّهُمْ مَعَنَا فِي الْإِيمَانِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمَحَبَّةِ؟ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ؛ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ.

### تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾.

### مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ اضْطِرَابِ الْيَهُودِ فِي دِينِهِمْ، وَمَحَاوَلَتِهِمْ تَضْلِيلَ الْمُسْلِمِينَ، وَتَقْلِيْبِ الْأُمُورِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيَّنَّ عِنَادَهُمْ وَعِدَاوَتَهُمْ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ - تَهَيَّأَتْ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَبُولِ النَّهْيِ عَنِ مَوَالَاةِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ الْوَالَاةَ تَنْبِيْ عَلَى الْوِفَاقِ وَالْوِثَامِ وَالصَّلَةِ، وَلَيْسَ أَوْلَتْكَ بِأَهْلِ لَوْلَاةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لُبُعْدَ مَا بَيْنَ الْأَخْلَاقِ الدِّينِيَّةِ، وَالْإِضْمَارِ هَمَّ الْكَيْدِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ بِالْخَطَابِ، فَنَهَى مَنْ اتَّسَمَ بِالْإِيمَانِ عَنِ مَوَالَاةِهِمْ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٢٨، ٢٢٩).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾.

أي: يا أيها المؤمنون إياكم أن تناصروا اليهود والنصارى، أو تُعاوَنُوهم على غيرهم<sup>(١)</sup>.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

أي: إنَّ بعض اليهودِ أولياء بعض، وبعض النصارى أولياء بعض؛ فأهل كلِّ ملَّةٍ يتناصرون ويتعاصدون فيما بينهم، ويكونون بدءًا واحدةً على مَنْ سواهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾.

أي: ومن يتولَّى اليهود والنصارى، وينصُرهم على المسلمين، ويُظاهِرهم عليهم؛ رغبةً فيهم، ورضا بدينهم، فهو من أهل دينهم وملئتهم، وحُكْمُهُ حُكْمُهُمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٠٧/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٣٢/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩/٢ - ١٠).

قال ابن عثيمين: (الولاية التي نهى الله سبحانه وتعالى أن تتولَّى بها اليهود والنصارى هي المناصرة؛ سواء ناصرناهم على مسلمين أو على كافرين، فلا يحل لنا أن نناصرهم على كافرين، ما لم يكن في مناصرتنا إياهم على هؤلاء الكافرين مصلحةٌ للإسلام، فإن كان فيه مصلحةٌ مثل أن تقوم حرب بين كافرين وكافرين، ويكون الطرف الثاني أكثر إساءةً للمسلمين من الطرف الآخر، فهنا لا بأس أن نناصرهم، لا لمصلحتهم، ولكن لمصلحة المسلمين؛ لأنَّ هذا من باب دفع أشرِّ الأمرين بأخفِّهما) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩/٢) بتصرف يسير.

(٢) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٥٠٧/٨ - ٥٠٨)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٢٢٩/٦). ويُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤١٢/١).

واختار ابن عثيمين أن الآية تعني التعاون بين أهل الملَّة الواحدة، وتعني أيضًا التناصر والتعاون بين اليهود والنصارى على أعدائهم. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٠/٢).

قال ابن عثيمين: (اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، وهل المراد الملَّة الواحدة، أم كلتا الملتين؟ المراد العموم؛ الملَّة الواحدة وكلتا الملتين؛ يدلُّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأَنْفَال: ٧٣]) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٠٨/٨)، ((تفسير القرطبي)) (٢١٧/٦)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٩٤/٧) (٣٠١ - ٣٠٠ / ١٨) (٣٠١ - ٦٤٤ - ٦٤٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤١٢/١ - ٤١٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

أي: إن من يتولاهم منكم فهو من جملة الظالمين الذين وصّعوا الولاية في غير موضعيها، ونقصوا أنفسهم حقها بما ارتكبوا من كفرٍ أو عصيانٍ؛ فلا يُوفّقهم الله تعالى لاتباع الحق<sup>(١)</sup>.

= قال ابن جرير: (بمعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]: ومن يتولّى اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم؛ يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنه لا يتولى متولاً أحداً إلا وهو به ويدينه وما هو عليه راضٍ، وإذ ارضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه) (تفسير ابن جرير) ((٥٠٨/٨)).

وقال ابن حزم: (وصح أن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط - وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) ((المحلى)) ((٣٨٦/١)).

وقال ابن القيم: (... أنه سبحانه قد حكم - ولا أحسن من حكمه - أنه من تولّى اليهود والنصارى فهو منهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن، كان لهم حكمهم) ((أحكام أهل الذمة)) ((١٩٥/١)).

وقال الشنقيطي: (قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ذكر في هذه الآية الكريمة، أن من تولّى اليهود والنصارى من المسلمين، فإنه يكون منهم بتوليه إياهم... وبين في موضع آخر: أن محل ذلك فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف وفتنة، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً، وإيضاح لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والفتنة، فيرخص في موالاةهم، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم، ويشتترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة... ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولّى الكفار عمداً اختياراً؛ رغبة فيهم: أنه كافر مثلهم) ((أضواء البيان)) للشنقيطي ((٤١٢-٤١٣)).

وقال ابن باز: (وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين، وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة، فهو كافر مثلهم، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾) (مجموع فتاوى ابن باز) ((٢٦٩/١)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٥١٠/٨))، (تفسير السعدي) ((ص: ٢٣٥))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٢-١١/٢)).

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾.

أي: فتري- يا محمد- الذين في قلوبهم شك ونفاق يسارعون في موالة اليهود والنصارى، ومودتهم ومصانعتهم<sup>(١)</sup>.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.

أي: يقول هؤلاء المنافقون: إنما نسارع في موالة هؤلاء اليهود والنصارى؛ خوفاً من أن تقع علينا نائبة من نوائب الدهر فنهلك- كما لو لحققتنا هزيمة بظفر الكفار بالمسلمين- فتكون لنا أباد عندهم فتتفعلنا؛ لذا نتخذهم أصدقاء نحافظ على صداقتهم؛ فننال منهم ما يؤمل الصديق من صديقه<sup>(٢)</sup>.

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾.

أي: فعمل الله أن يأتي بالنصر الذي يعز به الإسلام وأهله على الكفار؛ من اليهود والنصارى وغيرهم، أو يأتي بأمر يكون فيه هلاك المنافقين بقتلهم، أو فضحهم وبيان مخازيهم<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٢-٥١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٣-٥١٤)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٣)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٣-٤١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣).



﴿فِيصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

أي: فيصبح هؤلاء المنافقون الذين وآلوا اليهود والنصارى على ما أضمرُوا في نفوسهم من موالاتهم نادمين، فحين يأتي نصرُ الله للمسلمين، ويذلل ويقهرُ الكافرين، لا تُجدي عنهم تلك الموالاة شيئاً، ولا تدفع عنهم محذوراً، فيحصل لهم من الغم ما الله تعالى به عليهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ (٥٣).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾.  
أي: ويقول المؤمنون متعجبين من حال أولئك القوم بعد أن ظهر ما أضمره، وتبين ما أسروه: هؤلاء الذين حلفوا لنا بالله، وأكدوا حلفهم، وغلظوه بأنواع التأكيدات: أنهم معنا في الإيمان، وما يلزمه من نصرة ومحبة<sup>(٢)</sup>!

﴿حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

أي: بطلت أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا ثواب لها ولا أجر، فخابت

= قال ابن عطية: (ويظهر أن هذا التقسيم إنما هو لأن الفتح الموعود به هو ما [بترتب] على سعي النبي وأصحابه، ويسببه جدتهم وعملهم، فوعد الله تعالى إماماً بفتح بمقتضى تلك الأفعال، وإماماً بأمر من عنده يهلك أعداء الشرع، هو أيضاً فتح لا يقع للبشر فيه نسيب) (تفسير ابن عطية) ((٢/٢٠٥)).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥١٤-٥١٥)، ((الوجيز)) للواحد (ص: ٣٢٣)، ((تفسير القرطبي)) (٦/٢١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥١٦-٥١٧)، ((الوجيز)) للواحد (ص: ٣٢٤)، ((تفسير القرطبي)) (٦/٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥/٢٧).

قال ابن عطية: (ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذا القول من المؤمنين إنما هو إذا جاء الفتح حصلت ندامة المنافقين، وفضحهم الله تعالى، فحينئذ يقول المؤمنون: ﴿أهؤلاء الذين أقسموا... الآية﴾) ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٠٦).

صفقتهم، وفاتهم مقصودهم، وحضرهم الشقاء والعذاب فهلكوا<sup>(١)</sup>.

## الفوائد التربوية:

١- تصدير الخطاب بالنداء، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ فيه بيان أهمية تجنب اتخاذ الأولياء من اليهود والنصارى، وأن تجنب ذلك من مقتضيات الإيمان، وأن اتخاذهم أولياء يوجب نقص الإيمان، وربما يوجب محو الإيمان وزواله كله؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- استفاد من قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ بيان أن النصارى واليهود وسائر الكفار بعضهم أولياء بعض في مضادة المسلمين - على أحد الأقوال في التفسير - ومن ثم فيجب على المسلمين الحذر من أعدائهم، وأن يدعوا الخلافات التي بينهم؛ حتى يكونوا يداً واحدة على أعدائهم<sup>(٣)</sup>.

٣- استفاد من قوله: ﴿أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ أنه يجوز للمرء أن يجري الكلام على سبيل التعجب فيمن يستحق العجب منه، ولا يعد ذلك من باب الغيبة؛ لأن الله تعالى ذكر هذا عن المؤمنين، ولم ينكره عليهم<sup>(٤)</sup>.

## الفوائد العلمية واللطائف:

١- قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ...﴾ الآية، فيه انقطاع الموالاة بين المسلمين والكفار، فلا توارث بينهم ولا عقل، ولا ولاية نكاح<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥١٧/٨)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٤)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٧ - ٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٢، ١٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٢٧).

(٥) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣).

- ٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ تعليلٌ للوعيد في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وبيانٌ لسببه؛ وهو أن مَنْ يُوالي أعداء المؤمنين الذين نَصَبوا لهم الحرب، وينصُرهم أو يستنصرُ بهم فهو ظالمٌ بوضعه الولاية في غير موضعها، ولن يَهْتَدِيَ مثله إلى الحقِّ والنَّجاة أبداً<sup>(١)</sup>، إذا أصرَّ على ذلك.
- ٣- يُستفادُ من قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أن كلَّ مَنْ يُسارعُ في موادَّةِ الكافرين وفي مناصرتهم ففي قلبه مَرَضٌ، وينبني على ذلك أن هذا المَرَضُ ربَّما يتضاعفُ حتى يصلَ إلى الكُفْرِ - والعياذُ بالله<sup>(٢)</sup>.
- ٤- يُستفادُ من قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أن الذين في قلوبهم مَرَضٌ - وهم المنافقون - يُسارعون في موادَّةِ الكافرين<sup>(٣)</sup>.
- ٥- أن مَنْ أشار على ولاةِ الأمور بالمسارعةِ في موادَّةِ الكفارِ وفي مناصرتهم، فإنَّ فيه شَبَهاً من هؤلاء المنافقين؛ لقوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ...﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٦- ضعُفُ توكلِّ المنافقين على الله وأنهم إنما يتوكلون على الأمور المادية التي يظنون فيها النصر؛ لقوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ٧- بشارَةُ المؤمنين بأنَّ الفتحَ والنَّصرَ سيكونُ لهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَعَسَى

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٥٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٢٥).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٢٤).

إذا أطمع في خير فعَلَهُ، فهو بمنزلة الوعد؛ لتعلق النفس به ورجائها له<sup>(١)</sup>.

٨- أن المنافق لا بد أن يفضحه الله؛ لقوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٩- تحذير المنافقين مما سيقع بهم من الندم على ما أسروا في أنفسهم؛ لقوله: ﴿فِيضِبْحُوا عَلَىٰ مَا أسَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٠- لما كان الإسراؤ لا يكون إلا لما يخشى من إظهاره فساداً، وكان يطلق على ما دار بين جماعة خاصة على وجه الكتمان عن غيرهم - بين أنه أدق من ذلك، وأنه على الحقيقة منعهم خوفهم من غائلته وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج، فقال: ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

١١- مما يستفاد من الآيات: كذب المنافقين، وأنهم يروجون باطلهم ونفاقهم بالإيمان؛ قال تعالى: ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

١٢- يستفاد من قوله: ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ﴾ أن المنافقين يُقسمون بالله ويظهرون تعظيم الله، كما أنهم يذكرون الله ويصلون ويتصدقون، لكن كل هذا لا ينفعهم؛ فعملهم حابط لعدم الإيمان في قلوبهم<sup>(٦)</sup>.

١٣- أن المنافق مهما ظن من الريح فإنه خاسر؛ لقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾، ووجه ذلك: إن فضحه الله في الدنيا تبين وخسر، وصار مكروهاً عند الناس،

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٧٦/١٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥/٢).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥/٢).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٨٩/٦).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٧/٢).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢٨/٢).

وإن لم يَفْضَحْهُ اللهُ في الدنيا ففي الآخرة، وحينئذ لا يكون منتفعًا بدُنياه؛ لأنه خسر الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١ - قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي، وتأکید إيجاب الاجتناب عن المنهي عنه<sup>(٢)</sup>.

٢ - قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ﴾ الإجمال فيه مبالغة في التحذير من موالاتهم في وقت نزول الآية، وفيه: تشبيه بليغ، أي: فهو كواحد منهم في استحقاق العذاب - على أحد الوجوه في التفسير<sup>(٣)</sup>.

٣ - قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ تذييل للنهي، وموقع الجملة يقتضي أن اليهود والنصارى من القوم الظالمين بطريق الكناية<sup>(٤)</sup>.

٤ - قوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ إيثار التعبير بـ ﴿فِيهِمْ﴾ على (إلى)؛ للمبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها، فكلمًا سنحت لهم فرصة لتوثيق ولائهم وتأكيده ابتدروها؛ وللدلالة على أنهم مستقرّون في الموالاة، وإنما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها، فهم يسارعون في أعمال موالاتهم مسارعة الداخل في الشيء، الثابت عليه، الراغب فيما يزيد تمكّنًا وثباتًا، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: ٦١]، لا أنهم خارجون عنها متوجّهون إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٨/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٤٨/٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٢٩١/٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٣٠/٦).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢٣١/٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٤٨/٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣٥٦/٦).

٥- قوله: ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ...﴾ الاستفهامُ في ﴿أَهْوَاءَ﴾ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّعَجُّبِ مِنْ نِفَاقِهِمْ، وَالْعَجَبُ هُوَ قَسْمُهُمْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ، وَقَدْ دَلَّ هَذَا التَّعَجُّبُ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ إِيْتَانِ الْفَتْحِ مَا يَفْتَضِحُ بِهِ أَمْرُهُمْ، فَيَعْجَبُونَ مِنْ خَلْفِهِمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

٦- قوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ فِيهِ مَا يُعْرَفُ فِي الْبَلَاغَةِ بِالْإِغْرَابِ وَالطَّرْفَةِ أَوْ النُّوَادِرِ<sup>(٢)</sup>، وَالآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ قِسْمٍ لَا يَكُونُ الْإِغْرَابُ فِي مَعْنَاهُ وَلَا فِي ظَاهِرِ لَفْظِهِ، بَلْ فِي تَأْوِيلِهِ، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ قَدْ يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمٌ أَنَّ لَفْظَةَ ﴿أَصْبَحُوا﴾ فِي الظَّاهِرِ حَشْوٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ فَإِنَّ هَوْلَاءِ الْمُخْبِرِ عَنْهُمْ بِالْحُسْرَانِ قَدْ أَمْسُوا فِي مِثْلِ مَا أَصْبَحُوا، وَمَتَى قُلْتَ: أَصْبَحَ الْعَسَلُ حُلُوءًا، كَانَتْ لَفْظَةُ (أَصْبَحَ) زَائِدَةً، مِنَ الْحَشْوِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَمْسَى كَذَلِكَ، وَالتَّأْوِيلُ الَّذِي تَحْصُلُ بِهِ الْفَائِدَةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي لَوْلَا مَجِيءُ (أَصْبَحَ) لَمْ تَحْصُلْ، هِيَ: لَمَّا كَانَ الْعَلِيلُ الَّذِي قَدْ بَاتَ مُكَابِدًا آلامًا شَدِيدَةً تُعْتَبَرُ حَالُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ، فَإِذَا أَصْبَحَ مُفِيقًا مُسْتَرِيحًا مِنْ تِلْكَ الْأَلَامِ رُجِيَ لَهُ الْخَيْرُ، وَغَلَبَ عَلَى الظَّنِّ بُرُؤُهُ وَإِفَاقَتُهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ،

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٣٣).

(٢) الإغراب: هو أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان، وهو على ثلاثة أقسام: الأول: الإغراب في اللفظ، وهو كثير.

الثاني: الإغراب في المعنى، كقول المتنبي:

يُطْمَعُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طَوْلُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عِلْسِي أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ  
فإنه عمد إلى المعنى المعروف من كون الطير إنما تقع على القنلى وتتبع الجيوش؛ ثقة بالشيء، فتجاوزته بزيادة المبالغة المستحسنة؛ لاقترابها بـ(تكاد) إلى ما قال، فحصل في بيته من الإغراب والطرفة ما لا يحصل لغيره.

الثالث: الإغراب في تأويل الكلام، وهو الذي إذا حُمِلَ عَلَى ظَاهِرِهِ كَانَ الْكَلَامُ مَعْنِيًا، وَإِذَا تَوَوَّلَ رَدَّهُ التَّأْوِيلُ إِلَى نَمَطٍ مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ، فَأَمَاطَ عَنْ ظَاهِرِهِ الْعَيْبَ.

ينظر: ((نقد الشعر)) لقدامة بن جعفر (١/٥٤)، ((تحرير التحبير))، لابن أبي الإصبع (ص: ٥٠٦)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٢/٥٠٤-٥٠٥).

وإذا أصبح كما أمسى نعين هلاكه، بجريان العادة بهيجان الإعلال في الليل، وسكونه عند الصباح، وشبهت حال الأشفياء بالعليل الذي أصبح من الأكم على ما أمسى؛ فهو ممن يئس من إصلاحه، وعلى هذا تكون لفظة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ قد أفادت معنى حسناً جميلاً، وخرجت عن كونها حشواً غير مفيد، ولما أخبر الله سبحانه بأنه ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ عليم بالقطع أنهم أصبحوا خاسرين، فلفظة ﴿أَصْبَحُوا﴾ لا يصلح غيرها في موضعها، ولا يتم المعنى إلا بها<sup>(١)</sup>، وقيل: لَمَّا كانت المصيبة عند الإصباح أعظم عبر به، وإن كان المراد التعميم<sup>(٢)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٠٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/٥٠٤ - ٥٠٥).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٨٩).

## الآيات (٥٤ - ٥٦)

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ  
 أَدْلَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذٰلِكَ  
 فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ  
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ  
 حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿يَرْتَدَّ﴾: أي: يرجع من الإسلام إلى الكفر، من الردة والارتداد، والردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره<sup>(١)</sup>.

﴿أَدْلَمَ﴾: أي: لئس لهم، من قولهم: دابةٌ ذلولٌ، أي: منقادةٌ لينةٌ سهلةٌ، وأصل الذلُّ: الخُضوعُ والاستكانةُ واللين، وهو ضدُّ العزِّ<sup>(٢)</sup>.

﴿أَعِزَّةٌ﴾: يُغَالِبُونَ الْكٰفَرَ ويمانعونهم، يُقال: عَزَّهُ يَعِزُّهُ عِزًّا إِذَا غَلَبَهُ؛ من العزاز: وهي الأرض الصلبة، وأصل العِزَّة: الشدَّة والقوَّة وأمثالهما من الغلبة والقهر<sup>(٣)</sup>.

﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾: عطاؤه، وأصل الفضل الزيادة؛ وكلُّ عطيةٍ لا تُلزَمُ مَنْ يُعْطِي، يُقال لها: فضلٌ، والإفضال: الإحسان<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (١/٣٤٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٣١٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/٣٤٥)، ((المفردات)) للراغب (١/٣٣٠)، ((البيان)) لابن الهائم (ص: ٧٨-١٥٢).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٣٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٦٣).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٥٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٩)، ((البيان)) لابن الهائم (ص: ٧٢).



﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾: أي: أنصار الله، أو جُنْدَه وجموعه، والحزبُ: جماعةٌ فيها غَلَطٌ، وقيل: الحزب: الولي، واشتقاقه من قولهم: تحزَّب القومُ، أي: اجتمعوا، وأصلُ (حزب): يدلُّ على تجمُّع شيءٍ<sup>(١)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَنْ يَرْجِعُ مِنْهُمْ عَنِ دِينِهِ الْحَقِّ إِلَى الْكُفْرِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ - عِوَضًا عَمَّا ارْتَدَّ - بِقَوْمٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُحِبُّونَهُ، وَأَنْهُمْ رَحِمَاءٌ يَأْخُوانُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، مُتَوَاضِعُونَ لَهُمْ، أَشَدَّاءٌ عَلَى الْكَافِرِينَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَإِعْزَازِ دِينِهِ، وَأَنْهُمْ فِي حِرْصِهِمْ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَخَافُونَ لَوْمًا مِنْ أَيِّ لَائِمٍ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَنَاقِبِ الْجَلِيلَةِ الْمَذْكُورَةِ هِيَ مِنْ فَضْلِهِ جَلٌّ وَعِلَاءٌ، وَفَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ مَنْ تَحِبُّ مَوَالِيَهُمْ، بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ تَوَلَّيْ مَنْ تَحِبُّ مَعَادَاتِهِمْ، فَقَالَ: إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ - فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ الْمَرْجُوُّ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ - وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي أَخْرَجَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ - وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ عَلَى وَجْهِهَا، وَيُعْطُونَ الزَّكَاةَ لِمُسْتَحِقِّيهَا، وَهُمْ خَاضِعُونَ ذَلِيلُونَ لِلَّهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ حُسْنَ عَاقِبَةِ الَّذِينَ يُوَالُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ مَنْ يَتَّخِذِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْصَارِ اللَّهِ، وَأَنْصَارُهُ عَزَّ وَجَلَّ هُمُ الْغَالِبُونَ.

### تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥٥/٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢).

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا نَهَى تَعَالَى عَنِ مَوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَبَيَّنَّ أَنَّ مَوَالَاتِهِمْ مُسْتَدْعِيَةٌ لِلارْتِدَادِ عَنِ الدِّينِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ - شَرَعَ فِي بَيَانِ حَالِ الْمُرْتَدِّينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ<sup>(١)</sup>.

وأيضاً لَمَّا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ مَوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَخْبَرَ أَنَّ فَاعِلَهَا مِنْهُمْ - عَقَّبَ ذَلِكَ بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ اتِّخَاذَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ذَرِيعَةٌ لِلارْتِدَادِ، وَأَنْبَأَ الْمُرْتَدِّينَ ضِعْفَاءَ الْإِيمَانِ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، إِنْ عَزَمُوا عَلَى الْارْتِدَادِ إِلَى الْكُفْرِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾

أَي: يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، مَنْ يَرْجِعُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، فَيُدْخِلُهُ بِدُخُولِهِ فِي الْكُفْرِ كَأَن يَتَهَوَّدَ أَوْ يَنْصُرَ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

أَي: فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيِّئَاتِي بَدَلًا مِنَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا بِقَوْمٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، أَكْمَلَ مِنْهُمْ أَوْصَافًا، وَأَحْسَنَ أَخْلَاقًا، وَأَقْوَى نَفُوسًا؛ أَجَلُّ صِفَاتِهِمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّهُمْ، وَأَنَّهُمْ يُحِبُّونَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى<sup>(٤)</sup>،

(١) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/١٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥١٧-٥١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٠-٣١).

(كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين)<sup>(١)</sup>.

﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

أي: ومن صفاتهم أنهم رُحَمَاءُ يَخُونُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ، ذَوُو رَأْفَةٍ وَرَفِيقٍ بِهِمْ، وَشَفِيقَةٍ وَخَوٌّ عَلَيْهِمْ، وَتَوَاضَعٌ لَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

كما قال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

أي: ومن صفاتهم أيضًا أنهم أشدُّاءُ على الكافرين، ذَوُو قَسْوَةٍ وَغِلَظَةٍ عَلَيْهِمْ، يُظْهِرُونَ لِلْكَفَّارِ الْقُوَّةَ وَالْعِزَّةَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ<sup>(٣)</sup>.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾

أي: ومن صفاتهم أيضًا أنهم يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ؛ لِتَكُونَ كَلِمَتُهُ سَبْحَانَهُ هِيَ الْعُلْيَا، لَا يَرُدُّهُمْ عَنْ هَذَا الْمَقْصِدِ رَادٌّ، وَلَا يَصُدُّهُمْ عَنْ هَذَا الْمَطْلَبِ صَادٌّ، بَلْ يُقَدِّمُونَ رِضَا رَبِّهِمْ، وَالْخَوْفَ مِنْ لَوْمَةِ عَلَى لَوْمِ الْمَخْلُوقِينَ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((الصفدية)) لابن تيمية (١/٢٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٤١٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٤١٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣١). قال السعدي: (وَلَا تَمْنَعُ الْغِلَظَةُ عَلَيْهِمْ وَالشَّدَّةُ دَعْوَتَهُمْ إِلَى الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَتَجْمَعُ الْغِلَظَةُ عَلَيْهِمُ وَاللَّيْنُ فِي دَعْوَتِهِمْ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ مَصْلَحَتِهِمْ، وَنَفْعُهُ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣١ - ٣٢).

عن عبادة بن الصّامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَلَّا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ - أَوْ نَقُولَ - بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً<sup>(١)</sup>).

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَالْمَنَاقِبِ الْعَالِيَةِ، الْمُسْتَلْزِمَةِ لِمَا لَمْ يُدَكَّرْ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ - أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا مِنْ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ؛ لِثَلَا يُعْجَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلِيَشْكُرُوا الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ؛ لِيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَعْلَمَ غَيْرُهُمْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ عَلَيْهِ حِجَابٌ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

أَي: هَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي نَعْتَهُمْ بِهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَضْلٌ مِنْهُ وَإِحْسَانٌ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَوْفِيقٌ مِنْهُمْ لَهُمْ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: (وَنَحْنُ نَشْهَدُ [بِاللَّهِ] أَنَّهُمْ وَقَفُوا بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ، وَقَالُوا بِالْحَقِّ، وَصَدَعُوا بِهِ، وَلَمْ تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ، وَلَمْ يَكْتُمُوا شَيْئًا مِنْهُ مَخَافَةَ سَوْطٍ وَلَا عَصَا، وَلَا أَمِيرٍ وَلَا وَالٍ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ مِنْ هَدْيِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ؛ فَقَدْ أَنْكَرَ أَبُو سَعِيدٍ عَلَى مَرْوَانَ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنْكَرَ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ عَلَى مَعَاوِيَةَ، وَهُوَ خَلِيفَةٌ، وَأَنْكَرَ ابْنُ عَمْرٍو عَلَى الْحَجَّاجِ مَعَ سَطْوَتِهِ وَبَأْسِهِ، وَأَنْكَرَ عَلَى عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا مِنْ إِنْكَارِهِمْ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْوَلَاةِ إِذَا خَرَجُوا عَنِ الْعَدْلِ؛ لَمْ يَخَافُوا سَوْطَهُمْ وَلَا عُقُوبَتَهُمْ)) (إِعْلَامُ الْمُرْفَعِينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ((٤/ ١١٠)).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٩٩)، وَمُسْلِمٌ (١٨٤٠).

(٣) يُنظَرُ: ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٣٦).

(٤) يُنظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ)) (٥٢٨/٨)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (١٣٧/٣)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ))

(ص: ٢٣٦)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمٍ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٢/ ٣٢).

أي: واللَّهُ تعالى واسعٌ في جميع صفاته، ومن ذلك سعة عطايه وفضله وإحسانه، عليهم بمن يستحق ذلك فيعطيه<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا نَهَى اللَّهُ تعالى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وذكر مآل توليهم أَنَّهُ الخسران المبين - أخبر تعالى بمن يجب ويتعين توليهم، وذكر فائدة ذلك ومصلحته<sup>(٢)</sup>، فقال:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي: ليس لكم - أيها المؤمنون - ناصرٌ إلاَّ اللَّهُ تعالى ورسوله عليه الصلَاة والسلام والمؤمنون، فأما اليهود والنصارى، فليسوا لكم بأولياء ولا نَصراء<sup>(٣)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]. وقال سبحانه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢٨-٥٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥١).

قال ابن عثيمين: (فإن قال قائل: ولاية الله عز وجل صالحة لكل زمان ومكان، لكن كيف ولاية الرسول؟

الجواب: أمّا ما كان في حياته؛ فالولاية واضحة ظاهرة، وأمّا بعد وفاته فإن تمسكنا بسنته من توليهم لنا؛ لأننا نُنصر بها، ونُعان بها، فكأنه عليه الصلَاة والسلام معنا يناصرنا ويُعيننا) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ثم ذكر الله تعالى صفات المؤمنين الذين تنبغي ولايتهم، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

أي: وهم الذين اتصفوا- بالإضافة إلى إيمانهم- بأداء الصلاة بشروطها وواجباتها وأركانها ومستحباتها، وببذل الزكاة من أموالهم، لأهلها المستحقين لها<sup>(١)</sup>.

﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

أي: ومن صفاتهم أيضًا: أنهم لله تعالى خاضعون ذليلون، وله متقادون<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾ (٥٦).  
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي: أي أمرئ يتخذ الله تعالى ورسوله وعباده المؤمنين أولياء له<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٣٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٥١/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٣٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٥١/٢-٥٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٣٢/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٣٩/٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٥٦/٢).

قال ابن عثيمين: (فإن قال قائل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ﴾ هل الله في حاجة لأن يتولاه أحد؟ الجواب: الله عزَّ وجلَّ ليس بحاجة لأن يتولاه أحد، لكن الذين بحاجة إلى أن يتولاه أهله، ومن تولى دين الله فقد تولى الله كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ومن المعلوم أن الله عزَّ وجلَّ لا يحتاج إلى نصر، لكن ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾، أي: تنصروا دينه ﴿يَنصُرْكُمْ وَيَثِّبْ أَعْقَابَكُمْ﴾ [محمد: ٧].  
وقوله: ﴿وَرَسُولَهُ﴾ الرسول عليه الصلاة والسلام يحتاج إلى من يتولاه في حياته، ويتولى =

﴿فَإِنْ حِزَّبَ اللَّهُ هُمُ الْعَالِيُونَ﴾.

أي: فإنه من أنصارِ الله تعالى، وأنصاره هم المُفْلِحون المنصورون، الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ \* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ \* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

### الفوائد التربويّة:

١- في قوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الثناء على من كان ذليلاً على المؤمنين، وهو الذي يخفّض جناحه لهم ويتطامن ويتواضع؛ فإن هذه من الصفات التي يحبها الله عزّ وجلّ، أما ترفع الإنسان على إخوانه المسلمين فليس محموداً عند الله، بل ولا عند الخلق؛ وكلّما ازداد الإيمان ازداد التواضع، وكلّما ازداد العلم ازداد التواضع<sup>(٢)</sup>.

٢- قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾ يفهم من هذه الآيات أن المؤمن يجب عليه ألاّ يلين إلاّ في الوقت المناسب للين، وألاّ يشتدّ إلاّ في الوقت المناسب للشدّة؛ لأنّ اللين في محلّ الشدّة ضعفٌ وخورٌ، والشدّة في محلّ اللين حمقٌ وخرقٌ، وقد قال أبو الطيب المتنبّي:

= سُنَّتُهُ ويدافع عنها بعد وفاته، فيكون تولّي الرسول بمعنى تولّي سنّته ونصّها، كما قلنا: إنّ تولّي الله يعني تولّي دينه، ونصرة دينه.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ تولّي المؤمنين إلى يوم القيامة؛ لأنّه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحقّ حتى تقوم الساعة، وحتى يقبضوا قبل قيام الساعة؛ لأنّ الساعة لا تقوم إلاّ على شرار الخلق) (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٥٧/٢)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٥٣٢/٨))، (تفسير ابن كثير) ((١٣٩/٣))، (تفسير السعدي) (ص: ٢٣٦)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٥٧/٢)).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٤٣/٢)).

إِذَا قِيلَ جِلْمٌ قُلْ فَلِلْجِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ<sup>(١)</sup>  
 وفيها إيماءٌ إلى أَنَّ صِفَاتِهِمْ تُسَبِّرُهَا آرَأَوْهُمْ الْحَصِيفَةَ؛ فَلْيَسُوا مُنْدَفِعِينَ إِلَى  
 فِعْلٍ مَا إِلَّا عَنِ بَصِيرَةٍ، وَلْيَسُوا مَمَّنْ تَنْبِعُثُ أَخْلَاقَهُ عَنِ سَجِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِأَنْ يَكُونَ  
 لَيْتًا فِي كُلِّ حَالٍ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْخُلُقِ الْأَقْوَمِ، وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ بِمَا  
 يُلَاقِمُ ذَلِكَ الْحَالُ<sup>(٢)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَى عِزَّةِ النَّفْسِ وَقُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ  
 أَمَامَ الْكُفَّارِ، وَأَنْ نَكُونَ أَعِزَّةَ عَلَيْهِمْ، نَرَى فِي أَنْفُسِنَا الْعُلُوَّ عَلَيْهِمْ، وَالظُّهُورَ  
 عَلَيْهِمْ لَا بَدَوَاتِنَا، وَلَكِنْ بِمَا مَعْنَا مِنَ الدِّينِ<sup>(٣)</sup>.

٤- الْإِشَارَةُ إِلَى الْإِخْلَاصِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ لِأَنَّ الْجِهَادَ - وَهُوَ  
 الْقِتَالُ - يَحْمَلُ عَلَيْهِ عِدَّةُ أَسْبَابٍ، وَالْجِهَادُ الْمَحْمُودُ هُوَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>.

٥- أَفَادَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أَنَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَقْتَرَنَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الذَّلُّ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ  
 عِزٌّ وَجَلٌّ، بِحَيْثُ يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مُتَعَبِّدٌ لِلَّهِ خَاضِعٌ لَهُ، وَهَذَا يَقُوتُ كَثِيرًا مِنْ  
 النَّاسِ؛ فَيُؤَدِّي الْوَاحِدُ مِنْهُمْ الْعِبَادَةَ عَلَى أَنَّهَا مَفْرُوضَةٌ عَلَيْهِ فَقَطْ، وَلَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ  
 مُتَعَبِّدٌ لِلَّهِ بِذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، لَمْ يَقُلْ عِزٌّ وَجَلٌّ: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُ الْغَالِبُ)، بَلْ قَالَ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾؛ لِيَكُونَ دَالًّا  
 عَلَى شَيْئَيْنِ: الشَّيْءُ الْأَوَّلُ: أَنَّ مَنْ تَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَهُوَ مِنْ حِزْبِ

(١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٤١٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٣٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٤٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٣٩٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٤).



الله. الشيء الثاني: إرادة العموم أن حزب الله لا بد أن يكون غالباً؛ لأن دين الله لا بد أن يكون غالباً، فالتمسك بدين الله؛ هو من حزب الله، وهو غالب ولا بد، لكن الغلبة قد تكون في حال الحياة، وقد تكون بعد الموت؛ ولهذا نجد الأئمة الذين لم يُقدَّر لهم أن يظهروا ظهوراً كاملاً في حياتهم؛ ظهرُوا ظهوراً كاملاً بعد وفاتهم؛ كالإمام أحمد، وابن تيمية، وغيرهما من العلماء والأئمة، الذين لحقهم من الإهانة من ولاة السوء ما لحقهم، وكانت الغلبة لهم؛ إما في الحياة، وإما بعد الممات<sup>(١)</sup>.

٧- يُستفاد من قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أن الله تعالى حزباً، وحزبه الذي يُقابل حربه؛ لأن الله له حزب وله حرب، فمن أقام على شريعته فهو حزبه، ومن خالف شريعته فهو حربه، فإعلان المخالفة حرب لله، لا سيما فيما نصَّ على أنه حرب لله عزَّ وجلَّ، كالربا وقطع الطريق، وما أشبهها<sup>(٢)</sup>.

٨- في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنوده، أن له الغلبة، وإن أدبَل عليه في بعض الأحيان لحكمة يُريدها الله تعالى، فأخبر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قبلاً<sup>(٣)</sup>؟

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- التحذير من الردة؛ لقوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾<sup>(٤)</sup>.

٢- يُستفاد من قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٧/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٥٨/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٣/٢).

وَيُحِبُّونَهُ ﴿٣٨﴾ أَنْ اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ؛ فَلَوْ ارْتَدَّ قَوْمٌ جَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ آخَرِينَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> [محمد: ٣٨].

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ...﴾ من أدلِّ الدلائل على فساد مذهب الإمامية من الروافض؛ فمذهبهم أن الذين أقرُّوا بخلافة أبي بكر وإمامته كلهم كفروا وصاروا مرتدِّين، فنقول: لو كان كذلك لجاء الله تعالى بقوم يُحاربونهم ويقهرونهم ويردُّونهم إلى الدين الحق؛ بدليل قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ...﴾ إلى آخر الآية، وكلمة (مَنْ) في معرض الشرط للعموم، فلو كان الذين نصَّبوا أبا بكر للخلافة قد ارتدُّوا لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم، ويبيطلون مذهبهم، ولَمَّا لم يكن الأمر كذلك، بل الأمر بالصدِّ؛ فإنَّ الروافض هم المقهورون الممنوعون عن إظهار مقالاتهم الباطلة أبداً منذ كانوا- عَلِمْنَا فساد مقالاتهم ومذهبهم، وهذا كلام ظاهر لمن أنصف<sup>(٢)</sup>.

٤- أن المرتدِّين مَبغُضُونَ عِنْدَ اللَّهِ؛ لقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

٥- قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ...﴾ من الكائنات التي أُخْبِرَ عنها في القرآن قبل كونها، وقد وَقَعَ المخبرُّ به على وفِّقها، فيكون معجزاً<sup>(٤)</sup>.

٦- إثبات أفعال الله الاختيارية، يعني: التي يفعلها سبحانه باختياره؛ لقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي﴾ وسوف: للمستقبل<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٤ / ٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٧٨ / ١٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٤ / ٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (١٦٨ / ٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١ / ٢).

٧- إثبات المحبة من الله ولله؛ من الله في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، ولله في قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾، وهذه الآية جمعت بين محبة الله لعباده الصالحين، ومحبة العباد الصالحين لله<sup>(١)</sup>.

٨- يُستفاد من قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أنه ينبغي للإنسان ألا تأخذه في الله لومة لائم؛ فما دام على حق، فلا يهمنه أحد؛ لأنه لا بد لكل عابِد من عدو، لكن ذلك مع وجوب الحكمة؛ لأن التهور يحصل منه انعكاس المقصود<sup>(٢)</sup>.

٩- قوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه أن خوف الملامة ليس عذراً في ترك أمر شرعي<sup>(٣)</sup>.

١٠- يُستفاد من قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أن الوصف بالمحبة، والذلة، والعزة، والمجاهدة، وانتفاء خوف اللائمة - حصل بفضل الله تعالى، وهذا يدل على أن طاعات العباد مخلوقة لله تعالى<sup>(٤)</sup>.

١١- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، ولم يقل: (أولياؤكم) للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة، ولرسوله وللمؤمنين على التبعية؛ إذ التقدير: إنما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون، ولو قيل: (إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا) لم يكن في الكلام أصل وتبع<sup>(٥)</sup>.

١٢- يُستفاد من قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤٧/٢).

(٣) يُنظر: ((الإكليل)) للسيوطي (ص: ١١٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٣٩٥/٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٣٨٢/١).

فضيلة الصلاة؛ لأن الصلاة دائماً في المقدمة، فهي أفضل العبادات بعد التوحيد، والشهادة بالرسالة<sup>(١)</sup>.

١٣ - يُستفاد من قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أن مرتبة الزكاة في دين الإسلام بعد مرتبة الصلاة، وهكذا في الآيات الكريمة وفي الأحاديث النبوية؛ تأتي الزكاة بعد الصلاة<sup>(٢)</sup>.

١٤ - لَمَّا كَانَ لَقَبُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَشْمَلُ كُلَّ مَنْ أَسْلَمَ فِي الظَّاهِرِ، وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءَ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، أي: دون المنافقين الذين قالوا آمناً بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، والذين يأتون بصورة الصلاة دون روجها ومعناها، فإذا قاموا إليها ﴿قَامُوا كَسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> [النساء: ١٤٢].

١٥ - الثَّنَاءُ التَّامُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ تَوَلِّيَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْعَلْبَةِ، أَمَا تَوَلَّى اللَّهُ فَهُوَ شَأْنٌ فَوْقَ ذَلِكَ؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١ - قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ جملة معترضة بين ما قبلها وبين قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ دعت لاعتراضها مناسبة الإنذار في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٥٢/٢)).

(٢) يُنظر: (المصدر السابق) ((٥٣/٢)).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن عادل) ((٣٩٦/٧))، (نظم الدرر) للبقاعي (١٩٣/٦)، (تفسير المنار)

لمحمد رشيد رضا ((٣٦٥/٦)).

(٤) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٥٨/٢)).

(٥) ينظر: (تفسير ابن عاشور) ((٢٣٤/٦)).

٢- قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

- فيه مناسباتٌ حسنةٌ لطيفةٌ في التقديم والتأخير؛ حيث قَدَّمَ مَحَبَّةَ اللَّهِ تعالى لهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ على مَحَبَّتِهِمْ له ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾؛ لِشَرَفِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لهم، وَسَبَقِهَا على مَحَبَّتِهِمْ إِيَّاهُ. وَقَدَّمَ الوَصْفَ بِالمَحَبَّةِ مِنْهُمْ ولَهُمْ على وَصْفِهِمْ بِأَذِلَّةٍ على الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعِزَّةٍ على الْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّهما نَاشِئَتَانِ عَنِ المَحَبَّتَيْنِ. وَلَمَّا كَانَ الوَصْفُ الَّذِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَرَبِّهِ أَشْرَفَ مِنَ الوَصْفِ الَّذِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنِ؛ لِذَا قَدَّمَ قَوْلَهُ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ على قَوْلِهِ: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. وَقَدَّمَ وَصْفَهُم المَتَعَلِّقَ بِالمُؤْمِنِينَ ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على وَصْفِهِم المَتَعَلِّقَ بِالْكَافِرِينَ ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ لِأَنَّ المَتَعَلِّقَ بِالمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُ وَالرِّزْمُ مِنَ المَتَعَلِّقِ بِالْكَافِرِينَ، وَلِشَرَفِ الْمُؤْمِنِ أَيْضًا<sup>(١)</sup>.

- وَوَقَعَ الوَصْفُ فِي جَانِبِ المَحَبَّةِ بِالجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾؛ لِأَنَّ الفِعْلَ يَدُلُّ على التَّجَدُّدِ وَالحَدُوثِ، وَهُوَ مُنَاسِبٌ؛ فَإِنَّ مَحَبَّتَهُمْ لِلَّهِ تعالى تُجَدِّدُ طَاعَاتِهِ وَعِبَادَتَهُ كُلَّ وَقْتٍ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ تُجَدِّدُ ثَوَابَهُ وَإِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ كُلَّ وَقْتٍ، بَيْنَمَا وَقَعَ الوَصْفُ فِي جَانِبِ التَّوَاضُّعِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالعِظَمَةِ على الْكَافِرِينَ بِالاسْمِ الدَّالِّ على المَبَالِغَةِ؛ دَلَالَةً على ثُبُوتِ ذَلِكَ وَاسْتِقْرَارِهِ، وَأَنَّهُ عَزِيزٌ فِيهِمْ؛ فَالاسْمُ يَدُلُّ على الثُّبُوتِ وَالاسْتِقْرَارِ<sup>(٢)</sup>.

- وَلَمَّا كَانَ ذُلُّهُمُ هَذَا إِنَّمَا هُوَ الرِّفْقُ وَلَيْسَ الجَانِبُ لِالهَوَانِ، كَانَ فِي الحَقِيقَةِ عِزًّا، فَأشارَ إِلَيْهِ بِحَرْفِ الاستِعْلَاءِ (على)، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾؛

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٩٧، ٢٩٩)، ((الدر المصون)) للحلي (٤/٣١٠)، ((تفسير

ابن عادل)) (٧/٣٨٨).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٩٩)، ((الدر المصون)) للحلي (٤/٣١٠).

ففيه مناسبة حسنة؛ حيث جاء التعبير بـ ﴿عَلَى﴾ وليس باللام، فلم يقل: (أدلة للمؤمنين)؛ لأنه قد ضُمَّن الدُّلَّ معنى الشَّفَقَةِ والحُنُوِّ والعَطْفِ، مُبَيَّنًا أَنَّ تَوَاضَعَهُمْ عن علوِّ منصبٍ وشرفٍ، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التَّدَلُّلِ والتواضع، أو: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أَجْنَحَتَهُمْ<sup>(١)</sup>.

٣- وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه: تعريض بالمنافقين؛ فإنهم كانوا إذا خرَّجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يكادون يعملون شيئًا يَلْحَقُهُمْ فيه لَوْمٌ من جِهَتِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

- وفي تنكير ﴿لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ مبالغة، كأنه قيل: لا يخافون شيئًا قطُّ من لوم أحدٍ من اللُّوَامِ<sup>(٣)</sup>، و﴿لَوْمَةٌ﴾ للمرَّة الواحدة من اللُّومِ، وهي نكرةٌ في سياق النفي؛ فتعمُّ؛ فهم لا يخافون جميع أنواع اللُّومِ من جميع اللَّائِمِينَ<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ تذييل، وفيه إشارة إلى ما تقدَّم من الأوصافِ الجليَّةِ، والتعبيرُ باسم الإشارةِ ﴿ذَلِكَ﴾ وما فيه من معنى البُعد؛ للإيدانِ يُبعد منزلتها في الفضلِ<sup>(٥)</sup>.

٥- قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الجملة اعتراض تذييليُّ مُقرَّرٌ لما قبله،

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٤٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٩١)، ((تفسير الشربيني)) (١/٣٨٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٢).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٣٨).

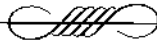
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٠٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٣٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/١٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٣٩).

وإظهار الاسم الجليل ﴿الله﴾ في موضع الإضمار؛ للإشعار بالعلّة، وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية<sup>(١)</sup>.

- وقوله: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواسع فيه إشارة إلى كمال القدرة، والعليم فيه إشارة إلى كمال العلم، وجاء على صيغة (فعليل)؛ للمبالغة في وصفه بالعلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق؛ فلما أخبر الله تعالى أنه سيجيء بأقوام هذا شأنهم ووصفتهم، أكد ذلك بأنه كامل القدرة؛ فلا يعجز عن هذا الموعود، كامل العلم؛ فيمتنع دخول الخلف في أخباره ومواعيده<sup>(٢)</sup>.

٦- قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ فيه: وضع الظاهر موضع المضمّر - حيث لم يقل: (فإنهم هم الغالبون) - وفائدة وضع الظاهر موضع المضمّر هنا الإضافة إلى الله تعالى، فيشرفون بذلك، ويصيرون بذلك أعلاماً، وفيه تبيين على البرهان عليه، فكأنه قيل: ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون؛ ففيه تنويه بذكرهم، وتعظيم لشأنهم، وترغيب في ولايتهم، وتعريض لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان<sup>(٣)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٥٢/٣).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٨٢/١٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٥٢/٣).

(٣) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٣١/٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٣٠١/٤) ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٩٤/٦).

وهذا الوجه بناء على القول بأن جواب ﴿مَنْ﴾ هو قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ...﴾، وأما على القول بأن جواب ﴿مَنْ﴾ محذوف؛ لدلالة ما بعده عليه، أي: يكن من حزب الله ويغلب؛ فليس فيه هذا الوجه.

## الآيات (٥٧ - ٦١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ۝٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ<sup>١</sup> وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۝٦١﴾

## غريب الكلمات:

﴿هُزُوعًا﴾: أي: سُخْرِيًّا واستِهْزَاءً وتلعبًا<sup>(١)</sup>.

﴿تَقِيمُونَ﴾: تَكْرَهُونَ وتُنْكِرُونَ وتعيون، من نَقِمْتُ الشَّيْءَ: إذا أَنْكَرْتَهُ، إمَّا باللسان، وإمَّا بالعقوبة، وأَصْلُ (نقم): يدلُّ على إنكار شيءٍ وعيبه<sup>(٢)</sup>.

﴿أُنْبِئُكُمْ﴾: أَخْبِرْكُمْ، والنَّبَأُ: الخبرُ الذي له قَدْرٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، ويحصل به علمٌ أو غَلْبَةٌ ظنٌّ، وأَصْلُ (نبا): الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ؛ وسُمِّيَ الخبرُ نَبَأً لانتقاله من مكانٍ إلى مكانٍ<sup>(٣)</sup>.

﴿مَثُوبَةً﴾: أي: جزاءٌ ثابتًا، أو ثوابًا، وهو عبارةٌ عن المنفعةِ الخالصةِ المقرونةِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٣)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٢٣٣)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٨٤١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٣٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٦٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٤)، ((التيان)) لابن الهيثم (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٣٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨٨-٧٨٩).



بالتعظيم، والمثوبة مختصة بالخير؛ كما أن العقوبة مختصة بالشر<sup>(١)</sup>.

﴿لَعْنَةُ﴾: طرده وأبعده، واللَّعْن: الطرد والإبعاد على سبيل السَّخَطِ<sup>(٢)</sup>.

﴿الطَّاغُوتِ﴾: الطَّاغُوتُ هو كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَى اللَّهِ، فَكُلُّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَارِهَاً لِدَلِّكَ: طَاغُوتٌ؛ إِنْسَانًا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ وَثَنًا، أَوْ صَنَمًا كَانَتْ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ، وَالْمُطَاعُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ طَاغُوتٌ، وَكَذَلِكَ السَّاحِرُ وَالكَاهِنُ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الطُّغْيَانِ: وَهُوَ الظُّلْمُ وَالْبَغْيُ، يُقَالُ طَغَا فُلَانٌ يَطْغَى: إِذَا عَدَا قَدْرَهُ فَتَجَاوَزَ حَدَّهُ<sup>(٣)</sup>.

### مُشْكِلُ الْإِعْرَابِ:

١ - قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾

﴿وَالْكَفَّارَ﴾: قُرئ بالنَّصْبِ وبالِجَرِّ؛ فعلى النَّصْبِ فهو عطفٌ على ﴿الَّذِينَ﴾ المنصوبة في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا...﴾، أي: لَا تَتَّخِذُوا الْمُسْتَهْزِئِينَ وَلَا الْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ؛ فيخْرُجونَ مِنَ الوَصْفِ بِالْهُزْءِ وَاللَّعِبِ. وعلى الجَرِّ

(١) يُنظر: ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٨٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢٧، ٨٨١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٠٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٤١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٨)، ((تفسير ابن جرير)) (٤/ ٥٥٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣١٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤١٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٢١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ٢٠١) ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١١٣).

وقال ابنُ القَيْمِ: (والطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنَ الْمَعْبُودِ، أَوْ مَتَّبِعِهِ، أَوْ مُطَاعِهِ؛ فَطَاغُوتٌ كُلُّ قَوْمٍ مَنِ يَتَّحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لَهُ؛ فَهَذِهِ طَوَاغِيَةُ الْعَالَمِ... ((أعلام الموقعين)) (١/ ٤٠).

فهو عطفٌ على ﴿الَّذِينَ﴾ المجرورة في قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا﴾؛ ومعناها: أنه نهاهم أن يتخذوا المستهزئين أولياء، وبين أن المستهزئين صنفان: أهل كتابٍ متقدمٍ؛ وهم اليهود والنصارى، وكفار عبدة أوثان؛ فيكونون موصوفين باللعب والهزاء، كما وُصف به الذين أوتوا الكتاب؛ والمعنيان صحيحان<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

﴿أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ﴾: ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ فعلٌ وفاعلٌ، والكاف مفعولٌ أولٌ، و﴿بِشَرٍّ﴾ جارٌّ ومجرورٌ، وهو في محلِّ نصبٍ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿أُنَبِّئُ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: ﴿مَنْ﴾: موصولةٌ بمعنى الذي، وقد حمل على لفظها فأفرد في قوله: ﴿لَعَنَهُ﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾، ثم حمل على معناها فجمع في قوله: ﴿مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ﴾. ويجوز في إعرابِ ﴿مَنْ﴾: أن يكون في محلِّ رفعٍ على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ. ويجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ في موضعٍ جرٍّ على البديلِ من لفظِ ﴿بِشَرٍّ﴾ بديلُ الشئِ من الشئِ، والتقدير: ﴿أُوْنَبِّئُكُمْ بِمَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾. ويجوز أن يكون في موضعٍ نصبٍ على البديلِ من محلِّ قوله: ﴿بِشَرٍّ﴾؛ إذ محله النَّصْبُ، أو في موضعٍ نصبٍ بفعلٍ محذوفٍ دلَّ عليه ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾، أي: أعرِّفكم مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٠)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٤٦)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٦٣).

(٢) وذلك لأنَّ أصلَ الفعلِ (نَبَأَ وَأَنبَأَ) يتعدى لمفعولين؛ فيتعدى إلى المفعولِ الأوَّلِ بنفسه، وإلى الثاني بحرفِ الجرِّ كما هنا، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾، وقد يُحذفُ الجارُّ تخفيفاً، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾، وقد يُحذفُ المفعولُ الأوَّلُ؛ للدلالةِ عليه، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾، حيثُ تعدى لمفعولين حُذِفَ أوَّلُهُما، والثاني مجرورٌ بالباء، أي: نَبَأَتْ بِهِ غيرها. يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (١٠/ ٣٦٤).

(٣) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣١)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري =

## المَعَنَى الْجُمَالِي:

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ أَعْدَائِهِمْ حُلَفَاءَ وَأَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِشَعَائِرِ الدِّينِ الْقَوِيمِ وَيَحْتَقِرُونَهَا؛ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ بِتَقْوَاهِ فِي ذَلِكَ، إِنَّ كَانُوا حَقًّا مُؤْمِنِينَ. ثُمَّ يُخَبِّرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ بَعْضِ مَظَاهِيرِ اسْتَهْزَاءِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ بِالَّذِينَ، فَهَمَّ إِذَا سَمِعُوا الْأَذَانَ يُنَادِي لِلصَّلَاةِ اتَّخَذَهَا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالْمَشْرِكِينَ سُخْرِيَةً وَلَعِبًا؛ وَذَلِكَ لِكُونِهِمْ قَوْمًا لَا يَعْقِلُونَ.

ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّكُمْ بِمَعَادَاتِكُمْ لَنَا، وَحَرْبِكُمْ عَلَيْنَا، مَا تَكْرَهُونَ مِنَّا، وَلَا تَعْيَبُونَ عَلَيْنَا إِلَّا إِيمَانَنَا بِاللَّهِ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا، وَإِيمَانَنَا بِمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ.

وَيَأْمُرُ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ أَيْضًا: هَلْ أُخْبِرُكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى - بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي نَقَمْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا ثَوَابًا وَجَزَاءً، مَعَ التَّنَزُّلِ مَعَكُمْ؟ مَنْ طَرَدَهُمُ اللهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ غَضَبَهُ، وَمَسَخَّ بَعْضَهُمْ إِلَى قُرُودٍ وَخَنَازِيرٍ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ مَنَ عِبَدَ الطَّاغُوتِ؛ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَدَّدَ اللهُ أَوْصَافَهُمْ هُمْ شَرُّ مَنْزِلَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَقَمُوا عَلَيْهِمْ إِيمَانَهُمْ.

ثُمَّ يُخَبِّرُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا أَتَوْهُمْ قَالُوا لَهُمْ كَذِبًا: إِنَّهُمْ آمَنُوا، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِكُفْرِهِمْ، قَدْ دَخَلُوا بِكُفْرِهِمْ عَلَيْكُمْ، وَخَرَجُوا بِهِ كَمَا قَدْ دَخَلُوا، لَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا يَسْمَعُونَهُ عِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَوَاعِظِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُسْرُونَهُ وَيُخْفُونَهُ.

## تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾.

أي: لا تتخذوا- أيها المؤمنون- الذين يستهزئون بشعائر دينكم، ويرمقونها بعين الاحتقار والسخرية، ويعتقدونها ضربًا من اللهو والعبث في نظرهم الفاسد؛ من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار والمشركين- لا تتخذوا هؤلاء ولا هؤلاء أنصارًا لكم وحلفاء وأعوانًا<sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

مناسبتها لما قبلها:

لَمَّا نَهَى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ، أَمَرَهُمْ بِتَقْوَاهُ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَامِلَةُ عَلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، أَي: اتَّقُوا اللَّهَ فِي مَوَالَاةِ الْكَفَّارِ، ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى الْوَصْفِ الْحَامِلِ عَلَى التَّقْوَى، وَهُوَ الْإِيمَانُ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: امثلوا ما أمركم الله تعالى به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، ومن ذلك تركُّ اتِّخَاذِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ لَكُمْ وَلِدِينِكُمْ أَوْلِيَاءَ، إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِشَرَعِ اللَّهِ عَزَّ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عاشور))

(٦/٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٦٢-٦٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٠٢).

وجلّ الذي اتَّخَذَهُ هُؤْلَاءِ هُزُورًا وَلَعِبًا<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)﴾

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكَفَّارِ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا دِينَ الْمُسْلِمِينَ هُزُورًا وَلَعِبًا، ذَكَرَ هَاهُنَا بَعْضَ مَا يَتَّخِذُونَهُ مِنْ هَذَا الدِّينِ هُزُورًا وَلَعِبًا<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلَعِبًا﴾

أَي: وَإِذَا أَذَّنْتُمْ لِلصَّلَاةِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - سَخِرَ مِنْهَا هُؤْلَاءِ الْكَفَّارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَشْرِكِينَ، وَاعْتَقَدُوا ضَرْبًا مِنَ اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

أَي: إِنَّمَا تَفَعُّ مِنْهُمْ السُّخْرِيَّةُ بِالصَّلَاةِ، وَيَتَّخِذُونَهَا لَعِبًا؛ لِعَدَمِ عَقْلِهِمْ، وَلِجَهْلِهِمْ الْعَظِيمِ بِرَبِّهِمْ، وَبِمَعَانِي عِبَادَتِهِ وَحَقِيقَةِ شَرَائِعِهِ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ عَقُولٌ رَاشِدَةٌ لَعَظَّمُوا هَذِهِ الْعِبَادَةَ الْعَظِيمَةَ<sup>(٤)</sup>.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)﴾

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٥-٥٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦-٢٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٦٤).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٨٨).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٦٩).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٦٩-٧٠).

## مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا حَكَى تَعَالَى عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا دِينَ الْإِسْلَامِ هُزُورًا وَلَعِبًا، أَمَرَ بِسُؤَالِهِمْ: مَا الَّذِي تَنْقُمُونَ مِنْ هَذَا الدِّينِ، وَمَا الَّذِي تَجِدُونَ فِيهِ مِمَّا يُوْجِبُ اتِّخَاذَهُ هُزُورًا وَلَعِبًا<sup>(١)</sup>؟ فَقَالَ تَعَالَى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)﴾.

أي: قل - يا محمد - لهؤلاء الذين اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُورًا وَلَعِبًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، مَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ مَطْعَنٍ أَوْ عَيْبٍ إِلَّا إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَبِالْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ السَّابِقَةِ الَّتِي أُنزِلَتْ مِنْ قَبْلِنَا، وَإِلَّا إِيْمَانُنَا بِأَنَّ أَكْثَرَكُمْ خَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، نَاكِبُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَهَلْ يُعَدُّ هَذَا عَيْبًا؟! وَكَيْفَ تَعَيَّبُونَنَا بِهَذَا الَّذِي هُوَ أَوْجِبُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَعْظَمُ الْمَهْمَاتِ<sup>(٢)</sup>؟!

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ \* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البُرُوج: ٨-٩].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)﴾.

## مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَكَتَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى هُزُورِهِمْ وَلَعِبِهِمْ بِمَا تَقَدَّمَ، انْتَقَلَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَا هُوَ أَشَدُّ تَبْكِيئًا وَتَشْنِيعًا عَلَيْهِمْ، بِمَا فِيهِ مِنَ التَّذْكِيرِ بِسُوءِ

(١) يَنْظُرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٣٨٨).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٣٧-٥٣٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٢)، ((تفسير ابن

عشيمين - سورة المائدة)) (٢/٧٦-٧٩).

حالهم مع أنبيائهم، وما كان من جزائهم على فسقهم، وتمردهم بأشد ما جازى الله تعالى به الفاسقين الظالمين لأنفسهم، وهو اللعن والغضب، والمسحُ الصوريُّ أو المعنويُّ، وعبادة الطاغوت<sup>(١)</sup>.

وأيضاً لما ذكر أن أهل الكتاب يعيرون المسلمين بالإيمان بالله ورُسُلِهِ - ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردّاً عليهم<sup>(٢)</sup>، فقال:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾

أي: قل - يا محمّد - هل أنبئكم يا أهل الكتاب بشراً عند الله من الذي تَقَمُّمُ فيه علينا ثواباً وجزاءً؟<sup>(٣)</sup>

﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾

أي: هو من طرده الله تعالى وأبعده من رحمته، وأحلَّ عليه غضبه<sup>(٤)</sup>.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾

أي: ومسح بعضهم إلى قردة وخنازير؛ خزيًا ونكالا في الدنيا<sup>(٥)</sup>.

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿عَبَدَ﴾ قراءتان:

(١) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٧٠)

(٢) ((تفسير ابن جزي)) (١/٢٣٧).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٣٨)، ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/٢٠٤) ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٨٢ - ٨٤).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٨٤).

١- ﴿عَبْدٌ﴾ بجعل ﴿عَبْدٌ﴾ اسماً مفرداً ليس بجمع، على وزن (فَعَلَ)، الذي يُعْبَدُ معنى المبالغة والكثرة؛ فالعَبْدُ هو المبالغُ في العبودية المنتهي فيها؛ كما يُقال: فَطُنَ وَحَدُرَ، للبليغ في الفطنة والحذر، فيكون (وَعَبْدٌ) اسماً مُضَافاً إلى الطَّاغُوتِ، وهو منصوبٌ عطفاً على ﴿الْقِرْدَةَ﴾<sup>(١)</sup>، وقيل: إِنَّ (عَبْدٌ) جمع (عَبْدٌ)، أي: خَدَمًا لِلطَّاغُوتِ<sup>(٢)</sup>.

٢- ﴿عَبْدٌ﴾ بجعل ﴿عَبْدٌ﴾ فعلاً ماضياً عطفاً على ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ ونُصِبَ ﴿الطَّاغُوتِ﴾ به<sup>(٣)</sup>.  
﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾.

أي: وَمَنْ عَبَدُوا الطَّاغُوتَ، (وهو كُلُّ ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ ورَضِيَ بذلك)<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ بها حمزة. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).

وَيُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣١)، ((الكشف)) لمكي (١/ ٤١٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٢٧) ((إبراز المعاني)) (٢/ ٧٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤١)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ١٣٣).

(٣) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).

قال ابن خالويه: ((الحجّة لِمَنْ فَتَحَ الباء: أَنه جعله فعلاً ماضياً مردوداً على قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾ وَمَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ)) ((الحجة)) (ص: ١٣٣).  
وقال مكّي بن أبي طالب: (وَحُجَّةٌ مَنْ فَتَحَ الباءَ والتاء [أي التاء في كلمة الطاغوت] أَنه جعله فعلاً ماضياً، وعطفه على فعلٍ ماضٍ، وهو غَضِبَ ولَعَنَ وجَعَلَ، ونصب الطَّاغُوتَ به) ((الكشف)) (١/ ٤١٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٤)، ((أعلام الموقعين)) لابن القيم (١/ ٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٨٥-٨٧).

قال ابن تيمية: ف: «جَعَلَ» معطوف على «لَعَنَ»، ليس المراد: وجعل منهم مَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، كما ظنّه بعضُ الناس، فإنَّ اللَّفْظَ لا يبدلُ على ذلك والمعنى لا يناسبه، فإنَّ المراد دَمُّهم على ذلك لا الإخبار بأنَّ الله جعلَ فيهم مَنْ يَعْبُدُ الطَّاغُوتَ؛ إذ مجرد الإخبار بهذا لا ذمَّ فيه لهم، بخلاف جعله منهم القردة والخنازير، فإنَّ ذلك عقوبةٌ منه لهم على ذنوبهم، وذلك خزيٌّ =



﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

أي: هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى هم في الحقيقة شرٌّ مكانًا ومنزلةً في الدنيا والآخرة عند الله تعالى من المؤمنين؛ الذين نَقَمْتُمْ عليهم إيمانهم بالله وبما أنزل إليهم وبما أنزل من قبليهم، وهم أيضًا أشدُّ بعدًا عن الطريق القويم<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (٦١).

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾.

أي: وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - هؤلاء المنافقون من اليهود<sup>(٢)</sup>، قالوا لكم بالسُّتْهِمْ كذبًا ومكرًا: آمنا، والحال أنهم دخلوا وهم مُقِيمُونَ على كُفْرِهِم الذي تَنْطَوِي عليه قلوبهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾.

أي: وقد خرجوا بالكُفْرِ من عندكم كما دخلوا به عليكم، لم يرجعوا بمجيبهم

= لهم، فعابهم بلعنة الله وعقوبته بالشُّرك الذي فيهم، وهو عبادة الطاغوت) ((منهاج السنة النبوية)) (١/٤٨٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٤٥-٥٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٣-١٤٤)، ((تفسير

السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٨٧-٩٠).

وقيل: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ جوابٌ من الله تعالى، وممَّن اختار هذا القول: ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/٥٤٥-٥٤٦)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/٨٧).

وقيل: ذلك من كلام المؤمنين. وممَّن اختار هذا القول: ابن كثير في: ((تفسيره)) (٣/١٤٣).

(٢) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/٥٤٦)، والواحدي في ((الوجيز))، (ص: ٣٢٦)،

وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/٢٤٧)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/٩٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٤)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٩٧).

إليكم عن كفرهم الكافرين فيهم، فلم يتفعلوا بما قد سمعوا منكم من العلم، ولا نجعت فيهم المواعظ<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾

أي: واللَّهُ عالمٌ بما انطوت عليه قلوبهم، وإن أظهروا للناس خلاف ذلك؛ فإنَّ عالمَ الغيبِ والشَّهادة أعلمُ بهم منهم، وسيُجازيهم على ذلك<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد التربويّة:

١- التَّحذِيرُ النَّامٌ مِنْ اتِّخَاذِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ، وَذَلِكَ بِإِثَارَةِ الْحَمِيَّةِ وَالغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا﴾؛ لِأَنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ يَشْعُرُ بِأَنَّ شَخْصًا يَهْزَأُ بِهِ فِي دِينِهِ وَيَقُولُ: هَذَا الدِّينَ لَعِبٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ؛ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيُثَوَّرُ<sup>(٣)</sup>.

٢- أَنَّ الْعِلْمَ قَدْ يَكُونُ وَبِالْأَعْلَى صَاحِبِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُعْطُوا الْعِلْمَ، وَوُصِفَ لَهُمُ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَصَفًا يَجْعَلُهُمْ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ هَذَا الْعِلْمُ<sup>(٤)</sup>.

٣- أَنَّ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ مُقْتَضِيٌّ لِلتَّقْوَى؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُومَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ تَعْظِيمُ الصَّلَاةِ حَيْثُ يُنَادَى لَهَا، وَحَتَّى يَعْلَمَ النَّاسُ دُخُولَ وَقْتِهَا؛ فَيُصَلُّوا وَيَحْضُرُوا إِنْ كَانُوا مِمَّنْ يَجِبُ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٤٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤٤/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٧/٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٤٤/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦٥/٢)، ((تفسير ابن عادل)) (٤٠٠/٧).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٦٦/٢).

(٥) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٦٧/٢).

عليهم الحضور للجماعة<sup>(١)</sup>.

٥- أن القيام بالصلاة دليل على كمال العقل، وأن من لم يهتم بها فإن ذلك دليل على نقص عقله؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فتكون إقامة الصلاة من تمام العقول، والتهاون بها من نقص العقول، كما أنه نقص في الدين<sup>(٢)</sup>.

٦- أنه ينبغي للمؤمن أن يكون صريحاً، فلا يُداهن؛ لقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهذه مقابلة صريحة بوصفهم بالفسق<sup>(٣)</sup>.

٧- أن العبرة إنما تكون بالمنزلة عند الله لا عند الناس؛ لقوله: ﴿مُتَوَبِّةٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ويتفرع على هذا: أنه ينبغي لنا ألا ننظر إلى منزلتنا عند الناس، وإنما ننظر إلى منزلتنا عند الله عز وجل، وإذا صححنا ذلك كفانا الله مؤونة الناس<sup>(٤)</sup>.

٨- يُستفاد من قوله: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ التحذير من المنافقين؛ لأن الله لم يقص علينا قصصهم أو حالهم إلا لنحذر، لا لنعلم فقط<sup>(٥)</sup>.

٩- أنه ليس لنا أن نحكم إلا بما ظهر؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾؛ لأن الله لم يخبرنا إلا لنحذر، ولو أننا بقينا على ما يبدو لنا لكان هؤلاء مؤمنين حسب ما يقولون، لكن الله أخبرنا بهذا لنحذرهم<sup>(٦)</sup>.

١٠- يُستفاد من قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ تحذير المرء من أن يبطن في قلبه ما يخالف لسانه، وهذه مسألة يجب علينا أن نُعالج أنفسنا منها،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧٦/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٧٩/٢).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٩١/٢).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٩٨/٢).

(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)).

احذر أن تُضمَرَ في قلبك ما يُخالف ما تنطقُ به بلسانك، أو تفعله بجوارحك؛ يجب أن تُصَفِّي القلبَ أولاً، وتُطَهِّر القلبَ، ثم بعد ذلك تبني أعمالك على حَسَبِ هذه التصفية<sup>(١)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- يُستفادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ إظهارُ عداوةِ هؤلاء الكفار من أهل الكتاب والكفار للإسلام، وأنَّ عداوتهم ظاهرة<sup>(٢)</sup>.

٢- مشروعيةُ النداءِ للصلاة؛ لقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، والنداء يعني الأذانَ، ففيه دلالةٌ على بُبُوتِ الأذانِ بنصِّ الكتابِ لا بالمنامِ وحده<sup>(٣)</sup>.

٣- يُستفادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أنه إذا كان النداءُ للصلاة مشروعاً، كان عبادةً يتقرَّب به المنادي إلى الله، وهو كذلك، فالأذانُ مِنْ أفضلِ الأعمالِ<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ أصلٌ في تكفيرِ المُستهزئِ بشيءٍ من الشريعة<sup>(٥)</sup>.

٥- في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ سؤال: كيف ينقم اليهودُ على المسلمين مع كونِ أكثرِ اليهودِ فاسقين؟ والجواب من وجوه:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٨/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦٦/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٣٨٨/١٢)، ((تفسير الشربيني)) (٣٨٣/١)، ((تفسير ابن عادل)) (٤٠٢/٧)، ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣٦٨/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧١/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧١/٢).

(٥) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣).

الأول: قوله: ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ تخصيصٌ لهم بالفسق، فيدلُّ على سبيل التعريض أنهم لم يتبعوهم على فسقهم، فكان المعنى: وما تنقمون منا إلا أن آمنًا، وما فسقنا مثلكم.

الثاني: لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا يَنْقُمُ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يُنْقَمُ، ذَكَرَ فِي مَقَابِلِهِ فَسَقَهُمْ، وَهُوَ مِمَّا يُنْقَمُ، وَمِثْلُ هَذَا حَسَنٌ فِي الْإِزْدِوَاجِ؛ يَقُولُ الْقَائِلُ: هَلْ تَنْقَمُ مِنِّي إِلَّا أَنِي عَفِيفٌ وَأَنْكَ فَاجِرٌ، وَأَنِّي غَنِيٌّ وَأَنْتَ فَقِيرٌ، فَيَحْسُنُ ذَلِكَ لِإِتْمَامِ الْمَعْنَى عَلَى سَبِيلِ الْمَقَابِلَةِ.

والثالث: أَنْ يَكُونَ الْوَاوُ بِمَعْنَى (مَعَ)، أَي: وَمَا تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ مَعَ أَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ، فَإِنَّ أَحَدَ الْخَصْمِينَ إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، وَاکْتَسَبَ الثَّانِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، كَانَ اكْتِسَابُهُ لِلصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ مَعَ كَوْنِ خَصْمِهِ مَكْتَسِبًا لِلصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ أَشَدَّ تَأْثِيرًا فِي وَقُوعِ الْبُغْضِ وَالْحَسَدِ فِي قَلْبِ الْخَصْمِ.

والرابع: أَنْ يَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَي: وَاعْتِقَادِ أَنَّكُمْ فَاسِقُونَ.  
الخامس: أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: وَمَا تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا بِأَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ، يَعْنِي بِسَبَبِ فَسِقَتِكُمْ نَقَمْتُمُ الْإِيمَانَ عَلَيْنَا.

السادس: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعْلِيلًا مَعْطُوفًا عَلَى تَعْلِيلٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا الْإِيمَانَ؛ لِقَلَّةِ إِنصَافِكُمْ، وَلَا جُلِّ أَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ<sup>(١)</sup>.

٦ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَهَا فَضْلٌ وَمَزِيَّةٌ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ لِأَنَّهَا تَوَمَّنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا وَمَا

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٣٨٩)

أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ، وهذا لا يوجد في أممٍ آخرين؛ لا يوجد إلا في هذه الأمة<sup>(١)</sup>.

٧- قال تعالى: ﴿هَلْ أُنبِئُكُمْ﴾ النبا إنما يُرادُ به الشيءُ المهمُّ العظيم؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، بخلاف الخبر، الذي قد يكون في أمورٍ تافهة، لكنَّ النبا لا يكون إلا في أمورٍ مهمّة؛ ولعلَّ ذلك - والله أعلم - لأنَّ أحد اشتقاقاته من النَّبوة، والنَّبوة: بمعنى الارتفاع<sup>(٢)</sup>.

٨- في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...﴾ الآية، قد يتساءل متسائل: المثوبة مختصة بالإحسان؛ فكيف جاءت في الإساءة؟ فالجواب: أن هذا من الكلام الذي يُقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوّه: أبشر بقتل ذرّيتك ونهب مالك! فهي على سبيل التهكم، أو لأنَّ المثوبة هنا وُضعت موضع عقوبة<sup>(٣)</sup>.

٩- مسح بعضهم إلى قردة وخنازير، كما في قوله: ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ لما لنوعي القردة والخنازير من الخسة والحقارة، وما لهما في صدور الدهماء والخاصة من القبح والتشويه، وسناعة المنظر، ونذالة النفس، وحقارة القدر، ووضاعة الطبع، وقبح الصوت، ودناءة الهمة، ممّا ليس لغيرهما من سائر أنواع الحيوان<sup>(٤)</sup>.

١٠- لا نسل لمن مسخوا قردة وخنازير<sup>(٥)</sup>، فعن ابن مسعود رضي الله عنه، ((أن رجلاً قال: يا رسول الله، القردة والخنازير، هي ممّا مسخ؟ فقال النبيُّ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٧٩/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٨١/٢).

(٣) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦٥١/١-٦٥٢)، ((تفسير الرازي)) (٣٩٠/١٢) (٣٥٧/٢).

((تفسير ابن عادل)) (٤١٠/٧)، ((تفسير الشريبي)) (٣٨٣/١).

(٤) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٥١٤/٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٨٤-٨٥/٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمًا، أَوْ يُعَذِّبَ قَوْمًا، فَيَجْعَلْ لَهُمْ نَسْلًا، وَإِنَّ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ))<sup>(١)</sup>.

١١- أن اسم التفضيل قد يقع بين شيئين لا يشتركان في أصل المعنى، فيكون المراد به مطلق الاتصاف، لا معنى التفضيل؛ لقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾؛ لأن المعنى: بأشْرٍ مِنْ ذَلِكَ، وكذلك في الخَيْرِ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، ولا خير في مستقر أهل النار<sup>(٢)</sup>. وقيل: إن مكان هؤلاء في الآخرة شرٌّ وأضلُّ من مكان المؤمنين في الدنيا؛ لما يلحقهم فيها من الشرِّ والضلال الحاصل لهم بالهموم الدنيوية، كسماع الأذى وغيره، أو أن ذلك على سبيل التنزُّل والتسليم للخصم على زعمه إلزامًا بالحجة<sup>(٣)</sup>؛ فيكون فيه إخراج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم؛ لأنهم لما حكموا بأن دين الإسلام شرٌّ، فقبل لهم: هبوا الأمر كذلك، ولكن لعنة الله تعالى وغضبه، والإبعاد عن رحمته، والطرُد من ساحة رضاه، ومسح الصورة إلى أقبح أنواع الحيوان وأردله، شرٌّ من ذلك الذي تزعمون أنه شرٌّ<sup>(٤)</sup>.

١٢- إثبات الغضب لله عزَّ وجلَّ؛ لقوله: ﴿وَعَصِبَ عَلَيْهِ﴾، وهو من الصفات الفعلية<sup>(٥)</sup>.

١٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَقَدْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، يعني: عبد عبادة الطاغوت، يعني الطغيان<sup>(٦)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٩١).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير الشرييني)) (١/٣٨٤).

(٤) يُنظَرُ: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/٥١٤).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٩١).

(٦) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٩٦).

## بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾

- الجُمْلَةُ استثنائية، جاءت لتأكيد بعض مضمون الكلام الذي قَبَلَهَا<sup>(١)</sup>.

- وقد رَتَّبَ النَّهْيَ عن موالاتهم على اتِّخَاذِهِم دِينَهُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا؛ إيماءً إلى العلة، وتنبهًا على أَنَّ مَن هذا شأنه بعيدٌ عن الموالاتِ، جديرٌ بالمعاداة والبغضاء<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فيه: بيانٌ للمستهزئين، والتعرُّض لعنوان إيتاء الكتاب؛ لبيان كَمَالِ شِنَاعَتِهِمْ، وغاية ضلالتهم؛ لأنَّ إيتاء الكتابِ وازعُّ لهم عن الاستهزاء بالدينِ المؤسَّسِ على الكتابِ المصدِّقِ لكتابهم<sup>(٣)</sup>.

٣- قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا...﴾ هذه الآية كالتوكيد للآية قَبَلَهَا<sup>(٤)</sup>.

- وفيه: بيانٌ لاستهزائهم بحُكْمٍ خاصٍّ من أحكام الدين، بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق؛ إظهارًا لكَمَالِ شِقَاوَتِهِمْ<sup>(٥)</sup>.

٤- قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾:

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٤١).

(٢) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٣١).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٣).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٠٣).

(٥) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٣).



- في هذه الآية نوعٌ طريفٌ من البلاغة، وهو توكيدُ المدحِ بما يُشبهه الذمُّ<sup>(١)</sup>، وهو ذائعُ الشهرة، ولكنَّه قليلُ الأمثلة، ومنه هذه الآية؛ فإنَّ الاستثناءَ بعدَ الاستفهامِ الجاري مجرى التوبيخِ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يُوهَمُ بأنَّ يأتي بعدَ الاستفهامِ ما يجب أن يُنقَمَ على فاعله بما يُدَمُّ به، فلمَّا أتى بعدَ الاستفهامِ ما يُوجبُ مدحَ فاعله، كان الكلامُ متضمَّنًا تأكيدَ المدحِ بما يُشبهه الذمُّ؛ فكأنَّه قال: أنتم لا تعيونَ علينا شيئًا هو عيبٌ، بل تعيونَ علينا شيئًا هو كمالٌ، وهو الإيمانُ باللهِ وبما أنزلَ إلينا<sup>(٢)</sup>!

- وفي قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا﴾ أمرٌ لرسولِ الله بطريقِ تلوينِ الخطابِ حيثُ قال: ﴿قُلْ﴾ مخاطبًا الرسول، بعدَ نهْيِ المؤمنين عن تولِّيِ المستهزئين، في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا...﴾ [المائدة: ٨٤ - ٨٥] فأمره أن يُخاطبهم، ويبيِّن أنَّ الذين مُنَّزَّهَةٌ عمَّا يُصحِّحُ صدورَ ما صدرَ عنهم من الاستهزاء، ويُظهِرُ لهم سببَ ما ارتكبه، ويُلقمهم الحجرَ أي: قُلْ لأولئك الفجرة<sup>(٣)</sup>.

- والاستفهامُ في قوله: ﴿هَلْ تَتَّقُمُونَ﴾ إنكاريٌّ وتعجبيٌّ؛ فالإنكارُ دلٌّ عليه الاستثناء، والتعجبُ دلٌّ عليه أنَّ مفعولاتِ ﴿تَتَّقُمُونَ﴾ كلُّها محامدٌ لا يحقُّ نقمها، أي: لا تجدون شيئًا تنقمونه غير ما ذكِر<sup>(٤)</sup>.

(١) تأكيدُ المدحِ بما يُشبهه الذمُّ - أو عبارةً أتقن: تأكيدُ الشيءِ بما يُشبهه ضده - وهو عند علماء البلاغة استثناءُ صفةٍ مدحٍ من صفةٍ ذمٍّ منفيةٍ عن الشيء، بتقديرِ دُخولها في صفةِ الذمِّ المنفية. ينظر: ((البرهان)) للزركشي (٣/ ٥١)، ((الإتقان)) للسيوطي (٣/ ٣٠٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحجي الدين درويش (٢/ ٥١١).

(٢) ينظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/ ١٨٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحجي الدين درويش (٢/ ٥١١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٧٧).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٣ - ٥٤).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٣).

٥- قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ...﴾

- فيه عرض الخطاب بصيغة الاستفهام ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾؛ لأن ذلك أمكن في النفس، وأحضر للقلب<sup>(١)</sup>.

٦- قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ فيه: وضع الاسم الجليل ﴿اللَّهُ﴾ موضع الضمير؛ لتربية المهابة، وإدخال الروعة، وتهويل أمر اللعن وما تبعه، والموصول ﴿مَنْ﴾ عبارة عن المخاطبين؛ حيث أبعدهم الله تعالى من رحمته، وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات<sup>(٢)</sup>.

٧- قوله: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ جعلت الشرارة للمكان، وهي لأهلها؛ ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم؛ ففي قوله: ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ مبالغة ليست في قول: (أولئك شرٌّ وأضلُّ)؛ لدخوله في باب الكناية<sup>(٣)</sup>.

- واسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ عبارة عن ذكرت صفاتهم الخبيثة، وما فيه من معنى البعد؛ للإيدان ببعد منزلتهم في الشرارة<sup>(٤)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾: أفاد دخول ﴿قَدْ﴾ - مع إفادتها تقريب الماضي من الحال؛ ليصح أن يقع حالاً لِمَا فيها من التوقع -: أن أمارَةَ النُّفَاقِ كانت لائحة عليهم<sup>(٥)</sup>.

٩- قوله: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ فيه تأكيد وضمهم بالكفر بتكرار المسند

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٠ / ٢)

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٥٥ / ٣).

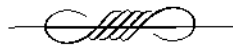
(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦٥٣ / ١)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣٣ / ٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٥٦ / ٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٣٣ / ٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٥٦ / ٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦٥٢ / ١)، ((تفسير الرازي)) (٣٩٢ / ١٢)، ((تفسير البيضاوي))

إليه ﴿وَهُمْ﴾؛ تَنْبِيهَا عَلَى تَحَقُّقِهِم بِالْكَفْرِ، وَتَمَادِيهِمْ عَلَيْهِ؛ وَأَنَّ رُؤْيَةَ الرَّسُولِ-  
 إِنْ كَانَ الْخَطَابُ فِي ﴿جَاؤُوكُمْ﴾ لِلرَّسُولِ- لَمْ تُجِدْ مَعَهُمْ، وَلَمْ يَتَأَثَّرُوا لَهَا،  
 وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ ضَمِيرُ الْخَطَابِ فِي: ﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ كَانَ  
 يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ التَّصَدِيقِ لِلرَّسُولِ،  
 وَالاعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَهَذِهِ حَالُ مَنْ  
 يَنْبَغِي مُوَافَقَتُهُ؛ فَكَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَلَّا يَخْرُجُوا بِالْكَفْرِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ كَافِيَةٌ فِي الْإِيمَانِ، أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِ بَعْضِهِمْ حِينَ رَأَى الرَّسُولَ: عَلِمْتُ أَنَّ  
 وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، مَعَ مَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ خَوَارِقِ الْآيَاتِ، وَبَاهِرِ الدَّلَالَاتِ،  
 فَكَانَ الْمُنَاسِبُ أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا دَخَلُوا بِالْكَفْرِ أَلَّا يَخْرُجُوا بِهِ، بَلْ يَخْرُجُونَ  
 بِالرَّسُولِ مُؤْمِنِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَكَانَ يَنْبَغِي إِذْ شَاهَدُوهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ عَلَى دِينِهِمْ،  
 وَأَنْ يَكُونَ إِيمَانُهُمْ بِالْقَوْلِ مُوَافِقًا لِعَقْدِ قُلُوبِهِمْ<sup>(١)</sup>. وَفِيهِ- مَعَ تَأْكِيدِ إِضَافَةِ الْكُفْرِ  
 إِلَيْهِمْ- نَفْيُ أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ فِعْلٌ<sup>(٢)</sup>.

١٠- قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ خَبَرُ الْغَرَضِ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِيمَا  
 فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْمَكْرِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَالْكِيدِ بِهِمْ، وَالْبُغْضِ  
 وَالْعِدَاوَةِ لَهُمْ<sup>(٣)</sup>، وَفِيهِ: وَعِيدٌ شَدِيدٌ لَهُمْ؛ فَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِهِمْ وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٠، ٣١١).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٢).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٧)، ((تفسير القاسمي)) (١/ ٤١١).

## الآيات (٦٢ - ٦٤)

﴿ وَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدْوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿مَغْلُولَةٌ﴾: مُمَسِّكَةٌ مُنْقَبِضَةٌ عَنِ الْعَطَاءِ، وَأَصْلُ الْعَلَلِ: تَدْرُغُ الشَّيْءِ وَتَوْسُطُهُ، وَيَدُلُّ عَلَى تَخَلُّلِ شَيْءٍ، وَنَبَاتٍ شَيْءٍ، كَالشَّيْءِ يُغْرَزُ؛ يُقَالُ: غَلَّلَ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ، إِذَا أَثْبَتَهُ فِيهِ، كَأَنَّهُ غَرَزَهُ (١).

﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾: أَي: مَمْدُوتَانِ بِالْبَدَلِ وَالْإِعْطَاءِ، وَأَرْزَاقِ عِبَادِهِ، وَأَقْوَاتِ خَلْقِهِ، وَأَصْلُ (بسط): يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادِ الشَّيْءِ، فِي عَرَضٍ أَوْ غَيْرِ عَرَضٍ (٢).

﴿طُغْيَانًا﴾: أَي: مُجَاوِزَةً لِلْحَدِّ فِي الْعِصْيَانِ (٣).

﴿الْعُدَاوَةَ﴾: أَي: اخْتِلَافَ الْقُلُوبِ وَالنِّيَّاتِ وَالتَّبَاعُدَ بِهَا، وَالْعُدَاوَةُ أَحْصُصُ مِنَ الْبَغْضَاءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَدُوٍّ مَبْغُضٌ، وَقَدْ يُبْغِضُ مَنْ لَيْسَ بَعْدُوًّا، مَأْخُودَةٌ مِنْ عَدَوْتِي الْجَبَلِ، وَهِيَ طَرَفَاهُ؛ سُمِّيَا بِذَلِكَ لِبُعْدِ مَا بَيْنَهُمَا، وَقِيلَ: مِنْ عَدَا، أَي: ظَلَمَ (٤).

(١) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٣٧٥-

٣٧٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٤).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٥٣-٥٥٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٢٤٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٣).

(٣) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٤١٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٢٠).

(٤) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٥٣)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٦٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٤٤).

﴿وَالْبَعْضَاءُ﴾: أي: البُغْضُ، وهو نفاقُ النَّفْسِ عن الشيء الذي تَرَعَّبُ عنه، وأصلُ البُغْضِ: خلافُ الحبِّ<sup>(١)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يقولُ اللهُ تعالى لنبِيِّه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ترى- يا مُحَمَّدُ- كثيرًا من اليهودِ يُبادرونَ إلى ارتكابِ المعاصي، والاعتداءِ على حقوقِ الخَلْقِ، وأكْلِ الأموالِ بالباطلِ؛ لِبِئْسَ هذا العملُ الذي يعملونه! هَلَّا يَنْهَاهُم الربَّانِيُّونَ منهم، وأحبارُهُم عن قولِهِم الإِثْمَ وأكْلِهِم المَالَ الحَرَامَ لبِئْسَ هذا الصنِيعُ مِن هؤُلاءِ العُلَمَاءِ في تركِهِم نهيَ اليهودِ عن أفعالِهِم المنكَرةِ!

ثمَّ يُخبرُ تعالى عن اليهودِ- قاتلِهِم اللهُ- أَنَّهُم وَصَفُوا اللهُ تعالى بالبُخلِ، وَزَعَمُوا أَنَّ يَدَهُ مقبوضةٌ عن الإنفاقِ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوًّا كبيرًا، فردَّ عليهم سبحانه قائلًا: قُبِضَتْ أيديهِم، وطُرِدُوا من رحمةِ اللهِ بما قالوه من كذبٍ وافتراءٍ؛ فالأمرُ ليس كما زَعَمُوا، بل يدها مبسوطتانِ بالبذلِ والعطاءِ، يُنفِقُ كما أراد.

ثمَّ أخبر اللهُ نبيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ما أنزله إليه مِنَ القرآنِ، إذا سمعه اليهودُ سيزيدُهُم تجاوزًا لحدودِ اللهِ وكُفْرًا، وأخبر عزَّ وجلَّ أَنَّهُ جَعَلَ بين اليهودِ عداوةً وتباغُضًا، ولا يزال ذلكُ مُستمرًّا بينهم إلى يومِ القيامةِ، وأنَّهُم كلَّمَا أرادوا إشعالَ حربٍ؛ أطفأها اللهُ سبحانه، وأنَّ اليهودَ يُسارعونَ في نشرِ الفسادِ في الأرضِ، واللهُ سبحانه لا يحبُّ المفسدينَ.

### تَفْسِيرُ الآيَاتِ:

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ (٦٢).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٧٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٣٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩).

﴿وَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ﴾.

أي: وتُبصر - يا محمد - كثيرًا من هؤلاء اليهود يتسابقون في ارتكاب معاصي الله لا يتحاشون شيئًا منها، ويبادرون إلى تعدي حدوده؛ مما أحل لهم وحرّم عليهم، ومن ذلك: الاعتداء على حقوق المخلوقين، وأكل الأموال بالباطل، كالرشاوى التي يتلقونها<sup>(١)</sup>.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: والله لبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملونه في مسارعتهم في الإثم والعدوان، وأكلهم الشحْت<sup>(٢)</sup>.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٦٣).

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ﴾.

أي: هلا ينهاهم الربانيون (وهم العلماء الحكماء العبّاد الذين يُربّون الناس بصغار العلم قبل كباره)، والأحبار (وهم العلماء الكبار ذوو العلم الواسع، المحكّمون لعلمهم) عن الوقوع في الكذب والزور؛ ومن ذلك قولهم: ﴿يَدُّ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وأكل المال الحرام، كالرشوة<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٤٨-٥٤٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٤٧-٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٩٩-١٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٤٥٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٠١-١٠٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٥٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٠١/٢).

وقال ابن عثيمين: (الإثم الذي يقولونه أعظمه وأشدّه أنهم يُنكرون رسالة النبي صلى الله =

﴿لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أي: واللّه لبئس الصنيع ما كان يصنعه هؤلاء الربّانيون والأخبار في تركهم نهى كثير من اليهود- الذين يسارعون في الإثم والعدوان وأكل السحت- عن تعاطي ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٦٤).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾.

أي: وقالت اليهود- عليهم من الله ما يستحقون-: إنّ الله يحل علينا، ويحبس عطائه، ويقبض خيره عنا، تعالى الله عما قال أعداء الله علوا كبيرا<sup>(٢)</sup>.

ثم قال الله تعالى على وجه الإخبار<sup>(٣)</sup>:

= عليه وآله وسلّم، وأعظم من ذلك أنهم يقولون: إنّ عزيزاً ابن الله، والمسيح ابن الله، والقاتل: عزيز ابن الله اليهودي، والقاتل: المسيح ابن الله النصارى؛ هذا قول الإثم، كذلك يقولون الكذب، كما سبق أنهم يقولون لعوامهم قولاً يكذبون به الرسول، ويسمعون للكذب، وقوله: ﴿وَأَكْلَهُمُ السُّحْتُ﴾ يعني: أكل المال المحرم، سواء بالرشوة أو بالربا، أو غير ذلك (تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة) ((١٠١/٢)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٥٥٠/٨)).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٥٥٢/٨ - ٥٥٣))، (الجواب الصحيح) لابن تيمية (٤/٤١٢ - ٤١٣)، (تفسير ابن كثير) ((٣/١٤٥ - ١٤٦))، (تفسير السعدي) ((ص: ٢٣٨))، (تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة) ((١٠٨/٢)).

(٣) قال ابن عثيمين: (هذا خير وليس دعاء؛ لأنه صادر من عند الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى يُخبر ولا يدعو، هذا هو الأصل؛ أنّ ما أخبر الله به عن نفسه فهو خير عن نفسه ووقوع- أي: وقوع الشيء- إلا إنّ دلّ دليل... على أنّ الله جلّ وعلا علّم العباد أن يدعوا، وأمّا أن يسأل =

﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾.

أي: قُبِضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْعَطَاءِ وَالْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَطُرِدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَهَذَا الْعَلُّ لَأَيْدِيهِمْ، وَلَعْنُهُمْ؛ جَزَاءٌ لَهُمْ بِسَبَبِ مَا قَالُوهُ مِنْ كُفْرٍ وَافْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

أي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُونَ، بَلْ يَدَاهُ سَبْحَانَهُ مَبْسُوطَتَانِ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، غَيْرِ مَقْبُوضَتَيْنِ، فَهُوَ الْوَاسِعُ الْفَضِيلِ، الْجَزِيلُ الْعَطَاءِ، لَكِنَّهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سَبْحَانَهُ<sup>(٢)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إِنَّ

= نَفْسَهُ أَنْ يَفْعَلَ؛ فَلَا يَرِدُ)) (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٠٩/٢))، وينظر: (تفسير ابن جرير) ((٥٥٣/٨)) (تفسير الرازي) ((٣٩٤/١٢)).

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) ((٥٥٣/٨))، ((تفسير ابن كثير)) ((١٤٦/٣))، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) ((١٠٩/٢)).

قال ابن كثير: (... وهكذا وقع لهم؛ فإن [ما] عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا \* أَمْ يَخْشَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا \* فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥/٥٣]، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنًا مَا تَفْقَهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] ((تفسير ابن كثير)) ((١٤٦/٣)).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) ((٥٥٣/٨))، ((تفسير ابن كثير)) ((١٤٦/٣))، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) ((١٠٩/٢ - ١١٠)).



يَجِيبَنَّ اللَّهُ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا<sup>(١)</sup> نَفَقَةً، سَحَاءً<sup>(٢)</sup> اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾

أي: إن كثيراً من هؤلاء اليهود - يا محمد - يزدادون بسمايحهم القرآن العظيم تجاوزاً للحدودِ اللهُ تعالى، وكفراً بالحق<sup>(٤)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقال عز وجل: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

(١) لَا يَغِيضُهَا: أي لَا يَنْقُصُهَا. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٣/٤٠١).

(٢) سَحَاءٌ: أي: دائمة الصَّبِّ والهَطْل بالعطاء. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢/٣٤٥)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٦/٤٥٩).

(٣) رواه البخاري (٧٤١٩)، واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٥٧-٥٥٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١١٠، ١٦١).

قال السعدي: (تكون لِمَثَلِ هَذَا زِيَادَةٌ غِيٍّ إِلَى غِيِّهِ، وَطُغْيَانٍ إِلَى طُغْيَانِهِ، وَكُفْرٍ إِلَى كُفْرِهِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِعْرَاضِهِ عَنْهَا، وَرَدِّهَا، وَمَعَانِدَتِهِ إِيَّاهَا، وَمَعَارَضَتِهِ لَهَا بِالشُّبْهِ الْبَاطِلَةِ) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨).

وقال ابن عاشور: (وهذا بيانٌ للسبب الذي بعثهم على تلك المقالة الشنيعة، أي: أعمامهم الحسد، فزادهم طغياناً وكفراً، وفي هذا إعداءٌ للرسول عليه الصلاة والسلام لأخذ الحذر منهم، وتسليته له بأن قرط حقيقهم هو الذي أنطقهم بذلك القول الفظيع) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٥١).

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

أي: وجعلنا بين اليهود عداوة لبعضهم بأفعالهم، وتباغضا بينهم بقلوبهم، ولا يزالون كذلك إلى وقوع القيامة<sup>(١)</sup>.

﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

أي: كلما عقد اليهود أسبابا وأمورا لحرب أعدائهم أبطلها الله عز وجل، فأنحل عزمهم، وكلما أقاموا حربا رد الله تعالى كيدهم في نحورهم، فأنحلوا وإنهزموا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

أي: ويسارعون ويجهدون في اكتساب الفساد بالكفر، وعمل المعاصي، ومحاربة الإسلام وأهله، ونشر الباطل، وغير ذلك من الأعمال الفاسدة<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

(١) يُنظر: ((الوجيز)) للواحد (ص: ٣٢٧)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٤١٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٥٩)، ((الوجيز)) للواحد (ص: ٣٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٥١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١١١-١١٢).

قال ابن تيمية: ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ فهذا اللفظ أصله: أن المحاربين يوقدون نارا يجتمع إليها أعوانهم، ويضربون وليهم على عدوهم، فلا تتم محاربتهم إلا بها، فإذا طُفئت لم يجتمع أمرهم، ثم صار هذا كما تستعمل الأمثال في كل محارب بطل كيده (مجموع الفتاوى) لابن تيمية (٢٠/٤٧١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٦١)، ((الوجيز)) للواحد (ص: ٣٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/١٨٢، ١٨٣، ٢٥٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١١٢).

أي: والله تعالى لا يُحِبُّ هؤلاء؛ لأنَّهم مُفسِدُونَ، ولا يُحِبُّ كُلَّ مُفسِدٍ من اليهودِ وغيرهم، بل يُبغضهم، وسيُجازيهم على ذلك<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التَّربويَّة:

١- أن مَنْ سارَعَ في الإثمِ والعُدوانِ وأكلِ السُّحتِ ففيه شَبَهٌ من اليهود؛ لقوله: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- يُستفادُ من قولِهِ: ﴿وَأَكَلِهِمُ السُّحْتَ﴾ التحذيرُ من الكسبِ المحرَّم؛ وجهه: أنَّ اللهَ سَمَّاهُ سُحْتًا؛ فأحذرُ أنْ تخسرَ الدُّنيا والآخِرَةَ بأكلِ المحرَّم<sup>(٣)</sup>.

٣- أنه لا حَرَجَ أنْ نذَمَّ الأفعالَ المكروهةَ بقطعِ النَّظَرِ عن فاعليها؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤- عِظْمُ مسؤوليَّةِ المربِّينَ والعلماءِ؛ لقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾، فجعلَ اللهُ اللومَ على الربَّانِيِّينَ والأخبارِ؛ لأنَّهم لم يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم من نَهْيِ هؤلاءِ عن قولِهِم الإِثْمَ وأكلِهِمُ السُّحْتَ، فيجبُ على العلماءِ أنْ يبيِّنوا الحقَّ بقطعِ النَّظَرِ عن مكائِبتِهِم الشخصية، حتى لو فُرِضَ أنَّهم أهينوا أو أذلُّوا بسببِ ذلك، فالعاقبةُ لهم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٥)</sup> [هود: ٤٩].

٥- قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيه توبيخُ العلماءِ التَّاركينَ للأمرِ بالمعروفِ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤٧/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١١٢/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٠٢/٢).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٠٣/٢).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٠٣/٢، ١٠٤).

والنهي عن المنكر؛ فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم، ويفرجوا لها عن قلوبهم؛ فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم: بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها؛ لا يُسمن ولا يُغني من جوع، بل هم أشد حالاً، وأعظم وبالاً من العصاة، فرحم الله عالمًا قام بما أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهو أعظم ما افترضه الله عليه، وأوجب ما أوجب عليه النهوض به<sup>(١)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- عبر بالأكل في قوله: ﴿وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ﴾؛ لأنه هو الغالب؛ ولأن أعلى ما يمكن أن ينتفع به الإنسان بالمال هو الأكل؛ لأنه يغذي البدن وينمي، بخلاف اللباس والمسكن والنكاح؛ فعبر به لهذا الوجه<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيه دلالة على كون الكف فعلًا؛ فترك الربانيين والأخبار نهيهم عن قول الإثم وأكل السحت سماء الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة صنعا، في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، أي: وهو تركهم النهي المذكور، والصنع أحص من مطلق الفعل؛ فصراحة دلالة هذه الآية الكريمة على أن الترك فعل في غاية الوضوح<sup>(٣)</sup>.

٣- بيان عدوان اليهود، وأنهم يصرّحون بالعدوان والاعتداء، حتى في حق الخالق عز وجل؛ لقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/٦٤).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٠٢).

(٣) ينظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/٤٨).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١١٢).

٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ أَنَّ الْيَهُودَ يُقَرُّونَ بِصِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْحَقِيقِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: يَدُ أَحَدٍ مَغْلُوبَةٌ إِلَّا لِمَنْ لَهُ يَدٌ<sup>(١)</sup>.

٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ الْإِشَارَةُ إِلَى حِرْصِ الْيَهُودِ عَلَى الْمَالِ؛ وَجِهَ الدَّلَالَةِ: أَنَّهُمْ لَمْ يَحْمِلْهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا الْجَشْعُ وَالطَّمَعُ<sup>(٢)</sup>.

٦- فِي قَوْلِهِ: ﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ لَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ اللَّاعِنُ؛ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ؛ أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُهُمْ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>.

٧- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا...﴾ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي تَكْفِيرِ مَنْ صَدَرَ مِنْهُ فِي جَانِبِ الْبَارِي تَعَالَى مَا يُؤْذِنُ بِنَقْصِ<sup>(٤)</sup>.

٨- إِثْبَاتُ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٩- كَثْرَةُ عَطَاءِ اللَّهِ وَجُودِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُقْبَضَا بِالنِّسْبَةِ لِلْعَطَاءِ، وَأَنَّ عَطَاءَ اللَّهِ وَمَنْعَهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَتِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup>.

١٠- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَنْزَلْ﴾، وَإِنَّمَا قِيدَ أَنْزَالَ الْقُرْآنَ بِكُونِهِ مِنَ الرَّبِّ تَعَالَى؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ لَا مِنْ غَيْرِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّ نَزُولَ الْقُرْآنِ لَيْسَ كَنَزُولِ غَيْرِهِ، فَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ مَا نَزَّلَهُ مِنْهُ وَمَا نَزَّلَهُ مِنْ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْمَطَرِ، بَأَنَّ قَالَ: ﴿أَنْزَلْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الرعد: ١٧]، فَذَكَرَ الْمَطَرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ نَزَّلَهُ مِنْ

(١) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١١٢/٢)).

(٢) ينظر: (المصدر السابق).

(٣) ينظر: (المصدر السابق).

(٤) ينظر: (الإكليل في استنباط التنزيل) للسبوي (ص: ١١٣).

(٥) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١١٥/٢)).

(٦) ينظر: (المصدر السابق) ((١١٨/٢)).

السَّمَاءِ، وَأَخْبَرَ بِتَنْزِيلِ مُطْلَقٍ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]،  
وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ  
رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وَرُوحُ الْقُدُسِ هُوَ جَبْرِيْلُ؛ فَيَبَيِّنُ أَنَّ جَبْرِيْلَ نَزَّلَهُ  
مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ هَوَاهُ وَلَا مِنْ لُوحٍ وَلَا مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ  
فَقَدْ بَيَّنَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]؛ فَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ كَاللُّوْحِ  
أَوْ الْهَوَاءِ، فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ، مُكَذِّبٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، مُتَّبِعٌ لَغَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

١١- تَحْرِيمُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، وَهَكَذَا كُلُّ  
شَيْءٍ نَفَى اللَّهُ مَحَبَّتَهُ فَإِنَّهُ حَرَامٌ؛ فَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ حَرَامٌ<sup>(٢)</sup>.

١٢- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا ثَبَتَ لَوْصِفٍ،  
ثَبَتَ ضِدُّهُ لَضِدِّ ذَلِكَ الْوَصْفِ، فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: إِذَا كَانَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ،  
فَإِنَّهُ يُحِبُّ الْمَصْلِحِينَ<sup>(٣)</sup>.

١٣- عِنَايَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ  
رَبِّكَ﴾؛ فَإِنَّ هَذِهِ الرِّيْبِيَّةَ خَاصَّةٌ، تَقْتَضِي الْعِنَايَةَ التَّامَّةَ وَالْأَقْوَى وَالْأَشَدَّ<sup>(٤)</sup>.

١٤- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْفَى الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْيَهُودِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ  
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ  
شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، وَلِلذَلِكَ هُمْ أَحْزَابُ شَتَّى، وَحَتَّى دَاخَلَ الْحِزْبُ الْوَاحِدِ  
مُتَفَرِّقُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعُوا وَقَدْ أَلْفَى اللَّهُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ،  
فَاجْتَمَاعُهُمُ الْآنَ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ مُتَحَابُّونَ مُتَأَلِّفُونَ، لَكِنَّهُمْ اجْتَمَعُوا لِهَدْفٍ وَاحِدٍ

(١) ينظر: ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٥/٤٠-٤٣)، ((مجموع الفتاوى)) ابن تيمية (١٢/١٢٨).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٢٥).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٢٦).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٣٢).

ومصلحة واحدة ضدَّ عدوٍّ واحدٍ للجميع، وهذا الاجتماع لا شكَّ أنه اجتماعٌ ظاهريٌّ فقط، مقصودٌ لغيره، وليس مقصوداً لذاته<sup>(١)</sup>.

١٥ - قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ في هذا الخبر الإيماءُ إلى أنَّ الله عاقبهم في الدنيا على بُغضهم المسلمين، بأنَّ ألقى البغضاءَ بين بعضهم وبعضٍ؛ فهو جزاءٌ من جنس العمل، وهو تسليَةٌ للرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يُهَمَّهُ أمرُ عداوتهم له؛ فإنَّ البغضاءَ سجيئتهم حتى بين أقوامهم، وأنَّ هذا الوصفَ دائمٌ لهم، شأنُ الأوصافِ التي عمي أصحابها عن مداواتها بالتخلقِ الحسنِ<sup>(٢)</sup>.

١٦ - لَمَّا كَانَ الإخبارُ باجتماعِ كلمتهم على شقاوةِ الكفرِ - في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ - رَبَّمَا أَحَدَتْ خَوْفًا مِنْ كَيْدِهِمْ، نفى ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ولَمَّا كَانَتِ العداوةُ رَبَّمَا زالت بزوالِ السببِ، أفاد أنها لازمةٌ لا تنفكُ بقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٧ - في قوله تعالى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ سُمِّيَ ذَلِكَ اليَوْمُ الآخِرُ بيومِ القِيَامَةِ لوجوهٍ ثلاثة؛ الوجه الأول: أنَّ الناسَ يقومون فيه من قبورهم لرَبِّ العالمين. الوجه الثاني: أنَّه يُقامُ فيه العدلُ. والثالث: أنَّه يُقامُ فيه الأشهادُ؛ تُستشهدُ الرُّسلُ، ثمَّ الأممُ، ثمَّ الجلودُ والأعضاءُ، وتبيِّنُ الأمرُ وينكشفُ، ويظهرُ ما في الصدور؛ فلذلك سُمِّيَ يومَ القِيَامَةِ<sup>(٤)</sup>.

١٨ - البُشرى النَّامةُ للمسلمين بأنَّ اليهودَ لن تقومَ لهم قائمةٌ في الحروب؛

(١) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢/١٣٣))

(٢) ينظر: (تفسير ابن عاشور) ((٦/٢٥١)).

(٣) ينظر: (نظم الدرر) للبقاعي ((٦/٢٢٢)).

(٤) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢/١٣٤)).

لأنهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ ولم ينالوا بها مقصودهم، وإن كانوا قد ينالون بعض الشيء، لكنهم لن ينالوا المقصود الذي يريدونه بإشعال نار الحرب<sup>(١)</sup>.

١٩- إثبات الأفعال الاختيارية لله عز وجل؛ لقوله: ﴿أَطْفَأَهَا﴾، وإطفأؤها يكون بعد إيقادها، وهذا فعل مُتجدد<sup>(٢)</sup>.

٢٠- محبة اليهود للفساد في الأرض، وسعيهم في ذلك سعيًا حثيثًا؛ لقوله: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾

- قوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ...﴾ عبر هنا بلفظ (المسارعة) - مع أن أكثر استعماله يكون في الخير - ولم يُعبر بلفظ (العجلة) مع أنه يكون في الشر في الأغلب؛ قيل: للإشارة إلى أن هذه المعاصي كأنها عندهم من قبيل الطاعات؛ فلذلك يسارعون فيها، أو إلى أنهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم مُحققون فيها<sup>(٤)</sup>.

- وقال تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِي﴾ ولم يقل: (يسارعون إلى)؛ ذلك لأن المسارع إلى الشيء يكون خارجًا عنه، فيقبل عليه بسرعة، وهؤلاء غارقون في الإثم والعدوان، وإنما يسارعون في جزئيات وقائعهما، كلما قدروا على

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٥ / ٢).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٩٢ / ١٢) ((تفسير أبي حيان)) (٣١١ / ٤) ((تفسير الخازن)) (٥٩ / ٢).



إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ ائْتَدِرُوهُ<sup>(١)</sup>.

- وقوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ ﴿حَصَّ الْعُدْوَانَ﴾ و﴿السُّحْتَ﴾ بالذکر مع اندراجهما في الإثم، وهو يتناول جميع المعاصي والمنهيات؛ للدلالة على أن هذين النوعين أعظم أنواع المعصية، وللمبالغة في التفتيح<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

- قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ...﴾ فيه تحضيض مراد منه هنا التوبيخ والتنديم لعلمائهم على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله تعالى<sup>(٣)</sup>.  
- وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للمقاعي (٦/٢١٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٧٣).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٣٩٢) ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٣١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣١١) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٤٨).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣١٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٤٨).

(لولا) التحضيضية حرف يدل على طلب الفعل بحث وحض، وهي تقسيم قسامين؛ الأولى: أن تدخل على فعل مضارع، أو فعل يكون ممكناً تداركه، ممكناً فعله؛ فهذه تُفيد التحضيض فقط. الثانية: أن تدخل على فعل ماضٍ أو فعل فات تداركه، ولم يبق فعله ممكناً؛ لأن فرصته ضاعت ومضت، ولم يمكن تداركه؛ ولم يبق ممكناً أبداً؛ فهذه يتقلب تحضيضها إلى التوبيخ والتنديم؛ وتارة يُؤيخ بها موجود، كقوله للذين تكلموا في عائشة وصفوان رضي الله عنهما: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]؛ لأنهم قد تكلموا بما لا يليق، فكأنه يؤيخهم ويندبهم على ما قرط منهم. وتارة يكون المؤيخ بها قد مات، وليس موجوداً، كقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]؛ لأن وقت نزول الآية هؤلاء الأمم قد ماتوا وانقضوا في أزمان متناهية، قد مضوا في الزمان الماضي؛ فلا يمكن حصول الفعل منهم، وليسوا موجودين حتى يسمعو التوبيخ، ولكن المقصود من توبيخ هذا الذي غاب ومات؛ ليعتبر به غيره؛ ولذا كان من الحسن أن يؤيخ أولئك؛ ليعتبر بتوبيخهم، فنحيتب ذلك الأمر الذي استحقوا التوبيخ من أجله. يُنظر: ((مغني اللبيب)) لابن هشام (ص: ٣٦١)، ((العذب النمير)) للشنيطي (١/٢٤٨).

السُّحْتِ ﴿اِقْتَصَرَ فِي تَوْبِيحِ الرَّبَّانِيِّينَ عَلَى تَرْكِ نَهْيِهِمْ عَنْ قَوْلِ الْإِثْمِ وَأَكْلِ الشَّحْتِ، وَلَمْ يَذْكَرِ الْعُدْوَانَ؛ إِيمَاءً إِلَى أَنَّ الْعُدْوَانَ يَزْجُرُهُمْ عَنْهُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَا يَلْتَجِثُونَ فِي زَجْرِهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْاعْتِمَادَ فِي النُّصْرَةِ عَلَى غَيْرِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ ضَعْفٌ<sup>(١)</sup>.

٣- قوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: فيه مُنَاسَبَةٌ حَسَنَةٌ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ...﴾ خَتَمَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، وَلَمَّا ذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ...﴾ خَتَمَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْأُولَى مَعَاصِي الْعَوَامِّ، وَهِيَ مِنْ قَبِيلِ مَا يَحْضُلُ بِالطَّبْعِ؛ لِأَنَّهُ اِنْدِفَاعٌ مَعَ الشَّهْوَةِ بِلا بَصِيرَةٍ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَعْصِيَةُ الْعُلَمَاءِ بِتَرْكِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَهَذَا مِنْ قَبِيلِ الصَّنَاعَةِ الْمُتَكَلِّفَةِ لِفَائِدَةٍ لِلصَّانِعِ فِيهَا، يَلْتَمِسُهَا مَنْ يَصْنَعُ لَهُ؛ فَمَا تَرَكَ الْعُلَمَاءُ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ، إِلَّا تَكَلُّفًا لِإِرْضَاءِ النَّاسِ، وَتَحَامِيًا لِتَنْفِيرِهِمْ مِنْهُمْ؛ فَهُوَ إِثَارٌ لِرِضَا النَّاسِ عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَتَوَابِهِ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ ﴿يَصْنَعُونَ﴾ مِنَ الصَّنْعِ، لَا مِنَ الصَّنَاعَةِ، وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْمَرْءُ لِغَيْرِهِ يُرْضِيهِ بِهِ<sup>(٢)</sup>، وَالصَّنْعُ أَيْضًا عَمَلُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ تَدْرُبٍ فِيهِ، وَتَرَوُ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٤٨).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢١٧)، ((تفسير الشربيني)) (١/٣٨٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٧٣).

قال ابن عثيمين: (وقوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ الصَّنْعُ والفعل بينهما خصوصٌ وعمومٌ مُطْلَقٌ؛ لِأَنَّ الصَّنْعَ إِنَّمَا يَكُونُ فِعْلًا بِتَرْتِيبٍ، وَإِعْدَادٍ لِلْقَوْلِ أَوْ لِلْفِعْلِ، بِخِلَافِ الْفِعْلِ الْمَجْرُودِ، فَالْفِعْلُ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ فِعْلٍ، سِوَاهُ كَانَ عَنْ قَصْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، حَتَّى الْبَهِيمَةُ لَوْ أَكَلَتْ قَلْنَا: إِنَّمَا فَعَلَتْ، لَكِنِ الصَّنْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَدْبِيرٍ وَتَنْسِيقٍ وَإِصْلَاحٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارَ يَصْنَعُونَ مَا يَصْنَعُونَ مِنْ كِتْمَانِ الْحَقِّ وَعَدَمِ الْأَمْرِ بِهِ؛ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْقُوا وَجِهَاءً فِي قَوْمِهِمْ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ نَهْيَهُمْ صِرْتُمْ أَعْدَاءَ لَهُمْ، وَلَمْ تَحْضُلْ لَكُمْ الرَّئِيسَةُ؛ فَلِذَلِكَ تَجِدُهُمْ يَعْمَلُونَ هَذَا الْعَمَلَ عَنِ التَّرْتِيبِ وَعَنِ السِّيَاسَةِ - كَمَا يَقُولُونَ ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٠٢).

وتحرّري إجادة؛ ولذلك ذمّ به خواصّهم (الريائيون والأخبار)، ولأنّ ترك الحسبة أقيح من موقعة المعصية؛ لأنّ النفس تلتذُّ بها وتميل إليها، ولا كذلك ترك الإنكار عليها، فكان جديراً بأبلغ الذمّ<sup>(١)</sup>.

- والجمع بين صيغتي الماضي ﴿كأنوا﴾ والمستقبل ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ للدلالة على الاستمرار<sup>(٢)</sup>.

٤ - قوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ فيه: تمثيل وكناية حسنة؛ حيث عبّر بإيقاد النار عن إظهار الحقد والكيد والمكر بالمؤمنين والاعتيال والقتال، فشبّه به حال التهيؤ للحرب والاستعداد لها، والحزامة في أمرها، بحال من يُوقد النار لحاجة بها فتتطفئ، وعبّر بإطفائها عن صرف الله عنهم ذلك، وتفريق آرائهم، وحلّ عزائمهم، وتفريق كلمتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم؛ فشبّه حال انحلال عزمهم، أو انهزامهم وسرعة ارتدادهم عنها، وإحجامهم عن مقاتلة أعدائهم، بحال من انطفأت ناره التي أوقدها<sup>(٣)</sup>.

٥ - قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فيه: بيان فظاعة سوء أدب اليهود؛ حيث عبّروا عن إمساك الإحسان بأنّه صادر من مقهور على الإمساك؛ فإنّ لفظة ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ تدلّ على القهر؛ إذ لا يغلّ إلا المقهور<sup>(٤)</sup>.

٦ - قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾: تُنَبِّت اليدهنا، بالرغم من كونها أنت مفردة في قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ ليكون ردّ قولهم وإنكاره أبلغ وأدلّ على إثبات

(١) ينظر: ((تفسير الفيضاي)) (١٣١/٢).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٥٧/٣).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣١٧/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥١/٦)، ((إعراب القرآن

وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٥٢٠/٢).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣١٤/٤).

غاية السَّخَاءِ له، ونفي البُخل عنه سبحانه؛ وذلك أَنَّ غاية ما يبذله السخيُّ بماله من نفسه، وأنَّ يُعْطيه بيديه جميعاً<sup>(١)</sup>.

٧- قوله: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ واردةٌ لتأكيدِ كمالِ جُوده، وللتنبيةِ على سرِّ ما ابتلوا به من الضيقِ الذي اتَّخذوه - من غايةِ جهلهم وضلالهم - ذريعةً إلى الاجترارِ على الله بهذه المقالة الشنيعة، والمعنى أن ذلك ليس لفصوِّرٍ في فيضه، بل لأنَّ إنفاقه تابعٌ لمشيئته، المبنية على الحُكم، التي عليها يدورُ أمرُ المعاشِ والمعادِ، ففي قوله: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ دلالةٌ على أنَّه لا ينفقُ إلا على مقتضى الحِكمةِ والمصلحةِ<sup>(٢)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ جملةٌ واقعةٌ في جَوَابِ الْقَسَمِ؛ وعليه فالجملةُ مؤكِّدةٌ بثلاثةِ مؤكِّداتٍ: القَسَمِ المقدرُ تقديره: (وَاللَّهِ)، واللام، وتَوْنِ التَّوَكُّيدِ؛ وإنما أكَّدَ اللهُ ذلك لأهميته، ولئلا يُنكَرَ مُنْكَرًا أن يكونَ النازلُ شفاءً لِمَا في الصُّدُورِ - وهو القرآن - يزيدُ هؤلاء طغيانًا وكفرًا<sup>(٣)</sup>.

- وفيه تقديمُ المفعولِ ﴿كَثِيرًا﴾ على الفاعلِ ﴿مَا﴾ - بمعنى الذي -؛ للاعتناء به، وتخصيصُ الكثيرِ منهم بهذا الحُكمِ؛ لأنَّ بعضهم ليس كذلك<sup>(٤)</sup>.

- وتأخيرُ قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ عن ﴿إِلَيْكَ﴾ مع أنَّ حَقَّهُ أن يتقدَّم؛ لاقْتِضَاءِ

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٥٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣١٥).

مع تقرير أن لله تعالى يدين حقيقتين نلبغان بكماله وجلاله، وهذه الآية كغيرها من آيات الصفات عند أهل السنة والجماعة؛ تُمرُّ كما جاءت من غير تعطيل أو تحريف، ومن غير تمثيل أو تكبيف، وغالبُ البلاغيين والمفسرين من أهل الكلام يتجهون في هذا الموضع إلى نفي هذه الصفة بالتأويل المخالف لاعتقاد أهل السنة والجماعة، ولهم في ذلك تأويلات متعدّدة، كلّها مردودة.

(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٥٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١١٠).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٨).

المقام الاهتمام ببيان المنتهي؛ لأن مدار زيادة طغيانهم وكفرهم هو النزول إليه عليه الصلاة والسلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾<sup>(١)</sup> [النمل: ٦٠].

- والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿رَبِّكَ﴾؛ لتشريفه عليه الصلاة والسلام<sup>(٢)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٨).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

## الآيات (٦٥ - ٦٨)

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
 وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ  
 مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ  
 سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٦﴾ \* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ  
 فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ  
 ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ  
 إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَازِدَتْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا  
 تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾: عادلة غير غالية ولا مُقَصِّرَة، أو مؤمنة، والاقتصاد: الاستواء  
 في العمل من غير إفراط ولا تفريط<sup>(١)</sup>.

﴿سَاءَ﴾: أي: قبيح، والسوء: اسم جامع للآفات، ثم استعمل في كل ما  
 يُستقبح، وهو أيضا كل ما يغم الإنسان<sup>(٢)</sup>.

﴿بَعْصَمِكَ﴾: يَمْنَعُكَ، وأصل العصمة: المنع - ومنه يُقال: عَصَمَهُ الطَّعَامُ؛  
 أي: منعه من الجوع -، والإمساك والملازمة<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٩٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٥)،  
 ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٨٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)،  
 ((المفردات)) للراغب (١/ ٤٤١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٧٣).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/ ١٠٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٥٠٤)،  
 ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٧٠)، ((تذكرة  
 الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٧)، ((التيان)) لابن الهائم (١/ ١٢٧).

﴿تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: أي: توفوا حقوقهما بالعلم والعمل؛ وإقامة الشيء: توفية حقه<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: أي: لا تحزن؛ يقال: أسيت على كذا، أي: حزنت، فأنا آسى أسى، والآسى: الحزن<sup>(٢)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يقول الله تعالى: لو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى حقًا، واتقوا ربهم سبحانه؛ لَمَحَا اللهُ عَنْهُمْ ما اقترفوه من سيئات، ولأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ، ولو عملوا بما في التوراة والإنجيل والقرآن، لأفاض عليهم بركات رزقه، وعمهم الخير من كل جهة؛ بأن يرسل عليهم المطر من السماء، ويُخْرِجَ لَهُمُ الثَّمَرَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، ثم أخبر تعالى أن من أهل الكتاب جماعة مستقيمة على طريق الحق، قائمة بالواجب الذي كتب عليها، مقتصرة عليه، وأن كثيرًا منهم قد أساءوا العمل.

ثم أمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يبلغ كل ما أنزله إليه، فإن لم يفعل ذلك، فما امثل أمره عز وجل بتبليغ رسالته، وطمأنه سبحانه بأنه سيمنعه من الناس؛ فلا ينبغي أن يثنيه عن إبلاغ شريعة الله خوفه من المخلوقين؛ إن الله لا يهدي القوم الكافرين. وأمره أيضًا أن يقول لأهل الكتاب: إنهم ليسوا على شيء مما يدعون أنهم عليه من الدين، حتى يعملوا بالتوراة والإنجيل والقرآن، وأخبره تعالى أن كثيرًا من اليهود يزدادون بسماع القرآن تجاوزًا للحدود لله وكفرًا، فلا تحزن - يا نبي الله - على القوم الكافرين.

(١) يُنظَر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤٣/٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٠، ٦٩٢).  
 (٢) يُنظَر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/١٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).

## تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَالِغَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَمِّ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَفِي تَهْجِينِ طَرِيقَتِهِمْ؛ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَوْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَوَجَدُوا سَعَادَاتِ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا أُثْبِتَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أَنَّهُمْ كَانُوا كُفْرَةً قَبْلَ إِتْيَانِ هَذَا الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَرَّرَ مَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخِزْيِ الدَّائِمِ عَلَى نَحْوِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ كِتَابُهُمْ؛ وَعَظَّمَهُمْ وَرَجَّاهُمْ سُبْحَانَهُ؛ لِثَلَاثٍ يَتَسَوَّاهُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ عَلَى عَادَةٍ مِنْهُ فِي رَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾.

أَي: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ آمَنُوا حَقًّا بِكُلِّ مَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ - وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>.

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾.

أَي: لَمَحَوْنَا عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ مَا كَانَتْ، فَغَطَّيْنَا عَلَيْهَا، وَلَمْ نَقْضَحْهُمْ بِهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٩٨/١٢).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٢٤/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤٧/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٦/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٢/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١٣٧/٢).



﴿وَلَا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

أي: ولأدخلناهم في الآخرة جناتٍ تنعم فيها قلوبهم وأبدانهم بأنواع النعيم، مما تشتهيهِ الأنفس، وتلذُّ الأعين<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾  
مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا رَغِبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ فِي مَوْعِدِ الْآخِرَةِ؛ مِنْ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ - رَغِبَهُمْ عَقَبَ ذَلِكَ فِي مَوْعِدِ الدُّنْيَا؛ لِيَجْمَعَ لَهُمْ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

أي: ولو أن اليهود والنصارى عملوا بما في التوراة والإنجيل، وعملوا بالقرآن الذي أنزل إليهم من الله تعالى، فصدقوا به، وامتلوا أوامره واجتنبوا نواهيه<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٢/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٧/٢ - ١٣٨).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٩٨/١٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٣١٩/٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٢/٨ - ٥٦٣)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤٧/٣ - ١٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤١٦/١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٠/٢ - ١٤١).

قال ابن جرير: (فإن قال قائل: وكيف يُقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، مع اختلاف هذه الكتب ونسخ بعضها بعضاً؟ قيل: وإن كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها، فهي متفقٌ في الأمر بالإيمان برسول الله، والتصديق بما جاءت به من عند الله؛ فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم تصديقهم بما فيها، والعمل بما هي متفقٌ فيه، وبكل واحدٍ منهما في الحين الذي فُرض العملُ به) ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٢/٨ - ٥٦٣).

﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

أي: لأدر الله تعالى عليهم الرزق؛ بأن يُرسل عليهم المطر من السماء، ويُخرج لهم الثمرات من الأرض<sup>(١)</sup>.

كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وكإخباره تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾.

مناسبتها لما قبلها:

لما كان ما مضى قبل هذه الآية من ذم أهل الكتاب ربما أفهم أنه لكلهم، قال - مستأنفا جوابا لمن يسأل عن ذلك<sup>(٢)</sup>:

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾.

أي: من أهل الكتاب جماعة قائمة بالواجب الذي عليها، فتمثّل ما أمرت به، وتجنب ما نهيت عنه، بلا زيادة على ذلك ولا نقص<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٣/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٤٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨-٢٣٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤١٦/١).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٢٨/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤١٧/١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٢/٢).

أي: وكثيرٌ من اليهود والنصارى قد أسأؤوا العمل<sup>(١)</sup>.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦٧).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ... وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ أُرِيدَتْ سَعَادَتُهُ يُؤْمِنُ وَلَا بَدَّ، وَمَنْ أُرِيدَتْ شِقَاوَتُهُ لَا يُؤْمِنُ أَصْلًا، وَكَانَ ذَلِكَ رَيْبًا أَدَّى إِلَى الْفُتُورِ عَنِ الْإِبْلَاحِ؛ لِذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهِ بِالْإِبْلَاحِ وَحَثَّهُ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ - سِوَاءَ مَنْ أَهَلَ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَوْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ - مِنْ دَسَائِسَ، وَمِنْ اسْتِهْزَاءٍ بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ حِقْدٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْ سُوءِ أَدَبٍ مَعَ اللَّهِ، وَكَانَ الْفَرِيقَانِ مَتَظَاهِرِينَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَرِيقٌ بِجَاهِرٍ، وَفَرِيقٌ مَتَسْتَرٍ - أَتْبَعَهُ بِتَوْجِيهِ نِدَاءٍ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَنْ يَمْضِيَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ إِلَى النَّاسِ، دُونَ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى مَكْرِ الْمَاكِرِينَ، أَوْ حِقْدِ الْحَاقِدِينَ؛ فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَدْ حَمَاهُ وَعَصَمَهُ مِنْهُمْ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾.

أي: يا محمد، أبلغ جميع ما أرسلك الله تعالى به، فلا تترك ولا تكتم شيئاً منه<sup>(٤)</sup>.

- (١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٦٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤١٧/١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٢/٢).
- (٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٢٩/٦).
- (٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٥٦، ٢٥٧)، ((التفسير الوسيط)) لطنطاوي (٤/٢٢٢).
- (٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٧/٢).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ؛ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (الآية))<sup>(١)</sup>.

وعنها رضي الله عنها، قالت: ((وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنزِلَ عَلَيْهِ، لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧])<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابِيَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ<sup>(٣)</sup>: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ! ثَلَاثَ مَرَاتٍ))<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَاتِهِ﴾.

أي: وإن لم تؤدِّ إلى الناس جميع ما أرسلت به، فما امتثلت أمره<sup>(٥)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

أي: بلغ أنت رسالة الله تعالى، واخرض على تبليغها، ولا يبيِّنكَ عن ذلك

(١) رواه البخاري (٤٦١٢).

(٢) رواه مسلم (١٧٧).

(٣) يَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: أي: يشيرُ بها إليهم، كالذي يَضْرِبُ بِهَا الْأَرْضَ. يُنْظَرُ: ((مرقاة المفاتيح))

للملا الهروي (١٧٧٣/٥).

(٤) رواه مسلم (١٢١٨).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١٤٨/٢).

خوفٌ من المخلوقين؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْفَظُكَ، وَيَمْنَعُ أَعْدَاءَكَ مِنْ أَنْ يَنَالُوكَ بسوءٍ، أو أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

أي: بَلِّغْ أَنْتَ؛ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُوفِّقُ لِلْحَقِّ الْكَافِرِينَ الْمَصْرَبِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ<sup>(٢)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ \* وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَئِزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٨).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّبْلِيغِ، سِوَاءِ طَابَ لِلسَّمَاعِ أَوْ ثَقُلَ عَلَيْهِ، أَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ هَذَا الْكَلَامَ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَشَقُّ عَلَيْهِمْ جَدًّا<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: يَا أَهْلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تَدَّعُونَ أَنْتُمْ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧١ / ٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣ / ١٥١ - ١٥٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢ / ١٤٩).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٢ / ٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣ / ١٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢ / ٤٠١).

عليه من الدين، إلى أن تؤمنوا حقًا - معشر اليهود - بالتوراة، ومعشر النصارى بالإنجيل، وتعملوا بما فيهما - ومن ذلك أتباع محمد صلى الله عليه وسلم - وحتى تؤمنوا بالقرآن أيضًا وتعملوا به؛ فقد جاء من ربكم الذي أنعم عليكم بإنزاله؛ فالواجب عليكم أن تقوموا بشكر الله تعالى على ذلك بأن تؤمنوا بالقرآن وتتبعوه<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

أي: إن كثيرًا من هؤلاء اليهود والنصارى - يا محمد - يزدادون بسمايحهم القرآن العظيم تجاوزًا للحدود التي تعالى، وكفراً بالحق<sup>(٢)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وقال عز وجل: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

أي: فلا تحزن - يا محمد - على هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى الذين

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص:

٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٥٥ - ١٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧، ١٥٥)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢/ ١٥٧، ١٥٨).

كذبوك، وردُّوا رسالتك، وإِنَّمَا أَدَّ مَا عَلَيْكَ، وَبَلَّغِ الرِّسَالَةَ<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التَّبَوُّيَّة:

١- قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بالرغم من أن الإيمان وحده سبب مستقل لتكفير السيئات، وإعطاء الحسنات، إلا أنه صَمَّ شَرْطًا آخَرَ، وهو التقوى؛ لأنَّ المراد من الإيمان تحقيق التقوى والطاعة، لا لغرضٍ آخَرَ من الأغراضِ العاجلة، كما يفعله المنافقون<sup>(٢)</sup>.

٢- أنَّ النَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ يُثَابُ ثَوَابَيْنِ: ثواب الدنيا، وثواب الآخرة: أمَّا ثواب الآخرة؛ فلقوله: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، وأمَّا ثواب الدنيا؛ فلقوله: ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾ أَنَّهُ يَجُوزُ تَرْغِيبُ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ فِي فِعْلِ الطَّاعَاتِ بِمَا يُذَكَّرُ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا، وَعَلَى هَذَا فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ حُسْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَلَامُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ هُنَاكَ لَوْمْ، مَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يَحْصُلُ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا؛ يَبْقَى ذِكْرُهُ شَبِيهَاً بِاللَّفْظِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَعْنَى، وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا الْمَحْرَمَاتُ، تَجِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهَا رِوَادِعَ تَرَدُّعٍ عَنْهَا؛ حَتَّى لَا يَفْعَلَهَا الْإِنْسَانُ، فَتَجِدُ الرَّجُلَ قَدْ يَتْرُكُ الزَّنَا مِثْلًا خَوْفًا مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَلَوْ لَا هَذَا لَمَا كَانَ لِلْعُقُوبَةِ فَائِدَةٌ<sup>(٤)</sup>.

٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وَجُوبُ إِبْلَاغِ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ؛ وَجِهَ ذَلِكَ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِذَا كَانُوا

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٤/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٥٨/٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٤٣٤/٧).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٣٩/٢).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (١٤٣/٢).

ورثة الأنبياء وجب عليهم أن يقوموا بحق الإرث، فبيلغوا ما علموا من شريعة الله وجوباً؛ إمّا بالقول وإمّا بالفعل، إمّا بالكتابة وإمّا بالإشارة؛ بأيّ وسيلة، يجب عليهم أن يبلغوا ما أنزل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

٥- الإشارة إلى أن القلوب بيد الله عز وجل، وأن أفعال الخلق تابعة لإرادة الله؛ لقوله: ﴿يَعْصِمُكَ﴾؛ لأن عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس تنقسم إلى قسمين: إمّا عدم الإرادة: بأن يصرف الله القلوب عن قتله، وإمّا بالعجز: بأن يُحاول الفاعل ولكن يعجز<sup>(٢)</sup>.

٦- يُستفاد من قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أن العبرة للمسلم في الآية أن يعلم أن المسلمين لا يكونون على شيء يعتد به من أمر الدين حتى يقيموا القرآن، وما أنزل إليهم من ربهم فيه، ويهتدوا بهدائه؛ فحجّة الله على جميع عباده واحدة، فإذا كان الله تعالى لا يقبل من أهل الكتاب قبلنا تلك التقاليد التي صدّتهم عمّا عندهم من وحي الله تعالى على ما كان قد طرأ عليه من التحريف بالزيادة والتقصان، فألا يقبل منا مثل ذلك مع حفظه لكتابتنا أولى<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد العلميّة واللطائف:

١- قدّم الإيمان في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾؛ لأنه أساس جميع الأعمال، فقدّمه إعلماً بأنه لا نجاة لأحد إلا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

٢- كمال عدل الله عز وجل، وأن كل من آمن واتقى ولو بعد الكفر والعناد؛

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٥١).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٥٤).

(٣) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٩٤).

(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٤).



فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فيه دلالة على سعة رحمة الله تعالى، وفتحه باب التوبة لكل عاصي، وإن عظمت معاصيه، وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى<sup>(٢)</sup>.

٤- إن الإسلام يهدم ما قبله من السيئات وإن جلت وعظمت؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

٥- يفيد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم<sup>(٤)</sup>.

٦- إثبات أفعال الله سبحانه وتعالى الاختيارية؛ لقوله: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾؛ لأن هذا التكفير يكون بعد إيمانهم وتقواهم، فيكون فيه دليل على إثبات أفعال الله الاختيارية؛ فالله عز وجل يفعل ما يشاء في أي وقت، وعلى أي كيفية<sup>(٥)</sup>.

٧- أن الجزاء يكون بالنجاة من المرهوب، وحصول المطلوب؛ يشير إلى الأول قوله: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، وإلى الثاني قوله: ﴿وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾؛ فالأول به النجاة من المرهوب، والثاني فيه حصول المطلوب<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٣٩/٢)).

(٢) ينظر: (تفسير الشربيني) ((٣٨٥/١)).

(٣) ينظر: (المصدر السابق).

(٤) ينظر: (المصدر السابق).

(٥) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٣٩/٢)).

(٦) ينظر: (المصدر السابق).

٨- أن إقامة الشريعة في كل زمان سبب لكل خير؛ لقوله: ﴿وَأَوَّاهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾ إلى آخره<sup>(١)</sup>.

٩- أنه يجب على أهل الكتاب أن يقيموا القرآن، كما يجب أن يقيموا التوراة والإنجيل؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو كذلك؛ ولهذا نقول لأهل الكتاب الذين يدعون أنهم مؤمنون بالله واليوم الآخر: إنكم إن لم تؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم، ما نفعكم ذلك الإيمان؛ لأنكم لم تثبتوا إيمانكم<sup>(٢)</sup>.

١٠- إقامة الدليل على أهل الكتاب أنه يلزمهم أن يؤمنوا بالقرآن؛ لقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ فإن لازم كونه رباً لهم أن يقوموا بأمره، ويلتزموا بحكمه؛ لأنه رب، والرب لا بد له من مربوب، وهو سبحانه وتعالى السيد؛ والإنسان عبد؛ فلا بد أن يقوموا بمقتضى هذه الربوبية، فيؤمنوا بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup>.

١١- انقسام أهل الكتاب إلى قسمين: قسم مقتصد؛ قائم بالواجب، تارك للمحرّم، ولكن ليس عندهم سبق إلى الخيرات، وقسم آخر: سيئ مسيء في عمله؛ إما بترك الواجبات، وإما بفعل المحرّمات؛ لقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٢- في قوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ جعل أعلى مقامات أهل الكتاب الاقتصاد، وهو أوسط مقامات هذه الأمة، وفوق ذلك رتبة السابقين؛ كما في قوله تعالى:

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٣/٢).

(٢) ينظر: ((تفسير المنار))، ((تفسير الشرييني)) (٣٨٧/١)، (٣٨١/٦)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (١٤٤/٢).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٤٥/٢).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (١٤٦/٢).

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ \* جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...﴾<sup>(١)</sup>  
[فاطر: ٣٢-٣٣]؛ فدلَّ على فضلِ هذه الأمةِ على غيرها من الأمم.

١٣- التعميرُ في قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ بالعملِ؛ لأنَّهم يزعمون أنَّه لا يصدرُ منهم إلا عن علمٍ، وهم الذين حرَّفوا الكلمَ عن مواضعه، وارتكبوا العظائمَ في عداوةِ اللهِ ورسوله<sup>(٢)</sup>.

١٤- يُستفادُ من تصديرِ الخطابِ بالنداءِ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا﴾ الدلالةُ على الاهتمامِ بالخطابِ والعنايةِ به، كذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٥- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وصفه بالرِّسالةِ إشارةً إلى أنَّ هذا الوصفَ مقتضاهُ- وإن لم يؤمَّرَ بالإبلاغِ- أن يكون مُبلِّغاً<sup>(٤)</sup>.

١٦- قوله: ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾ فيه عنايةُ اللهِ عزَّ وجلَّ بالرسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، والإشارةُ إلى أنَّ كونهَ مربوباً لله عزَّ وجلَّ يستلزمُ أن يُبلِّغَ، وأيضاً لأنَّ رُبوبيَّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ لرسوله عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ رُبوبيَّةٌ خاصَّةٌ<sup>(٥)</sup>.

١٧- شِدَّةُ تأكيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ على إبلاغِ شريعته؛ لأنَّ هذه الجملةُ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ﴾ شديدةٌ جدًّا؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يرضى لعباده أن يتركوا شريعته غيرَ مبلِّغَةٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٤٩).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٢٨).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/١٤٦، ١٥١).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٤٦).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٤٧، ١٥١).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٥٢).

١٨- أَنْ كَتَمَ شَيْءٌ مِنْ الشَّرِيعَةِ كَكْتَمَ جَمِيعِهَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رَسُولَاتُهُ﴾<sup>(١)</sup>.

١٩- عناية الله تعالى بالرسول عليه الصلاة والسلام في عصمته من الناس؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢٠- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أَنَّ مَنْ عَلِمَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْهُ الْكُفْرَ فَإِنَّهُ لَا يُهْدَى وَلَا يُؤَفَّقُ؛ فَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [الصف: ٥].

٢١- أَنَّهُ لَا تَتِمُّ إِقَامَةُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا بِإِقَامَةِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ اشْتَرَطَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مُقِيمٌ لِلتَّوْرَةِ وَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِنْجِيلِ، قُلْنَا: هَذَا غَيْرٌ صَحِيحٌ، وَدَعْوَاهُ بَاطِلَةٌ، وَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِالْإِنْجِيلِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْقُرْآنِ، قُلْنَا: هَذِهِ دَعْوَى بَاطِلَةٌ<sup>(٤)</sup>.

٢٢- أَنَّهُ يَلْزَمُ مَنْ أَقْرَبَ بِالرُّبُوبِيَّةِ أَنْ يُقَرَّ بِالْأَلُوْهِيَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ رَبُّكُمْ﴾ يَعْنِي: مِنْ رَبِّكُمْ الَّذِي لَا تُنْكِرُونَ رُبُوبِيَّتَهُ، وَإِذَا كُنْتُمْ لَا تُنْكِرُونَ رُبُوبِيَّتَهُ لَزِمَكُمْ أَنْ تَقُومُوا بِأَمْرِهِ<sup>(٥)</sup>.

٢٣- قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فِيهِ إِضَافَةٌ رُبُوبِيَّةٌ لِلْكَافِرِينَ، لَكِنْ هَذِهِ الْإِضَافَةُ لَيْسَتْ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ، وَلَكِنَّهَا إِضَافَةٌ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛

(١) ينظر: ((تفسير الشرييني)) (١/ ٣٨٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٩)، ((تفسير المنار))، (٦/ ٣٨٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٥٣).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٥٣).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٥٥).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٥٩).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

لأنه إذا كان الله هو ربكم، لزمكم أن تقيموا ما أنزل إليكم منه؛ لأنه ربكم وسيّدكم وإلهكم<sup>(١)</sup>.

٢٤- يُستفاد من قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أن كثيرًا من أهل الكتاب لا يزدادون بالقرآن إلا طغيانًا وكفرًا؛ إمّا بالتكذيب، وإمّا بالعصيان، ويفهم منه أيضًا أن بعضهم لا يزيد طغيانًا وكفرًا، بل لا يزيد إلا إيمانًا<sup>(٢)</sup>.

٢٥- العدل في كلام الله وعدم المجازفة؛ لقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ ولم يقل: (كلهم)؛ لأن الواقع أن بعضهم يزداد بالقرآن إيمانًا<sup>(٣)</sup>.

٢٦- جواز تأكيد الكلام بما يثبت صدقه، وإن كان في الأصل صدقًا؛ لقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾، مع أن خبر الله وإن لم يكن مؤكدًا فهو صدق بلا شك، ووجه تأكيده: أنه قد يستغرب أن يكون هذا القرآن الذي هو هدى للناس لا يزيد هؤلاء إلا طغيانًا وكفرًا، فلما كان هذا محل استغراب، أكد الله عز وجل؛ لأن تأكيد الكلام إذا كان صادرًا من صادق لا بد أن يكون له سبب، وإلا لكان التوكيد لغوًا<sup>(٤)</sup>.

٢٧- أن الكفر يزيد وينقص، وجهه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾، وفيه دليل على أن الإيمان يزيد وينقص؛ لأن الكفر إذا كان يزيد وينقص فيزائره الإيمان؛ فلا بد أن يكون مثله يزيد وينقص، والذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، سواء بالأقوال أو بالأفعال أو باليقين<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٦٠).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٦٠، ١٦١).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٦٠).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٦١).

٢٨- الفَرْقُ بين نِسْبَةِ إنزالِ الْقُرْآنِ إلى الرَّسُولِ في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، ونِسْبَةِ إنزالِهِ إليهِمْ في أوَّلِ الآيةِ في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، هو أنَّ خِطَابَهُم بِإنزالِ الْقُرْآنِ إليهِمْ يُرادُ بِهِ أَنَّهُمْ مَخاطَبُونَ بِهِ، وَمَدْعُوونَ إِلَيْهِ، وَأَمَّا إِسنادُ إنزالِهِ إلى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيْسَ لِإِفادَةِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ فَقَطْ، بَلْ يُشْعِرُ مَعَ ذَلِكَ بِأَنَّ إنزالَهُ إِلَيْهِ سَبَبٌ لَطُغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِهِ لِأَجْلِ إنكارِهِمْ لِعَقائِدِهِ وَأَدابِهِ وَشِراطِعِهِ، أَوْ اسْتِقْباحِهِمْ، بَلْ لِعَدَاوَةِ الرَّسُولِ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْهِ، وَعَدَاوَةِ قَوْمِهِ الْعَرَبِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ يُفِيدُ بِراءَتَهُمْ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَا حِظَّ لَهُمْ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا الْكُفْرَ نَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: ذَكَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ تَأْكِيدًا لِلتَّشْبِيحِ؛ فَإِنَّ أَهْلِيَّةَ الْكِتَابِ تُوجِبُ إِيمَانَهُمْ بِهِ، وَإِقَامَتَهُمْ لَهُ لَا مُحالَةَ، فَكُفْرُهُمْ بِهِ وَعَدْمُ إِقَامَتِهِمْ لَهُ، وَهَمُّ أَهْلِهِ، أَقْبَحُ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ، وَأَشْنَعُ مِنْ كُلِّ شَنِيعٍ<sup>(٢)</sup>.

- وَتَكَرُّرُ اللَّامِ فِي ﴿وَلَا دَخَلْنَاَهُمْ﴾؛ لِتَأْكِيدِ الْوَعْدِ<sup>(٣)</sup>.

- فِيهِ: تَعْرِيفٌ؛ حَيْثُ عَقَّبَ نَهْيَهُمْ وَذَمَّهُمْ بِدَعْوَتِهِمْ لِلْخَيْرِ<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾:

في هذه الآيةِ حَذْفانِ بَلِيغانِ: الأوَّلُ: حَذْفُ الْمُضَافِ في قوله: ﴿أَقَامُوا

(١) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٩٤).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٥٩).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٥٢).

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٦٥﴾، والمرادُ أحكامُ التوراةِ والإنجيلِ وحُدودُهُما، وما انطوى تحتَهُما من حِكْمٍ بِالْغَةِ، وَعِبْرٍ شَائِعَةٍ. والثاني: حذفُ المفعولِ بهِ في قوله تعالى: ﴿لَا تَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾؛ لقصدِ التعميمِ، أو للقصدِ إلى نفسِ الفعلِ، كما في قوله: (فُلَانٌ يُعْطَى وَيَمْنَعُ) بعد (أو للقصدِ إلى نفسِ الفعلِ) (١).

٣- قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فيه: إيجازٌ بالحذفِ؛ حيثُ حُذِفَ مُتَعَلِّقٌ ﴿بَلِّغْ﴾؛ لقصدِ العمومِ، أي: بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ جَمِيعَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وهو جَمِيعُ الْأُمَّةِ (٢).

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ يُفِيدُ الْمَبَالِغَةَ التَّامَّةَ، يعني: أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ تَرَكَ التَّبْلِيغَ بِتَهْدِيدٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنَّهُ تَرَكَ التَّبْلِيغَ، فَكَانَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى غَايَةِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ (٣).

٥- قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أتى بصيغة المضارع في ﴿يَعْصِمُكَ﴾؛ لِأَنَّ الْمَضَارِعَ يَدُلُّ عَلَى الدِّيمُومَةِ وَالِاسْتِمْرَارِ (٤).

٦- قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه: تعليلٌ لعصمته تعالى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ سَبَبَ عَدَمِ هِدَايَتِهِمْ هُوَ كُفْرُهُمْ.

- وإيرادُ الآيةِ الكريمةِ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ فِي تَضَاعِيفِ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي حَقِّ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ قَوَارِعُ يَسُوءُ الْكُفْرَانَ سَمَاعُهَا، وَيَشُقُّ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشَافَهَتُهُمْ بِهَا، وَخِصُوصًا مَا يَتَلَوُّهَا مِنْ

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٣٩٨ / ١٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦٠ / ٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥٤ / ٦)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٥٢٢ / ٢ - ٥٢٣).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٥٨ / ٦).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٤٠٠ / ١٢).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٢٣ / ٤).

النصِّ النَّاعِي عَلَيْهِمْ كَمَا لَضَلَّاهُمْ<sup>(١)</sup>.

٧- قوله: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ تنكير ﴿شَيْءٍ﴾ يُفِيدُ التَّقْلِيلَ وَالتَّحْقِيرَ، أَي: لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ يُعْتَدُّ بِهِ حَتَّى تُقِيمُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَفِي هَذَا التَّعْبِيرِ مِنَ التَّحْقِيرِ وَالتَّصْغِيرِ مَا لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ<sup>(٢)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ جملةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ مُبَيَّنَّةٌ لِشِدَّةِ شَكِيمَتِهِمْ، وَغُلُوِّهِمْ فِي الْمَكَابِرَةِ وَالعِنَادِ، وَعَدَمِ إِفَادَةِ التَّبْلِيغِ نَفْعًا، وَتَصْدِيرُهَا بِالْقَسَمِ - الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّامُ فِي (لَيَزِيدَنَّ) -؛ لِتَأْكِيدِ مَضْمُونِهَا، وَتَحْقِيقِ مَدْلُولِهَا، وَنِسْبَةِ الْإِنزَالِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نِسْبَتِهِ فِيمَا مَرَّ إِلَيْهِمْ؛ لِلإِنْبَاءِ عَنِ انْسِلَاحِهِمْ عَنِ تِلْكَ النِّسْبَةِ<sup>(٣)</sup>.

٩- قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فِيهِ: إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمَرِ - حَيْثُ قَالَ: ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (عَلَيْهِمْ) - وَفَاتِدَتْهُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الْعِلَّةِ الْمَوْجِبَةِ لِعَدَمِ التَّأْسَفِ<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦١/٣).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦١/٣)، ((أعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٥٢٥/٢).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٢/٣).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٢٤/٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦٢/٣).



## الآيات (٦٩ - ٧١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ مَن ءَامَنَ بِٱللَّهِ  
وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ  
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا  
لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا ٱلَّا تَكُونُ  
فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ  
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿الصَّالِحُونَ﴾: هم قومٌ لا دينَ لهم، وإنما بقوا على فطرتهم، يقولون: لا إله إلا الله، وليس لهم دينٌ مُّقررٌ لهم يتبعونه، وقيل: هم قومٌ يعبدون الملائكة، وقيل: هم طائفةٌ من أهل الكتاب، والصَّالِحُونَ جمعُ صابئ، وهو الخارجُ من دينه إلى دينٍ آخر، وأصله: الخروجُ؛ يقال: صَبَأَتِ النُّجُومُ، إذا خرجت من مطالعها<sup>(١)</sup>.

﴿تَهْوَى﴾: تميلُ، والهوى: ميلُ النفسِ إلى الشهوة، وأصله: الخلوُّ والسقوط، ومنه قيلَ للآراءِ الزَّائفةِ: أهواءٌ<sup>(٢)</sup>.

﴿فِتْنَةً﴾: أي: شرٌّ وعذابٌ، وتُطلقُ الفِتْنَةُ أيضًا على الضلالِ والشركِ والكفرِ، والفِتْنَةُ في الأصلِ: الاختبارُ والابتلاءُ والامتحانُ، مأخوذةٌ من الفتن: وهو إدخالُ الذهبِ النَّارَ؛ لتظهرَ جودته من رداءته<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢/٣٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٧٥)، ((تذكرة الأريب))

لابن الجوزي (ص: ١٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٩).

(٢) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٣٤، ٤٩١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس

(١٥/٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٦)،

((الكليات)) للكفوي (ص: ٢١١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/٧٦، ١٠١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس =

﴿فَعْمُوا﴾: أي: لم يَعْمَلُوا بما سَمِعُوا، فَصَارُوا كَالْعُمِيِّ، وَالْحَمَى يُقَالُ فِي  
اِفْتِقَادِ الْبَصْرِ وَالْبَصِيرَةَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَصَمُوا﴾: أي: لم يُصْغُوا إِلَى الْحَقِّ، فَصَارُوا كَالصَّمِّ، وَالصَّمَمُ: فَقْدَانُ  
حَاسَةِ السَّمْعِ، وَبِهِ يُوصَفُ مَنْ لَا يُصْغِي إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَقْبَلُهُ، وَأَصْلُهُ: الصَّلَابَةُ،  
وَقِيلَ: السَّدُّ<sup>(٢)</sup>.

### مَشْكِالُ الْإِعْرَابِ:

١- قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿الصَّابِثُونَ﴾: مَرْفُوعٌ عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ، وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ؛ لِدَلَالَةِ خَبَرِ ﴿إِنَّ﴾  
عَلَيْهِ - وَهُوَ جُمْلَةٌ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ كَمَا سَيَأْتِي - وَالنِّبْتَةُ بِهِ التَّأخِيرُ؛ وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... إِلَى آخِرِهِ،  
وَالصَّابِثُونَ كَذَلِكَ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالصَّابِثُونَ﴾ مَعَ خَبْرِهِ الْمَحذُوفِ (كَذَلِكَ) جُمْلَةٌ  
اسْمِيَّةٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ؛ فَلَا مَحَلَّ لَهَا مِنْ  
الْإِعْرَابِ، كَمَا لَا مَحَلَّ لِلتِّي عَطِفَتْ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: إِنَّهُ مَرْفُوعٌ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ  
اسْمِ (إِنَّ): ﴿الَّذِينَ﴾؛ لِأَنَّهُ قَبْلَ دُخُولِهَا مَرْفُوعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ. وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: ﴿مَنْ﴾  
اسْمٌ شَرْطِيٌّ، وَهُوَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿آمَنَ﴾ خَبَرٌ ﴿مَنْ﴾، وَجُمْلَةٌ

= (٤/٤٧٢-٤٧٣)، ((المفردات)) للراغب (١/٦٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي  
(١/٢٩، ١٣٩-١٤٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٢).

(١) يُنْظَرُ: ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٨٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٥).

(٢) يُنْظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٢٧٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٢)، ((التيان))  
لابن الهائم (١/٥٣).

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ جوابُ الشَّرْطِ، وجملةُ الشَّرْطِ وجوابه في محلِّ رفعٍ خبرٍ ﴿إِنَّ﴾، والرابطُ مُقدَّر، أي: منهم<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾.

﴿وَحَسِبُوا﴾: فِعْلٌ وفاعِلٌ، وفِعْلٌ (حَسِبَ) يأتي بمعنى الشَّكِّ، ويأتي بمعنى اليقين.

﴿أَلَّا تَكُونَ﴾: ﴿أَلَّا﴾ مُكوَّنةٌ من (أَنْ) و(لَا)، و﴿تَكُونَ﴾ فِعْلٌ مُضارعٌ تامٌّ بمعنى تَقَعُ أو تُصِيبُ، وقد فُرِئَ بالنَّصْبِ والرَّفْعِ؛ فعلى قِراءةِ النَّصْبِ؛ (فَلَأَنْ) مَصْدَرِيَّةٌ ناصِبةٌ للفِعْلِ، و﴿تَكُونَ﴾ منصوبٌ بها، وعلى هذا ففِعْلٌ ﴿حَسِبُوا﴾ بمعنى الظَّنِّ والشَّكِّ. و﴿فِتْنَةً﴾: فاعِلٌ ﴿تَكُونَ﴾، والتَّقْدِيرُ: ظَنُّوا أَلَّا يَقَعَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِلَاءٌ واختِبَارٌ بالشَّدائدِ. أو: لا تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ نَتِيجَةٌ فِعْلُهُم المذکور في الآيةِ السَّابِقَةِ.

وعلى قِراءةِ (تَكُونَ) بالرَّفْعِ، (فَلَأَنْ) هي المَخْفِفةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُها صَمِيرٌ الشَّانِ محذوفٌ، والتَّقْدِيرُ: أَنَّهُ، و(لَا) نافيةٌ، و﴿تَكُونَ﴾ فِعْلٌ مُضارعٌ مرفوعٌ، وهو تامٌّ أيضًا، و﴿فِتْنَةً﴾ فاعِلُهُ، وجُمْل (تَكُونَ فِتْنَةً) في محلِّ رفعٍ خبرٍ (أَنْ)؛ فهي مُفسِّرةٌ لضميرِ الشَّانِ، وعلى هذا ففِعْلٌ (حَسِبَ) هنا لليقين لا للظنِّ والشَّكِّ<sup>(٢)</sup>، وعلى كِلا التَّقْدِيرينِ فَإِنَّ (أَنْ) وما بَعْدَها سَدٌّ مَسَدٌّ مَفْعُولِي ﴿حَسِبُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((البيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٥٠-٤٥٢)، ((الدر المصون)) للسمين

الحلبي (٤/٣٥٣، ٣٦٣)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٦٨).

(٢) لأنَّ (أَنْ) المَخْفِفةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ لا تأتي مع أفعالِ الشَّكِّ والطَّمَعِ، ولا تأتي (أَنْ) النَّاصِبَةُ للفِعْلِ مع (عَلِمْتُ) وما كان في معناها. ((البيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٥٢).

(٣) يُنظر: ((البيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٥٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي

(٤/٣٦٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٢/٧٢)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٦٨).

## المَعْنَى الإِجْمَالِيَّة:

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْيَهُودَ قَبْلَ نَسْخِ دِينِهِمْ، وَالصَّابِئَةَ الْخُنْفَاءَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُحَرَّمِينَ لِلظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَتَّقِدُوا بِمِلَّةٍ وَلَا نِحْلَةٍ، وَالنَّصَارَى قَبْلَ نَسْخِ دِينِهِمْ؛ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافُ الْأَرْبَعَةُ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ مِمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يُخْلَفُونَهُ. ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ الْعَهْدَ الْمُؤَكَّدَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْقِيَامِ بِمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رُسُلَهُ، لَكِنَّهُمْ قَابَلُوا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ وَرَغْبَاتِهِمْ، كَذَّبُوا بَعْضًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَقَتَلُوا آخَرِينَ.

وظَنُّوا أَلَّا تَحِقَّ بِهِمْ فِتْنَةٌ وَعُقُوبَاتٌ وَشَرٌّ نَتِيجَةٌ مَا فَعَلُوهُ؛ فَاسْتَمَرُّوا عَلَى طُغْيَانِهِمْ، فَعَمُوا عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ، وَصَمُّوا عَنْ سَمَاعِهِ، ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَعَدَ ذَلِكَ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لِحَالَتِهِمْ السَّيِّئَةَ الْأُولَى، وَعَادُوا لِضَلَالِهِمُ السَّابِقِ، فَعَمُوا مُجَدِّدًا عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ، وَصَمُّوا عَنْ سَمَاعِهِ، وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

## تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٩).

مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ مَا لَمْ يُؤْمِنُوا؛ بَيَّنَّ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ عَامٌّ فِي الْكُلِّ، وَأَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ فَضِيلَةٌ وَلَا مَنَقِبَةٌ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ

والْيَوْمِ الْآخِرِ، وَعَمِلَ صَالِحًا<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ مَا مَضَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ غَالِبًا فِي فَضَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا سِوَمَا الْيَهُودِ، وَبَيَانَ أَنَّهُمْ عَضُّوا عَلَى الْكُفْرِ، وَمَرَدُّوا عَلَى الْجَحْدِ، وَتَمَرَّنُوا عَلَى الْبُهْتِ، وَعَتَّوْا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ - أَخْبَرَ أَنَّ الْبَابَ مَفْتُوحٌ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمِلَّةِ، وَأَنَّهُ إِذَا أَخْلَصُوا أُذُنَ فِي دُخُولِهِمْ، وَتُوِّدِي بِقَبُولِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾

أَي: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْيَهُودَ قَبْلَ نَسْخِ دِينِهِمْ، وَقَبْلَ تَحْرِيفِهِ، وَالصَّابِئِينَ - وَهُمْ فِرْقٌ؛ مِنْهَا: الصَّابِئَةُ الْحَنْفَاءُ، الَّذِينَ بَقُوا عَلَى فِطْرَتِهِمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِمِلَّةٍ وَلَا نِحْلَةٍ، وَدُونَ أَنْ يُحَدِّثُوا كُفْرًا - وَالنَّصَارَى قَبْلَ نَسْخِ دِينِهِمْ، وَقَبْلَ تَحْرِيفِهِ<sup>(٣)</sup>.

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

أَي: مَنْ آمَنَ مِنْ أَتْبَاعِ هَذِهِ الْمِلَّةِ بِاللَّهِ تَعَالَى حَقًّا، وَآمَنَ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ يَوْمَ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٤٠٣/١٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٤٠/٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٥/٨)، ((الصفدية)) لابن تيمية (٣٠٤/٢)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٦٣/٢ - ١٦٥).

وَإِخْتَارَ تَفْسِيرَ الصَّابِئَةِ بِنَحْوِ مَا ذَكَرَ: ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي ((الجواب الصحيح)) (١٢٣/٣)، وَابْنُ الْقَيْمِ فِي ((إغائة اللفهان)) (٢٥٠/٢ - ٢٥٢)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي ((تفسيره)) (٢٨٧/١)، وَابْنُ عَثِيمِينَ فِي ((تفسير الفاتحة والبقرة)) (٢٢٢/١).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (وَإِظْهَرُ الْأَقْوَالُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَمَتَابِعِيهِ، وَوَهَبِ بْنِ مُنْبَهٍ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَيْسُوا عَلَى دِينِ الْيَهُودِ وَلَا النَّصَارَى وَلَا الْمَجُوسِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ يَأْقُونَ عَلَى فِطْرَتِهِمْ، وَلَا دِينَ مُقَرَّرَ لَهُمْ يَتَّبِعُونَهُ وَيَقْتَفُونَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْزُونَ مَنْ أَسْلَمَ بِالصَّابِئِيِّ، أَيْ: إِنَّهُ قَدْ خَرَجَ عَنْ سَائِرِ أَدْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ إِذْ ذَاكَ) ((تفسير ابن كثير)) (٢٨٧/١). وَمِمَّنْ ذَهَبَ مِنَ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِ الصَّابِئَةِ إِلَى نَحْوِ مَا ذَكَرَ: ابْنُ زَيْدٍ. يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٣٦/٢).

الدين، وعمل عملاً صالحاً، بأن يكون خالصاً لله تعالى، موافقاً لشرعته التي وجب عليه اتباعها<sup>(١)</sup>.

وهذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هي؛ فكل من أتبع رسوله المرسل إليه في زمانه - قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم - فهو على هدى ونجاة، فأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يعد مؤمناً من لم يؤمن برسالته عليه الصلاة والسلام، ولم يعمل بمقتضاها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

أي: فلا خوف عليهم مما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يخلّفونه<sup>(٣)</sup>.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠)

مناسبة الآية لما قبلها:

لما كانت البشارة في الآية السابقة موجبة للدخول في الإيمان، والتعجب ممن لم يسارع إليه، وكان أكثر أهل الكتاب إنما يسارعون في الكفر، كان الحال مقتضياً لتذكر ما مضى من أخذ الميثاق عليهم، وزيادة العجب منهم مع ذلك، فأعاد سبحانه الإخبار به مؤكداً له؛ تحقيقاً لأمره، وتفخيماً لشأنه، ملتفتاً مع التذكير بأول قصصهم في هذه السورة إلى أول السورة ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾<sup>(٤)</sup> [المائدة: ١]، فقال:

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٥٧٥/٨)، (تفسير ابن كثير) (١٥٦/٣)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١٦٦/٢ - ١٦٩).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن كثير) (١٥٦/٣) (٢٨٤ - ٢٨٥)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١٦٨/٢).

(٣) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٥٧٥/٨)، (تفسير ابن كثير) (١٥٦/٣)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٣٥)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (١٦٩/٢).

(٤) يُنظر: (نظم الدرر) للبقاعي (٢٤٣/٦) وينظر أيضاً: (تفسير الرازي) (٤٠٤/١٢).

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾.

أي: والله لقد أخذنا على اليهود عهدًا ثقيلاً مؤكّداً، بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، والقيام بما أوجبه عليهم، وأرسلنا إليهم بذلك رسولاً، يتوألون عليهم بالدعوة، ويتعاهدونهم بالتوجيه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> [المائدة: ١٢].

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

أي: كلما أتاهم رسولٌ من أولئك الرسل الكرام عليهم السلام، بما لا تشتهي نفوسهم، ولا يوافق رغباتهم، نقضوا تلك العهود والمواثيق، وعاندوا تلك الرسل وعادوهم، فقاموا بتكذيب بعضهم، وقتلوا بعضاً آخرين<sup>(٢)</sup>.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَهُ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١).

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَهُ﴾.

أي: وظنّ بنو إسرائيل ألا يترتب - جرّاء ما كانوا يفعلون من نقض المواثيق، وتكذيب رسل الله تعالى وقتلهم - شرٌّ وعقوباتٌ تحيق بهم<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٢/٢ - ١٨٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٣/٢ - ١٨٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٨/٢).

﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾.

أي: فترتب على ظنهم الفاسد هذا: أن استمروا على طغيانهم، فعموا عن رؤية الحق، وصموا عن سماعه، فلا يسمعون حقاً، ولا يهتدون إليه<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: ثم وقفهم الله تعالى للتوبة، وقبلها منهم، ورفع عنهم الفتنة التي عاقبهم بها، فأنابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الهوى إلى الهدى<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

أي: ثم بعد توبة الله تعالى عليهم، واستنقاذهم من الهلكة لم يستمر كثير منهم على التوبة، فانقلبوا إلى حالهم القبيحة الأولى، وعادوا إلى ضلالهم القديم، فعموا مجدداً عن رؤية الحق، وصموا عن سماعه<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٨/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧٧/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

(١٨٨-١٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٦/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧٧/٦).

قال ابن عاشور: (وقد وقف الكلام عند هذا العمى والصمم الثاني، ولم يذكر أن الله تاب عليهم بعده؛ فدل على أنهم عرضوا عن الحق إعراضاً شديداً مرة ثانية، فأصابتهم فتنة لم يَبِ الله عليهم بعدها) ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧٧/٦).

وقال الشنقيطي: (ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن بني إسرائيل عموا وصموا مرتين، تتخللها توبة من الله عليهم، وبين تفصيل ذلك في قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ آوَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا \* إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُذِّرُوا مَا عُلُوًّا تَضَيَّرًا﴾ =



﴿وَاللَّهُ بِصِرِّ مَا يَعْمَلُونَ﴾

أي: إنَّ الله تعالى مُطَّلِعٌ على جميع أعمالهم لا يَخْفَى عليه شيءٌ منها، ويُجازيهم عليها يومَ القيامة<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التَّربويَّة:

١- يُستفاد من قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أنَّ ثواب الله عزَّ وجلَّ لا يَبْنِي على حَسَبٍ ولا نَسَبٍ، وإنَّما يَبْنِي على الإيمان والعملِ الصَّالح؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> [الحجرات: ١٣].

٢- يُستفاد من قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ التحذير ممَّا فعلتْ بنو إسرائيل من تكذيب الرُّسلِ والعُدوانِ عليهم؛ لأنَّ الله لم يَقْصُصْ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَقَوْمِهِمْ لِلْعِلْمِ بِالتَّأْرِيخِ فَقَطْ؛ بل للاعتبارِ بها؛ كما قال تعالى:

[الإسراء: ٤ - ٧]، وَبَيْنَ التَّوْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا يَقُولُهُ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ إِنْ عَادُوا إِلَى الْإِسْفَادِ عَادَ إِلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ يَقُولُهُ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَاً﴾ [الإسراء: ٨]، فَعَادُوا إِلَى الْإِسْفَادِ بِتَكْذِيبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُتِبَ صِفَاتُهُ الَّتِي فِي التَّوْرَةِ، فَعَادَ اللهُ إِلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَبَحَ مُقَاتِلَةَ بَنِي فَرِيقَةَ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَّتَهُمْ، وَأَجْلَى بَنِي قَيْقَاعَ وَبَنِي النَّضِيرِ، كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ، وَهَذَا الْبَيَانُ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَلَكِنْ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَقْتَضِيهِ؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ فِي ذِكْرِ أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ الْمَاضِيَةِ، مِنْ قَتْلِ الرُّسُلِ، وَتَكْذِيبِهِمْ؛ إِذْ قَبْلَ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ ((أضواء البيان)) (١/١٧٧-٤١٨) وينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٧٧-٢٧٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٧٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٧٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٩٠).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٧٠).

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup> [يوسف: ١١١].

٣- الحذر من هوى النفس، وأن هوى النفس قد يؤدي إلى الهلاك، وإلى فعل ما يبيح شرعاً وعقلاً؛ لقوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- التحذير من الأمن من مكر الله، وأن ذلك من خلق اليهود؛ وذلك بأن يأمن الإنسان من مكر الله، ويظن أن معصيته لا يعقبها عقاب؛ لقوله: ﴿وَخَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾<sup>(٣)</sup>.

٥- أن الله تعالى قد يتوب على المرء بعد عماءه وصممه؛ لقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بعد أن ذكر أنهم عموا وصموا<sup>(٤)</sup>.

٦- الحذر من بطر النعمة بالعود إلى الفسوق والكفران؛ لأن الله هددهم بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- يستفاد من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى﴾ أنه ينبغي التعبير عن اليهود بـ(اليهود) وعن النصارى بـ(النصارى)؛ لأن ذلك استخدام القرآن واستعماله<sup>(٦)</sup>.

٢- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِثِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٨٦/٢).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (١٩١/٢).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (١٧٠/٢).

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ [البقرة: ٦٣]، وهنا قال في سورة المائدة: ﴿وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى﴾؛ فإنَّ النَّصَارَى أفضل من الصَّابِغِينَ، فلَمَّا قَدَّمُوا عليهم نصبَ لفظ (الصَّابِغِينَ)، ولكن (الصَّابِغُونَ) أقدم في الزَّمان فقدموا هاهنا؛ لتقدُّم زمنهم، ورُفِعَ اللَّفْظُ؛ ليكونَ ذلك عَطْفًا على المحلِّ؛ فإنَّ المعطوفَ على المحلِّ مرتبته التأخير؛ لِيُشْعِرَ أَنَّهُمْ مؤخَّرُونَ في المرتبة، وإنَّ قَدَّمُوا في الزمنِ واللَّفْظُ<sup>(١)</sup>.

٣- يُسْتَفَادُ من قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ أَنَّهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكْلَهُمْ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مَا عَلِمُوهُ بِفِطْرِهِمْ، بل أرسل إليهم الرُّسُلَ؛ لتؤكِّدَ ذلك<sup>(٢)</sup>.

٤- أَنَّ المتكلمين الذين بنوا أصول عقيدتهم على العقل فيهم شبه من اليهود؛ لقوله: ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ إلى آخره؛ فإنَّهم إذا أتاهم النصُّ بما لا يرون كذبوه إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، أو حرَّفوه إن لم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأنَّهم يرون مرجع ما أخبر الله به عن نفسه العقل، فإذا جاء النصُّ بما لا يهَوونَ حَسَبَ عقولهم كذبوه وأنكروه<sup>(٣)</sup>.

٥- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ لطيفةٌ جليلةٌ؛ حيثُ بُدِئَ بِالْعَمَى لأنَّ أوَّلَ مَا يَعْرِضُ لِلْمُعْرِضِ عن الشَّرَائِعِ أَنْ لَا يُبْصِرَ مَنْ أتاه بها من عند الله، ثم لو أَبْصَرَهُ لم يَسْمَعْ كلامه، فعرض لهم الصَّمُّ عن كلامه، ولمَّا كانوا قَبْلَ ذلك على طريق الهداية، ثم عَرَضَ لهم الضَّلَالُ، نُسِبَ الفعلُ إليهم وأُسْنِدَ لهم، فقال: ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾، ولم يُقَلَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (فَاعْمَاهُمُ اللَّهُ وَأَصَمَّهُمْ)<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ((الصفدية)) لابن تيمية (٢/٣٠٤).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٨٥).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/١٨٦).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٢٨).

## بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

- ١- قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَى﴾ فيه: تقديم وتأخير - على أحد أوجه الإعراب في الآية -، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابثون كذلك، وفائدته: التنبية على أن الصابثين يُتاب عليهم إن صحَّ منهم الإيمان والعمل الصالح؛ فما الظنُّ بغيرهم<sup>(١)</sup>؟!
- ٢- قوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه: تكرير؛ حيث قال في أول الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم قال في آخرها: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾، وفي هذا التكرير فائدتان؛ الأولى: أن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون، فالفائدة في هذا التكرير إخراجهم عن وعد عدم الخوف، وعدم الحزن. الفائدة الثانية: أنه تعالى أطلق لفظ الإيمان، والإيمان يدخل تحته أقسام، وأشرفها الإيمان بالله واليوم الآخر، فكانت الفائدة في الإعادة التنبية على أن هذين القسمين أشرف أقسام الإيمان<sup>(٢)</sup>.
- ٣- قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ استئناف عاد به الكلام على أحوال اليهود وجراءتهم على الله وعلى رُسُلِهِ، وفيه: تعريض باليأس من هديهم بما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وبأن ما قَبِلُوا به دَعْوَتَهُ ليس بدَعَا مِنْهُمْ، بل ذلك دَأْبُهُمْ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٦٠).

وهذا الوجه على القول بأن الصابثين من المشركين كانوا يعبدون الملائكة أو الكواكب؛ فيكون الصابثون أشدَّ الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالاً، فكأنه قيل: كل هؤلاء الفرق إن آمنوا وعملوا صالحاً قبل الله توبتهم وأزال دَنبَهُمْ، حتى الصابثون؛ فإنهم إن آمنوا كانوا أيضاً كذلك. ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٠٢).

وأما على القول بأن الصابثية حُفَاءٌ مِنَ الَّذِينَ بَقُوا على فطرتهم بتوحيد الله تعالى؛ فليس فيه هذا الوجه.

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٠٤).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٧٢).

٤ - قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: عبّر أولاً بالفعل الماضي ﴿كَذَّبُوا﴾ لتقرير الأمر الواقع، ثم عبّر بالفعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على حكاية الحال الماضية؛ استفظاعاً للقتل، واستحضاراً لتلك الحال الشنيعة؛ لتعجب منها، وللتنبية على أن ذلك ديدنهم المستور؛ ففيه تصويرٌ جرمِ القتلِ الشنيع، واستحضارٌ هيئته المنكرة كأنه واقعٌ في الحال؛ للمبالغة في النعي عليهم، والتوبيخ لهم؛ فقد أفادت الآية أنهم بلغوا من الفساد، واتباع أهوائهم مبلغاً كبيراً، حتى لم يعد يؤثّر في قلوبهم وعظّ الرسل وهدْيهم، بل صار يُغيرهم بزيادة الكفر والتكذيب، وقتل أولئك الهداة الأخيار، وفيه إشارة إلى استمرار قتلهم للأنبياء، وأنه أصبح ديدنهم المستمر؛ لأنّ الفعل المضارع يدلُّ على الاستمرار. أو يكون الفعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ حالاً على حقيقته؛ لأنهم حاولوا قتل نبيّنا محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فيكون في هذا - والله أعلم - إشارة إلى أنهم لا يزالون يقتلون الأنبياء حتى آخرهم عليه الصّلاة والسلام، وهو محمّد صلى الله عليه وسلّم. وفي التعبير بالفعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ أيضاً محافظة على رؤوس الآي الكريمة<sup>(١)</sup>.

- وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أيضاً فيه نوعٌ من الالتفات، وهو الالتفات من الإخبار بالفعل الماضي إلى الإخبار بالفعل المضارع، وهذا من أدقّ الأمور، ولا يتأخّر في الاستعمال إلا للعارف برموز الفصاحة والبلاغة<sup>(٢)</sup>.

- وتقديم المفعول ﴿فَرِيقًا﴾ في الموضعين؛ للاهتمام به، وتشويق السامع

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري - مع الحاشية)) (١/٦٦٢ - ٦٦٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٦٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٣٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٧٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٨٤)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٢/٥٣٠)، وينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٠٥).

(٢) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٢/٥٣٠).

إلى ما فعلوا به لا للمصير<sup>(١)</sup>؛ فقدّم المفعول هنا؛ لأنّ التقديم إنّما يكون لشدة العناية؛ فالتكذيبُ والقتلُ وإن كانا مُنكرينِ إلا أنّ تكذيب الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام وقتلهم أقبح، فكان التقديم لهذه الفائدة<sup>(٢)</sup>.

٥- قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ فيه: إيجازٌ بديعٌ؛ لأنّه ثَمَّةٌ مجرورٌ مُقدَّرٌ دالٌّ عليه السّياق، أي: ظنّوا أنّهم لنزل بهم مصائب في الدنيا، فأمنوا عقاب الله في الدنيا، بعد أن استخفوا بعذاب الآخرة، وتوهّموا أنّهم ناجون منه؛ لأنّهم أبناء الله وأحباؤه، وأنّهم لن تمسّهم النارُ إلاّ أياماً معدودة؛ فمن بديع إيجاز القرآن أن أوّماً إلى سوء اعتقادهم في جزاء الآخرة، وأنّهم نبذوا الفكرة فيه ظهرياً، وأنّهم لا يراقبون الله في ارتكاب القبائح، وإلى سوء عقابهم عن فئنة الدنيا، وأنّهم ضالّون في كلا الأمرين<sup>(٣)</sup>.

- وعطف ﴿فَعَمُوا﴾ على ﴿حَسِبُوا﴾ بالفاء؛ للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: أمنوا بأس الله تعالى، فتمادوا في فنون الغي والفساد، وعموا عن الدّين بعدما هداهم الرّسل إلى معالمه الظّاهرة، وبيّنوا لهم مناهجّه الواضحة<sup>(٤)</sup>.

- وعطف قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ الأوّل بالفاء، وعطف قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ الثاني بـ(ثم)، وهو معنّى حسنٌ؛ ففي العطف بالفاء دليل على أنّهم عقيب الحُسبان، حصل لهم العمى والصّم من غير تراخ، وفي العطف بـ(ثم) دليل على أنّهم تتمادوا في الضلال زماناً إلى أن تاب الله عليهم<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٣/٣).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٤٠٥/١٢).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧٦/٦).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٤/٣).

(٥) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٢٨/٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٣٧٣/٤)، ((تفسير

ابن عادل)) (٤٥٧/٧).

- وَأَسَدَدَ الْفِعْلَ الْحَسَنَ الشَّرِيفَ ﴿تَابَ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إِلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَمْ يَقُلْ: ﴿تَابُوا﴾؛ إِظْهَارًا لِلْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ، وَأَلْفَهُ تَعَالَى بِهِمْ. وَأَسَدَدَ الْفِعْلَيْنِ ﴿عَمُوا وَصَمُوا﴾ إِلَيْهِمْ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]؛ لِأَنَّ هَذَا فَيَمِّنُ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ هِدَايَةٌ<sup>(١)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: الْجُمْلَةُ تَدْبِيلٌ أُشِيرَ بِهِ إِلَى بُطْلَانِ حُسْبَانِهِمُ الْمَذْكُورِ، وَوُقُوعِ الْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا؛ إِشَارَةً إِجْمَالِيَّةً اِكْتَفَى بِهَا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فَصَّلَ نَوْعَ تَفْصِيلٍ فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالتَّقْدِيرُ: حَسِبُوا أَلَّا يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ فَفَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنَ الْجَنَائِبِ الْعَظِيمَةِ الْمَسْتَوْجِبَةِ لِأَشَدِّ الْعُقُوبَاتِ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِتَفَاصِيلِهَا؛ فَكَيْفَ لَا يُؤَاخِذُهُمْ بِهَا، وَمِنْ أَيْنَ لَهُمْ ذَلِكَ الْحِسَابُ الْبَاطِلُ<sup>(٢)</sup>!

- وَنَاسَبَ خَتْمُ الْآيَةِ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ الْمَشْتَمِلَةَ عَلَى ﴿بَصِيرٌ﴾؛ إِذْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُ ﴿فَعَمُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

- وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ جَاءَ عَلَى صِيغَةِ الْمَضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ؛ اسْتِحْضَارًا لِصُورَتِهَا الْفِطْرِيَّةِ، وَرِعَايَةً لِلْفَوَاصِلِ<sup>(٤)</sup>؛ فَفَائِدَةُ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بِمَعْنَى الْمَاضِي، اسْتِحْضَارُ صُورَةِ أَعْمَالِهِمْ فِي مَاضِيهِمْ، وَتَمَثِيلُهَا لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ فِي حَاضِرِهِمْ، وَإِنَّمَا تَحَسَّنُ هَذِهِ النَّكْتَةُ فِي الْعَمَلِ الْمَعْيَّنِ الْمَهْمِّ الَّذِي يُرَادُ التَّذْكَيرُ بِهِ بَعْدَ وَقُوعِهِ، بِجَعْلِ الزَّمَنِ الْحَاضِرِ مِرَاةً لِلزَّمَنِ الْغَابِرِ، وَلَا يَظْهَرُ هَذَا الْحُسْنَ فِي الْأَعْمَالِ الْمَطْلَقَةِ الْمُبْهَمَةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٢٨/٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٣٧٣/٤)، ((تفسير ابن عادل)) (٤٥٧/٧).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٥/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧٩/٦).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٢٨/٤).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٥/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٧٩/٦).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣٩٩/٦).

## الآيات (٧٢ - ٧٧)

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ  
يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ  
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ  
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۗ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا  
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى  
اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ  
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۗ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ  
الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ  
﴿٧٥﴾ قُلْ أَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۗ وَاللَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا  
تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ  
السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ۞

## غريب الكلمات:

﴿ وَمَأْوَاهُ ﴾: مَصِيرُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَصِيرُ فِيهِ؛ يُقَالُ: أَوَى إِلَى كَذَا، أَي: انضَمَّ إِلَيْهِ يَأْوِي أَوْيًّا وَمَأْوَى، وَأَضَلَّهُ: التَّجْمَعُ (١).

﴿ لَيَمَسَّنَّ ﴾: لَيُصِيبَنَّ، وَالْمَسُّ يُقَالُ فِي كُلِّ مَا يَنَالُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَدَى (٢).

﴿ صِدِّيقَةٌ ﴾: كَثُرَ مِنْهَا الصَّدُوقُ وَالتَّصَدِيقُ، وَالصَّدِيقُ يُقَالُ لِمَنْ لَا يَكْذِبُ قَطُّ، وَقِيلَ لِمَنْ لَا يَتَأْتَى مِنْهُ الْكُذْبُ؛ لِتَعَوُّدِهِ الصَّدُوقَ، وَقِيلَ لِمَنْ صَدَقَ بِقَوْلِهِ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٦/٣٢٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/١٥١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٠٣).

(٢) يُنْظَرُ: ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٦٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٨٣).



واعتقاده وحقَّق صدقه بفعله، وأصلُ (صدق) يدلُّ على قوَّة في الشيء قولاً كان أو غيره<sup>(١)</sup>.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: أي: يُصرفون عن الحقِّ، ويعدلون عنه؛ يُقال: أفلَكَ الرجلُ عن كذا: إذا عدلَّ عنه، والإفك: كلُّ مصروفٍ عن وجهه الذي يحقُّ أن يكون عليه، وأصلُ (أفك): يدلُّ على قلبِ الشيء، وصرْفه عن جهته<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا تَغْلُوا﴾: أي: لا تُجاوِزوا الحدَّ المسموحَ لكم به، ولا ترفعوا عن الحقِّ، أو لا تزيدوا ولا تُفْرِطوا فيه، والغلوُّ: الإفراطُ والزيادةُ، ومجاوزهُ الحدِّ المسموحِ به<sup>(٣)</sup>.  
﴿صَلُّوا﴾: عدلُّوا عن الطريقِ المستقيم؛ فالضَّلَالُ: خلافُ الهدى، وضياعُ الشيءِ وذهابه في غيرِ حقه<sup>(٤)</sup>.

﴿أضَلُّوا﴾: أوقعوا النَّاسَ في الضَّلَالِ<sup>(٥)</sup>.

﴿سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: أي: قصدِ الطريقِ ووسطه<sup>(٦)</sup>.

## مُشْكِلُ الإِعْرَابِ:

١ - قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٣٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٧٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١١٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٥).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦١٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٥٦) و(٦/ ٤٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٠٩).

(٥) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٤٢) و(٣/ ٣٥٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٠٩).

(٦) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٥٨)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩، ١٤٩).

﴿ مِنْ إِلَهٍ ﴾: ﴿ مِنْ ﴾ صلة في المبتدأ لوجود الشرطين، وهما كون الكلام منفياً، وتنكير المجرور بها. و﴿ إِلَهٍ ﴾ مُبتدأ مجرور لفظاً ب﴿ مِنْ ﴾، مرفوع محلاً. ﴿ إِلَّا إِلَهَ وَاحِدٍ ﴾: ﴿ إِلَهٍ ﴾ مرفوع على أنه بدلٌ من محلِّ ﴿ إِلَهٍ ﴾؛ لأنه مرفوع محلاً، مجرور لفظاً ب﴿ مِنْ ﴾ الاستغراقية، والتقدير: وما إله مُستحق للعبادة إلا إله متَّصف بالوحدانية<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾.

﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾: ﴿ غَيْرَ ﴾ منصوب، وفي نصبه أوجه؛ منها: أنه نائب عن المفعول المطلق؛ لأنه نعتٌ لمصدرٍ محذوف؛ أي: لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق. ومنها: أنه منصوب على الحال من ضمير الفاعل (واو الجماعة) في ﴿ تَغْلُوا ﴾ أي: لا تغلوا مجاوزين الحق. وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّة:

يؤكدُ الله تعالى كُفْرَ النَّصَارَى، الذين جعلوا الله تعالى هو المسيح عيسى عليه السَّلام، وقد قال المسيح عيسى لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده؛ فهو ربِّي وربُّكم؛ إنَّه مَنْ يَعْبُدُ مع الله غيره، فقد حَرَّمَ عليه الله دُخُولَ الْجَنَّةِ، ومُسْتَقَرَّهُ النار، وليس لِمَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بالشُّرْكِ من نصيرٍ يمنعه من عذابِ الله، أو يُنْقِذَهُ منه.

كما يؤكدُ سبحانه كُفْرَ الَّذِينَ زَعَمُوا من النَّصَارَى أَنَّ عيسى وأمه إلهان مع الله تعالى، فجعلوه جُلَّ وعلا ثالثهم، تعالى الله عن ذلك! فما من معبودٍ بحقٍّ سواه، ثم بيَّن سبحانه سوءَ عاقبةِ هؤلاء الضَّالِّينَ الذين قالوا ما قالوا، وإنَّه إن لم

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢٣٥)، ((التيان في إعراب القرآن)) للعكبري

(١/٤٥٣)، ((الدر المصون)) للسَّمِين الحلي (٤/٣٧٤-٣٧٥)

(٢) يُنظر: ((التيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٥٤)، ((الدر المصون)) للسَّمِين الحلي

(٤/٣٨٠)، ((المجتبى من مُشْكل إعراب القرآن)) للخراط (١/٢٤١).

يرجع هؤلاء عن هذه المقولة الكُفْرِيَّةِ، والفِرْيَةِ العَظِيمَةِ، فسيُصِيبُ الذين كفروا منهم - بتمسكهم بها - عذابٌ مؤلِمٌ مُوجِعٌ، وبعدَ هذا التَّرهيبِ الشَّدِيدِ للكافرينَ مِنَ العَذَابِ الأليمِ، فَتَحَ لهم سبْحانَه بِأَبِ رَحْمَتِهِ؛ حيثُ رَغِبَهُم في الإيْمَانِ، وَحَضَّهُم على التَّوْبَةِ والاستِغْفَارِ؛ فَإِنَّ اللهَ سبْحانَه غَفُورٌ رَحِيمٌ.

ثم بيَّن تعالى حقيقةَ المسيحِ وأُمَّه؛ فهما ليسا كما زعمَ هؤلاء الكُفْرَةُ مِنَ النَّصَّارِيِّ، بل المسيحُ هو ابنُ مريمَ، وهو رسولٌ من رُسُلِ اللهِ كسائرِ عِبَادِ اللهِ المرسلينَ الذين كانوا من قبْلِهِ، وأُمَّه صِدِّيقَةٌ، كأننا يأكلانِ الطعامَ، ويحتاجانِ للتغذية كغيرهما من بني آدمَ، فانظر - يا مُحَمَّدُ - كيفُ يُبيِّنُ اللهُ لهم الأدلَّةَ والحُججَ، ثم انظرُ كيفُ يُصَرِّفونَ عن الحقِّ، وَيَضِلُّونَ عن هذه الأدلَّةِ الواضحةِ، وَقُلْ - يا مُحَمَّدُ - لهؤلاءِ الكُفْرَةِ مِنَ النَّصَّارِيِّ مُنْكَرًا عليهم: أتعبدونَ غيرَ اللهِ ممَّن لا يَمْلِكُ لكم ضَرًّا ولا نفعًا، واللهُ هو السَّمِيعُ العَلِيمُ؟!!

وأمرَ اللهُ سبْحانَه نبيَّه أن ينهاهم عن الغلوِّ الباطلِ في دينهم، وألَّا يتَّبِعُوا أهواءَ أكابرهم ورُهبانهم الجَهْلَةِ الذين ضلُّوا من قبلُ، وأضلُّوا كثيرًا غيرهم، وانحرفوا عن الطريقِ المستقيمِ.

### تَفْسِيرُ الآيَاتِ:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا تكلَّم اللهُ عن اليهودِ في الآياتِ السَّابِقَةِ، شرَّعَ في الكلامِ هاهنا عن النَّصَّارِيِّ<sup>(١)</sup> فقال تعالى:

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٤٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٤٠٠)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٤٥٨).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

أي: لقد كفر النصارى<sup>(١)</sup> الذين جعلوا الله تعالى هو عبده ورسوله المسيح

(١) من المفسرين من ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ في طائفة من النصارى، وأن قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ في طائفة أخرى منهم. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٩/٨)، ((تفسير الثعلبي)) (٩٥/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٨١/٦ - ٢٨٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٠٤/٢).  
ورجح ابن تيمية أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى.

قال ابن تيمية: (من الناس من يظن أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم، كما ذكره طائفة من المفسرين، كابن جرير الطبري والثعلبي وغيرهما، ثم تارة يحكون عن اليعقوبية أن عيسى هو الله، وعن النسطورية أنه ابن الله، وعن المريوسية أنه ثالث ثلاثة، وتارة يحكون عن النسطورية أنه ثالث ثلاثة، وعن الملكية أنه الله، ويفسرون قولهم: ثالث ثلاثة بالأب والابن وروح القدس. والصواب أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية). ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (١١/٢).

وقال أيضاً: (وأما استدلاله بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، فهذا يسلكه طائفة من الناس، ويقولون: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ إشارة إلى أحد أقوالهم الثلاثة، وهو قول اليعاقبة القائلين بأن اللاهوت والناسوت صار جوهراً واحداً كالماء واللبن، وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى قول الملكية، وقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ إشارة إلى قول النسطورية الذين يقولون بالحلول، وهو قولهم بالأقانيم الثلاثة. وليس الأمر كما قال هؤلاء، بل ما ذكره الله تعالى هو قول النصارى جملة؛ فإنهم يقولون: إنه الله باعتبار، وإنه ابن الله باعتبار آخر، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بدليل المراد بقوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ آتَيْتُكَ قُلُوبَ النَّاسِ اتَّخَذُوا مِنِّي وَآمَنُوا بِاللَّهِ﴾ فعبدوا معه المسيح وأمه، فصارت ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار) ((درء تعارض العقل والنقل)) (٢٣٨/١٠).

وقال أيضاً: (... وعلى هذا فتكون كل آية مما ذكره الله من الأقوال تعم جميع طوائفهم، وتعم أيضاً بثلاث الأقانيم، وبالاتحاد والحلول، فتعم أصنافهم وأصناف كفرهم، ليس يختص كل آية بصنف، كما قال من يزعم ذلك، ولا تختص آية بثلاث الأقانيم، وآية بالحلول والاتحاد، بل هو سبحانه ذكر في كل آية كفرهم المشترك، ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات، وكل صفة تستلزم الأخرى؛ أنهم يقولون: المسيح هو الله، ويقولون: هو ابن الله، ويقولون: إن الله ثالث ثلاثة، حيث اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله، هذا بالاتحاد، وهذه بالحلول، وتبين بذلك إثبات ثلاثة آلهة منفصلة غير الأقانيم) ((الفتاوى الكبرى)) (٥٨٩/٦ - ٥٩٠).

عيسى ابن مريم عليه السَّلام، الذي خلقه الله عزَّ وجلَّ بشراً مثلهم معروفاً نسبُهُ وأصلُهُ<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾

والحال أن عيسى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ قد ناداهم أن اعبدوا- يا بني إسرائيل- اللهَ المستحقَّ وحده للعبادة، الذي أنا وأنتم عبيدٌ له مرئوبون؛ فهو مالِكُنَا وخالِقُنَا، ومُدبِّرُ أمورِنَا جميعاً سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾

أي: إنَّ مَنْ يَفْعَ في شَرِكِ الشُّرِكِ، فيعْبُد مع الله تعالى غيره، فحرامٌ عليه دخولُ الجَنَّةِ في الآخرة، وإتْمَا تكونُ النارُ مقامه الذي يستحقُّه، ودَارُهُ التي يَأْوِي إليها<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾

أي: وليس لِمَنْ ظَلَمَ نفسه بِشركه بالله تعالى، ولا لأيِّ ظالمٍ كان، أيِّ ناصرٍ يمنعُ عنه عذابُ الله تعالى، أو يُنْقِذُه منه<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٧/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٩٣/٢ - ١٩٤).

قال السعدي: (يُخبرُ تعالى عن كُفْرِ النَّصَارَى بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بشبهةِ أَنَّهُ خرج من أمِّ بِلَا أِبِ، وخالف المعهود من الخِلقَةِ الإلهيةِ) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٧/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٨٠/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

(١٩٣/٢ - ١٩٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٧/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٩٣/٢ - ١٩٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٧٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٥٨/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١٩٨/٢).

قال ابنُ عاشور: (وجملة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يحتمل أيضاً أن تكونَ من كلامِ المسيح عليه السَّلَامُ على احتمالٍ أن يكونَ قوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ من كلامه، ويحتمل أن =

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

أي: كفر النَّصَارَى الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَجَعَلُوا اللَّهَ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ثَالِثَهُمْ<sup>(١)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَمْ أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ثُمَّ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ هَذَا الْقَوْلَ الْبَاطِلَ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

أي: لَيْسَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مَعْبُودٌ بِحَقِّ إِلَّا مَعْبُودٌ وَاحِدٌ غَيْرٌ مُتَعَدِّدٍ، مُتَّصِفٌ بِكُلِّ صِفَةِ كَمَالٍ، مُنَزَّهٌ عَنِ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَيْسَ بِوَالِدٍ لشيءٍ، وَلَا

= تكونَ من كلام الله تعالى؛ تذييلًا لكلام المسيح على ذلك الاحتمال، أو تذييلًا لكلام الله تعالى على الاحتمال الآخر (تفسير ابن عاشور) (٦/ ٢٨١)، وينظر (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٢/ ١٩٧ - ١٩٨).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) (٨/ ٥٧٩ - ٥٨٠)، (تفسير ابن كثير) (٣/ ١٥٨)، (تفسير السعدي) (ص: ٢٤٠)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٢/ ٢٠٤).

قال ابن عثيمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ مَنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ؟ هَؤُلَاءِ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَمْ أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

قوله: ﴿إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: مَعَ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَا إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاللَّهُ صَارُوا ثَلَاثَةً؛ إِذَا ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ هُوَ: اللَّهُ، وَالْمَسِيحُ، وَأُمُّهُ، هَؤُلَاءِ هُمُ الثَّلَاثَةُ، فَسَّرَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ، وَالْقُرْآنُ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَأَمَّا مَا قِيلَ: إِنَّهُ الْابْنُ وَالْأَبُ وَرُوحُ الْقُدُسِ؛ ففِيهِ نَظَرٌ، يَعْنِي: لَا تُفَسِّرُهُ بِالْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْهُمْ، أَوْ مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الثَّلَاثَةُ (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥). وَيُنظر: (مجموع الفتاوى) لابن تيمية (٢/ ٤٤٤).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) (٢/ ٢٠٥).

مولودٍ منه، بل هو خالقُ كلِّ والدٍ ومولودٍ، سبحانه<sup>(١)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].  
وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾  
أي: وإن لم يكفَّ قائلو هذه المقالة الكُفْرِيَّةِ عن القولِ بهذه الفِريَّةِ واعتقادِها، ليُصيبنَّ من استمرَّ على كُفْرِهِ منهم - بالتمسُّكِ بها - عذابٌ مؤلِّمٌ، موجِّعٌ لقلوبِهِم وأبدانِهِم في الآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤)

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا تَوَعَّدَهُم اللهُ تعالى، أعقَبَ الوعيدَ بالترغيبِ في الهداية<sup>(٣)</sup>، فقال سبحانه:  
﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ﴾

أي: هلَّا أنابوا إلى الله تعالى، ورَجَعوا عمَّا كانوا يقولونهُ من الشُّركِ والافتراءِ، إلى ما يُحبُّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ويرضاهُ؛ من الإيمانِ به وتوحيده، والإقرارِ بأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُهُ، ويطلبون منه سبحانه المغفرة<sup>(٤)</sup>؟

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٠-٥٨١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٣-٢٨٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢١٠-٢١١).

كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي: واللَّهُ تعالى أهلٌ لأن يتوبوا إليه ويستغفروه؛ فإنَّهم إن فعلوا تابَ عليهم وغفَّرَ لهم؛ لأنَّه غفورٌ يسرُّ ذنوبَ عباده، ويتجاوزُ عن مؤاخَذَتِهِم بها. رحيمٌ بهم، ومن رحمته أن يعرض عليهم التوبةَ إليه، ويقبلها منهم<sup>(١)</sup>.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥)

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

أي: ليس الأمرُ كما قال هؤلاء الكفرةُ في المسيح عليه السلام، بل الحقُّ أنَّه ابنُ مريم التي ولدته ولادةُ الأمهات لأبنائهنَّ، كغيره من البشري، وهو لله تعالى رسولٌ مثل سائرِ عباده المرسلين، الذين كانوا قبله ثم مضوا، فهذه غايته ومبلغُ أمره، وليس هو الله ولا ابن الله، كما يزعمون<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾

أي: وأمُّ المسيح مريمٌ عليها السلام صادقةٌ، مُصدِّقةٌ بآياتِ الله، مؤمنةٌ بعباسي عليه السلام، مُصدِّقةٌ له، قد صدقت قولها بفعلها، وهذا أعلى مقاماتها<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٢، ٥٨١-٥٨٢)، ((التفسير الوسيط)) للواحدى (٢/ ٢١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢١٧-٢١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢١٨).



فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الرُّسُلِ من قبَلِهِ، وأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ؛ فكيف يتَّخِذُهُما النَّصَارَى إلهين مع الله سبحانه؟! تعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا<sup>(١)</sup>.

﴿كَانَا يَا كَلَانَ الطَّعَامِ﴾

أي: كانا محتاجين إلى التغذية بالطَّعام، وإلى خُرُوجِهِ مِنْهُمَا، كغيرِهِمَا من بني آدَمَ، وليسَا بِالْهَيْنِ كما زَعَمَ النَّصَارَى؛ إذ لو كانا كذلك حَقًّا لاسْتَعْنَيْنَا عَنِ الطَّعَامِ؛ فالْمَفْتَقَرُ إلى الغدَاءِ قِوَامُهُ بغيرِهِ، وفي قِوَامِهِ بغيرِهِ وحاجتُهُ إلى ما يُقِيمُهُ دليلٌ ظاهِرٌ على عَجْزِهِ، والعاجزُ لا يَكُونُ رَبًّا، بل مَرْبُوبٌ؛ فَإِنَّ الإلهَ الْحَقَّ مُسْتَعْنٍ عَن غَيْرِهِ، كما وَصَفَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] <sup>(٢)</sup>.

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾

أي: انظر - يا مُحَمَّدُ - نظرَ تَدْبِيرٍ وإِقْرَارٍ؛ كيف نُورِدُ لَهُوْلَاءِ الْكُفْرَةِ الْأَدْلَةَ وَالْحُجَجَ الْمَجْلِيَّةَ لِلْحَقِّ، الْمَوْضُحَةَ لِبُطْلَانِ مَا يَفْتَرُونَ عَلَى رَبِّهِمْ <sup>(٣)</sup>.

﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

أي: ثم انظر - يا مُحَمَّدُ - كَرَّةً أُخْرَى نظرَ تَعْجَبٍ وإِنْكَارٍ؛ كيف يُصْرَفُونَ عَن

= قال ابنُ القَيِّمِ: (والصِّدِّيقَةُ هِيَ كَمَالُ الْإِيْمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عِلْمًا وَتَصَدِّيقًا وَقِيَامًا؛ فَهِيَ رَاجِعَةٌ إِلَى نَفْسِ الْعِلْمِ؛ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَعْلَمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَأَكْمَلَ تَصَدِّيقًا لَهُ، كَانَ أَتَمَّ صِدِّيقِيَّةً؛ فَالصِّدِّيقِيَّةُ شَجَرَةٌ أَصُولُهَا الْعِلْمُ، وَفُرُوعُهَا التَّصَدِّيقُ، وَثَمَرُهَا الْعَمَلُ). (مفتاح دار السعادة) ((١/ ٨٠)).

قال السَّعْدِيُّ: (وَالصِّدِّيقِيَّةُ، هِيَ الْعِلْمُ النَّافِعُ الْمُثْمِرُ لِلْيَقِينِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ) ((تفسير السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٤٠).

(١) يُنظَرُ: ((تفسير السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٤٠).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) ((٨/ ٥٨٢-٥٨٣))، ((تفسير ابن كثير)) ((٣/ ١٥٩))، ((تفسير السَّعْدِيِّ))

(ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) ((٢/ ٢١٨)).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) ((٨/ ٥٨٣))، ((تفسير ابن كثير)) ((٣/ ١٥٩))، ((تفسير السَّعْدِيِّ))

(ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) ((٢/ ٢١٩)).

الْحَقُّ فَيَصْلُونَ مع هذه البراهين الجليّة التي لا تدع مجالاً للشك؟! ومن أين يتطرق إليهم الصرف عن الاعتقاد الحق، بعد هذا البيان البالغ غاية الوضوح (١)؟!

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا بَيَّنَّ تعالى بِدَلِيلِ النُّقْلِ وَالْعَقْلِ انْتِفَاءَ الْإِلَهِيَّةِ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ قَدْ تَوَعَّدَ مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُمْ لِلتَّوْبَةِ، وَطَلَبَ الْعُفْرَانَ - أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ، وَوَبَّخَهُمْ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ عَجْزُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَدَمُ اقْتِدَارِهِ عَلَى دَفْعِ أَيِّ ضَرَرٍ، وَجَلْبِ أَيِّ نَفْعٍ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ حَرِيًّا إِلَّا يَدْفَعُ عَنْكُمْ (٢)، فَقَالَ:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

أي: قل - يا محمد - منكرًا على هؤلاء الكفرة من النصارى وغيرهم: أتعبدون سوى الله - الذي يملك ضرركم ونفعكم - شيئًا لا يقدر على إلحاق أي ضرر بكم، ولا جلب أي نفع لكم (٣)؟!

﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أي: والله عز وجل هو السميع لكل شيء، ومن ذلك أقوالكم، العليم بكل شيء، ومن ذلك أعمالكم، فلم عدتكم عن إفراجه سبحانه بالألوهية، إلى تأليه من ليست هذه صفته؟! فإن الكامل الذي هذه أوصافه هو الإله الحق الذي يستحق

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٨٣/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عاشور))

(٢٨٧/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢١٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢/٢٢٤).

أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾.

أي: قل - يا محمد - لهؤلاء النصارى الذين آتاهم الله تعالى كتابًا ينطق بالحق: لا تُفِرطوا فيما تدينون به من الحق في أمر المسيح عليه السلام، ولا تُظَرُّوا هذا الذي أمرتم بتعظيمه فتبايعوا في شأنه، وتتعَدَّوا فيه الحق إلى الباطل، فتُخْرِجوه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

أي: ولا تتقادوا للأهواء المخالفة للحق الصادرة من أكابركم وزهبايكم الجهلة<sup>(٣)</sup> الذين كانوا من قبلكم<sup>(٤)</sup>، وقد ابتدعوا بدعًا بدلوا بها شرع المسيح

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٢٤ - ٢٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٨٤ - ٥٨٥)، ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٤/٣٨٤ - ٣٨٥)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٠/٥١٥ - ٥١٦)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/٣٤ - ٣٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١).

وقد اختار ابن جرير، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والسعدي: أن الخطاب في الآية للنصارى. يُنظر المصادر السابقة.

واختار ابن عاشور، وابن عثيمين: أن الخطاب هنا لليهود والنصارى، بنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٢٩).

(٣) ذهب ابن جرير إلى أن الذين ضلوا من قبل وأصلوا كثيرا هم اليهود الذين بهتوا مريم عليها السلام، وكذبوا عيسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٨٥).

وممن ذهب إلى ذلك من السلف مجاهد. بنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٨٥)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/١١٨١).

(٤) وقيل: قبل مجيء الإسلام.

عليه السلام، فحادوا عن طريق الهدى، وصرفوا عنه كثيرًا من الناس، وانحرفوا عن الصراط المستقيم<sup>(١)</sup> المعتدل، الذي ليس فيه غلو ولا تفریط<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

### الفوائد التربوية:

١- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ و﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، أنه لا يمكن قيام ولاء ولا تناصر بين أحد من أهل الكتاب هؤلاء، وبين المسلم الذي يدين بوحداية الله كما جاء بها الإسلام، ويعتقد بأن الإسلام في صورته التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم هو وحده الدين عند الله، ومن ثم يصبح الكلام عن التناصر بين أهل الأديان أمام الإلحاد كلاً ما لا مفهوم له في اعتبار الإسلام<sup>(٣)</sup>!

٢- أن إقرار الإنسان على غيره غير مقبول؛ لأنهم ادَّعوا أن الله هو المسيح، وعيسى ابن مريم أنكر ذلك، فقال: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾؛ فأنا لست إلهاً تعبدونني، بل أنا وأنتم على حدٍّ سواء، كلنا مربوبون لله عز وجل<sup>(٤)</sup>.

= قال ابن تيمية: (فذكر سبحانه أنهم أضلوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم (الجواب الصحيح)) (٤/ ٣٨٤).

قال ابن عاشور: (قد ضلوا في دينهم من قبل مجيء الإسلام) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩١). (١) وقيل: سواء السبيل: هو الإسلام.

قال ابن عاشور: (قوله: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ مقابل لقوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ﴾ فهذا ضلال آخر، فتعين أن سواء السبيل الذي ضلوا عنه هو الإسلام... أي: قد ضلوا في دينهم من قبل مجيء الإسلام، وضلوا بعد ذلك عن الإسلام) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٠ - ٢٣٣).

(٣) ينظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/ ٩٤٧).

(٤) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٩٩).

٣- الاستدلال الملزِم للخصم، وأنه ينبغي للإنسان عند المجادلة أن يتبع أوضح الأدلة وأشدّها إلزامًا للخصم؛ لقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ لم يقل: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)، قال: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إلزامًا لهم بعبادته؛ لأنهم مُفْرَوْنَ بالربوبية، وهذا كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، فقال: اعْبُدُوا رَبَّكُمْ إلزامًا لهم بالعبادة؛ لأن الله هو الذي خلقهم، وهو الذي يحكمهم فيهم ويحكم بينهم<sup>(١)</sup>.

٤- فتح باب التوبة لكل من أساء وإن عظمت إساءته؛ لقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا...﴾ الآية، فالله تعالى حكى عنهم الكفر، مع ذلك عرض عليهم أن ينتهوا عما يقولون<sup>(٢)</sup>.

٥- يُستفاد من قوله: ﴿كَانَا بِأَكْلَانِ الطَّعَامِ﴾ الاستدلال بالأوضح الأجلّي دون الأخفى؛ لأن أكلهما للطعام أمر لا يُنكر، لكن لو جيء بأدلة عقلية أخرى ربّما يكون فيها جدل، لكن الاستدلال بالمحسوس أبلغ من الاستدلال بالمعقول؛ لأن المعقول يمكن فيه الجدل، لكن المحسوس لا يمكن فيه الجدل<sup>(٣)</sup>.

٦- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾، إذا نهي أهل الكتاب عن الغلو، والغلو في ذاته مفسدة، فكذلك ينهى غيرهم؛ ولهذا حدّر النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو في الدين، وحدّر من الغلو فيه نفسه<sup>(٤)</sup>.

٧- أن الذي يحيل الإنسان على الضلال هو الهوى، وإلا لو كان الإنسان

(١) ينظر: (تفسير ابن عادل) ((٤٥٨/٧))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٠٠/٢)).

(٢) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٠٩/٢)).

(٣) ينظر: (تفسير ابن عادل) ((٤٦٣/٧))، (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا (٤٠٣/٦)، (تفسير

ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٢١/٢)).

(٤) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٣١/٢)).

يقول بالعدل، ويحكم بالقسط، ما ضلَّ عن الصراط المستقيم، لكن يغلبه هواه حتى يضلَّ؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾، ثم بيَّن ضلالهم بقوله: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ...﴾ جاء مؤكداً بثلاثة مؤكّدات: القسم المقدّر، واللام، و(قَدْ)، على عادة اللسان العربيّ في تأكيد ما يستحقّ التأكيد، وإلاّ فخبرُ الله عزَّ وجلَّ حقٌّ، ثم إنَّ هذا أيضاً، أي: قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ﴾ ليس خبراً مجرداً، بل هو خبرٌ وحكمٌ؛ فقد حكّم عليهم بالكفر؛ لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فهو مؤكّد؛ لئلاّ يُعارض معارضٌ فيقول: ليس هذا بكفر<sup>(٢)</sup>.

٢- أن أحكام القرآن الكريم يُؤتى بها غالباً بحكم عامّ منوط بالعلّة، بمعنى: لو شاء الله تعالى لقال: لقد كفر النصارى، لكنّه قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سواء كانوا من بني إسرائيل الذين هم النصارى أو من غيرهم<sup>(٣)</sup>.

٣- أنه لا كفر إلا بعد قيام الحجّة بناءً على أن الواو في قوله: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ حالية، يعني: أنهم كفروا، وقد بيّن لهم الأمر<sup>(٤)</sup>.

٤- لما كانت دعوى الاتحاد أشدّ في الكفر، وأنفى للإله من دعوى التثليث، قدّمها الله تعالى، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾،

(١) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢٣٢/٢)).

(٢) ينظر: (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا (٤٠١/٦)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٩٣/٢)).

(٣) ينظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((١٩٨/٢)).

(٤) ينظر: (المصدر السابق) ((١٩٩/٢)).

ثم قال بعدها في الآية التالية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٥- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أمر المسيح لهم بأداء الحق لأهله مُذَكِّرًا لهم بعظمته بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ثم ذكّرهم بإحسانه، وأنه وإياهم في ذلك سواء، فقال مقدّمًا لِمَا يتعلّق به؛ لأنّه أهمُّ لإنكارهم له ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- يُستفاد من قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إقامة الحجّة على أهل الشُّرك؛ حيثُ أشركوا بالله مع أنّه ربُّهم، وأنّ الأصنام ليس لها شأنٌ في الربوبية إطلاقاً؛ فهي لا تسمع ولا تُبصر، ولا تنفع ولا تضر، كما قال تعالى: ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾<sup>(٣)</sup> [النحل: ٢١].

٧- أنّه لا حظّ لعيسى في الألوهية والربوبية، ولا حقّ له فيهما؛ لقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هذا في الألوهية ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وهذا في الربوبية، وكذلك غيره من الرسل وغيره من الناس، وبهذا نعرف ضلال أولئك القوم الذين يدعون أنّ أولياءهم هم الذين يُدبّرون الكون، وهم الذين يُصرّفونه، وأنهم على ضلالٍ مبين<sup>(٤)</sup>.

٨- قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ذكر العبادة ثم ذكر الربوبية؛ إشارةً إلى أنّ الربوبية تستلزم الألوهية، أي: إنّ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فمن أقرّ لله عزّ وجلّ بالربوبية لزمه أن يُقرّ بالعبادة؛ لأنّ الربّ يجب أن يكون

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٤٧/٦) هنا على قول بعض المفسرين أنّ كلّ آية في طائفة من النصارى.

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٤٧/٦).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٠٠).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

معبوداً؛ لأنَّ له الأمرَ وله الحكم، فإذا كان كذلك يجبُ أن يُعبَدَ كما شرع<sup>(١)</sup>.

٩- يُستفادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أَنَّ عِقَابَ الْفُسَّاقِ لَا يَكُونُ مَخْلُودًا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ فِي حَقِّ الْمَشْرِكِينَ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُمُ النَّارَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ نَاصِرٌ يَنْصُرُهُمْ، وَلَا شَافِعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَلَوْ كَانَ حَالُ الْفُسَّاقِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ لَمَا بَقِيَ لِتَهْدِيدِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى شُرَكَهِمْ بِهَذَا الْوَعِيدِ فَائِدَةٌ<sup>(٢)</sup>.

١٠- أَنَّهُ لَا مَأْوَى لِلخَلْقِ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الْجَنَّةَ، وَإِمَّا النَّارَ، لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ وَسَطٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾<sup>(٣)</sup>.

١١- لَمَّا كَانَ الْمَنْعُ مِنْ دَارِ السُّعْدَاءِ مُفْهِمًا لِكُونِهِ فِي دَارِ الْأَشْقِيَاءِ، صرَّحَ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَمَاوَاهُ﴾، أَي: مَحَلُّ سُكْنَاهُ ﴿النَّارُ﴾، وَلَمَّا جَرَتْ عَادَةُ الدُّنْيَا بِأَنَّ مَنْ نَزَلَ بِهِ ضِيمٌ يَسْعَى فِي الْخَلَاصِ مِنْهُ بِأَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ، نَقَى ذَلِكَ سُبْحَانَهُ مُظْهِرًا لِلْوَصْفِ الْمُقْتَضِي لِشَقَائِهِمْ تَعْلِيلًا وَتَعْمِيمًا، فَقَالَ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ لَا بِفِدَاءٍ وَلَا بِشَفَاعَةٍ<sup>(٤)</sup>.

١٢- الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الشُّرْكَ ظَلَمٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>. [لقمان: ١٣].

١٣- فَائِدَةٌ جَمَعَ الْأَنْصَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾- مَعَ كَوْنِ

(١) ينظر: (تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة) ((١٩٦/٢)).

(٢) ينظر: (تفسير ابن عادل) ((٤٥٨/٧)).

(٣) ينظر: (تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة) ((٢٠١/٢)).

(٤) ينظر: (نظم الدرر) للبقاعي ((٢٤٩/٦)).

(٥) ينظر: (تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة) ((٢٠٣/٢)).



التَّكْرَةَ المفردة تُفيدُ العمومَ في سياقِ النفي - هي التَّنبِيهُ على كونِ النَّصَارَى كانوا يَتَكَلَّمُونَ على كثيرٍ مِنَ الرُّسُلِ وَالْقَدِيسِينَ؛ إذ كانت وثنية الشَّفَاعَةِ قد فَشَتْ فيهم، وَإِنْ لم تَكُنْ من أصلِ دِينِهِمْ<sup>(١)</sup>.

١٤ - أَنْ الظَّالِمِينَ لا ناصِرَ لَهُمْ؛ لقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، و(من) هنا حرفٌ جرٌّ جاء لإفادة العموم والتوكيد؛ فَإِنْ قال قائل: كيف يَسْتَقِيمُ هذا النفي المؤكَّد مع أَنَّ الكفَّارَ قد يُنصرون، والمشرِكين قد يُنصرون؟ الجواب: أَنَّ هذا نصرٌ مؤقتٌ؛ لبيتلي اللهُ به المؤمنين، وليس نصرًا دائمًا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ولا يُمكن أن يتناصرَ الكفَّارُ في دفعِ العذاب عنهم يومَ القيامة، وحينئذٍ فلا إشكال<sup>(٢)</sup>.

١٥ - أَبطلَ اللهُ قولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾، وهذا خبرٌ من أصدقِ المخبرين، خبرٌ مؤكَّد بحرفِ الجرِّ الزائدِ وبالْحَصْرِ، وطريقُ الحصرِ النفي والإثبات، وهذا الحصرُ مؤكَّد بـ«من» الزائدة، وكلُّ الحروفِ الزائدة مؤكَّدة<sup>(٣)</sup>.

١٦ - إثباتُ عَذَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ لا يُعَذَّبُ إِلَّا مَنْ استمرَّ على كُفْرِهِ ومعصيته؛ لقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٧ - التَّحذِيرُ البليغُ من الاستمرارِ على الكفرِ والشُّركِ، وَأَنَّ مَنْ استمرَّ عليه

(١) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٤٠٠).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٠٣).

(٣) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٤٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٤٠١)،

((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٠٥).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٠٩).

فله العذاب الأليم؛ لقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

١٨- في قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بيان لطف الله تعالى بعباده؛ حيث صدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين؛ فمع هذه الفرية العظمى والوقوع في جناب الله جلّ وعلا بهذا الأمر الهائل العظيم، فالله مع هذا يستعطفهم ويتلطّف بهم للتوبة أحسن استعطاف وألطفه<sup>(٢)</sup>.

١٩- في قوله تعالى: ﴿... وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ استدلال على فساد قول النصارى بألوهية عيسى وأمه، وبيانه من وجهين: الأول: أن عيسى عليه السلام له أم، وكل من له أم فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً، والثاني: أن عيسى وأمه كانا محتاجين إلى الطعام، والإله الحق غني عن جميع الأشياء<sup>(٣)</sup>.

٢٠- مما يستفاد من قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ أن الهوى لا يكاد يذكر إلا في موضع الشر، فلا يكاد يقال: فلان يهوى الخير، إنما يقال: يريد الخير ويحبّه، وقيل: سُمّي الهوى هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه إلى النار<sup>(٤)</sup>.

٢١- قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا﴾ فيه الرد على الجبرية الذين قالوا: إن ضلال الإنسان لا ينسب إليه، وإنه مجبور عليه، ولا اختيار له فيه؛ لأن الآية صريحة بأنهم ضلُّوا وأضلُّوا<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٠٩).

(٢) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (١/٤١٨)، ((العذب النмир)) للشقيطي (١/٣٤٠-٣٤١).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٠٩، ٤١٠).

(٤) ينظر: ((تفسير الشربيني)) للبقاعي (١/٣٩٠).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٣٢).

٢٢- إثبات الأسباب؛ لقوله: ﴿وَأَصْلُوا﴾ فَإِنَّ هَذَا إِضْلَالٌ لَيْسَ عَنْ قُوَّةٍ وَإِجْبَارٍ وَإِكْرَاهٍ، لَكِنَّهُ عَنْ سَبَبٍ، يُزَيِّنُونَ بِهِ الْبَاطِلَ حَتَّى يُضِلُّوا بِهِ غَيْرَهُمْ<sup>(١)</sup>.

٢٣- أَنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ وَسَطٌ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ؛ لقوله: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، أَي: عَنْ مُسْتَقِيمِ السَّبِيلِ، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ غُلُوٌّ وَلَا تَفْرِيطٌ<sup>(٢)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ، وفيه: شروعٌ في تفصيلِ قبائحِ النَّصَارَى، وإبطالِ أقوالهم الفاسدةِ بعدَ تفصيلِ قبائحِ اليهودِ<sup>(٣)</sup>.

٢- قوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ على القولِ بأنَّ هذه الجملةُ حكايةٌ لكلامِ صدرٍ من عيسى عليه السَّلام، فتكون تعليلًا للأمرِ بعبادةِ الله، ووقوعِ ﴿إِنَّ﴾ في مثلِ هذا المقامِ تُغني عناءَ فاءِ التَّفْرِيعِ، وتُفِيدُ التَّعْلِيلَ، وفي حكايته تَعْرِيفٌ بأنَّ قولهم ذلك قد أوقعهم في الشُّرْكِ، وإن كانوا يظنون أنَّهم اجتنبوه؛ حذرًا من الوقوعِ فيما حذر منه المَسِيحُ؛ لأنَّ الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾ أرادوا الاتِّحَادَ بِاللَّهِ، وأَنَّهُ هُوَ هُوَ. وعلى القولِ بأنَّ الجملةَ من كلامِ الله تعالى فهو تذييلٌ لإثباتِ كُفْرِهِمْ، وزيادةٌ تنبيهٍ على بطلانِ معتقدِهِمْ، وتَعْرِيفٌ بِهِمْ بأنَّهم قد أشركوا باللهِ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا التَّوْحِيدَ، والضميرُ المقترنُ بِ(إِنَّ) ضميرُ الشَّانِ يَدُلُّ عَلَى الْعِنَايَةِ بِالْخَيْرِ الْوَارِدِ بَعْدَهُ<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾: خبرٌ، المرادُ منه

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٣).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٠ - ٢٨١).

الوعيدُ والتهديدُ، وهذا من بابِ التحذير؛ فالجُملةُ هنا استثنائيةٌ للتحذير<sup>(١)</sup>.

- وفيه: إظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿اللَّهُ﴾ في مقامِ الإضمارِ؛ لتحويلِ الأمرِ، وتربيةِ المهابةِ<sup>(٢)</sup>.

٤- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

- قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فيه: تأكيدٌ أنه لا يكونُ إلهٌ في الوجودِ مستحقٌ للعبادةِ إلا إلهٌ واحدٌ موصوفٌ بالوحدانيةِ، مُتعالٍ عن قبولِ الشِّرْكةِ، وأكد ذلك بزيادةِ ﴿مِنْ﴾ الاستغراقيةِ التي تُؤكِّدُ عمومَ التَّنْفِي<sup>(٣)</sup>، وحَصْرِ إلهيتهِ - بأداتيِ الحَصْرِ (ما) و(إلا) - في صفةِ الوحدانيةِ؛ فانتفى التثليثُ المحكيُّ عنهم<sup>(٤)</sup>.

- وعبرَ بالمضارعِ في قوله: ﴿يَنْتَهُوا﴾؛ لأنه المناسبُ للانتهاءِ؛ إذ الانتهاءُ إنما يكونُ عن شيءٍ مستمرٍّ، وناسبَ التعبيرُ بالماضي في قوله ﴿قَالُوا﴾ مع قوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾؛ لأنَّ الكُفْرَ حصلَ بقولهم ذلك ابتداءً من الزمنِ الماضي<sup>(٥)</sup>.

- وأكد الوعيدَ بلامِ القَسَمِ في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ...﴾؛ ردًّا لاعتقادهم أنَّهم لا تمسُّهم النارُ؛ لأنَّ صَلْبَ عيسى كان كفارةً عن خطايا بني آدم<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/١٩٧).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٦٦).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٢٣٠).

(٤) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٦٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٣٠)، ((تفسير ابن عاشور))

(٢٨٢-٢٨٣).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٨٣).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)).

- وفي قوله: ﴿لَيْمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ إقامة الظاهر مقام المضمَر - حيث لم يُقَل: (وليمسّهم) - وفائدته: تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾، وفيه فائدة أخرى، وهي: الإعلام أنّهم بمكانٍ من الكفر، أي: ليمسّن الذين كفروا من النَّصارى خاصّة نوعٌ شديد الألم من العذاب<sup>(١)</sup>.

٥ - قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ الاستفهام فيه؛ قيل: معناه الإنكار والتعجب من إصرارهم؛ كيف لا يتوبون ويستغفرون من هذه المقالة الشنعاء!؟ والإنكار هنا إنكارٌ للواقع منهم لا إنكارٌ للواقع؛ فمدارُ الإنكار والتعجب عدمُ الانتهاء، وعدمُ التوبة معاً. وقيل: معنى هذا الاستفهام الأمر والتحريض؛ لأنَّ المفهوم من الصيغة طلبُ التوبة والحثُّ عليها، فمعناه: تُوبوا إلى الله واستغفروه من ذنبيكم<sup>(٢)</sup>.

٦ - قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ جملةٌ حاليةٌ من فاعلٍ ﴿يَسْتَغْفِرُونَهُ﴾، وهي مؤكدةٌ للإنكار والتعجب من إصرارهم على الكفر، وعدمِ مُسارعتهم إلى الاستغفار، أي: والحالُ أنّه تعالى مبالغٌ في المغفرة، فيغفرُ لهم عندَ استغفارهم، ويمنحهم من فضله؛ فكيف لا تُوجدُ التوبة من هذا الذنب، وطلبُ المغفرة، والمسؤولُ منه ذلك مُتَّصِفٌ بالغفرانِ التام، والرحمةُ الواسعةُ لهؤلاء وغيرهم<sup>(٣)</sup>!

٧ - قوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ استئنافٌ لتبيانِ وصفِ المسيح

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٦٣)، ((تفسير الفاسمي)) (٤/٢١٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٨٢ - ٢٨٣).

(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٦٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٣١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٣٧٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٦٧).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٣١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٨٤).

في نفس الأمر، ووصف أمه؛ زيادةً في إبطال معتقد النصارى إلهية المسيح، وإلهية أمه<sup>(١)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ جاء قوله: ﴿صِدِّيقَةٌ﴾ على بناءٍ من أبنية المبالغة (فِعْلٍ)؛ للدلالة على مبالغتها في الصدق والتصدق<sup>(٢)</sup>.

٩- قوله: ﴿كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قيل: فيه كناية حسنة؛ حيث كنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام، وقصد من ذلك أنهم - صلوات الله عليهما - بشر، فافتى يذكر أكل الطعام عن كل هذا؛ لأنهما منه مُسَيَّانٍ؛ إذ لا بد للاكل منهما، لكن استقبح في المخاطب ذكر الغائط فكنى به عنه؛ تهذيماً وتصوناً، وهذا من غريب الكنايات في اللغة العربية، وفيها أيضاً تشنيع وبشاعة على من اتخذهما آلهة<sup>(٣)</sup>. وقيل: بل هو على حقيقته، ويكفي حاجتهما إلى الطعام دلالة على بشريتهما؛ إذ هذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس بآله؛ فلا حاجة إلى الكناية<sup>(٤)</sup>.

١٠- قوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

- الجملة استئنافٌ للتعجب من حال الذين ادَّعَوْا الإلهية لعيسى عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

- والتكرير في قوله: ﴿ثُمَّ انظُرْ﴾ بعد قوله: ﴿انظُرْ﴾؛ للدلالة على الاهتمام بالنظر والتدبر، وإن اختلفت النظرتان؛ فالأولى متعلقة بكيفية إيضاح الله لخلقه الآيات، والثانية متعلقة بانصرافهم عنها، وصدوفهم عن التأمل في مراميها وأهدافها؛ إذ تكرير الأمر بالنظر للمبالغة في التعجب، و﴿ثُمَّ﴾

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٥).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٦).

(٣) ينظر: ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي

الدين درويش (٢/ ٥٣٤-٥٣٥).

(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٩-٤١٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٣).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٧).

لإظهار ما بين العجيبين من التفاوت، أي: إن بيانتنا للآيات أمرٌ بديعٌ في بابه،  
بالغٌ لأقصى الغاياتِ القاصية من التحقيق والإيضاح، وإعراضهم عنها-  
مع انتفاء ما يُصحِّحه بالمرّة، وتعاضد ما يُوجب قبولها- أعجبٌ وأبدعٌ<sup>(١)</sup>.

١١- قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فيه:  
استفهامٌ غرضه التوبيخ والإنكار؛ فإنه لَمَّا بَيَّنَّ تعالى انتفاء الإلهية عن عيسى،  
وكان قد توعدَّهم، ثم استدعاهم للتوبة وطلب الغفران- أنكر عليهم، ووبَّخهم  
من وجهٍ آخر، وهو عجزه وعدم اقتداره على دفع أيِّ ضررٍ، وجلب أيِّ نفعٍ، وأنَّ  
مَنْ كان لا يدفع عن نفسه حربيًّا ألا يدفع عنكم<sup>(٢)</sup>.

- وتقديم قوله تعالى: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ على قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ للاهتمام بالمقدم، والتشويق إلى المؤخر، والاسم الموصول  
﴿مَا﴾ عبارة عن عيسى عليه السلام، وإثاره على كلمة ﴿مَنْ﴾؛ لتحقيق ما  
هو المراد من كونه بمعزلٍ من الألوهية رأسًا ببيان انتظامه عليه السلام في  
سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيءٍ أصلاً، وهو عليه السلام وإن كان  
يملك ذلك بتملكه تعالى إياه، لكنّه لا يملكه من ذاته، ولا يملك مثل ما يضرُّ  
به الله تعالى من البلايا والمصائب، وما ينفع به من الصحة والسعة<sup>(٣)</sup>.

- وتقديم الضرِّ على النفع في قوله: ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ من باب تقديم  
الأهم؛ لأنَّ التحرُّزَ عنه أهمُّ من تحري النفع، ولأنَّ أذنى درجات التأثيرِ دفعُ  
الشرِّ، ثم جلبُ الخير<sup>(٤)</sup>.

١٢- قوله: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ حالٌ من فاعل ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ وفيه

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٨/٣)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحي الدين درويش (٥٣٥/٢).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٣٤/٤).

(٣) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٣٩/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦٨/٣).

(٤) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٣٨/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦٨/٣).

تأكيداً للإنكار والتوبيخ، وتقريباً للإلزام والتبكيث، والرابط هو الواو، أي: تُشركون بالله تعالى ما لا يقدرُ على شيءٍ من ضرركم وتفعيكم، والحال أن الله تعالى هو المختصُّ بالإحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات، التي من جملتها ما أنتم عليه من الأقوال الباطلة، والعقائد الزائفة، والأعمال السيئة، وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات، التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

١٣ - قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

- فيه تلوينُ الخطاب وتوجيهٌ له إلى أهل الكتاب بطريق الالتفات على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد إبطال مسالكهم؛ للمبالغة في رجزهم عمّا سلكوه من المسلك الباطل، وإرشادهم إلى الطريق الحق الذي يرضي الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

- وتنكيرٌ ﴿قَوْمٍ﴾ تحقيراً لهم<sup>(٣)</sup>.

- وفيه تكرارٌ وصف أهل الكتاب بالضلال؛ وأنهم ضلُّوا قديماً في دينهم من قبل مجيء الإسلام، وأضلُّوا كثيراً من أتباعهم، ثم أكد ذلك بتكرار قوله: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، وأنهم ضلُّوا بعد ذلك عن الإسلام<sup>(٤)</sup>.



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٨/٣).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٢٣٦/٤).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٣٥/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٩٠/٦).



## الآيات (٧٨ - ٨١)

﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

## مشكل الإعراب:

قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

﴿أَنْ سَخِطَ﴾: ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ناصب، و﴿سَخِطَ﴾: فعل ماضٍ تعلق به الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾، و﴿أَنْ سَخِطَ﴾: مصدر مؤول، ومحلُّه الرفع على أنه مبتدأ مؤخر، وخبره المقدم جملة الفعل الجامد (بئس)، والتقدير: سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ. وقيل: ﴿أَنْ سَخِطَ﴾: مصدر مؤول في محلِّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، والتقدير: بِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ هُوَ سَخِطَ اللَّهُ. وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup>.

## المعنى الإجمالي:

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ لَعَنَ كَفَّارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَن طَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّينَ كَرِيمِينَ؛ هُمَا دَاوُدُ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ لِخَالِقِهِمْ، وَاعْتِدَائِهِمْ عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ، ثُمَّ فَسَّرَ سَبْحَانَهُ عِصْيَانَهُمْ وَعُدُوَانَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

(١) يُنظَرُ: ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٥٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي

(٤/٣٨٦-٣٨٤)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٧٢).

لا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبِّقَاتِ، لِبَيْسَ فِعْلًا تَرَكُّهُمْ التَّنَاهِي عَنِ الْمَعَاصِي.

ثُمَّ يَحْكِي اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانَ يَقُومُ بِهِ الْيَهُودُ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ مِنْ تَحَالُفٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَى كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ يُؤَالُونَ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَلِبَيْسَ الشَّيْءِ الَّذِي قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ لِيَوْمِ الْمَعَادِ هُوَ مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ سَخَطَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ، وَفِي عَذَابِ جَهَنَّمَ هُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى حَقًّا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَا وَالُّوا الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

### تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨).

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُمْ ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾، دَلَّلَ عَلَى ذَلِكَ بَلْعَنُهُمْ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾.

أَي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ طَرَدَ كُفَّارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ رَحْمَتِهِ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ دَاوُدَ وَعِيسَى عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٩٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٨٦، ٥٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٣٤).

أي: إِنَّ ذَلِكَ اللَّعْنَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ عَصِيَانِهِمْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَظَلْمِهِمْ لِعِبَادِهِ<sup>(١)</sup>.  
ثم بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى حَالَهُمْ فِي مَا كَانُوا يَعْتَمِدُونَهُ فِي زَمَانِهِمْ، مِنْ عُدْوَانٍ وَمَعَاصِي  
أَحَلَّتْ بِهِمُ الْمُثَلَّاتِ، وَأَوْقَعَتْ بِهِمُ الْعُقُوبَاتِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾.

أي: كَانَ لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ رُكُوبِ الْمَعَاصِي وَارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ<sup>(٣)</sup>.  
﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

أي: وَاللَّهُ بِئْسَ الشَّيْءُ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَهُ، وَهُوَ تَرْكُهُمُ النَّهْيَ عَنِ مَعَاصِي  
اللَّهِ تَعَالَى<sup>(٤)</sup>.

﴿نَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)﴾.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٩١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٦٠/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٣٤/٢ - ٢٣٥).

وَمَمَّنْ جَعَلَ الْإِشَارَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى اللَّعْنِ: ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي ((تفسيره)) (٢٢٤/٢)،

وَالْقُرْطُبِيُّ فِي ((تفسيره)) (٢٥٣/٦)، وَابْنُ عَاشُورٍ فِي ((تفسيره)) (٢٩٢/٦)، وَابْنُ عَثِيمِينَ

فِي ((تفسير سورة المائدة)) (٢٣٤/٢ - ٢٣٥).

وَمَمَّنْ جَعَلَ الْإِشَارَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى الْكُفْرِ وَاللَّعْنِ مَعًا: السَّعْدِيُّ فِي ((تفسيره))

(ص: ٢٤١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٦٠/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢٣٥/٢).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٦٠/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢٣٥/٢ - ٢٣٦).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٦٠/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٩٤/٦)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢٣٦/٢).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَسْلَافَهُمْ بِمَا تَقَدَّمَ بِأَنَّهُمْ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُفْرَوْنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَدَلَّلَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْرِ ظَاهِرٍ مِنْهُمْ، فَوَصَفَ الْحَاضِرِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الْكُفَّارَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أي: ترى - يا مُحَمَّدُ<sup>(٢)</sup> - كثيرًا من اليهود يتخذون الكفار والمشركين أولياء لهم<sup>(٣)</sup>.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

أي: والللهِ بِئْسَ الشَّيْءُ الَّذِي قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ لِمَعَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، بِمَوَالِيَتِهِمُ الْكَافِرِينَ وَالْمَشْرِكِينَ، وَهُوَ سَخِطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ سَخِطًا مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ الَّذِي يَتَّقِلُونَ فِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (٤١٢/١٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٦٦/٦).

(٢) قال ابن عطية: (وقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿تَرَى كَثِيرًا﴾ يحتمل أن يكون رؤية قلب، وعلى هذا فيحتمل أن يريد من الأسلاف المذكورين، أي: ترى الآن إذا خبرناك، ويحتمل أن يريد من معاصري محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان يرى ذلك من أمورهم ودلائل حالهم، ويحتمل أن تكون الرؤية رؤية عين، فلا يريد إلا معاصري محمد صلى الله عليه وسلم) ((تفسير ابن عطية)) (٢٢٤/٢). وينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٤٤/٢).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٩٢/٨)، ((تفسير القرطبي)) (٢٥٤/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٤٤/٢ - ٢٤٥).

قال ابن عثيمين: (ومن هؤلاء اليهود حينما ساعدوا فرشنا عام غزوة الأحزاب؛ فإنهم تولوا الذين كفروا وساعدوهم وعاونوهم، ومن هذا تولي اليهود للنصارى في وقتنا الحاضر، هذا إذا قلنا: إن «ترى» عامة؛ لأن النصارى من الذين كفروا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ٦]، وهذا بيان للذين كفروا) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٤٥/٢).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٩٢/٨)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٩٥/٦)، ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (٢١٧/٢ - ٢١٨).

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨١).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا كَانَ تَوَلَّيْتَهُمُ الْكُفَّارَ قَدْ يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى كُفْرِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَكَّدَ ذَلِكَ الْكُفْرَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ.....﴾<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ الْيَهُودَ بِأَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الْكُفَّارَ وَعِبْدَةَ الْأَوْثَانِ - عَقَّبَ ذَلِكَ بِعَلَّةِ هَذِهِ الْمَوَالَاةِ، وَهِيَ: أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ، وَأَنَّ كَثْرَتَهُمْ فَاسِقَةٌ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

أَي: وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ آمَنُوا حَقًّا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، لَمَّا جَعَلُوا الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ يُوجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مَوَالَاةَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَأَوْلِيَاءَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبُغْضَ أَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ وَمَعَادَاتِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

أَي: وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلَ خُرُوجٍ عَنِ الْإِيمَانِ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ إِلَى الْكُفْرِ بِهِ، وَعَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَعْصِيَتِهِ سُبْحَانَهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((نَظْمُ الدَّرَجَاتِ)) لِلْبِقَاعِيِّ (٦/٢٦٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ)) لِسَيِّدِ قَطِبِ (٢/٩٥٢).

(٣) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ)) (٨/٥٩٣)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (٣/١٦٥)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ))

(ص: ٢٤١)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٢/٢٥١ - ٢٥٢).

(٤) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ)) (٨/٥٩٣)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (٣/١٦٥)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ))

(ص: ٢٤١)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَاشُورٍ)) (٦/٢٩٦)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٢/٢٥٢).

## الفوائد التربويّة:

١- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أَنَّ السُّكُوتَ عَنِ الْمُنْكَرِ مَعَ الْقُدْرَةِ مُوجِبٌ لِلْعُقُوبَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي مِنْهَا:

أولاً: أَنَّ مَجْرَدَ السُّكُوتِ فِعْلٌ مَعْصِيَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَبَاشِرْهَا السَّاكِتُ؛ فَإِنَّهُ - كَمَا يَجِبُ اجْتِنَابُ الْمَعْصِيَةِ - يَجِبُ الْإِنْكَارُ عَلَى مَنْ فَعَلَ الْمَعْصِيَةَ، وَعَدَمُ الْإِنْكَارِ يَدُلُّ عَلَى التَّهَاقُوتِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقِلَّةِ الْاِكْتِرَافِ بِهَا.

ثانياً: أَنَّ ذَلِكَ يُجَرِّئُ الْعَصَاةَ وَالْفَسَقَةَ عَلَى الْإِكْتِرَافِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِذَا لَمْ يُرَدِّعُوا عَنْهَا، فَيَزِدَادُ الشَّرَّ، وَتَعْظُمُ الْمَصِيبَةُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ، وَيَكُونُ لَهُمُ الشُّوْكَةُ وَالظُّهُورُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَضْعُفُ أَهْلُ الْخَيْرِ عَنِ مُقَاوَمَةِ أَهْلِ الشَّرِّ؛ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا عَلَى مَا كَانُوا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ أَوَّلًا.

ثالثاً: أَنَّ فِي تَرْكِ الْإِنْكَارِ لِلْمُنْكَرِ انْدِرَاسَ الْعِلْمِ، وَكَثْرَةَ الْجَهْلِ؛ فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ - مَعَ تَكَرُّرِهَا وَصُدُورِهَا مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ، وَعَدَمِ إِنْكَارِ أَهْلِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ لَهَا - يُظَنُّ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَعْصِيَةٍ، وَرَبَّمَا ظَنَّ الْجَاهِلُ أَنَّهَا عِبَادَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ، وَأَيُّ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمُ مِنْ اعْتِقَادِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ حَلَالًا، وَانْقِلَابِ الْحَقَائِقِ عَلَى النَّفُوسِ، وَرُؤْيَةِ الْبَاطِلِ حَقًّا؟!

رابعاً: أَنَّ السُّكُوتَ عَلَى مَعْصِيَةِ الْعَاصِينَ، رَبَّمَا يُزَيِّنُ الْمَعْصِيَةَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَيَقْتَدِي بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ؛ فَالْإِنْسَانُ مُوَلَّعٌ بِالْاِقْتِدَاءِ بِأَصْرَابِهِ وَبَنِي جَنَسِهِ<sup>(١)</sup>.  
٢- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ أَوْجِبِ وَاجِبَاتِ الْمُسْلِمِ فِي مَجْتَمَعِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١).

(٢) ينظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٩٤٩).

٣- التَّحْذِيرُ من موالاة الكافرين؛ لقوله: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ...﴾، وموالاة الكافرين أنواع كثيرة، منها ما يصل إلى الكُفْرِ، ومنها ما هو دون ذلك<sup>(١)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- أن تَرَكَ التَّنَاهِي عن المنكر سببٌ لِلْعِنَةِ لِلَّهِ لِلْعَبْدِ وَطَرْدِهِ وَإِبْعَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ، والعياذُ بِاللَّهِ؛ لقوله: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- في قوله تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ تاريخَ بني إسرائيل في الكُفْرِ والمعصية واللَّعْنَةِ عَرِيقٌ<sup>(٣)</sup>.

٣- قال تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قد تَقَرَّرَ في غير موضعٍ مِنَ الْقُرْآنِ مَا جَرَى فِي مُدَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ كُفْرِ بَعْضِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُمْ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَشَاهِدًا فِي وَقْتِ نُزُولِ الْقُرْآنِ، فَحَصَّصَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَاوُدَ وَعِيسَى؛ إِعْلَامًا بِأَنَّهُمْ لُعِنُوا فِي الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ لُعِنُوا عَلَى لِسَانِ غَيْرِ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>.

٤- أنَّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ هُوَ كَافِرٌ،

= قال ابن عطية: (والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطأقه، ونهى بمعروف وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعدد على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه، ففرض عليه الإنكار بقلبه، وأن لا يُخالط ذا المنكر) (تفسير ابن عطية) ((٢/٢٢٤)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢/٢٤٧)).

(٢) يُنظر: (تفسير الشريبي) ((١/٣٩٠))، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢/٢٣٨)).

(٣) ينظر: (في ظلال القرآن لسيد قطب) ((٢/٩٤٧)).

(٤) يُنظر: (تفسير ابن عطية) ((٢/٢٢٣)).

ومنهم مَنْ هو مؤمنٌ؛ لقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهذا هو الواقع؛ فإنَّ منهم مؤمنين، كالحواريين لعيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام، وكالقوم الذين اختارهم موسى سبعين رجلاً، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

٥- أن الله سبحانه وتعالى لا يظلمُ الناسَ شيئاً، وأنه لا يُعاقبُ أحداً بعقوبةٍ إلا بذنبٍ؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٦- يُستفادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ الإخبارُ بِفُشُوِّ المنكراتِ فيهم، وانتشارِ مَفسدِهَا بينهم؛ لأنَّ وجودَ العِلَّةِ يقتضي وجودَ المعلولِ، ولولا استمرارُ وقوعِ المنكراتِ لَمَا صحَّ أن يكونَ تركُ التناهي شأناً من شؤونِ القومِ، ودأباً من دُؤوبِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

٧- قال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أطلَقَ على تركِ التناهي لفظَ الفِعلِ في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ مع أَنَّهُ تَرَكَ؛ لأنَّ السُّكُوتَ على المنكرِ لا يخلو من إظهارِ الرِّضا به والمشاركةِ فيه<sup>(٤)</sup>، وعلى القولِ بأنَّ التَرَكَ فعلٌ، فلا يحتاجُ لهذا التَّوجِيهِ.

٨- في قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ما يدلُّ على سُوءِ ما عليه بعضُ المسلمين في إعراضِهِمْ عن بابِ التَّناهي عن المناكِبِ، وقِلَّةِ اهتمامِهِمْ به؛ كأنَّه ليسَ مِنْ مِلَّةِ الإسلامِ في شيءٍ مَعَ ما يَتَلَوْنَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وما فيه مِنَ المبالغاتِ في بابِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٣٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٦٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/٤٠٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٩٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٦٧).



٩- الردُّ على الجبرية؛ لقوله: ﴿قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، وقوله أيضًا: ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾<sup>(١)</sup>.

١٠- إثباتُ صفةِ السَّخَطِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ على ما يليقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ؛ لقوله: ﴿أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

١١- يُستفادُ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنه لا ولاءَ ولا تناصَرَ بين أهل الكتابِ وبين المسلمين، في شأنِ من الشؤون؛ لأنَّ كلَّ شأنٍ من شؤون الحياةِ عندَ المسلم خاضعٌ لأمرِ الدين<sup>(٣)</sup>.

١٢- أَنَّ اتِّخَاذَ الكافرينِ أَوْلِيَاءَ مُنَافٍ لِلإيمانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٣- الاستدلالُ بالمحسوسِ على المعقولِ، وإن شئتَ فقل: بالمشاهدِ على الخفيِّ؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وجه ذلك: أَنَّ الإيمانَ في القلبِ، ولا أحدَ يَعْلَمُ عن الإيمانِ الذي في القلبِ، لكنَّ الآثارَ تدلُّ عليه، والأثر الذي دلَّنا على أنَّهم لم يؤمنوا هنا، هو تولِّي الكفارِ، واتِّخَاذَهُمْ أَوْلِيَاءَ<sup>(٥)</sup>.

١٤- أَنَّ الفِسْقَ يُطْلَقُ على الكفرِ؛ لقوله: ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، ودليلُ ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهُمْ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]، في مقابلِ الذين آمنوا، وإذا جاءَ الفِسْقُ في مقابلِ الإيمانِ، والوعيدُ في

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٤٨/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢٤٩/٢).

(٣) يُنظر: ((في ظلال القرآن لسيد قطب)) (٩٥٣/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٤٠٧/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥١/٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٤٠٨/٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٥/٢).

مقابل الوعد؛ فالمراد به الكفر<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ...﴾ جملة مستأنفة استئنافية ابتدائية فيها تخلص بديع؛ لتخصيص اليهود بإلقاء اللوم عليهم، وذكرهم بالشؤم دون النصارى<sup>(٢)</sup>.

- وجاء التعبير بحرف الجرّ (على) في قوله: ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بدلاً من باء الملاسة؛ لإظهار تمكّن الملاسة، وقصد المبالغة فيها، أي: لعنوا بلسان داود، أي: بكلامه الملايس للسانه<sup>(٣)</sup>.

٢- قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام، كأنه قيل: بأي سبب وقع ذلك؟ فقيل: ذلك اللعن الهائل الفظيغ بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر، كما يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل<sup>(٤)</sup>.

- و(ما) في قوله ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ مصدرية، أي: بعصيانهم وكونهم معتدين، فعدل عن التعبير بالمصدرين إلى التعبير بالفعلين مع (ما) المصدرية؛ ليفيد الفعلان معنى تجدد العصيان، واستمرار الاعتداء منهم، ولتفيد صيغة الماضي أن ذلك أمر قديم فيهم، وصيغة المضارع أنه متكرر الحدوث، وإنما عبر في جانب العصيان بالماضي فقال: ﴿عَصَوْا﴾؛ لأنه تقرر فلم يقبل الزيادة، وعبر في جانب الاعتداء بالمضارع فقال: ﴿يَعْتَدُونَ﴾؛ لأنه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٥٥/٢).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٩٢/٦).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦٩/٣).

مستمراً؛ فإنهم اعتدوا على محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والمنافقة، ومحاولة الفتك والكيد<sup>(١)</sup>.

- وإيثارُ اسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾ على الضمير - حيث لم يُقل: (هو بما عصوا)؛ -  
للتبني على كمال ظهوره، وامتيازَه عن نظائره، وانتظامه بسببه في سلك الأمور  
المشاهدة، وما فيه من معنى البعد؛ للإيدان بكَمالِ فِطاعته، وبعُدِ درجته في  
الشناعة والهول<sup>(٢)</sup>.

- وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فيه تأكيد على سبب اللعن،  
أي: ذلك اللعن كان بسبب عصيانهم وعدوانهم، وذُكر هذا على سبيل  
التوكيد، مع أنه قد فهم سبب اللعنة بإسنادها إلى من تعلق به الوصف الدال  
على العلية، وهو ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

- وفي قوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ خصَّ العدوان بالذكر مع  
أنه من المعاصي؛ لكون العدوان أشد وأقبح من مجرد المعصية<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾:

- قوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ فيه توبيخ لهم، حيث تضمن  
الإخبار بأمرين قبيحين، أحدهما: أنهم كانوا يفعلون المنكير، والآخر:  
أنهم كانوا تاركين للنهي عنها، أي: عن أمثالها في المستقبل، وأفاد قوله:  
﴿فَعَلُوهُ﴾، التصريح بوقوع المنكرات منهم، ولو لم يذكر قوله: ﴿فَعَلُوهُ﴾  
لكان المصريح به فقط هو ترك النهي عن المنكر عند استحقاق النهي؛ فانظم

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/٢٩٣).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٦٩).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٣٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٣٧).

ثُبُوتُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا عَلَى أَخْصَرِ وَجْهِ وَأَبْلَغِهِ<sup>(١)</sup>.

- وَأَفَادَ تَنْكِيْرُ ﴿مُنْكَرٍ﴾ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ بَيَانَ إِغْرَاقِهِمْ فِي عَدَمِ الْمَبَالَاةِ<sup>(٢)</sup>.
- وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ خَبْرٌ فِيهِ تَعْجَبٌ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِمْ، وَفِيهِ تَأْكِيدٌ بِالْقَسَمِ؛ فَالْلامُ فِي ﴿لَيْسَ﴾ رَابِطَةٌ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ، أَي: أَقْسَمَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ- يَعْنِي: مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْعُدُوانِ<sup>(٣)</sup>.



(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الزمخشري - حاشية ابن المنير)) (١/٦٦٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٦٥).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٦٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٣٨)، ((تفسير أبي حيان))

(٤/٣٣٨)، ((تفسير الخازن)) (٢/٦٧).

## الآيات (٨٢ - ٨٦)

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا  
 وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ  
 ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا  
 سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ  
 يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا  
 مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنْبِئْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿قَتِيلِينَ﴾: جمع قَتِيل، وهو العالمُ العابدُ من رؤوس النَّصارى، على وزن فُعِيل، من: قَسَيْتُ الشَّيْءَ وَقَصَيْتُهُ إِذَا تَبَعْتَهُ؛ وَسُمِّي الْقَتِيلُ بِهَذَا لِتَبَعِهِ كِتَابَهُ، وَأَنَارَ مَعَانِيهِ، وَأَصْل (قَسَسَ): تَبَعَ الشَّيْءَ وَطَلَبَهُ<sup>(١)</sup>.

﴿رَهْبَانًا﴾: رُهْبَانُ النَّصَارَى هُمُ الْمُبَالِغُونَ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْإِنْقِطَاعِ عَنِ النَّاسِ، جَمْعُ رَاهِبٍ، وَهُوَ الَّذِي يَرْهَبُ اللَّهَ، أَي: يَخَافُهُ، وَأَصْل (رَهَبَ): يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿تَفِيضٌ﴾: تَسِيلٌ، وَأَصْل (فَيْضٌ): يَدُلُّ عَلَى جَرِيَانِ الشَّيْءِ بِسُهُولَةٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظَر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٨٥).

(٢) يُنظَر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤٤٧/٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٧٨).

(٣) يُنظَر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٤١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٤٦٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٤٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٢٧).

﴿فَأَنبَاهُهُمْ﴾: أي: فجازأهم، والإثابة: ما يرجع للإنسان من ثواب، وتُستعمل في المحبوب والمكروه<sup>(١)</sup>.

﴿الْجَحِيمِ﴾: أي: النار، والجحيم أيضا الجمر، والجحمة: شدة تأجج النار، وأصل (جحم): عظم الحرارة وشدتها<sup>(٢)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّة:

يقول الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: لَتَجِدَنَّ الْيَهُودَ وَالْمَشْرِكِينَ أَشَدَّ النَّاسِ بُغْضًا وكرهية وعداوةً للمؤمنين، ولتَجِدَنَّ النَّصَارَى أَقْرَبَ النَّاسِ مَوَدَّةً للمؤمنين من أهل الأديان المخالفة للإسلام؛ والسبب أن منهم علماء وعبادا، وأنهم لا يستكبرون.

وإذا سمعوا القرآن الكريم ترى أعينهم تسيل دموعا؛ لأنهم عرفوا أن ما يتلى عليهم هو الحق؛ يقولون: ربنا آمننا، فاكتبنا مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمة.

ويقول هؤلاء النصاري: وأي مانع يمنعنا من الإيمان بالله، وبما جاءنا على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من قرآن يهدي إلى الرشيد، ونحن نطمع بسبب إيماننا أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين، فجزأهم الله بما قالوا من الإيمان، ونطقوا من الحق، جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدا، وذلك جزاء من أحسن في عبادة ربه، وكان محسنا إلى الخلق، وأما من كفر وكذب بآيات الله تعالى، فأولئك سكان نار جهنم، الملازمون لها.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٠)، ((تذكرة

الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/٤٢٩)،

((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٧).

## تفسير الآيات:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢).

مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ؛ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْيَهُودَ فِي غَايَةِ الْعَدَاوَةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِذَلِكَ جَعَلَهُمْ قُرْنَاءَ لِلْمُشْرِكِينَ فِي شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ، بَلْ نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُمْ أَشَدُّ فِي الْعَدَاوَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ قَدَّمَ ذِكْرَهُمْ عَلَى ذِكْرِ الْمُشْرِكِينَ<sup>(١)</sup> فَقَالَ تَعَالَى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

أي: لَتَجِدَنَّ - يا مُحَمَّدٌ - أَعْظَمَ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَأَكْثَرَهُمْ سَعِيًّا فِي إِحْقَاقِ الضَّرْرِ بِهِمْ؛ لِشِدَّةِ بُغْضِهِمْ وَبَغْيِهِمْ وَحَسَدِهِمْ لَهُمْ؛ الْيَهُودَ وَالْمُشْرِكِينَ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٤١٣/١٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٥٩٣-٥٩٤/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٦٦/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٠-٢٦٢).

قال ابن عثيمين: (الخطابُ يحتمل أن يكون للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا فيختصُّ الحُكْمُ بهؤلاء الذين في عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل العموم، ويكون المراد الجنس، ليس كل فرد، فلا نقول: كل يهودي أشد الناس عداوة للمؤمنين، ولا كل نصراني أقرب الناس مودة) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٠/٢).

وقال الشنقيطي: (قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾، فدلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى الْمَغَايِرَةِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّ الْكُتَابِيِّينَ نَوْحٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ حَيْثُ قَالَ فِيهِمْ: ﴿أَتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فَصَرَّحَ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَوْحٌ خَاصٌّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، رَبَّمَا أُدْخِلَ فِي عَمُومِهِمْ، وَرَبَّمَا أُفْرِدَ مِنْهُمْ، كَأَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهِمْ؛ لِلْفَوَاقِقِ =

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾.

أي: ولتجدنَّ - يا محمد - أقرب النَّاسِ وِدادًا لأهلِ الإيمانِ مِنْ أهلِ المِلَّةِ المخالفةِ للإسلام، النَّصارى<sup>(١)</sup>.

= التي بين الكتبيين وعبدة الأصنام - كما هو معروف (العذب النмир) ((٥/ ٢٧٠)).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٢-٢٦٤).

وقال ابن عثيمين: (لا تعم كل يهودي بعينه أو نصراني بعينه أو كل مسلم بعينه، لكن هذا الحكم على سبيل العموم، والأحكام تأتي دائمًا على سبيل العموم، كما تقول: الرجال خير من النساء، يعني هذا الجنس خير من هذا الجنس، ويوجد في النساء من هو خير من كثير من الرجال، ويوجد في الرجال من هو شر من كثير من النساء) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٠).

وقال أيضًا: (هنا قال: ﴿أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ ولم يقل: (أشدهم مودة)؛ يعني ليس عندهم مودة لكنهم قريبون، يعني أن الله عز وجل قال في اليهود أنهم: ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾، لكن هؤلاء قال هنا: ﴿أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾، ومعلوم أن القرب ليس هو الوصول، فهم ليس عندهم مودة للمؤمنين أعني: النَّصارى، لكنهم أقرب من غيرهم مودة، ولو كان عندهم مودة لقال: (أشدَّ النَّاسِ مودة) أو ما أشبه ذلك) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٢).

قال ابن تيمية: (وأما قوله في أول الآية: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٨٢] فهو كما أخبر - سبحانه وتعالى - فإنَّ عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النَّصارى، والنَّصارى أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود؛ فإنَّ اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النَّصارى، وفي النَّصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض، فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم، فكيف يبغضهم للمؤمنين؟

وأما النَّصارى فليس في الذين يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله، الذين حاربوا الله ورسوله، وسعوا في الأرض فسادًا، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين، أهل ملة إبراهيم، المؤمنين بجمع الكتب والرُّسل؟

وليس في هذا مدح للنَّصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب، وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: بسبب هؤلاء، وسبب ترك الاستكبار بصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيرًا من المشركين، وأقرب مودة من اليهود والمشركين.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] فهؤلاء الذين مدحهم بالإيمان و وعدهم بثواب الآخرة. ((الجواب الصحيح)) (٣/ ١٠٧-١١٠).



﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى التَّفَاوُتَ الحَاصِلَ بَيْنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ فِي حَقِّ اليَهُودِ: ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾، وَقَالَ فِي حَقِّ النَّصَارَى: ﴿أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً﴾ ﴿أَعْقَبَ ذَلِكَ بَعْلَةٌ هَذَا التَّفَاوُتِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ سَبْحَانَهُ:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

أَي: قُرِبَتْ مَوَدَّتُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ مِنْهُمْ عِلْمَاءَ وَعِبَادًا - فَالْعِبَادَةُ تُلَطِّفُ القَلْبَ وَتُرَفِّقُهُ - كَمَا أَنَّهُمْ يَتَوَاضِعُونَ لِلْحَقِّ إِذَا عَرَفُوهُ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن قَبُولِهِ، وَالانْقِيَادِ إِلَيْهِ إِذَا تَبَيَّنُوهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣)

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾

أَي: وَإِذَا سَمِعُوا<sup>(٣)</sup>، مَا أُنزِلَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْقُرْآنِ

= وَذَهَبَ بَعْضُ المَفْسِّرِينَ - مِنْهُمْ ابْنُ جَرِيرٍ وَالوَاحِدِيُّ وَالبَغَوِيُّ - إِلَى أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ جَمِيعَ النَّصَارَى، بَلِ الْآيَةُ فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، مِثْلَ النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ. يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٩٧)، ((الوجيز)) للوَاحِدِيِّ (١/٣٣١)، ((تفسير البغوي)) (٢/٧٤).

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤١٣، ٤١٤).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٥٩٤-٦٠٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٦٧-١٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١-٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٦٤-٢٦٥).  
قَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: «الْأُمَّةُ النَّبِيَّةُ فِيهَا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ تَكُونُ قَرِيبَةً مِنْ مَوَدَّةِ الْمُسْلِمِينَ» ((تفسير ابن عَاشُورٍ)) (٧/٩).

(٣) قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «الضَّمِيرُ وَإِنْ عَادَ إِلَى الْمُتَقَدِّمِينَ، فَالْمُرَادُ جِنْسُ الْمُتَقَدِّمِينَ، لَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ». ((الجوابُ الصَّحِيحُ)) (٣/١١٠).

الكريم يُتلى<sup>(١)</sup>.

﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾

أي: ترى<sup>(٢)</sup> أعينهم قد امتلأت دموعاً فتسيل منها؛ وذلك لأنهم عرفوا أن الذي يُتلى عليهم من كتاب الله تعالى حق، ومن ذلك: بَعَثَ النبي الموعود به - محمد صلى الله عليه وسلم - الذي خبره من جُملة الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام، والنبئون من قبله<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث بدء الوحي عن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجَعَ إلى خديجة يرجف فؤاده، انطلقت به إلى ورقة بن نوفل - وكان رجلاً تنصراً يقرأ الإنجيل بالعربية - فقال ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس<sup>(٤)</sup> الذي أنزل الله على موسى، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً))<sup>(٥)</sup>.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٠١/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢).

(٢) قال ابن عاشور: (الخطاب في قوله: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ﴾ للنبي صلى الله عليه وسلم - إن كان قد رأى منهم من هذه صفة - أو هو خطاب لكل من يصح أن يرى؛ فهو خطاب لغير معين؛ ليعم كل من يُخاطب) ((تفسير ابن عاشور)) (١٠/٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٠١/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٦٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٠/٧-١١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢٦٦/٢).

قال ابن عاشور: (أي: ففاضت أعينهم من انفعال البهجة بأن حضروا مشهد تصديق عيسى فيما بشر به، وأن حضروا الرسول الموعود، به ففاضوا بالفضيلتين) ((تفسير ابن عاشور)) (١٠/٧).

(٤) الناموس: يقصد جبريل عليه السلام - وهكذا يُسميه أهل الكتاب. والناموس: هو صاحب سر الخير؛ وناموس الرجل: صاحب سره الذي يُطلعه على باطن أمره، ويخصه بما يستره عن غيره. يُنظر: ((الصحيح)) للجوهري (٩٨٦/٣)، ((النهاية)) لابن الأثير (١١٩/٥).

(٥) رواه البخاري (٣٣٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٠).

أي: والحال أنهم يقولون: يا ربنا، آمناً بالحق؛ فلاجل هذا الإيمان اجعلنا مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وأثبتنا معهم في عدادهم؛ فهم الذين يشهدون لله تعالى بالتوحيد، ولرسله بالرسالة، وصحة ما جاؤوا به، وأنهم بلغوا أممهم، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق أو التكذيب<sup>(١)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ \* رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٤).

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾

أي: قال هؤلاء النصارى الذين أسلموا: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله تعالى، وما أتاننا من الحق، الذي لا يقبل الشك والريب<sup>(٢)</sup>؟

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٣-٦٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٦٦-٢٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٤-٦٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٦٧).

قال ابن عاشور: قوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾، هو من قولهم؛ فيحتمل أنهم يقولونه في أنفسهم عندما يخامرهم التردد في أمر التزوع عن دينهم القديم إلى الدخول في الإسلام، وذلك التردد يعرض للمعتقد عند الهمم بالرجوع في اعتقاده... ويحتمل أنهم يقولونه لمن يعارضهم من أهل ملتهم أو من إخوانهم، ويشككهم فيما عزموا عليه، ويحتمل أنهم يقولونه لمن يعيرهم من اليهود أو غيرهم بأنهم لم يتصلبوا في دينهم) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١١-١٢).

كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ \* وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].  
﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبِّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

أي: ونحن نطمع بإيماننا أن يُدخِلنا ربنا مع المؤمنين بالله، المُطِيعين له، جَنَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٥).

﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

أي: فجزاهم الله تعالى بما تفوهوا به من الإيمان، ونطقوا به من الحق في قولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ... مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ جَنَّاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، وهم ما كانوا فيها على الدوام<sup>(٢)</sup>.  
وَلَمَّا كَانَتِ اللَّذَّةُ لَا تَكْمُلُ إِلَّا بِالْدَّوَامِ، قال تعالى<sup>(٣)</sup>:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

أي: ما كثر فيها على الدوام، لا يخرجون منها، ولا يُحوَّلون عنها<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٦٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٦٩-٢٧١).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٧١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٦٩-٢٧١).

﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾

أي: هذا الذي جزيْتُ به أولئك القومَ من الخُلُودِ في الجنَّاتِ، جزاءُ كلِّ مُحسِنٍ في عبادةِ الله تعالى، أو مُحسِنٍ إلى عباده<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)﴾

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ مَا أَثَابَ بِهِ أُولَٰئِكَ النَّصَارَى، الَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ جَزَاءُ جَمِيعِ الْمُحْسِنِينَ عِنْدَهُ، الَّذِينَ آمَنُوا كَيِّمَانِهِمْ، وَخَشَعُوا لِلْحَقِّ كَخُشُوعِهِمْ - عَقَّبَ عَلَيْهِ بِذِكْرِ جَزَاءِ الْمُسِيئِينَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ وَالتَّكْذِيبِ؛ عَلَى سُنَّةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَمْعِ بَيْنِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)﴾

أي: وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالمَكْذِبُونَ بِآيَاتِنَا فَإِنَّهُمْ سُكَّانُ النَّارِ الشَّدِيدَةِ التَّاجِحِ وَالحَرَارَةِ، المَلَاذِمُونَ لَهَا<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد التَّربويَّة:

١- أَنَّ قُرْبَ مَوَدَّةِ النَّصَارَى لِلْمُؤْمِنِينَ لَهُ أَسْبَابٌ؛ مِنْهَا: أَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِّينَ وَرَهَبَانًا، فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا: أَنَّ الْعِلْمَ نَافِعٌ حَتَّى لِعَبِيدِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَذَلِكَ الْعِبَادَةُ تُرَقِّقُ الْقَلْبَ، وَتُرِيْلُ مَا فِيهِ مِنَ الْجَفَاءِ وَالعِلْظَةِ، فَالرَّاهِبُ إِنَّمَا سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ،

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٥ - ٦٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٧١ - ٢٧٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٧٢).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٦٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٧٢ - ٢٧٤).

يُريد رضا الله، أمَّا الأوَّلُ فَيُؤَخِّدُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ﴾، وأمَّا الثاني فَيُؤَخِّدُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَرُهْبَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢- أن من أسباب قبول الحقِّ والموادَّة للمؤمنين التواضع؛ لقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ حيث إن الاستكبار سبب لردِّ الحقِّ، والتواضع سبب لقبوله، فالمتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر، وأقرب إلى سماع الحقِّ منه<sup>(٢)</sup>.

٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ فضيلة هؤلاء القوم الذين يؤمنون بالرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع، ولا شك أن فيضها من الدمع دليل على الإيمان والتصديق والتأثر؛ لأنَّ الإنسان كلما آمن ازداد خشوعاً، فالإيمان كلما قوي صار المؤمن كأنما يشاهد الشيء بعينه، فيزداد إيماناً وخشوعاً وبكاءً<sup>(٣)</sup>.

٤- أن تأثر هؤلاء إنما كان بسبب معرفتهم الحقِّ؛ ولهذا قال: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، والإنسان كلما علم بالحق ازداد إيمانه به، وازداد تأثره به<sup>(٤)</sup>.

٥- قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا...﴾ فيه الثناء على هؤلاء الذين آمنوا بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنهم يعلنون الإيمان، ولا يخفونه؛ فالمؤمن حقاً يعلن إيمانه، لا سيماً إذا كانوا قسيسين ورهباناً؛ لأنهم قدوة للناس<sup>(٥)</sup>.

٦- يَتَبَغَى لِلإِنسَانِ أَنْ يَدْفَعَ اللُّؤْمَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يُبْقِيَ عِرْضَهُ لِعِبَادِ اللّهِ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٦).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٨).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٨٠).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٨٢).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

يَعْمَلُونَ مَا يَشَاؤُونَ فِيهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾، ولهذا أَضَلَّ مِنَ السَّنَةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَامَ يَقْلِبُ إِحْدَى زَوْجَاتِهِ، وَهِيَ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بَعْدَ أَنْ بَقِيَتْ عِنْدَهُ قَامَ يَقْلِبُهَا<sup>(١)</sup>، فَمَرَّ بِهِ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ أَهْلُهُ حَاجِلًا وَسَارًا بِسُرْعَةٍ، فَقَالَ لَهُمَا: ((عَلَى رِسْلِكُمَا! إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ! - يعني: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ فِي قُلُوبِنَا شَيْءٌ - فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ: - شَيْئًا))<sup>(٢)</sup>.

٧- أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ؛ فَيَشْهَدَ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا﴾، وَلَمْ يَجْزِمُوا بِذَلِكَ؛ وَلِهَذَا مَهْمَا يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا يُزَكُّ نَفْسَهُ؛ لَا يَدْرِي فَلَعَلَّ هُنَاكَ سِرًّا فِي الْقَلْبِ لَا يَشْعُرُ بِهِ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنَ النَّفَاقِ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَمُوتُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ))<sup>(٣)</sup>.

٨- أَنَّهُ يَنْبَغِي اخْتِيَارُ الرَّفِيقِ الصَّالِحِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾، وَهَذَا أَمْرٌ دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ دَلَالَةً صَرِيحَةً؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ؛ إِمَّا أَنْ يَبِيعَكَ أَوْ يُحْدِثَكَ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً))<sup>(٤)</sup>.

(١) يُقَالُ: يَرْدُّهَا وَيَرْجِعُهَا وَيَصْرِفُهَا إِلَى بَيْتِهَا. يُنْظَرُ: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/٩٦)، ((مختار الصحاح)) للرزاي (ص: ٢٥٨).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٠).

والحديث أخرجه البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (٢١٧٥) من حديث صَفِيَّةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩١).

والحديث أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٢).

والحديث أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩- الحثُّ على الإحسان؛ لقوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ الإحسانُ في عبادةِ الله والإحسانُ إلى عبَادِ الله؛ قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِهِ طَلْقِي))<sup>(١)</sup>.

١٠- في قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بشارةٌ من الله لمن قام بالإيمان قولاً وعملاً، والإحسانُ أعلى درجاتِ الإيمان والإسلام، واللهُ جلُّ جلاله قد شهد لهذا الفريق من الناس أنه من المحسنين، وهي التي فسرها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))<sup>(٢)</sup>، ولا إخلاصَ ولا عِلْمَ أرفعُ من هذه الرتبة<sup>(٣)</sup>.

١١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أنه ينبغي للواعظ ألا تكون موعظته للناس بالترغيب دائماً أو بالترهيب دائماً؛ لأنه إن أدام الترغيب أوقعهم في الأمن من مكرِ الله، وإن أدام الترهيب أوقعهم في القنوط من رحمةِ الله؛ فالواعظُ في الحقيقة كالطبيب، إن أعطى جرعةً زائدةً هلك المريضُ، وإن نقصَ لم يبرأ المريضُ، فلا بد للواعظ أن يُراعي الأحوال، لا يقتصر على الترغيب دائماً، ولا على الترهيب دائماً، فمن الناس من الأولى في حقه الترغيبُ، ومن الناس من الأولى في حقه الترهيبُ<sup>(٤)</sup>.

## الفوائد العلمية واللطائف:

١- قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٤).

والحديث أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم

(٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٤٨)، ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٩٦٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٥).



ذَكَرَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ الْيَهُودِ لِمُنَاسِبَةِ اجْتِمَاعِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى عَدَاوَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَدْ أَلَّفَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ بَغْضَ الْإِسْلَامِ؛ فَالْيَهُودُ لِلْحَسَدِ عَلَى مَجِيءِ النُّبُوَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَالْمُشْرِكُونَ لِحَسَدِهِمْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَحَسَدِهِمُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ سَبَقُوهُمْ بِالْإِهْتِدَاءِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَتَبْدِ الْبَاطِلِ، وَكَذَا الْكِبَرُ وَالْأَنْفَةُ لَدَى الْفَرِيقَيْنِ<sup>(١)</sup>.

٢- أَنْ عَدَاوَةَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ ظَاهِرَةٌ؛ لِقَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾، لَكِنَّ الظُّهُورَ وَالْخَفَاءَ أَمْرَانِ نِسْبِيَّانِ، بِمَعْنَى أَنْ بَعْضَ النَّاسِ يَظْهَرُ لَهُ مَا يَخْفَى عَلَى آخَرَ، وَبَعْضَ النَّاسِ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَظْهَرُ لِآخَرَ، لَكِنَّ مَنْ سَبَرَ الْأُمُورَ وَنَظَرَ بِاعْتِبَارٍ تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

٣- أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْعَدَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أَشَدُّ﴾ و﴿أَشَدُّ﴾ اسْمٌ تَفْضِيلِي، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءَ يَخْتَلِفُونَ، وَهُوَ كَذَلِكَ، هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ<sup>(٣)</sup>. وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ طَرَفَيْنِ فِي مُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَيْنَ الطَّرَفَيْنِ فَرْقٌ مُتَفَاوِتَةٌ فِي بَغْضِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِثْلُ: الْمَجُوسِ، وَعِبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَالْمُعَطَّلَةِ<sup>(٤)</sup>.

٤- أَنَّ كُلَّ حُكْمٍ لَهُ سَبَبٌ، وَهَذَا مُطَرِّدٌ؛ فَكُلُّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ أَوْ قَدْرِيٍّ لَهُ سَبَبٌ، لَكِنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ مَا يُعْلَمُ، وَمِنَ الْأَسْبَابِ مَا لَا يُعْلَمُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ...﴾ إِلَى آخِرِهِ<sup>(٥)</sup>.

٥- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا﴾ كَيْفَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَرُهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؟

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الشرييني)) (١/ ٣٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٤).

(٣) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٥).

قيل: إن ذلك ممدوحٌ في مُقابلهِ طريقةِ اليهودِ في الفسّاوةِ والغِلظةِ، ولا يلزم من هذا القَدْرِ كونه ممدوحًا على الإطلاق<sup>(١)</sup>.

٦- يُستفادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ حُسْنُ تَعْلِيمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الْحُكْمَ ذَكَرَ الْعِلَّةَ أَحْيَانًا؛ فَهَذَا ذَكَرَ حُكْمًا قَدْرِيًّا، وَهُوَ قُرْبُ النَّصَارَى مِنْ مَوَدَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَكَرَ لَهُ عِلَّةً ﴿ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قَسِيصِينَ...﴾. كَذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَحْكَامًا شَرْعِيَّةً كَثِيرَةً مَقْرُونَةً بِالْحِكْمَةِ مِنْهَا؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٢٢٢].

٧- التَّوْبِيهُ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿الرَّسُولُ﴾؛ لِأَنَّ (أَل) هُنَا لِلْعَهْدِ الذَّهْنِيِّ، يَعْنِي كَوْنَهُ رَسُولًا مَعْلُومًا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ<sup>(٣)</sup>.

٨- اعْتِرَافُ الْأُمَّمِ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ هِيَ الشَّاهِدَةُ عَلَى الْأُمَّمِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، وَهِيَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup> [البقرة: ١٤٣].

٩- ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَلَةً، أَيْ: (تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمِرَادُ أَنَّ مَاءَهَا مِنْهَا لَا يَجْرِي إِلَيْهَا مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَيُقَالُ: هَذَا النَّهْرُ مِنْبَعُهُ مِنْ أَيْنَ؟ يُقَالُ: مِنْ عَيْنِ كَذَا، مِنْ تَحْتِ جَبَلٍ كَذَا<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤١٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٧٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٢٨١).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٧٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٨٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٨/٤٤).

١٠- قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يقتضي تخصيص الكفار بالدوام فيه؛ لأن هذه الصيغة تُفيدُ الحصر، أي: أولئك أصحاب الجحيم لا غيرهم، والمصاحبُ للشيء هو الملازمُ له الذي لا ينفكُ عنه<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قَوْلُهُ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ جملةٌ مُستأنفةٌ مسوقةٌ لتقرير ما قَبَلَهَا من قبائح اليهود، وعراقبتهم في الكفر، وسائر أحوالهم الشنيعة، التي من جملتها موالاتهم للمشركين، وأكَّدت الجملة بالتوكيد القسَمي؛ اعتناءً ببيان تحقق مضمونها؛ فاللامُ في قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ لامُ القسم ويُقصد منها التأكيد، وزادته نون التوكيد تأكيداً<sup>(٢)</sup>.

- وفي جعل اليهود قرناءً للمشركين بيانٌ لشدة عداوة اليهود للمؤمنين، وتقديمهم في الذكر على المشركين: إشعارٌ وتنبيةٌ على تقدُّم اليهود في العداوة على الذين أشركوا، كما أنَّ في تقديمهم عليهم في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [البقرة: ٩٦] إيذاناً بتقدمهم عليهم في الحرص<sup>(٣)</sup>.

- وقد أعيدَ الموصولُ مع صلته ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ رَوْماً لزيادة التوضيح والبيان<sup>(٤)</sup>.

٢- قوله: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ فيه: مبالغةٌ في التَّمييز، وهي من أبلغ التراكيب؛ لأنَّ الترقية فيه تترقى ثلاث مراتب، فالأولى: فاض دمع عينه،

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤١٦/١٢)، ((تفسير ابن عادل)) (٤٨٨/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٧١/٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٥/٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦٦٨/١)، ((تفسير أبي السعود)) (٧١/٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٧١/٣).

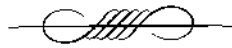
والثانية في تحويلِ الفاعلِ تمييزًا: فاضتْ عينُه دَمْعًا، والثالثة: في إبرازِ التَّمييزِ في صورةِ التعليلِ كما في الآية ﴿تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ﴾؛ فأفادَ إلى جانبِ التَّمييزِ التعليلَ<sup>(١)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فيه: استفهَامٌ إنكارٍ واستبعادٍ لانقفاءِ الإيمانِ مع قيامِ موجبِهِ والدَّاعيِ لَهُ، وهو الطَّمَعُ في إنعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِم بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ<sup>(٢)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ فيه: إيجازٌ بالحذفِ؛ حيثُ إنَّ تقديرَ الآيةِ: وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ جَنَّتهِ ودارِ رضوانِهِ، إلَّا أَنَّهُ حَسُنَ الحذفُ؛ لكونه معلومًا<sup>(٣)</sup>.

٥- قَوْلُهُ: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ التعبيرُ باسمِ الإشارةِ ﴿ذَلِكَ﴾، وما فيه من معنَى البُعْدِ؛ للدَّلالةِ على علوِّ مرتبةِ هذا الجِزَاءِ<sup>(٤)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ التعبيرُ باسمِ الإشارةِ ﴿أُولَئِكَ﴾ وما فيه من معنَى البُعْدِ؛ للإشارةِ إلى بُعْدِهِم في السُّفُولِ<sup>(٥)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري - حاشية ابن المنير)) (١/٦٦٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٦/٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٧٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٣٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٧٢/٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤١٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٤).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٢٧٣).

## الآيات (٨٧ - ٨٩)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا ءَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَّالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: الأيمانُ اللأغيةُ هي التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادةً من غير تعقيد ولا تأكيد<sup>(١)</sup>. واللغو: ما يجري في الكلام على غير عقْد ولا قصد، ويُطلق اللغو على الباطل من الكلام<sup>(٢)</sup>. والأيمان: جمع يمين، وهو القسم، وأصله من اليمن، أي: البركة، سماها الله تعالى بذلك؛ لأنها تحفظ الحقوق<sup>(٣)</sup>.

﴿عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ﴾: وتَقْتُمُوها باللفظ مع العزم عليها، والعقد: الجمع بين أطراف الشيء، وأصل (عقد): يدلُّ على شدِّ، وشدَّة وثوق<sup>(٤)</sup>.

﴿أَوْسَطِ﴾: أي: أعدل، في المقدار، أو في الجنس، أو في القلَّة والكثرة، وأصل (وسط) يدلُّ على العدل والنصف<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١/٦٠١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٨٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٤٠١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٤٩).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٨٦)، ((تفسير القرطبي)) (٦/٢٦٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٨٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٧٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٤١).

(٥) يُنظر: ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٧٣، ١٧٤).

﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾: أي: إعتاقها؛ يُقال: حررت المملوك، أي: أعتقته، وأصل (حرر): ما خالف العبودية، وما برئ من العيب والنقص، والرقبة تُطلق على الإنسان المملوك<sup>(١)</sup>.

### مشكل الإعراب:

قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾.

﴿فَصِيَامٌ﴾: الفاء رابطة في جواب الشرط (مَنْ)، و(صِيَام) مرفوع، على أنه مبتدأ لخبر محذوف، والتقدير: فعليه صيام ثلاثة أيام، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: فواجبه صيام ثلاثة أيام، أو مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف، والتقدير: فيجب عليه صيام ثلاثة أيام<sup>(٢)</sup>.

### المعنى الإجمالي:

ينهى الله المؤمنين أن يحرموا على أنفسهم طيبات أحلها لهم، وينهاهم أن يتجاوزوا حدوده تعالى فيما أحلّه لهم، أو حرّمه عليهم؛ فإنّ الله تعالى لا يحبّ من يتعدّى حدوده.

كما يأمرهم سبحانه أن يأكلوا من الرزق الحلال الطيب الذي رزقهم إياه، وتفضّل عليهم به، وأن يتّقوا الله الذي آمنوا به.

ثم يُخبر الله جلّ وعلا أنّه لا يُؤاخِذُ على اللغو في اليمين، وهو ما يجري على الألسنة بدون قصد، لكنّ مؤاخِذته تعالى على ما عُقد العزم عليه، وقصد.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٤٥٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٥٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٦١) ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٢١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣١٠).

(٢) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢٣٦)، ((التيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٣٨١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٧٢)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/٢٧٥).

من الأيمان، فإذا ما حنث أحدٌ في أيمانٍ معقودةٍ فكفارةٌ ذلك أن يُطعمَ عشرةَ مساكينَ، طعامًا وسطًا بين الجيد والردئ مما يُطعمُ أهله منه، أو كسوةَ عشرةَ مساكينَ، أو عتقَ رقيةً مؤمنةً، فمن لم يجد ما يكفّرُ به من إطعامٍ أو كساءٍ أو تحرير رقيةٍ فعليه حينئذٍ صيامُ ثلاثةِ أيامٍ تكفّرُ يمينه، فهذه الخصالُ المذكورةُ هي كفارةُ الأيمانِ المعقودة. ثم أمر الله عباده بأن يحفظوا أيمانهم بترك الحلف كذبًا، وترك الإكثار من الحلف، وعدم الحنث في اليمين إلا إذا كان خيرًا، فإذا حنثوا فيها كفّروا كفارة اليمين، فبذلك تُحفظ أيمانهم، كذلك يوضحُ الله آياته لعباده؛ ليَشْكُرُوهُ سبحانه على ذلك.

### تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا تَقَدَّمَ الثَّنَاءُ عَلَى الْقِسِّيِّينَ وَالرُّهْبَانَ، وَكَانَ مِنْ سُنَّتِهِمُ الْمَبَالِغَةُ فِي الزُّهْدِ، وَقَدْ أَحَدَّثُوا رَهْبَانِيَّةً مِنَ الْانْقِطَاعِ عَنِ التَّزْوِجِ، وَعَنْ أَكْلِ اللَّحْمِ، وَكَثِيرٍ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ الثَّنَاءَ عَلَى الرَّهْبَانَ وَالْقِسِّيِّينَ بِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ لَا يَقْتَضِي اطِّرَادَ الثَّنَاءِ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِمُ الرَّهْبَانِيَّةَ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

أي: يا أيها المؤمنون، لا تحكّموا بالحُرْمَةِ على ما أباحه الله تعالى لكم من مَلذَّاتٍ تَشْتَهِيهَا النَّفْسُ مِنْ مَنَاجِحٍ وَمَطَاعِمٍ وَمَشَارِبٍ وَغَيْرِهَا، فَلَا تَرُدُّوا نِعْمَتَهُ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣/٧).

عليكم بعدم قبولها، واعتقاد تحريمها، فتجمعوا بذلك بين الكذب على الله تعالى، وكفر نعمته<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((جاء ثلاثة رهط<sup>(٢)</sup> إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها<sup>(٣)</sup>، فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإنني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتم الذين قُلْتُمْ كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني))<sup>(٤)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: ((أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل<sup>(٥)</sup>، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو أجاز له ذلك لاختصينا))<sup>(٦)</sup>.  
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٣/١٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٩-٣٠٠).

(٢) الرهط: ما دون عشرة من الرجال، ليس فيهم امرأة، وقيل: ما دون الأربعين. يُنظر: ((المصباح المنير)) للفيومي (١/٢٤١)، ((مرقاة المفاتيح)) للملا الهروي (١/٢٢٧).

(٣) تقالوها: استقلوها، وهو تفاعل من القلة. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/١٠٤)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٩/١٠٥).

(٤) رواه البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٠١).

(٥) أراد أن يتبتل: أي: أراد الانقطاع عن النساء وترك التكاح. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/٩٤).

(٦) رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢) واللفظ له.



له: ((ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: إني أفعل ذلك، قال: فإنك إذا فعلت ذلك، هجمت<sup>(١)</sup> عينك، ويفهت<sup>(٢)</sup> نفسك! لعينك حق، ولنفسك حق، ولأهلك حق؛ فم ومنم، وضم وأفطر))<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي، قال: ((أخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبدلة<sup>(٤)</sup>)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً، فقال: كل، قال: فإنني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنأم، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان))<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

أي: ولا تجاوزوا حدود الله تعالى فيما أحل لكم وحرّم عليكم؛ فإن الله تعالى لا يحب من يتعدى حدوده سبحانه<sup>(٦)</sup>.

(١) هجمت، أي: غارت ودخلت في نقرتها من الضعف. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٥/٢٤٧)، ((شرح النووي على مسلم)) (٨/٤٥).

(٢) يفهت - بكسر الفاء، وفتحها لغةً - أي: أعيت وكلت، وضعتت وسقطت. ينظر: ((الصاح)) للجوهري (٦/٢٢٥٣)، ((النهاية)) لابن الأثير (٥/١٠٠)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٦/٥٢٩).

(٣) رواه البخاري (١١٥٣)، ومسلم (١١٥٩) واللفظ له.

(٤) متبدلة: أي: لايسة ثياب البدلة - بكسر الباء - وهي: المهننة وزناً ومعنى، أي: أنها تاركة للباس الزينة والتبذل: ترك التزين والتهيؤ بالهيئة الحسنة الجميلة. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/١١١)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٤/٢١٠).

(٥) رواه البخاري (١٩٦٨).

(٦) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير

ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٠٠-٣٠١).

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾.

أي: وكلوا- أيها المؤمنون- من رزق الله تعالى الذي ساقه إليكم، ويسره لكم في حال كونه حلالاً، غير خبيث<sup>(١)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

أي: واجعلوا بينكم وبين غضب الله تعالى وعذابه حاجزاً يقيكم من ذلك بامتنال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، ومن ذلك اعتداء حدوده؛ فإن إيمانكم بالله عز وجل يوجب عليكم تقواه<sup>(٢)</sup>.

﴿لَا يُوَاحِدُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ

= وقيل: ذكر الاعتداء في مقابلة تحريم الطيبات يدل على أن المراد النهي عن تجاوز حد الإذن المشروع، كما قال: ﴿يُنَلِّكُ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فلما نهى عن تحريم الحلال أزدقه بالنهي عن استحلال المحرمات، وذلك بالاعتداء على حقوق الله تعالى، أو على حقوق الناس، فعلى ذلك يكون المراد: كما لا تحرمون الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل أخذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحد فيه، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقد جعل ابن كثير هذا المعنى مما تحتمله الآية. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١٧٢/٣)، وذكره ابن عاشور في ((تفسيره)) (١٧/٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦١٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٧٢/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٣٠١/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦١٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٧٢/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٣٠١/٢).

تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ...﴾؛ وكان التحريم يقع في غالب الأحوال بأيمان معزومية، أو بأيمان تجري على اللسان لقصد تأكيد الكلام، أو تجري بسبب غضب، عقب الله تعالى ذلك بقوله<sup>(١)</sup>:

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

أي: لا يُعاقِبُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَفَّارَةِ تَلَزُمِكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا بِعُقُوبَةٍ تَحُلُّ بِكُمْ فِي الْآخِرَةِ، عَلَى الْإِيمَانِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْكُمْ عَلَى وَجْهِ اللَّغْوِ، وَهِيَ الْإِيمَانُ الَّتِي حَلَفَ بِهَا الْمُقْسِمُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ وَلَا قَصْدٍ، أَوْ عَقَدَهَا يَظُنُّ صِدْقَ نَفْسِهِ، فَبَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا ظَنَّهُ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمُ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾.

الْقِرَاءَاتُ ذَاتُ الْأَثَرِ فِي التَّفْسِيرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾ قِرَاءَاتٌ:

١ - ﴿عَاقَدْتُمْ﴾، أَي: تَعَاهَدْتُمْ، وَتَحَالَفْتُمْ، وَهُوَ فِعْلٌ مِنْ اثْنَيْنِ<sup>(٣)</sup>.

٢ - ﴿عَقَدْتُمْ﴾ - بِتَخْفِيفِ الْقَافِ -، أَي: أَوْجَبْتُمْ، فَالْمَعْنَى: أَوْجَبْتُمُوهَا عَلَى

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٢٠-٤٢١).

(٣) قَرَأَ بِهَا ابْنُ ذَكْوَانَ. يُنْظَرُ: ((النشر)) لابن الحزري (ص: ٢٢٦).

وَيُنْظَرُ لِمَعْنَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣٥)، ((البحر المحيط)) لأبي حيان (٤/٣٥١).

أَنْفُسِكُمْ، وَعَزَمْتُ عَلَيْهَا قُلُوبَكُمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ عَقْدَ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ لِأَنَّ مَنْ حَلَفَ مَرَّةً وَاحِدَةً لَزِمَهُ الْبُرُّ أَوْ الْكُفَّارَةُ<sup>(١)</sup>.

٣- ﴿عَقَدْتُمْ﴾- بتشديد القاف-، أي: وَكَدَّتُمْ، فَالتَّشْدِيدُ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ الْفِعْلِ؛ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَوْكِيدِ الْيَمِينِ بِالْحَلْفِ عَلَى الشَّيْءِ مَرَارًا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾.

أي: وَلَكِنْ يُعَاقِبُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا عَقَدْتُمُ الْعِزْمَ عَلَيْهِ، وَقَصَدْتُمُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ<sup>(٣)</sup>.

﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

أي: كَفَّارَةُ مَا حَثَيْتُمْ فِيهِ مِنَ الْيَمِينِ الْمَعْقُودَةِ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَحَاوِيحٍ لَيْسَ لَدَيْهِمْ مَا يَكْفِيهِمْ، مِنْ صِنْفٍ وَسَطٍ بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيِّءِ، مِمَّا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ<sup>(٤)</sup>.

(١) قرأ بها حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).

وَيُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (٦١٦/٨)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣٤)، ((الكشف)) لمكي (٤١٧/١).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).

وَيُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (٣٣٨/١)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣٤)، ((الكشف)) لمكي (٤١٧/١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٣٥٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦١٧/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٠٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢١٧-٢١٨).

وَاخْتَارَ أَنَّ الْمُرَادَ بِ﴿أَوْسَطِ﴾: أَي: وَسَطٌ بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيِّءِ: الْقَرِطِيُّ فِي ((تفسيره)) (٦/٢٧٦)، وَابْنُ عَثِيمِينَ فِي ((تفسير سورة المائدة)) (٢/٣١٠).

وَمَمَّنْ قَالَ بِنَحْوِ هَذَا الْقَوْلِ مِنَ السَّلَفِ: ابْنُ عُمَرَ، وَالْأَسْوَدُ، وَعَبِيدَةُ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَشُرَيْحٌ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٢٤-٦٢٦)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٨٠).

وَقِيلَ: وَسَطٌ بَيْنَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ فِي ((تفسيره)) (٨/٦٣٦-٦٣٧).

وَمَمَّنْ قَالَ بِنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ السَّلَفِ: عُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٣٥)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٧٩).

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْأَوْسَطِ هُنَا: الْأَفْضَلُ وَالْأَجُودُ. يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣٣).

﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾

أي: وإمّا كسوة عشرة مَسَاكِينِ<sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

أي: أو فكُّ عبدٍ مؤمنٍ من أَسْرِ العُبُودِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

فَمَتَى فَعَلَ واحداً من هذه الثلاثة التي هو مخيرٌ فيها، فقد انحلت يمينه<sup>(٣)</sup>.

= وممن قال بذلك من السلف: عطاء. يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/ ١١٩٢).  
(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠).

قال ابنُ جرير: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصَّحَّةِ وأشبهها بتأويل القرآن: قولُ مَنْ قال: عَنِ بقوله: ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ ما وَقَعَ عليه اسمُ كسوةٍ ممَّا يكونُ ثوبًا فصاعداً؛ لأنَّ ما دون الثوب لا خِلافَ بين جميعِ الحُجَّةِ أنَّه ليس ممَّا دخل في حُكْمِ الآية، فكان ما دون قدرِ ذلك خارجاً من أن يكونَ الله تعالى عناه بالتَّغَلُّبِ المستفيض، والثوب وما فوقه داخلٌ في حُكْمِ الآية؛ إذ لم يأت من الله تعالى وحِيٌّ، ولا من رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرٌ، ولم يَكُنْ من الأُمَّةِ إجماعٌ بأنَّه غيرُ داخلٍ في حُكْمِها، وغيرُ جائزٍ إخراجُ ما كان ظاهرُ الآيةِ محتملهً من حُكْمِ الآيةِ إلاَّ بحُجَّةٍ يجب التسليمُ لها، ولا حُجَّةٌ بذلك) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٤٥).

وقال ابنُ عثيمين: (قوله: ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ معطوفةٌ على ﴿إطعام﴾، والكسوةُ ما يكسو به الإنسانُ بدنه، وتختلفُ الكسوةُ باختلافِ الأزمانِ والبلدانِ والأحوالِ، ولذلك ترون في مواسمِ الحجِّ والعمرةِ اختلافًا كبيرًا في كسوةِ النَّاسِ، فيرجعُ في هذا إلى العرفِ، ففي بلادنا الكسوةُ عبارةٌ عن قميصٍ وسروالٍ وغترَةٍ وطاقيَّةٍ، هذه الكسوةُ، وإن نقص شيءٌ من ذلك فالكسوةُ ناقصةٌ. وقوله: ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ لم يقيد (من أوسط ما تكسون)، فيؤخذ بما يعدُّ كسوةً) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٤٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠-٣١١).

واشترط الإيمان في الرِّقبةِ المحرَّرةِ: الواحدِيُّ في ((الوجيز)) (ص: ٣٣٣)، والقرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٢٨٠)، والسعديُّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٢)، وابنُ عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٣١١). وهذا قول الجمهور خلافاً للحنفية. يُنظر: ((بداية المجتهد)) لابن رشد (١/ ٤١٩)، ((المجموع)) للنووي (١٧/ ٣٦٨)، ((المغني)) لابن قدامة (٨/ ٢٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢).

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾

أي: فَمَنْ لم يَقْدِرْ على التَّكْفِيرِ عن يمينه بواحدةٍ من هذه الخِصَالِ الثَّلَاثِ، فعليه أن يَعِدَلَ إلى الصَّيَامِ، فيصومَ ثلاثةَ أَيَّامٍ<sup>(١)</sup>.

﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لَأَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾

أي: هذا الذي ذَكَرْتُهُ لَكُمْ مِنَ الخِصَالِ الأَرْبَعِ (الإطعام، والكسوة، وتحرير رقبة، والصَّيَامِ)، يُكْفِّرُ ما حَسِبْتُمْ فيه مِنَ الأَيْمَانِ المعقودة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

أي: واحفظوا- أيها المؤمنون- أيمانكم عن الحلف بالله تعالى كذبًا، وعن كثرة الحلف، وعن الحنث فيها- إلا إن كان الحنث خيرًا- وعن ترك الكفارة إذا لزمتمكم<sup>(٣)</sup>.

﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

أي: كما أوضح الله تعالى لكم كفارة أيمانكم، فإنه يوضح لكم أيضًا آياته الشرعية، وأعلام دينه؛ لتشكروه سبحانه على ذلك حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون<sup>(٤)</sup>.

= ونقل الإجماع على التخيير بين هذه الثلاثة: ابن جرير في ((تفسيره)) (٦٤٨/٨)، وابن كثير في ((تفسيره)) (١٧٦/٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٠/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٧٦/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١١/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٢/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٥/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٢/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٧٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢-٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣١٢/٢-٣١٣).

## الفوائد التربوية:

١- تصدير الخطاب بالنداء في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدل على أهميته؛ لأن النداء يستلزم انتباه المخاطب، وإصدار الخطاب بوصف الإيمان يدل على أن ما سيذكر من خصال الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان، ثم إن فيه إغراء للامتثال؛ لأنك إذا وصفت شخصاً بوصف لتأمره أو تنهاه، فهذا من باب الإغراء بهذا الوصف؛ ولذلك تقول لشخص: أنت رجل؛ كيف تفعل كذا وكذا؟! فقولك: أنت رجل، يعني: مقتضى الرجولة ألا تفعل، وتقول: يا فلان، أنت كريم، وهذا سائل، يعني: فأعطه<sup>(١)</sup>.

٢- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ النهي إنما هو عن تحريم ذلك على النفس، أما ترك تناول بعض ذلك في بعض الأوقات من غير التزام، ولقصد التربية للنفس على التصبر على الحرمان عند عدم الوجدان، فلا بأس به بمقدار الحاجة إليه في رياضة النفس. وكذلك الإعراض عن كثير من الطيبات للتطلع إلى ما هو أعلى؛ من عبادة أو شغل بعمل نافع، وهو أعلى الزهد، وقد كان ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة من أصحابه، وهي حالة تناسب مرتبه، ولا تناسب مع بعض مراتب الناس، فالتطلع إليها تعسير، وهو مع ذلك كان يتناول الطيبات دون تشوف ولا تطلع، وفي تناولها شكر لله تعالى<sup>(٢)</sup>.

٣- قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ولم يقل تعالى: (وكلوا ما رزقكم الله)، وكلمة (من) للتبويض، فكأنه قال: اقتصروا في الأكل على البعض، واضرفوا البقية إلى الصدقات والخيرات؛ لأنه إرشاد إلى ترك الإسراف، كما

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٢٩٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٥).

قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾<sup>(١)</sup> [الأنعام: ١٤١].

٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ يدلُّ على أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِرِزْقِ كُلِّ أَحَدٍ؛ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَكَفَّلْ بِرِزْقِهِ لَمَا قَالَ: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ وَإِذَا تَكَفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ وَجَبَ أَلَّا يُبَالِغَ فِي الطَّلَبِ، وَأَنْ يُعَوَّلَ عَلَى وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُخْلَفَ الْوَعْدُ<sup>(٢)</sup>.

٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أَنَّ ذَلِكَ الْقَيْدَ ﴿طَيِّبًا﴾ هُوَ قَيْدٌ مُحَذَّرٌ مِمَّا فِيهِ شُبُهَةٌ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى الْوَرَعِ، وَيَكُونُ مَعْنَى طَيِّبِهِ تَيَقُّنَ حِلِّهِ، فَيَكُونُ بِحَيْثُ تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى تَنَاوُلِهِ دِينًا تَوْفَّرَها عَلَى تَنَاوُلِ مَا هُوَ نَهَايَةٌ فِي اللَّذَّةِ شَهْوَةٌ وَطَبْعًا، وَأَنْ يَكُونَ مُخْرِجًا لِمَا تَعَاْفَهُ النَّفْسُ مِمَّا أَخَذَ فِي الْفَسَادِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ؛ لِثَلَا يَضُرَّ<sup>(٣)</sup>.

٦- أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَلزِمٌ لِتَقْوَاهُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، أَي: فَلِإِيمَانِكُمْ يَلْزِمُكُمْ التَّقْوَى، فَلِإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ مُسْتَلزِمٌ لِلتَّقْوَى، فَمَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ، فَهُوَ إِمَّا فَاقِدٌ لِلْإِيمَانِ بِالْكَلْبِيَّةِ، وَإِمَّا نَاقِصٌ لِلْإِيمَانِ<sup>(٤)</sup>.

٧- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فِي الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى فِي هَذَا الْمَقَامِ جَمْعٌ بَيْنَ حَقُوقِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَفِيهَا دَفْعٌ لِمَنْ قَدْ يَسْتَشْكِلُ قَائِلًا: إِنَّ الدِّينَ شُرْعٌ لِتَرْكِيبَةِ النَّفُوسِ، وَالتَّمَتُّعِ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٤١٨/١٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

والحديث أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٣١٠٩)، والحاكم (٢١٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

قال ابن عبد البر في ((التمهيد)) (٤٣٥/٢٤): مُسْتَدْحَسَنٌ. وَضَعَفَ إِسْنَادَهُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي ((مصباح الزجاجة)) (٦/٢)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٢١٤٤).

والحديث رُوِيَ مِنْ طَرَفِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَحَدِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٨٦/٦).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٠٧/٢).



بالشّهوات واللذات يُنافي التزكية، وإن أقتصر فيه على المباحات؛ فكيف يكون الاستمتاع بالطيبات مطلوباً شرعاً؟!

ووجه ذلك الدّفع: أنّ تزكية الأنفس إنّما تكون بإيقافها عند حدّ الاعتدال، واجتناب التّفريط والإفراط، وقد خلق الله الإنسان مركّباً من رُوح ملكيّة وجسد حيواني، فلم يجعله ملكاً محضاً، ولا حيواناً محضاً، وسخر له بهذه المزيّة جميع ما في عالمه الذي يعيش فيه من الموادّ والقوى والأحياء، وجعل من سُنّته في خلقه أنّه تكون سلامة البدن وصحّته من أسباب سلامة العقل وسائر قوى النفس؛ ولذلك حرّم عليه ما يضرُّ بجسده، كما حرّم عليه ما يضرُّ بروحه وعقله، فالتمتّع بالطيبات من غير إسرافٍ ولا اعتداءٍ لحدودِ الله وسُننِ فطرته هو الذي يُؤدّي به حقُّ الجسدِ وحقُّ الرُّوح، ويُستعان به على أداءِ حقوقِ الله وحقوقِ خلقه، فإن صحّبته التقوى فيه وفي غيره تتمّ التزكية المطلوبة<sup>(١)</sup>.

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاحِدُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾، وفي سورة البقرة: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، فيه دليل على أنّ العبرة بما في القلوب، وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى))<sup>(٢)</sup>، ويبنّي عليه مسائل كثيرة في الأيمان والطلاق والبيع والأوقاف وغيرها<sup>(٣)</sup>.

٩- يُستفاد من قوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أنّه ينبغي تقليل الأيمان، وحفظ اليمين عن الحنث، هذا إذا لم يكن حلف بيمينه على ترك مندوبٍ أو فعلٍ مكروه، فإن حلف على ترك مندوبٍ أو فعلٍ مكروه، فالأفضل أن يحنث في يمينه، ويكفّر ويأتي الذي هو خير؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (١) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣١٤).

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ  
الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيَكْفُرْ عَنْ يَمِينِهِ))<sup>(١)</sup>.

١٠- أَنْ الْعِلْمَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهَا؛ لِأَنَّ بَيَانَ الْآيَاتِ بِهِ يَعْلَمُ  
الْإِنْسَانُ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُبَيِّنُهَا لِنَشْكُرَهُ عَلَيْهَا، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ  
بِالشَّرِيعَةِ وَبِآيَاتِ اللَّهِ نِعْمَةٌ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَشْكُرَهَا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:  
﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- إِنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ هَؤُلَاءِ الْبَشَرِ وَرَازِقُهُمْ؛ فَهُوَ وَخَدَهُ صَاحِبُ الْحَقِّ إِذْنٌ  
فِي أَنْ يُجَلَّ لَهُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ رِزْقِهِ، وَأَنْ يُحَرِّمَ عَلَيْهِمْ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ مَنْطِقُ يَعْتَرِفُ  
بِهِ الْبَشَرُ أَنْفُسُهُمْ؛ فَصَاحِبُ الْمَلِكِ هُوَ صَاحِبُ الْحَقِّ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَالخَارِجُ  
عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ الْبَدِيعِيِّ مُعْتَدٍ لَا شَكَّ فِي اعْتِدَائِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا  
طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ تَنْبِيهُ لِفُقَهَاءِ الْأُمَّةِ  
عَلَى الْإِحْتِرَازِ فِي الْقَوْلِ بِتَحْرِيمِ شَيْءٍ لَمْ يَقُمْ الدَّلِيلُ عَلَى نَحْرِيمِهِ، أَوْ كَانَ دَلِيلُهُ  
غَيْرَ بِالْغَيْبِ قُوَّةَ دَلِيلِ النَّهْيِ الْوَارِدِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ<sup>(٤)</sup>.

٣- الْإِشَارَةُ إِلَى مِنَّةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ؛ لِقَوْلِهِ:  
﴿طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَحَرَّمَ عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّتْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٠٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٨٩)، ((تفسير المنار))  
لمحمد رشيد رضا (٧/ ٣٤).

والحديث أخرجه مسلم (١٦٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٦).

(٣) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/ ٩٧٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٦).

لنا، كما حَرَّمَ ذلك على بني إسرائيل؛ حيث قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وتحريم الطيبات الشرعيُّ بسبب الظلمِ مثله التحريمُ القَدْرِيُّ بسبب الظلم؛ فإنَّ الإنسانَ قد يُحَرِّم الطيباتِ تحريمًا قدرِيًّا كالمريضِ الذي يمتنعُ من أكلِ اللحمِ؛ لأنَّه يزيدُه مرضًا، وكما يمنعُ اللهُ نباتَ الأرضِ بسببِ المعاصي، فهذا تحريمٌ قدرِيٌّ<sup>(١)</sup>.

٤ - ذهب بعضُ العلماءِ إلى أنَّ من حَرَّمَ مأكلاً أو مشرباً أو شيئاً من الأشياءِ، فإنَّه يجبُ عليه بذلك كفَّارةٌ يمينٍ، كما إذا التزمَ تركه باليمينِ، فكذلك يُؤاخِذُ بمجردَ تحريمه على نفسه إلزاماً له بما التزمه؛ فإنَّه لَمَّا ذَكَرَ هذا الحُكْمَ ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ عقبه بالآيةِ المبيِّنة لتكفيرِ اليمينِ؛ فدَلَّ على أنَّ هذا مُنزَّلٌ منزلةَ اليمينِ في اقتضاءِ التكفيرِ، وكَمَا في قولِه تعالى: ﴿بِأَيِّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبِعَنِي مَرْضَاةً أَوْ جِحًا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّحْرِيم: ١]، ثُمَّ قال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ...﴾ [التَّحْرِيم: ٢] واللهُ تعالى أعلمُ<sup>(٢)</sup>.

٥ - حَصَّ اللهُ الأكلَ بالذِّكْرِ في قولِه: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾؛ بعدَ أن قال: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ...﴾؛ لأنَّ مُعْظَمَ ما حَرَّمه النَّاسُ على أَنفُسِهِمْ هو المأكِلُ<sup>(٣)</sup>.

٦ - إثباتُ المحبَّةِ لله عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾؛ لأنَّ نَفْيَهُ محبَّةَ المعتدِّينِ يدلُّ على ثبوتِ أصلِ المحبَّةِ، ولو كان لا يُحِبُّ مُطْلَقًا لم

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٠٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٧١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٧).

يكن لِنَفْيِ مَحَبَّتِهِ لِلْمَعْتَدِينَ فَائِدَةٌ<sup>(١)</sup>.

٧- في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أمر الإنسان بالأكل مما رزق الله، وضده عدم الأكل، وعدم الأكل مما رزق الله ثلاثة أقسام: الأول: أن يترك الأكل مع خوف الهلاك إذا لم يأكل، فهنا ترك الأكل حرام؛ لأنه يجب على الإنسان أن يُقَدِّدَ نَفْسَهُ. الثاني: إذا كان ليس به ضرورة للأكل لكن يحتاج إلى الأكل لتقوية البدن، فهنا الأكل مُسْتَحَبٌّ؛ لأنه لو تركه لم يهلك، لكنه في حاجة، نقول له: لا تمنع نفسك. الثالث: أن يترك الأكل تنزهًا، فهذا يُنْهَى عنه، ويُقال: كُلْ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ لَكَ<sup>(٢)</sup>.

٨- سَعَةُ حِلْمِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ حيث نفى المؤاخذه عن اللغو في الأيمان؛ وذلك لكثرة تكرارها، ومشقة التحرز منها، وهذا بناءً على أن المراد بها: الأيمان التي لا تقصد، والتي تكون في عرض الحديث<sup>(٣)</sup>.

٩- قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ...﴾ احتج الشافعي رضي الله عنه بآية سورة البقرة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥] مع هذه الآية على وجوب الكفارة في اليمين الغموس، قال: إنه تعالى ذكر في آية البقرة: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وقال في آية المائدة: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ﴾ وعقد اليمين محتمل لأن يكون المراد منه عقد القلب به، ولأن يكون المراد به العقد الذي يُضَادُّ الحَلَّ، فلمَّا ذكر في آية البقرة قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ عَلِمْنَا أَنَّ المراد من ذلك العقد هو عقد القلب،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٠٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٣٠٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٣١٣).

وأيضاً ذكر المؤاخذة في آية البقرة، ولم يُبين أن تلك المؤاخذة ما هي، وبينها هنا في آية المائدة بقوله: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ...﴾؛ فبين أن المؤاخذة هي الكفارة، فكل واحدة من هاتين الآيتين مُجملة من وجه، مُبيّنة من وجه آخر، فصارت كل واحدة منهما مُفسّرة للأخرى من وجه، وحصل من كل واحدة منهما أن كل يمين ذكر على سبيل الجِدِّ وربط القلب، فالكفارة واجبة فيه، واليمين الغموس كذلك؛ فكانت الكفارة واجبة فيها<sup>(١)</sup>.

١٠ - أنه لا ينبغي الحنث إلا إذا كان خيراً؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ والكفارة لا تكون إلا في مقابلة ذنب أو ما يُشبهه؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

١١ - قُدِّمَ الإطعام على العتق في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ﴾ مع أن العتق أفضل لا محالة؛ وذلك لأمر:

منها: أن المقصود منه التنبية على أن هذه الكفارة وجبت على التخيير لا على الترتيب؛ لأنها لو وجبت على الترتيب لوجب البداء بالأغظ.

ومنها: قُدِّمَ الإطعام لأنه أسهل، وليكون الطعام أعمّ وجوداً، والمقصود منه التنبية على أنه تعالى يُراعي التخفيف والتسهيل في التكليف<sup>(٣)</sup>.

١٢ - في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقِيَّةٍ﴾ رقي من الأدنى إلى الأعلى، فالإطعام أيسر

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٦/٤٢٨)، (١٢/٤١٩).

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن اليمين الغموس لا كفارة فيها. ينظر: ((المغني)) لابن قدامة (٤/٤٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٢١).

من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق<sup>(١)</sup>.

١٣- أن الإطعام مُطلق لا يُشترط فيه التملك؛ لأن الله تعالى لم يقل: (فللمساكين)، لو قال: (فللمساكين) لكان يُشترط فيه التملك، كما قال في الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وإنما قال: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾؛ وذلك لأن الطعام يُنتفع به مرّة واحدة، فلا يُشترط فيه التملك، أمّا الكسوة فيُشترط فيها التملك، وإلا لكان تُعيره الثوب ثم تأخذه منه<sup>(٢)</sup>.

١٤- أنه لو أطمع من يأكل الطّعام - ولو كان صغيراً - كفى؛ لقوله: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٥- في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ لو قارنت بين إطعام عشرة مساكين وكسوتهم وعتق الرّقبة، لوجدت الفرق كبيراً، لكن لله الحكمة فيما يشرع؛ فلا يمكن أن يعترض معترض على حكمه<sup>(٤)</sup>.

١٦- تمام عدل الله عز وجل في إيجاب الأوسط؛ لقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ فالواجب على الإنسان هو الوسط؛ فالزكاة مثلاً على صاحب الغنم الواجب الوسط، والزكاة في الثمار الواجب الوسط، فإنه لو أوجب الأكمل والأعلى، لكان في هذا ضرر على المعطي، ولو أوجب الأدنى لكان فيه ضرر على المُعطى، أي: المدفوع إليه، فالوسط ليس فيه حيف لا على من يجب عليه، ولا على من يجب له، وهذا لا شك أنه من العدالة<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣١٩).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٣٢٠).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٣٢١، ٣٢٣).

١٧- وجوب الإنفاق على الأهل؛ لقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾<sup>(١)</sup> يعني: كأن هذا أمرٌ مُقرر؛ أن الرجل يُطعم أهله، وهذا لا شك فيه؛ أنه يجب على الرجل أن يُنفق على أهله؛ قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> [النساء: ٣٤].

١٨- يُستفاد من قوله: ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ أن الكسوة مُطلقة، فما سُمي كِسوة حصل به الأجزاء، وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأزمان والأماكن والأمم<sup>(٣)</sup>.

١٩- قوله تعالى: ﴿إِذَا حَلَقْتُمْ﴾ فيه دققة، وهي التبيُّة على أن تقديم الكفارة قبل اليمين لا يجوز، وأمَّا بعد اليمين وقبل الحنث فإنه يجوز<sup>(٤)</sup>.

٢٠- أن تقدير العبادات كميَّة ونوعًا وكيفيَّة موكول إلى الشَّرع؛ لقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾؛ ولذلك لا يتقابل أو لا يتساوى إطعام عشرة مساكين مع صيام ثلاثة أيام، فكفارة الظَّهار الواجب فيها صيام شهرين متتابعين، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينًا، فجاء إطعام كل فقير يُقابل صيام يوم، لكن هنا يختلف الوضع، ولعلَّ السبب - والله أعلم - أنه في كفارة الظَّهار الإطعام بدل عن الصيام، فمن لم يستطع الصيام أطعم، وإذا كان بدلًا عن الصيام، فالحكم أن صوم كل يوم يُطعم عنه مسكينًا، كما في العاجز عن الصيام عجزًا لا يرجي زواله، فإنه يُطعم عن كل يوم مسكينًا، أمَّا في كفارة اليمين وفدية الأذى، فليس الأمر كذلك؛ لأن الأمر فيهما على التخخير، فكل من خصال الكفارة نوع مُستقلُّ بنفسه<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٢١ / ٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٣٢ / ٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

(٣٢١ / ٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٢٣ / ١٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٢٣ / ٢).

٢١- أن الله سبحانه وتعالى بيّن لعباده من آياته كل ما يحتاجون إليه؛ لقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

٢٢- مما يستفاد من قوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ محبة الله تعالى للشكر؛ حيث بيّن الآيات لعباده من أجل أن يشكروه<sup>(٢)</sup>.

٢٣- تعليل أحكام الله عز وجل، وأنها مقرونة بالحكمة؛ لأن قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ للتعليل، والتعليل يفيد الحكمة؛ فجميع أفعال الله وأحكام الله كلها لحكمة، لكن منها ما يعلم، ومنها ما لا يعلم<sup>(٣)</sup>.

### بلاغة الآيات:

١- قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾:

- قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الجملة تعليل لما قبلها من قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾<sup>(٤)</sup>، وهي أيضاً جملة تذييلية للتي قبلها؛ للتحذير من كل اعتداء<sup>(٥)</sup>.

٢- قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيه تأكيد للتوصية بما أمر به، وزاده تأكيداً بقوله: ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾؛ لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر، وعمّا نهى عنه<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٦).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٧).

(٦) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٠)، ((تفسير أبي السعود))

(٣/ ٧٤)، ((تفسير الشرييني)) (١/ ٣٩٤)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٩٣).



٣- قَوْلُهُ: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾:

- قَوْلُهُ: ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، أي: فتحريروا الإنسان كله؛ ففيه تسمية الكل (الإنسان) بالجزء (الرقبة)؛ وخصت الرقبة من الإنسان؛ إذ هو العضو الذي فيه يكون الغل والتوثق غالبًا من الحيوان؛ فهو موضع الملك فأضيف التحرير إليها<sup>(١)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيَّمَانِكُمْ﴾ الكفارة مبالغة في (كفر)، بمعنى ستر وأزال، وقد جاءت فيها دلالتان على المبالغة، هما التضعيف والتاء الزائدة، كناء (نسابة) و(علامة)، والعرب تجمع بينهما غالبًا<sup>(٢)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٣١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٩).

## الآيات (٩٠ - ٩٢)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿الْمَيْسِرُ﴾: القمار؛ من قولهم: يَسِرُّ، إذا صَرَبَ بِالْقِدَاحِ، وأصلُ (يسر): يَدُلُّ عَلَى انْفِتَاحِ شَيْءٍ وَخِفَتِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿الْأَنْصَابُ﴾: جمع نُصْبٍ، وهو: حَجَرٌ أَوْ صَنْمٌ يَذْبَحُونَ عِنْدَهُ، أَوْ يُنْصَبُ لِلْعِبَادَةِ، وَأَصْلُ (نصب): يَدُلُّ عَلَى إِقَامَةِ شَيْءٍ، وَإِهْدَافٍ فِي اسْتِوَاءٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿الْأَزْلَامُ﴾: أي: القِدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَضْرِبُونَ بِهَا، ثُمَّ يَعْمَلُونَ بِمَا يَخْرُجُ فِيهَا مِنْ أَمْرِ أَوْ نَهْيٍ، أَوِ الَّتِي يَضْرِبُونَ بِهَا عَلَى الْمَيْسِرِ، أَوْ هِيَ سِهَامُ الْعَرَبِ، مَفْرَدُهَا: زَكَمٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤١٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٥٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠، ٤٨٦)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٣/ ٤٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٢).

﴿رَجَسٌ﴾: أي: قَدَرٌ مُتَيْن، وأصل (رجس): يدلُّ على اختلاط<sup>(١)</sup>.

﴿الشَّيْطَانُ﴾: إبليس؛ وكلُّ عاتٍ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالِدَوَابِّ: شَيْطَانٌ، وأصله من (شطن) إذا تباعد؛ وذلك لبُعده عن الخيرِ أو رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وقيل: أصله من (شيط) إذا احترق<sup>(٢)</sup>.

﴿يَصُدُّكُمْ﴾: أي: يَصْرِفُكُمْ وَيَمْنَعُكُمْ، وَالصَّدُّ: الإِعْرَاضُ وَالْعُدُولُ، وَيُطَلَّقُ أَيْضًا عَلَى الْإِنصِرَافِ عَنِ الشَّيْءِ وَالْإِمْتِنَاعِ عَنْهُ، وَأَصْلُ (صدد): صَرَفَ وَمَنَعَ<sup>(٣)</sup>.  
﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ؛ سُمِّيَ الْإِثْمُ بِذَلِكَ لِإِمْلِيهِ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ؛ فَأَصْلُ (جنح): مال وتعدَّى<sup>(٤)</sup>.

### المَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْخَمْرَ وَالْقِمَارَ، وَمَا يُنْصَبُ لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَالْقِدَاحَ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا؛ لِيُعْمَلَ بِمَا يَخْرُجُ فِيهَا مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ، وَيُعْرَفُ عَنِ طَرِيقِهَا مَا قَسِمَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ أُمُورٌ مُسْتَقْدَرَةٌ يَنْأَى عَنْهَا الْعُقَلَاءُ، وَتَعَافَى النَّفُوسُ؛ فَهِيَ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، فَجِبُّ عَلَيْهِمُ الْإِبْتِعَادُ عَنْهَا وَاجْتِنَابُهَا؛ حَتَّى يُفْلِحُوا؛ فَالشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ يُرِيدُ بِتَزْيِينِهِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَهُمُ الْعِدَاءَ وَالتَّبَاغُضَ، وَيُثِيرَ فِي نَفُوسِهِمُ الْأَحْقَادَ؛ بِسَبَبِ تَعَاطِي الْخَمْرِ وَالْقِمَارِ، فَإِنَّ مَنْ سَكِرَ، اخْتَلَّتْ عَقْلُهُ، فَرَبَّمَا تَسَلَّطَ عَلَى أَدَى النَّاسِ فِي أَنْفُسِهِمُ

(١) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٩٠)،

((المفردات)) للراغب (ص: ٣٤٢)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١٩٩).

(٢) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٨٤، ٢٣٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٥٤)،

((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٥١).

(٣) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٨٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٧٧).

(٤) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٨٤)،

((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٩٨).

وأموالهم، وربّما بلغ به ذلك إلى القتل، ومن قامَ فرّبما خسر ماله، فلم يبق له شيءٌ، فيشتدّ حقدُه على من أخذ ماله. كما يريدُ الشيطانُ أيضًا أن يصدّهم عن ذكرِ الله وعن الصلّاة، إذا تبين لهم هذا فهلّا انتهوا عن تلك الأمور المستقبحة. ثم يأمرُ الله عباده المؤمنين أن يُطيعوه جلّ وعلا، ويُطيعوا رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأن يحذروا من المخالفة لأمرِ الله ورسوله عليه الصلّاة والسّلام، فإن أعرضوا عن الطاعة فليعلموا أنّما على الرسول صلّى الله عليه وسلّم البلاغ عن الله تعالى، وأمّا عقوبة من تولّى وحسابه فعلى الله عزّ وجلّ وحده.

ثم بيّنُ تعالى أنّه ليس على الذين آمنوا وعلّموا الصالحاتِ إثمٌ فيما شربوا وأكلوا ممّا حرّم الله تعالى إذا فعلوا ذلك قبل نُزولِ تحريمه أو قبل معرفتهم بتحريمه، إذا ما اجتنبوا ما حرّم الله، وآمنوا به، وعلّموا الصالحاتِ، ثم استمروا على اجتنابِ ما حرّم تعالى، وعلى الإيمانِ به، ثم استمروا على اجتنابِ ما حرّم الله تعالى؛ حتى بلغوا مرتبة الإحسان، والله تعالى يحبُّ المحسنين في عبادته، والذين يُحسنون إلى عباده.

### تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الطَّيِّبَاتِ حَرَّمَ الْخَبَائِثَ الْمُفْضِيَةَ إِلَى مَفَاسِدَ؛ وَلَمَّا كَانَ الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ مِنْ جَمَلَةِ الْأُمُورِ الْمُسْتَطَايَةِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ؛ بَيْنَ أَنْهُمَا غَيْرُ دَاخِلَيْنِ فِي الْمَحَلَّلَاتِ، وَالْمَيْسِرُ كَانَ وَسِيلَةً لِلْكَسْبِ وَالْأَكْلِ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَالْاحْتِرَاسِ عَمَّا قَدْ يُسَاءُ تَأْوِيلُهُ مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ

اللَّهِ لَكُمْ<sup>(١)</sup>، فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾

أي: يا أيها المؤمنون، إن الخمر والقمار والميسر والأنصاب والأزلام التي يُستفسم بها، كما كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، وهي عبارة عن قِداح ثلاثية، مكتوبٌ على أحدها: «أفعل»، وعلى الآخر: «لا تفعل»، والثالث ليس عليه شيء، وقيل: كان يُكتب على الواحد منها: «أمرني ربِّي»، وعلى الآخر: «نهاني ربِّي»، والثالث ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع السهم الأمر فعله، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستقسام، حتى يخرج أحد القَدحين الآخرين فيعمل به<sup>(٢)</sup>.

﴿رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾

أي: إن تلك الأشياء ما هي إلا خُبثٌ ونتنٌ وأمورٌ مُستقدرة، ينبغي أن تعافها النفوس، وهي من تزيين الشيطان، ووحية إليكم؛ ليرغبكم في إتيانها وتعاطيها<sup>(٣)</sup>.

﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٦٦/١٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢١/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٢/٨، ٦٥٥-٦٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (١٧٨/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٢٨-٣٢٩). واختار ابن جرير أن المراد بالأنصاب: الأنصاب التي يُذبح عندها. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٥/٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٦/٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٢٦/١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٢٩). واختلف أهل العلم في هل الخمر نجسة نجاسة عينية أو لا. يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٢٦/١-٤٢٨)، ((مختصر فقه الطهارة)) (ص: ١٤٣).

أي: فابتعدوا عن هذا الرجس؛ كما تظفروا بما تطلبون، وتنجوا مما ترهبون<sup>(١)</sup>.  
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
 وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ (٩١)﴾.  
 مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاجْتِنَابِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، عَقَّبَ بِذِكْرِ نَوْعَيْنِ مِنَ الْمَفْسُودَةِ  
 الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى تَعَاطِيهَا وَارْتِكَابِهَا: الْأَوَّلُ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالْذُّنُوبِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا  
 يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، وَالثَّانِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالَّذِينَ وَهُوَ  
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
 سَبَبُ النُّزُولِ:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ،  
 فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمَكَ، وَنَسْقِكَ خَمْرًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ  
 فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزْوَرٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ، وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ،  
 قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ:  
 الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيْ الرَّأْسِ فَضْرَبَنِي بِهِ،  
 فَجَرَحَ بَأَنْفِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ فِي - يَعْنِي: نَفْسَهُ - شَأْنَ الْخَمْرِ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ  
 وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(٣)</sup> [المائدة: ٩٠].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٥٦/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٧٩)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٢٤).

(٣) رواه مسلم (١٧٤٨).

أي: إنما يريدُ لكم الشيطانُ - عن طريقِ شُرْبِ الخمرِ وتَعاطِي القِمارِ - أن يُعاديَ بعضُكم بعضًا بأفعالِهِم، ويُبغِضَ بعضُكم بعضًا بقلوبِهِم، فبُشِّرْتُم أمرَكم بعد تَأليفِ الله تعالى بين قلوبِكُم<sup>(١)</sup>.

﴿وَيُضِدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾

أي: ويُرِيدُ الشيطانُ أن يَصْرِفَكم بَغَلْبَةِ هذه الخمرِ على عُقُولِكُم، وباشتغالِكُم بهذا الميسِرِ عن ذِكْرِ الله تعالى بِالسِّتَاتِكُم وجوارِحِكُم وقلوبِكُم، وعن الصَّلَاةِ التي بها فلا حُكْمَ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ تعالى اشْتِمَالَ شُرْبِ الخمرِ واللَّعِبِ بالميسِرِ على هذه المفاسِدِ العظيمةِ في الدِّينِ<sup>(٣)</sup>، قال تعالى:

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

أي: فهل تَمْتنعون عن تلك القبائح بعد هذا البيانِ الجليِّ والموعظةِ البليغة<sup>(٤)</sup>؟

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى

رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٥٦-٦٥٧)، ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/٤٥٧)،

((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٣٠-٣٣١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٥٧)، ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/٤٥٧-٤٥٨)،

((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٣١-٣٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٢٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٥٧، ٦٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٣٣).

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا كَانَ الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ مَأْلُوفًا لَهُمْ، مَحْبُوبًا عِنْدَهُمْ، وَكَانَ تَرْكُ الْمَأْلُوفِ أَمْرًا مِنْ صَرْبِ السُّيُوفِ؛ أَكَّدَ دَعْوَتَهُمْ إِلَى اجْتِنَابِهِ، مُحَدِّثًا مِنَ الْمَخَالَفَةِ بِقَوْلِهِ (١):

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾.

أي: وأطيعوا الله تعالى، وأطيعوا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بفعل الأوامر، واجتناب النواهي؛ ومن ذلك اجتناب تلك القبائح، واحذروا من معصية الله تعالى، ومعصية رسوله صلى الله عليه وسلم (٢).

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

أي: فإن أتمت عرضتكم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأعلموا إذن أنه ليس علي من أرسلناه إليكم سوى إبلاغكم رسالة ربكم بجلالٍ ووضوح، وأما إيقاع العقاب بكم إذا توليتم عنها، فعلى الله تعالى وحده (٣).

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾.

سَبَبُ النُّزُولِ:

عن أنس رضي الله عنه، قال: ((كنت ساقياً القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ<sup>(٤)</sup> فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي: ألا

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٥٤-٣٥٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٦٣-٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٥٥-٣٥٦).

(٤) الفضيخ: هو شرابٌ يُتخذ من البُسْرِ المفضوخ - أي: المشدوخ - وحده، من غير أن تمسه النار. =



إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: أَخْرَجْ فَأَهْرِقْهَا. فَخَرَجَتْ فَهَرَقْتُهَا فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ (الآية) (١).

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾.

أي: ليس على المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة؛ إثمٌ فيما شربوا وأكلوا ممَّا حَرَّمَ اللهُ تعالى قَبْلَ نُزُولِ تحريمه ومعرفة، وذلك كالخمر التي كانوا يشربونها، والقمار الذي كانوا يتعاطونه (٢).

﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

أي: يُنْفَى عنهم الإثم بشرط أن يجتنبوا ما حَرَّمَ اللهُ تعالى، ومن ذلك ما حَرَّمَ عليهم من مَطْعوماتٍ، ويؤمنوا بالله تعالى إيمانًا صحيحًا، يدعوهم إلى اكتساب الأعمال الصالحة (٣).

﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾.

أي: ثم استمروا على اجتناب ما حَرَّمَ عليهم، وثبتوا واستمروا على الإيمان به سبحانه، دون أن يُعَيَّرُوا أو يُبَدَّلُوا (٤).

= ينظر: ((الصحيح)) للجوهري (١/٤٢٩)، ((النهاية)) لابن الأثير (٣/٤٥٣).

(١) رواه البخاري (٢٤٦٤) واللفظ له، ومسلم (١٩٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٦٥-٣٦٨).

قال مكي: (فهذه الآية نزلت في قول الجميع فيمن مات منهم وهو يشربها، اعلموا أنه لا جناح عليهم) ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (٣/١٨٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٦٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٦٩).

﴿ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا﴾.

أي: ثم داوموا على اجتناب المحرمات، حتى دعاهم ذلك إلى بلوغ الإحسان في فعل الطاعات<sup>(١)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: والله تعالى يحب المحسنين في عبادته، الذين يعبدونه سبحانه كأنهم يروونه، المحسنين في نفع عباده<sup>(٢)</sup>.

### القَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ:

١- بَدُوهُ تَعَالَى الْكَلَامَ بِهَذَا الْوَصْفِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ بِهِ تَصَدِيقًا أَوْ امْتِنَانًا مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ، كَذَلِكَ أَيْضًا: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَخَالَفَتَهُ، أَوِ الشُّكَّ فِيهِ، أَوْ تَكْذِيبَهُ مَنَافٍ لِلْإِيمَانِ؛ إِمَّا لِأَصْلِهِ أَوْ لِكَمَالِهِ، وَثَالِثًا: أَنَّ فِي هَذَا إِعْرَاءً لِلْمَخَاطَبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَاسْتَمِعْ وَامْتَثِلْ<sup>(٣)</sup>.

٢- يَكْفِي أَنْ يَعْلَمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ شَيْئًا مَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ لِيُنْفَرَ مِنْهُ حُسَّةً، وَتَشْمَتَزَّ مِنْهُ نَفْسُهُ، وَيَبْعَدَ عَنْهُ مِنْ خَوْفٍ وَيَتَّقِيَهُ! فَالشَّيْطَانُ عَدُوُّ الْإِنْسَانِ الْقَدِيمُ؛ لِذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَجَسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فَتَعَاطِي هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ بِتَسْوِيلٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَكَأَنَّ الَّذِي عَمَلَهَا وَتَعَاطَاهَا هُوَ الشَّيْطَانُ، وَفِي ذَلِكَ تَنْفِيرٌ لِمَتَعَاطِيهَا بِأَنَّهُ مَنْ عَمَلَ عَمَلَ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ شَيْطَانٌ، وَذَلِكَ مِمَّا تَأْبَاهُ النَّفْسُ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ ذَمًّا لِهَذَا الْعَمَلِ، بَلْ وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَصْدُرُ النَّهْيُ مَصْحُوبًا كَذَلِكَ بِالْإِطْمَاعِ فِي الْفَلَاحِ، وَهِيَ لِمَسَّةٍ أُخْرَى مِنْ لِمَسَاتِ الْإِيْحَاءِ النَّفْسِيِّ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٤-٦٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٠-٣٧٣).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٧).

العميق، فقال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَجَسَ مِنْ مَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّهُ لَا مَعْصِيَةَ أَعْظَمَ وَأَقْبَحَ مِنْ مَعْصِيَةٍ تُدْنَسُ صَاحِبِهَا، وَتَجْعَلُهُ مِنْ أَهْلِ الْخُبْثِ، وَتُوقَعُهُ فِي أَعْمَالِ الشَّيْطَانِ وَشِبَاكِهِ، فَيُنْقَادُ لَهُ كَمَا تَنْقَادُ الْبَهِيمَةُ الذَّلِيلَةُ لِرَاعِيهَا، وَتَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ فَلَاحِهِ، وَتُوقَعُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَصَدُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ؟ فَهَلْ فَوْقَ هَذِهِ الْمَفَاسِدِ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْهَا<sup>(٢)</sup>؟

٤- فَضِيلَةُ الصَّلَاةِ لِتَخْصِيصِهَا بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِهَا وَفَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا<sup>(٣)</sup>.

٥- أَنَّ كُلَّ مَا صَدَّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ مِنْ أَوَامِرِ الشَّيْطَانِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾، وَذِكْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، فَكُلُّ مَا صَدَّكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، فَهُوَ مِنْ أَوَامِرِ الشَّيْطَانِ وَإِرَادَاتِهِ<sup>(٤)</sup>.

٦- أَنَّ كُلَّ مَا وَقَعَ فِي قَلْبِكَ مِنَ التَّثَاوُلِ عَنِ الصَّلَاةِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَرَادِ الشَّيْطَانِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٧- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ الْحُضُّ عَلَى تَرْكِ هَذِهِ الْخُبَائِثِ، وَالْإِقْلَاعِ عَنْهَا؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ إِذَا نَظَرَ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ الْمَفَاسِدِ انْزَجَرَ عَنْهَا وَكَفَّتْ

(١) يُنْظَرُ: ((فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ)) لِسَيِّدِ قَطْبٍ (٢/٩٧٥)، وَيُنْظَرُ أَيْضًا: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَاشُورٍ)) (٧/٢٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٤٣).

(٣) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ الشَّرِيفِيِّ)) (١/٣٩٦)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٢/٣٥٣).

(٤) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٢/٣٥٣).

(٥) يُنْظَرُ: ((الْمَصْدَرُ السَّابِقُ)).

نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير، ولا زجر بليغ<sup>(١)</sup>.

٨- في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بيان أن طاعة الله وطاعة رسوله واحدة، فمن أطاع الله فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله من الأعمال والأقوال، الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه، والانتهاز عما نهى الله ورسوله عنه كذلك<sup>(٢)</sup>.

٩- أن تولي الناس عما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم لا يضره، ولا يلام عليه؛ لقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؛ لأنه إذا كان ليس عليه إلا البلاغ، فإنه لن يضره توليهم ولا يلام عليه، ويتفرع على ذلك: أن الداعية إلى الله في وقتنا وفيما قبله لا يضره ألا يقبل الناس منه؛ لأنه أدى الواجب، وينبغي أن يفرح نفسه بأنه أدى الواجب، وألا يحزن لعدم قبولهم دعوته؛ لأن الله تعالى قال للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، لكن ربما نقول: يحزن لعدم قبول الشريعة، لا لعدم قبولهم منه، والفرق بين هذا وهذا واضح<sup>(٣)</sup>.

١٠- وجوب الرجوع إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم؛ لقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، وأنه عليه الصلاة والسلام قام بالواجب، فعلينا - نحن - أن نقوم بالواجب<sup>(٤)</sup>.

١١- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٦١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ﴿٩٠﴾  
فيه ثناء من الله، وحمد لأحوال من يتصفون بهذه الصفات: الإيمان والتقوى  
والإحسان، وهذا مدعاة لتحريها والاتصاف بها<sup>(١)</sup>.

١٢ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا  
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾  
القيود الشديدة في نفي الإثم عمّن أكل أو شرب في ما كوله ومشروبه، والتقوى  
ذكرت في الآية ثلاث مرّات، والإيمان مرّتين، والإحسان مرّة، قيود شديدة  
عظيمة؛ فينبغي الحذر من أن يكون في المطعم إثم<sup>(٢)</sup>.

١٣ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا  
طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾  
أنّ من أكل حلالاً بكسب حرام فعليه الإثم؛ لأنّه لم يتق الله في كسبه، ولا بدّ  
أن يتق الله عزّ وجلّ، وإذا كان الشيء المحرّم معيّنًا فيكون الأكل كالكاسب،  
مثل: أن أعرف أنّ هذه الشاة التي ذبحها إكرامًا لي قد سرقها من فلان، فهذه  
حرامٌ عليّ أن أكلها<sup>(٣)</sup>.

١٤ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ فضيلة الإحسان إلى الخلق  
والإحسان في عبادة الخالق؛ فالإحسان إلى الخلق أن تبدّل جاهك، تبدل  
مالك، تبدل خدمتك، تبدل منفعتك البدنيّة، والإحسان في عبادة الخالق فسره  
أعلم الناس بمعناه، وهو النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بقوله: ((أنّ تعبد الله كأنك  
تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظَر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٢٧).

(٢) يُنظَر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٧١).

(٣) يُنظَر: ((المصدر السابق)) (٢/٣٧٢).

(٤) يُنظَر: ((المصدر السابق)) (٢/٣٧٣).

## الفوائد العلمية واللطائف:

١- أطلق الله عزَّ وجلَّ الإيمانَ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولم يذكر ما يؤمن به؛ لأنَّ ذلك معلومٌ، وقد سأل جبريلُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم عنه؛ أي: عن الإيمانِ، فقال: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾ يُستفادُ منه تحريمُ الخمرِ من أيِّ شيءٍ كان، سواءً من العنبِ أو من الرُّطْبِ، أو من الشعيرِ، أو من البرِّ، أو من أيِّ شيءٍ؛ لعمومِ الآيةِ<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾ يُستفادُ من الآيةِ تحريمُ الميسرِ قليلاً وكثيره؛ للعمومِ، حتى لو كانت المغالبةُ بقرشٍ واحدٍ، ولو يسيراً؛ لأنَّنا نقول: قليلُ الميسرِ الذي لا يُجحفُ بمالِ الإنسانِ، ولا يُهتَمُّ به، كقليلِ الخمرِ الذي إذا كان قليلاً لم يُسكرِ، وإذا كان كثيراً أسكرَ، ولا شكَّ أنَّ المغالبةَ إذا كانت في شيءٍ يسيرٍ تجرُّ إلى المغالبةِ في شيءٍ كثيرٍ، ويُستثنى من ذلك ما مصلحتهُ أعلى من مفسدتهِ، وذلك في ثلاثة أشياء بيَّنها النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم فقال: ((لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضْلِ أَوْ خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ))<sup>(٣)</sup> - السَّبَقُ بفتحِ الباءِ -

= والحديثُ أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) من حديثِ أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٨) من حديثِ عمر.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٢٧/٢).

والحديثُ أخرجه مسلم (٨) من حديثِ عمر رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٤٤/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٣٣/٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٧٤)، والترمذي (١٧٠٠)، والنسائي (٣٥٨٥)، وأحمد (١٠١٤٢) من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه.

حسَّنه الترمذي، وقال العُقيليُّ - كما في ((لسان الميزان)) لابن حجر (٣٢٧/٦) -: رواه الناسُ عن ابنِ أبي ذئبٍ، عن أبي هريرة، وهو الصَّحيح. واحتجَّ به ابن حزم في ((المحلى)) =

هو: العَوْضُ المَأخُوذُ عَلَى السَّبْقِ - بسكون الباء -، والنَّصْلُ: السَّهْمُ، والخُفُّ: البعير، والحافر: الفرس - وإنما استثنى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ بِهَا يَقُومُ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِي بِهِ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللهِ، وَهَذِهِ مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ؛ فَإِذَا رُخِّصَ لِلنَّاسِ فِي أَخْذِ العَوْضِ عَلَيْهَا، كَثُرَ تَسَابُقُهُمْ فِيهَا<sup>(١)</sup>.

٤ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَبُصْدِكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَن الصَّلَاةِ﴾ فِيهِ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُتَّهُونَ﴾ فَرُتِبَ النَّهْيُ عَن شُرْبِ الخَمْرِ عَلَى كَوْنِ الخَمْرِ مُشْتَمَلَةً عَلَى تِلْكَ المَفَاسِدِ، وَمِنَ المَعْلُومِ فِي بَدَائِهِ العَقُولِ أَنَّ تِلْكَ المَفَاسِدَ إِنَّمَا تَوَلَّدَتْ مِن كَوْنِهَا مُؤَثَّرَةً فِي السُّكْرِ، وَهَذَا يُفِيدُ القِطْعَ بِأَنَّ عِلَّةَ قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُتَّهُونَ﴾ هِيَ كَوْنُ الخَمْرِ مُؤَثَّرَةً فِي الإِسْكَارِ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا وَجِبَ القِطْعُ بِأَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ<sup>(٢)</sup>.

٥ - لِلقرآنِ الكَرِيمِ طَرِيقَةٌ فِي بَيَانِ العِلَلِ؛ فَتَارَةً يَتَقَدَّمُ بَيَانُ العِلَّةِ، وَتَارَةً يَتَأَخَّرُ، يَعْنِي: إِذَا ذَكَرَ اللهُ حُكْمًا، وَذَكَرَ لَهُ عِلَّةً، فَتَارَةً يَذْكَرُ العِلَّةَ قَبْلَ ثَمَّ يَبْنِي عَلَيْهَا الحُكْمَ، وَتَارَةً يَذْكَرُ الحُكْمَ ثَمَّ يَأْتِي بِالعِلَّةِ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الحَالُ وَقَرَأْنُ السِّيَاقِ، فَهِنَا ذَكَرَ العِلَّةَ قَبْلَ الحُكْمِ، وَهِيَ: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

٦ - تَحْرِيمُ الأَصْنَامِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ فَالأَنْصَابُ: مَا يُنْصَبُ لِعِبَادَةِ دُونَ اللهِ، وَهُوَ

= (٧/٣٥٤)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ العَرَبِيِّ فِي ((عَارِضَةُ الأَحْوَذِيِّ)) (٤/١٦٠)، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ ابْنُ القَطَّانِ فِي ((الوَهْمُ وَالإِيهَامُ)) (٥/٣٨٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي ((صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ)) (٢٥٧٤).

(١) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ المَائِدَةِ)) (٢/٣٣٥).

(٢) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ)) (١٢/٤٢٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ المَائِدَةِ)) (٢/٣٤١).

يَعْمُ كُلُّ مَا اتَّخَذَ صَنَمًا مِنْ أَيِّ مَادَّةٍ كَانَ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مُطْلَقَةٌ<sup>(١)</sup>.

٧- في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ حُذِفَ الْمُتَعَلِّقُ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، فَلَمْ يَخْصُرْ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْجِتْنَابَ بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِنْتِفَاعِ؛ فَيُحْمَلُ عَلَى الْعُمُومِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: اجْتَنِبُوا بَيْعَهُ، وَشُرْبَهُ، وَإِهْدَاءَهُ، وَتَخْلِيلَهُ، وَهَبْتَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

٨- رَحْمَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِعِبَادِهِ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ لِعِبَادَتِهِ؛ حَيْثُ حَذَّرَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ ضَرَرٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٩- إِبْثَاتُ الْإِرَادَةِ لِلشَّيْطَانِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ﴾، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وَقَدْ جَادَلَ رَبَّهُ عَنْ إِرَادَةٍ<sup>(٤)</sup>.

١٠- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ اِقْتَصَرَتِ الْآيَةُ عَلَى تَبْيِينِ مَفَاسِدِ شُرْبِ الْخَمْرِ وَتَعَاطِي الْمَيْسِرِ، دُونَ تَبْيِينِ مَا فِي عِبَادَةِ الْأَنْصَابِ وَالِاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ مِنَ الْفَسَادِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِقْلَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُمَا قَدْ تَقَرَّرَ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ حِينِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ مَآثِرِ عَقَائِدِ الشُّرْكِ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ فِي النَّفُوسِ مَا يُدَافِعُ الْوِزَاعَ الشَّرْعِيَّ عَنْهُمَا بِخِلَافِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ؛ فَإِنَّ مَا فِيهِمَا مِنَ اللَّذَّاتِ الَّتِي تُرْجِي بِالنَّفُوسِ إِلَى تَعَاطِيهِمَا قَدْ يُدَافِعُ الْوِزَاعَ الشَّرْعِيَّ؛ فَلِذَلِكَ أَكَّدَ النَّهْيَ عَنْهُمَا أَشَدَّ مِمَّا أَكَّدَ النَّهْيَ عَنِ الْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَامِ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٨، ٣٣٩).

(٢) يُنْظَرُ: ((قواعد التفسير)) لِلْمَثَبِ (ص: ٥٩٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٤٩).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٥٠).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٠).



١١- لَمَّا كَانَتِ الْعَدَاوَةُ قَدْ تَزُولُ أَسْبَابُهَا، ذَكَرَ مَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِمَّا إِذَا اسْتَحْكَمَ تَعَسَّرَ، أَوْ تَعَدَّرَ زَوَالُهُ، فَقَالَ: ﴿وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أي: في تعاطيهما؛ لِأَنَّ الْخَمْرَ تُزِيلُ الْعَقْلَ، فَيَزُولُ الْمَانِعُ مِنْ إِظْهَارِ الْكَامِنِ مِنَ الضَّغَائِنِ وَالْمَحَاسِنِ، فَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ، وَأُمُورٍ مَهُولَةٍ، وَالْمَيْسِرُ يُذْهِبُ الْمَالَ، فَيُوجِبُ ذَلِكَ الْحَقْدَ عَلَى مَنْ سَلَبَهُ مَالَهُ، وَنَغَّصَ عَلَيْهِ أَحْوَالَهُ<sup>(١)</sup>.

١٢- كَرَاهَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ إِلَى آخِرِهِ، فَهَذَا تَحْذِيرٌ لَيْسَ بَعْدَهُ تَحْذِيرٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالِاجْتِمَاعِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٢)</sup> [آل عمران: ١٠٣].

١٣- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ \* وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ نَاسَبَ الْعَطْفُ فِي ﴿وَأَطِيعُوا﴾ عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾؛ إِذْ تَضَمَّنَ هَذَا مَعْنَى الْأَمْرِ، وَهُوَ قَوْلُهُ (فَأَنْتَهُوا)<sup>(٣)</sup>.

١٤- أَنَّ طَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَقَلَّةٌ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ إِذَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ، لَا نَقُولُ: هَلْ يَوْجَدُ فِي الْقُرْآنِ هَذَا الْأَمْرُ أَوْ لَا يَوْجَدُ، بَلْ طَاعَتُهُ مُسْتَقَلَّةٌ؛ وَجِهَ ذَلِكَ: أَنَّهُ أَعَادَ الْفِعْلَ فَقَالَ: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، وَإِعَادَةُ الْفِعْلِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ مُسْتَقَلَّةٌ، بِمَعْنَى: أَنَّنَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى شَاهِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(٤)</sup>.

١٥- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَازُ عَنْ غَيْرِهِ بِالرَّسَالَةِ، وَالرَّسَالَةُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَوْصَافِ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا الْعَبْدُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿الرَّسُولُ﴾، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّسُولَ

(١) يُنظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٩٣).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٥٠).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٥٩).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٥٧).

يَفْضَلُ وَيَشْرَفُ بِحَسَبِ مَنْزِلَةِ مُرْسَلِهِ<sup>(١)</sup>.

١٦- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَ أَحَدًا؛ لِأَنَّهُ بَلَغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ حَصَلَتِ الْمَخَالَفَةُ وَالتَّوَلَّى<sup>(٢)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

أَكَّدَ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمُؤَكَّدَاتِ<sup>(٣)</sup>:

منها: تَصْدِيرُ الْجُمْلَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا﴾، وَالْقَصْرُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا﴾ هُوَ قَصْرٌ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، أَيْ: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَاتِ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْإِنْتِصَافِ بِالرَّجْسِ، لَا تَتَجَاوَزُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ؛ لِلْمَبَالِغَةِ فِي عَدَمِ الْإِعْتِدَادِ بِمَا عَدَا صِفَةَ الرَّجْسِ مِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ.

ومنها: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ رَجْسًا، وَكَلِمَةُ الرَّجْسِ تَدُلُّ عَلَى مَتْنَهِيَ الْفُبْحِ وَالْخَبِيثِ؛ وَلِذَلِكَ أُطْلِقَتْ عَلَى الْأَوْثَانِ؛ فَهِيَ أَسْوَأُ مَفْهُومًا مِنْ كَلِمَةِ الْخَبِيثِ، وَقَدْ عَلِمَ مِنْ عِدَّةِ آيَاتٍ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ.

ومنها: أَنَّهُ قَرَنَهُمَا بِالْأَصْنَامِ وَالْأَزْلَامِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْمَالِ الْوَثْنِيَّةِ، وَخُرَافَاتِ الشُّرْكِ، وَسَمَّاهُمَا رَجْسًا، وَجَعَلَهُمَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؛ تَنْبِيْهًُا عَلَى أَنَّ الْإِسْتِغَالَ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٦١).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٤-٦٧٣)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٥)، ((تفسير

البيضاوي)) (٢/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٥-٧٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٢٣)،

((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٥٣).

بهما شرٌّ خالصٌ أو غالبٌ، ولِمَا يَنْشَأُ عنهما من الشرور والطغيان، ولا يكون عملُ الشيطانِ إلا موجِبًا لسخطِ الرَّحْمَنِ؛ فالشَّيْطَانُ لا يَأْتِي منه إلا الشرُّ البَحْتُ.

ومنها: أَنَّهُ أَمَرَ بِالاجْتِنَابِ عن عَيْنِهِمَا، وجَعَلَ الأَمْرَ بِتَرْكِهِمَا مِنْ مادَّةِ الاجْتِنَابِ أَبْلَغُ مِنَ التَّرْكِ؛ لِأَنَّهُ يُفِيدُ الأَمْرَ بِالتَّرْكِ مع البُعدِ عن المتركِ بأن يكونَ التاركُ في جانبٍ بعيدٍ عن جانبِ المتركِ؛ وغالبٌ ما جاءَ في القرآنِ من التَّعبيرِ بالاجْتِنَابِ جاءَ في الشُّركِ والطَّاغُوتِ الذي يَشْمَلُ الشُّركَ والأوثانَ وسائرَ مَصادرِ الطُّغْيَانِ، والكبائرِ عامَّةً، وقولِ الزُّورِ الذي هُوَ مِنْ أَكْبَرِها؛ قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، وقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

ومنها: أَنَّهُ جَعَلَ الاجْتِنَابَ مِنَ الفَلاحِ، وإذا كانَ الاجْتِنَابُ فِلاحًا ومرجاةً له، دَلَّ ذلكَ على أَنَّ ارتكابَهُمَا مِنَ الحُسْرانِ والحِيبَةِ، في الدُّنيا والآخِرَةِ.

ومنها: أَنَّهُ ذَكَرَ ما يَنْتَجِ مِنْهُمَا مِنَ الوَبالِ، وهو وقوعُ التعادِي والتباغُضِ مِنْ أَصحابِ الخمرِ والميسرِ، فجعلَهُما مَثارًا للعداوةِ والبغضاءِ، وهما شرُّ المَفسادِ الدُّنيويَّةِ المتعدِّيةِ إلى أنواعِ مِنَ المعاصِي في الأموالِ والأعراضِ والأنفُسِ؛ ولذلك سُمِّيَتِ الخمرُ أُمَّ الخبائِثِ وأُمَّ الفَواحِشِ.

ومنها: أَنَّهُ جَعَلَهُمَا صادِّينَ عن ذِكْرِ اللهِ وعن الصَّلاةِ، وهما رُوحُ الدِّينِ وعمادُهُ، وزادُ المؤمنِ وعنادُهُ.

ومنها: الأَمْرُ بالانْتِهاءِ عنهما بصِيغةِ الاستفهامِ المقرونِ بفاءِ السببيةِ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.

ولم يؤكد تحريم شيء في القرآن مثل هذا التأكيد ولا قريباً منه؛ وحكمته: شدة افتتان الناس بشرب الخمر، وكذا الميسر، وتأولهم كل ما يمكن تطرق الاحتمال إليه من أحكام الأديان التي تخالف أهواءهم، كما أولت اليهود أحكام التوراة في تحريم أكل أموال الناس بالباطل كالربا وغيره، وكما استحل بعض فساق المسلمين شرب بعض الخمر بتسميتها بغير اسمها؛ إذ قالوا: هذا نبيذ لا يسكر إلا الكثير منه، وقد أحل ما دون القدر المسكر منه فلان وفلان، يقولون ذلك فيما هو خمر لا حظ لهم من شربه إلا السكر.

- وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ مناسبة حسنة من حيث ترتيبها في الذكر؛ فإنه لما كانت الخمر غاية في الحمل على إتلاف المال، قرن بها ما يليها في ذلك، وهو القمار، ولما كان الميسر مفسدة المال، قرن به مفسدة الدين، وهي الأنصاب، ولما كان تعظيم الأنصاب شركاً جليلاً إن عُدت، وخفياً إن ذبح عليها دون عبادة، قرن بها نوعاً من الشرك الخفي، وهو الاستقسام بالأزلام، ثم أمر باجتنب الكل إشارة وعبارة على أتم وجه، فقال: ﴿رِجْسٌ﴾، أي: قدر أهل لأن يُعَدَّ عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره، سواء كان عيناً أو معنى، وسواء كانت الرجسية في الحسن أو المعنى<sup>(١)</sup>.

٢- قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ خص ﴿الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ بإعادة الذكر، وشرح ما فيهما من الوبال، بعدما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولاً، ثم أفردهما آخرًا؛ تنبيهاً

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩١).

على أنَّهما المقصودُ بالبيان<sup>(١)</sup>، ولأنَّ الخِطَابَ مع المؤمنين، وإنَّما نهاهم عمَّا كانوا يتعاطونه من شُرْبِ الخَمْرِ واللَّعِبِ بالميسر، وذَكَرَ الأنصَابَ والأزلامَ لتأكيدِ تحريمِ الخمرِ والميسر، وإظهارِ أنَّ هذه الأربعة متقاربةٌ في القُبْحِ والمفسدة، وأنَّ ذلك جميعًا من أعمالِ الجاهليَّةِ وأهلِ الشُّركِ؛ فوجِبَ اجتنابهُ بأسره<sup>(٢)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ فيه: تخصيصُ الصَّلَاةِ بالإفرادِ مع دُخولِها في ﴿ذِكْرِ اللَّهِ﴾؛ للتعظيم، والإشعارِ بأنَّ الصادَّ عنها كالصادِّ عن الإيمانِ؛ لأنَّها عمادُه، كأنَّه قيل: وعن الصَّلَاةِ خصوصًا<sup>(٣)</sup>.

- وكرَّرَ الجارَّ في قوله: ﴿وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ تأكيدًا للأمرِ، ونغليظًا في التحذيرِ<sup>(٤)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ هذا الاستفهامُ من أبلغ ما يُنهي عنه، كأنَّه قيل: قد تُلبِّيَ عليكم ما فيهما من المفاسدِ الدُّنيويَّةِ والدِّينيَّةِ التي تُوجِبُ الانتهاءَ؛ فهل أنتم منتَهونَ أم بافونَ على حالِكِكم مع علمِكِكم بتلكِ المفاسدِ؟! وهذا استفهامٌ ذمٌّ معناه الأمرُ، أي: انتهوا، ومعناه: اتركوا وانتقلوا عنه إلى غيره<sup>(٥)</sup>، فأكدَ النهيَ عنها بأنَّ أوردَه بصيغةِ الاستفهامِ؛ فهو أبلغُ في الرِّجْزِ من صيغةِ الأمرِ التي هي «انتهوا»<sup>(٦)</sup>.

- وفي هذا الاستفهامِ كنايةٌ عن التحذيرِ من انتفاءِ وقوعِ المستفهمِ عنه، أي: التحذيرِ من عَدَمِ الانتهاءِ<sup>(٧)</sup>؛ فقد أعظَمَ التهديدَ بهذا الاستفهامِ والجملةِ

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٤١/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٧٦/٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦٧٤/١)، ((تفسير الرازي)) (٤٢٤/١٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٦٧٤/١)، ((تفسير البيضاوي)) (١٤١/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٧٦/٣).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٩٤/٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٢٥/١٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٣٥٩/٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٧٦/٣).

(٦) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٠٥/٢).

(٧) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٨-٢٢/٧).

الاسميَّة الدالَّة على الثَّبات<sup>(١)</sup>.

٥- قَوْلُهُ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾

فيه تَكَرُّرُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ على سَبِيلِ التَّكْيِيدِ<sup>(٢)</sup>.

- حُذِفَ المَفْعُولُ مِنْ كَلِمَةِ ﴿وَاحْذَرُوا﴾؛ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ أَشَدُّ وَقَعًا مِنْ ذِكْرِ مَفْعُولِهَا؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ فِي التَّخْوِيفِ؛ لِأَنَّ المِتَكَلِّمَ مَقْتَصِرٌ عَلَيْهَا دُونَ مُتَعَلِّقَاتِهَا<sup>(٣)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رِسُولِنَا البَلَّغُ المُبِينُ﴾ خَبِرَ فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ البَالِغِ مَا لَا خِيفَةَ بِهِ؛ إِذْ تَضَمَّنَ أَنَّ العِقَابَ إِنَّمَا يَتَوَلَّاهُ المُرْسَلُ لَا الرَّسُولُ؛ فَمَا كُفِّ الرِّسُولُ مِنَ الأَمْرِ غَيْرِ التَّبْلِيغِ<sup>(٤)</sup>.

- وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَيَّ رِسُولِنَا﴾ فِي إِضَافَةِ الرِّسُولِ إِلَى ضَمِيرِ الجَلَالَةِ إِشَارَةٌ إِلَى تَعْظِيمِ جَانِبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَإِقَامَةِ لِمَعْدَرَتِهِ فِي التَّبْلِيغِ بِأَنَّهُ رِسُولٌ مِنَ القَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَوْ شَاءَ مُرْسَلُهُ لَهَدَى المُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا فَلَيْسَ ذَلِكَ لِتَقْصِيرِ مِنَ الرِّسُولِ<sup>(٥)</sup>.

٧- قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾

﴿فِيمَا طَعَمُوا﴾، أَي: فِي طَعْمِ الَّذِي طَعِمُوهُ، وَمِنْ فَصَاحَةِ القُرْآنِ: إِيرَادُ فِعْلٍ ﴿طَعَمُوا﴾ هُنَا؛ لِأَنَّ المَرَادَ نَفْيُ التَّبِعَةِ عَمَّنْ شَرِبُوا الخَمْرَ وَأَكَلُوا لَحْمَ المَيْسِرِ قَبْلَ نَزْوِلِ آيَةِ تَحْرِيمِهِمَا؛ فَإِنَّ أَصْلَ مَعْنَى طَعَمُوا أَنَّهُ بِمَعْنَى أَكَلُوا، وَ(طَعِمَ) يَأْتِي

(١) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٢٩٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٥٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٥٨).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٥٩).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٣١).

بمعنى (ذاق)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أي: ومن لم يذُقه، بقرينة قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ويُقال: وجدتُ في الماءِ طعمَ التراب، ويقال: تغيَّر طعمُ الماء، أي: أسن، فاستعمل اللَفْظُ في معنياه، أو هو من أسلوبِ التَّغْلِيْبِ<sup>(١)</sup>.

٨- قَوْلُهُ: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ فيه: تكرارُ هذه الجُمْلِ على سبيلِ المبالغةِ والتوكيدِ في هذه الصِّفَاتِ، والتأكيدِ والمبالغةِ في الحثِّ على الإيمانِ والتَّقوى، ولا ينافي التأكيدُ العطفُ بـ ﴿ثُمَّ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فَإِنَّ حَرْفَ ﴿ثُمَّ﴾ الدالُّ على التَّراخي الرَّتبي فيه إيماءٌ إلى الازديادِ في التقوى وأثارِ الإيمانِ<sup>(٣)</sup>، ويحتمل أن يكون هذا التكريرُ باعتبارِ الأوقاتِ الثلاثة، أو باعتبارِ الحالاتِ الثلاث: استعمالُ الإنسانِ التقوى والإيمانَ بينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس، وبينه وبين الله تعالى؛ ولذلك بدلُ بالإيمانِ الإحسانَ في الكرَّةِ الثالثة؛ إشارةً إلى ما قاله عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ في تفسيره، أو باعتبارِ المراتبِ الثلاثِ: المبدأ، والوسط، والمنتهى، أو باعتبارِ ما يَتَّقِي؛ فَإِنَّهُ ينبغي أن يتركَ المحرَّماتِ توقُّبًا من العقاب، والشُّبهاتِ تحرُّرًا عن الوقوعِ في الحرام، وبعضُ المباحاتِ تحفُّظًا للنفسِ عن الخِسَّة، وتهذيبًا لها عن دَسِ الطَّبِيعَةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٣٣/٧).

قال محمد رشيد رضا: (لا يمكنُ أن يكونَ (طعم) في القرآن بمعنى الشُّربِ مطلقًا، ولا يجوزُ أن يفيدَ هذا المعنى إلا بالتبعِ لمعنى الأكلِ تغليبيًا له، فيُجْعَلُ ﴿طَعَمُوا﴾ هنا بمعنى أكلوا الميسرَ، وشربوا الخمرَ، كتغليبِ الأكلِ في كلِّ استعمالٍ في مثلِ النهيِ عن أكلِ أموالِ اليتامى، وأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطل). ((تفسير المنار)) (٦٠/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٦٠)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٥١١)، ((تفسير ابن عثيمين-

سورة المائدة)) (٢/٣٧٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٣٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٧٧).

- قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ فيه تقديمُ الاتِّقَاءِ على الإيمان؛ إمَّا للاعتناء به، أو لأنَّه الذي يدلُّ على التحريمِ الحادثِ الذي هو المؤمنُ به، وللإشارة إلى أنَّ الإيمانَ هو أصلُ التقوى<sup>(١)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٧٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٣٥).



## الآيات (٩٤ - ٩٦)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْبُلُوْكُمْ ءَللهٖ يَشِىءُ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ ءَايْدِيكُمْ وَّرِمَاحِكُمْ لِيَعْلَمَ ءَللهٖ مِّنْ خِيفَتِهِمۡ بِالْغَيْبِ فَمَنۡ اَعْتَدَىۢ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا يَنْقُلُوْا الصَّيْدَ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ وَّمَنۡ قَتَلَهُۥ مِنْكُمْ مُّتَعَمِدًا فِجْرًاۗءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمۡ بِهٖ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدِيًّاۙ بَلِيْغَ الْكَعْبَةِۙ اَوْ كَفَّرَهُۥ طَعَامًاۙ مَّسْكِيْنَ اَوْ عَدَلَ ذٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوْقَ وِبَالَ اَمْرٍۙ عَفَا ءَللهٗ عَمَّا سَلَفَ وَّمَنۡ عَادَ فَيَنْقِمۡ ءَللهٗ مِنْهُ وَاَللهٗ عَزِيْزٌ ذُوۡ اَنْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ اٰجِلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥۙ مَتَّعًا لَّكُمْ وَّلِلسِّيَّارَةِ وَّحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاَتَّقُوا ءَللهٗ الَّذِيۡ اِلَيْهِ تُحْشُرُوْنَ ﴿٩٦﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿النَّعْمِ﴾: أي: الإبل والبقر والغنم، وأصل (نعيم): يدلُّ على ترفُّه وطيب عيشٍ وصلاح<sup>(١)</sup>.

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾: أي: عدلان بينا العدالة، والعدالة هي الاستقامة على طريق الحقِّ بالاجتنابِ عَمَّا هو محظورٌ دينًا، وأصل (عدل): يدلُّ على استواء<sup>(٢)</sup>.

﴿هَدِيًّا﴾: جمع هَدْيِيَّة، وهو هنا مختصٌّ بما يُهدى إلى البيتِ مِنَ الأَنْعَامِ، وأصل (هدي): يدلُّ على ما أُهدِيَ مِنْ هَدْيِيَّةٍ إلى ذي مودَّة، ويدلُّ على التَّقَدُّمِ للإرشادِ<sup>(٣)</sup>.

﴿عَدَلَ ذٰلِكَ﴾: أي: مثله، أو ما يُعادلُه، وأصل (عدل): يدلُّ على استواء<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٦١)،

((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٤٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٢٤٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٨)،

((تفسير ابن كثير)) (٣/٢١٦)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٩١).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/٤٢ - ٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٣٩)،

((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٢٤٦)،

((المفردات)) للراغب (ص: ٥٥١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٨).

﴿وَيَا أَمْرَهُ﴾: أي: جزاء ذنبه، أو ثقل فعله، أو عاقبة أمره من الشرِّ، والوَبَالُ: الوخامة، وسوءُ العاقبة، وأصل (وبل): يدلُّ على شدَّة في شيءٍ، وتجمُّع<sup>(١)</sup>.

﴿مَا سَلَفَ﴾: أي: الذي مضى وتقدَّم، والسَّلْفُ: المتقدِّم، وأصل (سلف): يدلُّ على تقدُّم وسبق<sup>(٢)</sup>.

﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾: أي: ما صيد من السمك، والصيد هنا يُرادُ به المصيد، أو: ما يُصطادُ منه طريقاً<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللِّسْيَارَةَ﴾: أي: المسافرين، وأصل (سير): يدلُّ على مُضيٍّ وجريانٍ<sup>(٤)</sup>.

﴿تُحْشَرُونَ﴾: تُجمَعون وتُساقون، والحشرُ: الجمعُ مع سَوِّقٍ، أو الجمعُ بكثرة، وكلُّ جمعٍ حشرٌ، والحشر أيضاً: البعثُ والانبعاثُ<sup>(٥)</sup>.

### مُشْكِلُ الْإِعْرَابِ:

قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾.

﴿فَجَزَاءٌ﴾: مرفوعٌ مُثَوَّن، على أنَّه مبتدأٌ لخبرٍ محذوفٍ، والتقدير: فعلية جزاءً، ويجوز أن يكونَ ﴿جَزَاءٌ﴾ خبراً لمبتدأٍ محذوفٍ، والتقدير: فالواجبُ جزاءً، ويجوز أن يكونَ فاعلاً بفعلٍ محذوفٍ، أي: فيلزمه أو يجبُ عليه جزاءً.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٧٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٨٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الحوزي (ص: ٨٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٨٣)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١١٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٣١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٧).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٢٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الحوزي (ص: ٨٩).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٦٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣٧)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٦١).

و﴿مِثْلٍ﴾: بمعنى (مماثل)، وهي مرفوعةٌ صفةٌ لـ﴿جَزَاءٍ﴾، ويجوزُ أن تكون بدلاً منه. و﴿مِنَ النَّعْمِ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ، حالٌ من ضمير المفعول المحذوف؛ أي: ما قتلَهُ من النَّعْمِ. أو في محلِّ رفعِ صِفةٍ ثانيةٍ لـ﴿جَزَاءٍ﴾.

و﴿قُرِئَ﴾ ﴿جَزَاءٍ﴾ بالرَّفْعِ من غيرِ تنوينٍ على إضافتهِ إلى ﴿مِثْلٍ﴾، وإعراب (جَزَاءٍ) على هذه القراءة كما سبق، لكن: ﴿مِثْلٍ﴾ مجرورةٌ على أَنَّها مضاف إليها، وهي في حُكم الرَّائِدَةِ؛ لأنَّ الذي يَجِبُ به الجزاءُ هو المقتولُ لا مِثْلُهُ، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: بما آمَنتُم به، وكقولهم: مثلي لا يقولُ ذلك، أي: أنا لا أقولُ ذلك. و﴿مِنَ النَّعْمِ﴾ جازٌ ومجرور في محلِّ نَصْبٍ، حالٌ من الضمير في ﴿قَتَلَ﴾؛ لأنَّ المقتولَ يكون من النَّعْمِ، أو يكونُ الجازُ والمجرور متعلقًا بنفسِ الجزاءِ.

و﴿مَا قَتَلَ﴾: ﴿مَا﴾ يجوزُ أن تكون موصولةً اسميةً، أو نكرةً موصوفةً، والعائد محذوف - على كلا التَّقْدِيرَيْنِ - أي: مِثْلُ الذي قتلَهُ مِنَ النَّعْمِ، أو مِثْلُ شيءٍ قتلَهُ من النَّعْمِ<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

﴿هَدْيًا﴾: منصوبٌ على أَنَّهُ حالٌ من الهاءِ في ﴿بِهِ﴾، فيكون بمعنى مَهْدِيٍّ، أو منصوبٌ على المصدر - أي: إِنَّهُ مفعولٌ مُطلقٌ لِفعلٍ محذوفٍ -، أي: يُهديه هَدْيًا، وقيل غير ذلك.

﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾: بالرَّفْعِ والتنوينِ، على أَنَّهُ معطوفٌ على ﴿فَجَزَاءٍ﴾، أي: أو عليه

(١) يُنظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٦ - ٢٣٨)، ((البيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٠ - ٤٦١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤١٨ - ٤٢٠).

كَفَّارَةٌ. و﴿طَعَامٌ﴾: مرفوعٌ على البَدَلِ مِنْ ﴿كَفَّارَةٌ﴾. و﴿صِيَامًا﴾ منصوبٌ على التمييز<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾: ﴿مَتَاعًا﴾ منصوبٌ على المصدر - مفعولٌ مُطلق - لأنَّ قوله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾ بمعنى: أَمْتَعْتُكُمْ بِهِ إِمْتَاعًا، أو منصوبٌ على أَنَّهُ مفعولٌ من أَجَلُهُ، أي: أَجَلٌ لَكُمْ تَمْتِيعًا لَكُمْ. و﴿لَكُمْ﴾ صفةٌ لـ ﴿مَتَاعًا﴾ - على القول بأنَّ ﴿مَتَاعًا﴾ مصدرٌ. وعلى القول بأنَّ ﴿مَتَاعًا﴾ مفعولٌ لأَجَلُهُ، فيكون ﴿لَكُمْ﴾ مُتعلِّقًا بفعلٍ محذوف، أي: أعني لكم<sup>(٢)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُخَبِّرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ سَيَخْتَبِرُهُمْ فِي حَالِ إِحْرَامِهِمْ بَعْضٍ مِنَ الصَّيْدِ الْمَحْرَمِ، الَّذِي يَسْتَطِيعُونَ أَخْذَهُ بِأَيْدِيهِمْ أَوْ رِمَاحِهِمْ؛ وَذَلِكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ حَالَ كَوْنِهِ لَا يَرَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَخْشَاهُ فِي حَالِ غِيَابِهِ عَنِ النَّاسِ، ثُمَّ تَوَعَّدَ مَنْ اعْتَدَى مُتَجَاوِزًا مَا حَدَّهُ اللهُ بَعْدَ حُكْمِ تَجْرِيمِ الصَّيْدِ عِنْدَ التَّلَبُّسِ بِالْإِحْرَامِ، فَخَالَفَ شَرْعَ اللهِ فِي ذَلِكَ؛ تَوَعَّدَهُ بِأَنَّهُ لَهُ عَذَابًا مَوْلِمًا مُوجِعًا.

ثُمَّ نَهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ قَتْلِ الصَّيْدِ وَهُمْ مُحْرَمُونَ، أَوْ كَانُوا دَاخِلَ الْحَرَمِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ مَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ قَاصِدًا ذَلِكَ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَذْبَحَ مِثْلَهُ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، يُقَدَّرُ ذَلِكَ الْمِثْلَ الْوَاجِبَ اثْنَانِ عَدْلَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَصَلَ هَذَا الْهَدْيُ الْوَاجِبُ عَلَى قَاتِلِ الصَّيْدِ إِلَى الْحَرَمِ؛ لِيُذْبَحَ هُنَاكَ، وَيُوزَّعَ

(١) يُنْظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (٢٣٨/١)، ((النيان في إعراب القرآن)) للعكبري

(١/٤٦١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٤٢٣ - ٤٢٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (٢٣٨/١)، ((النيان في إعراب القرآن)) للعكبري

(١/٤٦٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٤٢٩ - ٤٣٠).

لَحْمُهُ عَلَى مَسَاكِينِهِ. أَوْ يَكْفُرُ قَاتِلُ الصَّيْدِ عَمَّا اقْتَرَفَهُ مِنْ ذَنْبٍ يَاطَعَامٍ مَسَاكِينَ. أَوْ يَصُومُ مَا يُعَادِلُ الإِطْعَامَ، بَأَنْ يَكُونَ مَقَابِلَ إِطْعَامِ كُلِّ مِسْكِينٍ صِيَامٌ يَوْمٌ؛ لِيَذُوقَ مَنْ قَتَلَ الصَّيْدَ - وَهُوَ مُحْرِمٌ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ - عَقُوبَةَ مَا اقْتَرَفَهُ مِنْ ذَنْبٍ. ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ رَحْمَتِهِ بَعْبَادِهِ؛ وَهُوَ أَنَّ عَفَا اللَّهُ عَمَّا مَضَى مِنْ قَبْلِ التَّحْرِيمِ، فَلَمْ يُوَاخِذْهُمْ عَلَيْهِ، أَمَّا مَنْ عَاوَدَ فِعْلَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ التَّحْرِيمُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْتَقِمُ مِنْهُ، وَيُعَاقِبُهُ عِقَابًا شَدِيدًا، فَهُوَ سَبْحَانَهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ.

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ حُكْمَ صَيْدِ الْبَرِّ بَيَّنَّ أَنَّ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ حَلَالٌ حَتَّى لِلْمُحْرِمِ - وَصَيْدُ الْبَحْرِ مَا أُخِذَ حَيًّا، وَطَعَامُهُ مَا لَفَّظَهُ الْبَحْرُ مَيْتًا، أَوْ طَفَا عَلَيْهِ أَوْ انْحَسَرَ عَنْهُ - أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ؛ مَنْفَعَةً لِعِبَادِهِ فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ وَحَالِ سَفَرِهِمْ، وَأَوْضَحَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنَّ صَيْدَ الْبَرِّ حَرَامٌ عَلَى عِبَادِهِ حَالَ إِحْرَامِهِمْ، فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ؛ فَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ وَإِلَيْهِ مَرْجِعُهُمْ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

### تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَلَّا يُحْرِمُوا الطَّيِّبَاتِ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَا حَرَّمَهُ فِي حَالِ دُونَ حَالِ، وَهُوَ حَالُ الصَّيْدِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾.

أَي: يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَيُخْتَبِرَنَّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَمْتَحِنَنَّ إِيمَانَكُمْ بِبَعْضِ الصَّيْدِ الْمَحْرَمِ الَّذِي تَقْدِرُونَ عَلَى أَخْذِهِ بِأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحِكُمْ، وَذَلِكَ حَالَ إِحْرَامِكُمْ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦١)، و يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٨).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٠)، ((تفسير السعدي)) =

﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾.

أي: أقام الله تعالى هذا الابتلاء؛ ليعلم علماً ظاهراً للخلق، يترتب عليه الثواب والعقاب، من يخاف الله تعالى ولم يره، ومن يخاف الله تعالى في حال غيابه عن الناس، فيطيع ربه عز وجل، ويجتنب معصيته سراً وجهراً، وهو لا يراه ولا يعاينه<sup>(١)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

[الملك: ١٢].

﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: فمن تجاوز حد الله عز وجل بعد حكم تحريم الصيد عليه حال إحرامه، فخالف شرع الله تعالى في ذلك؛ فله عذاب مؤلم موجه<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالِغِ كَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٩٥)﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

أي: يا أيها المؤمنون، إياكم أن تقتلوا صيد البر<sup>(٣)</sup> وأنتم مُحْرَمون بحج أو

= (ص: ٢٤٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٣٧٨/٢)).

(١) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٦٧٢/٨))، (تفسير ابن كثير) ((١٩٠/٣))، (تفسير السعدي)

(ص: ٢٤٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٣٧٩-٣٧٨/٢)).

(٢) يُنظر: (تفسير ابن جرير) ((٦٧٣/٨))، (تفسير ابن كثير) ((١٩٠/٣))، (تفسير السعدي)

(ص: ٢٤٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٣٧٩/٢)).

(٣) المقصود بالصيد: الحيوان البري المأكول المتوحش طبعاً. يُنظر: (تفسير ابن عثيمين - سورة

المائدة) ((٣٨٥/٢)).

عمرة<sup>(١)</sup>، أو كنتم داخل منطقة الحَرَم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾

أي: وكل من قتل منكم صيدًا، متعمدًا قتله، فيجب عليه أن يذبح مثله من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم<sup>(٣)</sup>، ويتصدق به عوضًا عما قتله<sup>(٤)</sup>.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾

أي: يُقدَّر ذلك الجزاء الواجب، اثنان عدلان منكم - أيها المؤمنون - من ذوي الاستقامة والمروءة<sup>(٥)</sup>، يعرِفان الحُكْمَ، ووجه الشبهة<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٧٣/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٤-٣٨٥).

قال ابن عثيمين: ((والحُرْم: جمع حرام، والمراد به: الحُرْم في المكان، والحُرْم في الحال: الحُرْم في المكان: بأن يكونوا في حَرَمِ مَكَّةَ، والحُرْم في الحال: بأن يكونوا مُحْرَمِينَ بِحَجٍّ أو عمرة، وعلى هذا لو أَحْرَمَ الإنسان من ذي الخليفة فيمن حين إحرامه من ذي الخليفة يدخل في الآية، ولو كان محلاً ووصل إلى مكة إلى حدود الحَرَم، فإذا دخل هذه الحدود فقد صار حراماً أي: يدخل في الآية أيضًا)).

(٣) قال ابن عثيمين: ((المراد بالمماثلة هنا: المقاربة في الخلق؛ لأن التماثل بين الصيد وبين النعم مستحيل، أعني: التماثل من كل وجه؛ لكن المراد بذلك التقارب في الخلق)) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٧٨-٦٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٤٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٧-٣٨٦).

(٥) قال ابن عثيمين عن المروءة: ((العدالة: هي الاستقامة في الدين والمروءة، فمعنى ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي: ذوا استقامة في الدين والمروءة. أمّا في الدين: ففسرها الفقهاء رحمهم الله بأن يأتي بالفرائض، وأن لا يفعل كبيرة، ولا يصبر على صغيرة، هذه الاستقامة في الدين، الاستقامة في المروءة: أن لا يفعل ما يشينه عند الناس، وأن يفعل ما يُجمله عندهم، يعني: يفعل الجميل ويدع المشين، وهذا الأخير يختلف باختلاف الأحوال والبلدان والأزمان، قد يكون فعل شيء في بلد لا يحرم المروءة، وقد يكون في بلد آخر يحرم المروءة، والعبرة بأعراف الناس المستقيمة، لا عبرة للهَمَج)) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٧).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦٨٩/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٢)، ((تفسير السعدي)) =

﴿هُدْيًا بِالْبَيْتِ الْكَعْبَةِ﴾.

أي: هذا الهدى ينبغي أن يكون واصلاً إلى الحرم، فيُدبَح فيه، ويوزَّع لحمه على مساكينه<sup>(١)</sup>.

﴿أَوْ كَفَّارَةً طَعَامَ مَسَاكِينَ﴾.

أي: وله - عوضاً عن ذبْح الهدى المماثل - أن يكفِّر عن ذنبه بإطعام مساكين<sup>(٢)</sup>.  
﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

أي: وله أيضاً أن يختار للجزاء صيام ما يُعادل إطعام المساكين، فيصوم عن إطعام كل مسكين يوماً<sup>(٣)</sup>.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

أي: أوجبنا الجزاء المذكور على قاتل الصيد المنهي عن قتله؛ لِيَذُوقَ عقوبة ذنبه الذي ارتكبه بإلزامه بما يتعبه، ويشقُّ عليه<sup>(٤)</sup>.

= (ص: ٢٤٤)، (تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة) ((٢/٣٨٧-٣٨٨)).

قال السعدي: (كما فُكِّل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قَضَوْا بالحمامة شاةً، وفي النعامة بدنةً، وفي بقر الوحش - على اختلاف أنواعه - بقرةً، وهكذا كل ما يُشبه شيئاً من التعم، ففيه مثله، فإن لم يُشبه شيئاً ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المُتَلَفَات) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٩٥، ٧٠٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٨).

قال القرطبي: (ولم يُرد الكعبة بعينها؛ فإن الهدى لا يبلغها؛ إذ هي في المسجد، وإنما أراد الحرم، ولا خلاف في هذا) ((تفسير القرطبي)) (٦/٣١٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٦٩٦، ٧٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٩-٣٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٧٠٨-٧٠٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٧١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٨٩-٣٩٠).



﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾.

أي: تجاوزَ اللهُ تعالى عن قتلِكُم الصيدَ، وأنتم حُرْمٌ، قبلَ تحريمِ ذلكِ عليكم، فلا يُؤاخذكم به<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

أي: ومن فعل ذلك بعد تحريمه، وبلوغ الحُكم الشرعيِّ إليه، فإنَّ الله تعالى يأخذُه بعقوبة<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

أي: والله تعالى منيعٌ في سلطانِه، غالبٌ على أمرِه، لا يقهرُه قاهرٌ، ولا يمنعُه من الانتقام مانعٌ، ذو معاقبةٍ لمن عصاه سبحانه<sup>(٣)</sup>.

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩٦).

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا كَانَ الصَّيْدُ يَشْمَلُ الصَّيْدَ الْبَرِّيَّ وَالْبَحْرِيَّ، اسْتَنْتَى تَعَالَى الصَّيْدَ الْبَحْرِيَّ، فَذَكَرَ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ حُكْمَ صَيْدِ الْبَرِّ لِلْمُحْرَمِ، وَذَكَرَ هُنَا حُكْمَ صَيْدِ الْبَحْرِ<sup>(٤)</sup>، فَقَالَ:

﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٧١٢-٧١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٩٠).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٧٢٠-٧٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٩٠).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٧٢٢/٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٣٩٠).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤١٠).

أي: أباح الله تعالى لكم مُطلقًا في حالِ حِلِّكم وحرَمِكم - أيها المؤمنون - أكلَ صيدِ البحرِ، وهو ما أخذتموه من حيواناته حيًّا، وطعام البحرِ، وهو ميتته التي لفظها أو طفئت عليه، أو انحسر عنها<sup>(١)</sup>.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾

أي: منفعة لكم - أيها المخاطبون - فتنتفعون به أكلًا وبيعًا، ومنفعة أيضًا للمسافرين يترددون به في سفرهم، ويجلبونه بضاعةً إلى الأمصار في ترحالهم<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾

أي: وحرَّم الله تعالى عليكم - أيها المؤمنون - أخذَ الحيوانِ البرِّيِّ في حالِ إحرَامِكم<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٢٢/٨، ٧٢٦، ٧٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤١٠-٤١٢).

وممَّن قال من السلف في معنى صيد البحرِ وطعامه بنحو ما قلنا: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن جببر، والشدي، وقتادة، وسعيد بن المسيب، ومجاهد. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٢٢/٨)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/١٢١٠).

وقال مكي: (وكلُّ نهرٍ تسميه العربُ بحرًا، فالأنهارُ صيدها داخلٌ في هذا، حلالٌ بإجماع) ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (٣/١٨٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧٣٥/٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٥٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤١٠).

وقد ذهب إلى أنَّ المراد بـ ﴿لَكُمْ﴾ أي: أنتم - أيها المقيمون - في بلادكم. وهو اختيارُ ابن جرير في ((تفسيره)) (٧٣٥/٨)، والواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣٦)، وابن عطية في ((تفسيره)) (٢/٢٤١)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/٤١٠).

وممَّن قال بنحو ذلك من السلف: مقاتل. يُنظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٨٨). وقال ابن عاشور: (والخطابُ في قوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ للمخاطبين بقوله: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ باعتبار كونهم مُتناولين الصَّيد، أي: متاعًا للصائدين وللسيَّارة) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٥٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/٧٣٧-٧٣٨، ٧٤٦-٧٤٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٠٠)، =

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

أي: واتقوه سبحانه بفعل ما أمر، وترك ما نهى، واستعينوا على تقواه بعلمكم أنكم إليه راجعون، فيجازيكم في آخرتكم ثواباً أو عقاباً على ما قدمتم في دنياكم<sup>(١)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- في قوله تعالى: ﴿لَيْلُونَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ بيان امتحان الله تبارك وتعالى لعباده بتيسير أسباب المعصية لهم؛ ليعلم من يخافه بالغيب ومن لا يخافه إلا في العلانية، ووجهه من الآية ظاهر<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿لَيْلُونَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فيه الحذر من الوقوع في المعصية، وإن تيسرت أسبابها، ومعرفة أن ذلك امتحان من الله<sup>(٣)</sup>، فقد يكون التيسير هو عين الابتلاء؛ ليعلم الله من يخافه في السر، حيث لا يراه أحد من الناس؛ إذ إن هذا الصيد في مكتبتهم وسهل الأخذ؛ فالخائف لا يصيد، وغير الخائف يصيد<sup>(٤)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ فيه أن اجتناب قتل الصيد من مقتضيات الإيمان؛ وجه ذلك: أن الله عز وجل وجه

= ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤١١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤١١-٤١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير الشريبي)) (١/ ٣٩٦)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٨٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٩)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥١٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٨).

الخطاب بهذا النهي إلى المؤمنين، ودلّ على أن قتل الصيد مُنافٍ لكمال الإيمان<sup>(١)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْبُوكُمُ اللَّهُ بَشْيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ...﴾ فيه فضلٌ عظيمٌ لهذه الأمة، وأنها تفضل سائر الأمم، وعلى رأسهم الأمة اليهودية، وفيه أيضًا فضيلة الصحابة رضي الله عنهم، الذين هم مُقدّم هذه الأمة، فقد امتحن الله تعالى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة الحديبية بالصيد وهم مُحرمون، فهياً لهم جميع أنواع الصيد من الوحوش والطيور، من كيارها وصغارها، ولم يعتد رجلٌ منهم، ولم يصد في الإحرام، كما بيّنه الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْبُوكُمُ اللَّهُ بَشْيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ...﴾ فخافوا الله عزّ وجلّ وعظّموا محارمه، فلم ينتهكوها أو يتحللوا عليها، أمّا بنو إسرائيل فقد ابتلاهم الله بصيد، وهو صيد السمك، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فحدّاهم الطمع في أكل الحوت إلى أن اعتدوا في السبت، فكانوا يجعلون شباكاً في يوم الجمعة، ثم يأخذون السمك أو الحيتان يوم الأحد، فمسّخهم الله قرده<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله: ﴿لِيَلْبُوكُمُ اللَّهُ بَشْيءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ ابتلاءٌ تكليفٍ ونهي، كما دلّ عليه تعلّقه بأمرٍ ممّا يفعل؛ فهو ليس كالابتلاء في قوله: ﴿وَلْيَلْبُوكُمُ اللَّهُ بَشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ [البقرة: ١٥٥]، وإنّما أخبرهم بهذا على وجه التحذير؛ فالابتلاء مُستقبل؛ لأنّه لا يتحقّق معنى الابتلاء إلاّ من بعد النهي والتحذير، ووجود نون التوكيد يُعيّن المضارع للاستقبال؛ فالمستقبل هو الابتلاء، وأمّا الصيد ونوال الأيدي والرّماح فهو حاضر<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٠-٣٩١).

(٢) يُنظر: ((العذب التميمي)) للشنقيطي (١/ ٥٩). ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٨-٣٩).

٣- جاءت (من) في قوله: ﴿مِنَ الصَّيْدِ﴾ للتبويض؛ وذلك من وجهين: الأول: أن المراد صيد البرّ دون البحر، والثاني: صيد الإحرام دون صيد الإحلال<sup>(١)</sup>.

٤- خصّ الله الأيدي بالذكر في قوله تعالى: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾؛ لأنها أعظم تصرفاً في الاصطياد، وفيها تدخل الجوارح والجبالوت وما عمل باليد من فِخاخٍ وِسْبَاكٍ، وخصّ الرّماح بالذكر، فقال: ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾؛ لأنها أعظم ما يُجرّح به الصّيد، وفيها يدخل السهم ونحوه<sup>(٢)</sup>. وقيل: عبّر بالأيدي والرّماح؛ ليشمل الصّيد القريب والبعيد؛ فبعض من الصّيد يتناول بالأيدي لقرب غشائه حتى تتمكّن منه اليد، وبعض منه يُنال بالرّماح لبُعده وتفترقه؛ فلا يوصل إليه إلا بالرّمح<sup>(٣)</sup>. وقيل: عبّر بقوله: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾؛ للدلالة على غاية قرب الصّيد، حتى لو شاؤوا لتناولوه بأيديهم؛ فنهاهم الله أن يقربوه، وهذا لتحقيق وقوع الابتلاء بالصّيد؛ إذ ابتلاههم بما يغشاهم في رحالهم، ويتمكّنون من أخذه بالأيدي والرّماح سرّاً وجهراً؛ لتظهر طاعة من يطيع منهم في سرّه وجهره<sup>(٤)</sup>.

٥- يُؤخذ من لفظ ﴿الصّيد﴾ أنّه لا بدّ أن يكون وحشياً؛ لأنّ الإنسيّ ليس بصيّد، وأن يكون مأكولاً؛ فإنّ غير المأكول لا يُصاد، ولا يُطلق عليه اسم الصّيد<sup>(٥)</sup>.

٦- في سياق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إشكال، وهو أنّه قد نرى في ظاهر الآية أنّها تدلّ على تجدد العلم

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٣٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٦٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٩٠)، ((تفسير الألوسي)) (٢/٤٣٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥).

لله عز وجل؛ لأنه قال: ﴿لَيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾، ثم قال: ﴿لَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾، وهو جل وعلا عالمٌ بذلك قبل أن يخلق هذا، وقد قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، والجواب عن هذا الإشكال: أن علم الله تعالى بالشيء قبل وقوعه علمٌ بأنه سيقع، وعلمه بعد وقوعه علمٌ بأنه واقع، وفرقٌ بين كون الشيء معلوماً قبل أن يقع، ومعلومًا بعد أن يقع؛ فالعلم الأول لا يترتب عليه جزاءٌ بالنسبة للعبيد، والعلم الثاني: يترتب عليه جزاءٌ<sup>(١)</sup>، فمعنى ﴿لَيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أن يعلمَ علمًا ظاهرًا للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب<sup>(٢)</sup>.

٧- من منن الله تعالى على عباده: أن أخبرهم ببعض ما سيبتليهم به؛ ليطيعوه ويُقدِّموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

٨- أفاد قوله: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ أنهم يتمكنون من صيده؛ ليتمم بذلك الابتلاء، وإلا فلو كان غير مقدورٍ عليه بيد ولا رُمح، لم يبق للابتلاء فائدة<sup>(٤)</sup>.

٩- قوله تعالى: ﴿لَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ نداءً على الذين يخافون الله؛ فقد أتى عليهم بصدق الإيمان وتنور البصيرة؛ فإنهم خافوه ولم يروا عظمته وجلاله، ونعيمه وثوابه، ولكنهم أيقنوا بذلك عن صدق استدلال<sup>(٥)</sup>.

١٠- يُستفاد من مجموع الآيتين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَلْوَنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ...﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ النهي عن

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٨١).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٠).

الاصطياد، والنهي عن قتل الصيد، والظاهرُ عمومُ الصَّيْدِ، وقد حُصِّصَ هذا العمومُ بصيْدِ البرِّ؛ لقوله: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾<sup>(١)</sup>.

١١ - حَرَّمَ اللهُ تعالى الصيدَ في حالين: حال كَوْنِ الصَّائِدِ مُحْرِمًا، وحال كون الصيدِ مِنْ صَيْدِ الْحَرَمِ ولو كان الصَّائِدُ حَلَالًا، والحكمةُ في ذلك أَنَّ الله تعالى عَظَّمَ شأنَ الكعبةِ من عهدِ إبراهيمَ عليه السَّلَام، وأمره بأن يتَّخِذَ لها حَرَمًا كما كان الملوكُ يتَّخِذُونَ الحِمَى، فكان بيتُ اللهِ وحِمَاهُ - وهو حَرَمُ البَيْتِ - مُحْتَرَمًا بأقصى ما يُعَدُّ حُرْمَةً وتعظيمًا؛ فلذلك شرع اللهُ حَرَمًا للبَيْتِ واسعًا، وجعل اللهُ البَيْتَ أَمْنًا للنَّاسِ، ووسَّع ذلك الأمانَ حتى شَمِلَ الحيوانَ العائِشَ في حَرَمِهِ، بحيث لا يَرى النَّاسُ للبَيْتِ إِلَّا أَمْنًا للعائِذِ به وبحرَمِهِ<sup>(٢)</sup>.

١٢ - يُسْتَفَادُ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ التصريحُ بالنَّهي عن قتلِ الصيدِ في حالِ الإحرامِ، والنَّهي عن قتله يشملُ النَّهي عن مُقَدِّماتِ القتلِ، وعن المشاركةِ في القتلِ، والدَّلالةُ عليه، والإعانةُ على قتله؛ حتى إنَّ من تمام ذلك أَنَّهُ يُنْهَى الْمُحْرِمَ عن أَكْلِ ما قُتِلَ أو صِيدَ لأجله؛ وهذا كُلُّه تعظيمٌ لهذا النُّسْكِ العظيمِ<sup>(٣)</sup>.

١٣ - مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ تعظيمُ الإحرامِ وتعظيمُ الحَرَمِ؛ أما تعظيمُ الإحرامِ: فَإِنَّ مَنَعَ الْمُحْرِمَ مِنَ الصَّيْدِ يعني احترامَ النُّسْكِ وعدمَ اللُّهُو وعدمَ التَّرَفِّ؛ لِأَنَّهُ لو أُبِيحَ لِلْمُحْرِمِ أَنْ يَصْطَادَ لَتَلَهَّى عَنِ النُّسْكِ؛ ولهذا قال اللهُ تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، كُلُّ هذا لأجلِ أَنْ يَتَفَرَّغَ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٦٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٤٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

الإنسان قلباً وقالبا لِمَا هو مُتَلَبِّسٌ به من النُّسك. وَأَمَّا حَرْمُ مَكَّةَ فظَاهِرٌ أَيْضًا أَنَّ فِي الآيَةِ دَلِيلًا عَلَى تَعْظِيمِهِ وَحُرْمَتِهِ؛ لِأَنَّ الْحَرْمَ آمَنٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتِ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، هَذَا الْبَلَدُ آمِنٌ فِيهِ الْآدَمِيُّونَ وَالْحَيَوَانُ وَالْأَشْجَارُ؛ وَلِذَلِكَ يَحْرُمُ صَيْدُهُ، وَيَحْرُمُ قَطْعُ شَجَرِهِ إِلَّا الْآلِيَّةَ، وَيَحْرُمُ الْقِتَالُ فِيهِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ١٩١].

١٤- حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّيْدَ عَلَى الْمُحْرِمِ بِقَوْلِهِ: ﴿غَيْرِ مُجْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، وَيَقُولُهُ هُنَا: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ وَكَرَّرَ ذَلِكَ تَغْلِيظًا لِحُكْمِهِ<sup>(٢)</sup>.

١٥- أَنَّ مَا صَادَهُ الْمُحْرِمُ مَيْتَةً؛ لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ لِأَنَّ لَهُ وَلَا لِغَيْرِهِ، سِوَاءَ قَتَلَهُ بِالسَّهْمِ، أَوْ أَمْسَكَهُ وَذَبَحَهُ؛ فَإِنَّهُ مَيْتَةٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ وَجِهَ الدَّلَالَةِ: أَنَّ اللَّهَ عَبَّرَ عَنْ صَيْدِهِ بِقَتْلِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَتْلَ لَيْسَ ذَكَاةً؛ فَيَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّ مَا قَتَلَهُ الْمُحْرِمُ مِنَ الصَّيْدِ فَهُوَ مَيْتَةٌ<sup>(٣)</sup>.

١٦- تَقْيِيدُ الْقَتْلِ بِالْعَمْدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ خَرَجَ بِهِ الْمَخْطِيُّ، فَمَنْ لَمْ يَتَعَمَّدْ فَقَتَلَ خَطَأً، بَأَنَّ كَانَ نَاسِيًا لِإِحْرَامِهِ، أَوْ رَمَاهُ ظَنًّا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَيْدٍ، فَإِذَا هُوَ صَيْدٌ، أَوْ عَدَلَ سَهْمُهُ الَّذِي رَمَاهُ لِغَيْرِ صَيْدٍ فَأَصَابَ صَيْدًا، فَلَا جَزَاءَ عَلَيْهِ وَلَا إِثْمَ<sup>(٤)</sup>، فَالْجَزَاءُ إِنَّمَا يَلْزَمُ الْمُتَعَمِّدَ، وَالْقَاعِدَةُ: أَنَّهُ لَا مُوَآخَذَةَ مَعَ الْجَهْلِ وَالنَّسْيَانِ، وَكَذَلِكَ الْإِكْرَاهُ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٥).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٠).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٢).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٤٤).



عظيمة في الشريعة الإسلامية، ولا يجوز أن تُخرج منها أي شيء إلا بدليل<sup>(١)</sup>.

١٧ - قال سبحانه وتعالى: ﴿فَجَزَاءٌ﴾ سَمَى اللّهُ الْكُفَّارَةَ هُنَا جِزَاءً؛ لِأَنَّ فِيهَا تَأْدِيَةً وَعِقُوبَةً، وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى أَنَّ مَفْصِدَ التَّشْرِيعِ فِي ذَلِكَ هُوَ الْعُقُوبَةُ؛ قَوْلُهُ عِقْبَهُ: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٨ - يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أَنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَ مُحْرِمُونَ فِي صَيْدٍ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ إِلَّا جِزَاءٌ وَاحِدٌ<sup>(٣)</sup>.

١٩ - ﴿أَوْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ﴾ تَقْتَضِي تَخْيِيرَ قَاتِلِ الصَّيْدِ فِي أَحَدِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ وَقَعَ بِ (أَوْ) فِي الْقُرْآنِ، فَهُوَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمَخْيَرِ، وَالْقَوْلُ بِالتَّخْيِيرِ هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ<sup>(٤)</sup>.

٢٠ - يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أَنَّ الْعَدْلِينَ ذَكَرَانِ، فَلَا يَحْكُمُ فِيهِ امْرَأَتَانِ، وَإِنْ اتَّصَفَتَا بِالْعَدَالَةِ<sup>(٥)</sup>.

٢١ - وَصَفَ ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْكُمْ﴾ أَي: مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَابَعَةِ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عَمَلٍ فِي صَيْدِ الْحَرَمِ؛ فَلَعَلَّهُمْ يَدْعُونَ مَعْرِفَةً خَاصَّةً بِالْجِزَاءِ<sup>(٦)</sup>.

٢٢ - اسْتُدلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ عَلَى إِثْبَاتِ الْقِيَاسِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى فَرَضَ تَعْيِينَ الْمِثْلِ إِلَى اجْتِهَادِ النَّاسِ<sup>(٧)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٣٩٤ / ٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٤٥ / ٧).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٣٦٥ / ٤).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٤٨ / ٧).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٣٦٦ / ٤).

(٦) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٤٨ / ٧).

(٧) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٣٦٦ / ٤).

٢٣- أن جزاء الصيد لا بدَّ أن يصل إلى الحرم، ويُذبح هناك؛ لقوله: ﴿هَدْيًا بِالْبَالِغِ الْكَعْبَةِ﴾، فلو قُدِّرَ أن إنسانًا أَحْرَمَ من ذي الحليفة وقتل صيدًا في بدرٍ، فإنه يجبُ عليه أن يجزي هذا الصيد في مكة ولا بدَّ<sup>(١)</sup>.

٢٤- مما يُستفاد من التصريح بالكعبة في قوله: ﴿بِالْبَالِغِ الْكَعْبَةِ﴾ الزيادة في التعظيم، والإعلام بأنها هي المقصودة بالذات بالزيارة والعمارة<sup>(٢)</sup>.

٢٥- أن هؤلاء المساكين لا يُحصرون بعددٍ معيّن، بل له أن يُطعم ثلاثة أو عشرة أو عشرين أو ثلاثين؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى أطلق، فقال: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ وأقلُّهم ثلاثة<sup>(٣)</sup>.

٢٦- استدلَّ بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْبَالِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ على جواز التعزير بالمال؛ لأنَّ هذا القاتل أُلزِمَ بهذه الفدية؛ ليدوق وبال أمره، فهو نوعٌ من التعزير<sup>(٤)</sup>.

٢٧- قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْبَالِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ فيه رحمة الله عزَّ وجلَّ بهذه الأمة؛ حيث خيَّرها بين قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ وبين ما بعده، فقال: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ و(أو) للتخيير<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٩٣/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠٤/٢).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٠٢/٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٠٥/٢).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤٠٦/٢). ومسألة التعزير بالمال فيها خلافٌ بين أهل العلم. يُنظر:

((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (٢٧٠/١٢).

(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٠٣/٦).

٢٨- إِنَّمَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى مَا أُوجِبَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ صَيْدِ الْبَرِّ وَهُوَ مُحْرَمٌ وَبِالْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾؛ لِأَنَّهُ خَيْرُهُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ؛ ائْتَانِ مِنْهَا يَوْجِبَانِ تَنْقِصَ الْمَالِ، وَهُوَ ثَقِيلٌ عَلَى الطَّبْعِ، وَهُمَا الْجَزَاءُ بِالْمِثْلِ وَالْإِطْعَامُ، وَالثَّلَاثُ يُوجِبُ إِيلَامَ الْبَدَنِ، وَهُوَ الصَّوْمُ، وَذَلِكَ أَيْضًا يَنْقُلُ عَلَى الطَّبْعِ؛ وَذَلِكَ حَتَّى يُحْتَرَرَ عَنِ قَتْلِ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ، وَفِي حَالِ الْإِحْرَامِ<sup>(١)</sup>.

٢٩- لَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْتِقَامِ وَصَفًا مُطْلَقًا، وَلَا يُسَمَّى بِالْمُنْتَقِمِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَصْفٌ مُطْلَقٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَيْدَ الْإِنْتِقَامِ بِالْمُجْرِمِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، فَتَقْيِيدُ مَا قَيْدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup> وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ وَصَفٌ لـ ﴿عَزِيزٌ﴾ وَهُوَ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَاصِرٍ، فَوُصِفَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مِنْ صِفَاتِهِ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ تَقْتَضِي الْإِنْتِقَامَ مِنَ الْمُفْسِدِ؛ لِتَكُونَ نَتَائِجُ الْأَعْمَالِ عَلَى وَفْقِهَا<sup>(٣)</sup>.

٣٠- أَنَّ جَمِيعَ حَيَوَانَ الْبَحْرِ حَلَالٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ وَالْإِضَافَةُ تَقْتَضِي الْعُمُومَ، فَيَشْمَلُ كُلَّ مَا فِي الْبَحْرِ مِنْ سَمَكٍ وَحَيْتَانٍ، صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِثَالِهِ لِلْإِنْسَانِ، أَوْ مِثَالِهِ لِلذَّبَابِ، أَوْ مِثَالِهِ لِلْخَنْزِيرِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

٣١- اسْتَدَلَّ جَمَهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى حِلِّ مَيْتَةِ الْبَحْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ وَطَعَامُهُ يَشْمَلُ مَا مَاتَ فِيهِ<sup>(٥)</sup>.

٣٢- حِلُّ صَيْدِ الْبَحْرِ لِلْمُحَلِّينَ وَالْمُحْرَمِينَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٥٢٨/٧).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٠/٢).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٥١/٧).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٣، ٤١٢/٢).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (١٩٨/٣).

(٦) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٢/٢).

٣٣- أنه لو وُجِدَ ماءٌ فيه سمكٌ داخلٌ حدودِ الحَرَمِ فإنَّ الظاهرَ أنه يكونُ حلالاً؛ لعمومِ قوله: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾، ثم قال: ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾<sup>(١)</sup>.

٣٤- من حِكْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في حِلِّ صَيْدِ الْبَحْرِ دونِ صَيْدِ الْبَرِّ؛ لأنَّ الأوَّلَ تناوُلُهُ سَهْلٌ، ولا يلهو به الإنسانُ، كما يلهو به في صَيْدِ الْبَرِّ، بخلافِ صَيْدِ الْبَرِّ الذي يتلَهَّى الإنسانُ به وينسابُ وراءه، ثم إنَّ صَيْدَ الْبَحْرِ صَيْدٌ خَفِيٌّ في باطنِ المِياه؛ فلا يكونُ كالصَّيْدِ الظَّاهِرِ على سطحِ الأَرْضِ<sup>(٢)</sup>.

٣٥- الإشارةُ إلى جوازِ ادِّخارِ لَحْمِ الْبَحْرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ يعني: السَّائِرِينَ في السَّفَرِ، ومِثْلَ ذلكِ لَحْمُ صَيْدِ الْبَرِّ في غيرِ الإحرامِ، لكن يُشترطُ في ذلكِ ألاَّ يَصَلَ إلى حدِّ الضَّرَرِ، فإنَّ وَصَلَ إلى حدِّ الضَّرَرِ بأنَّ أُنْتَنَ، وَقَبِحَتْ رائحتهُ، وخِيفَ على الإنسانِ منه، صارَ إمَّا مَكْرُوهًا وإمَّا حَرَامًا؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٣)</sup> [البقرة: ١٩٥].

٣٦- لَمَّا كانِ الاصطِبادُ بِحَشْرِ المَصِيدِ إلى حيثُ يَعِجُزُ عن الخِلاصِ منه، وكانتِ حالةُ الإحرامِ أشبهَ شيءٍ بحالةِ الحَشْرِ في التجرُّدِ عن المَخِيطِ، والإعراضِ عن الدنِيا وتمتُّعاتِها، حَتَمَ الآيةُ بِقَوْلِهِ عَطْفًا على ما تقدِّره: فلا تَأْكُلُوا شَيْئًا مِنْهُ في حالِ إحرامِكُمْ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي: الذي له الأمرُ كُلُّهُ في ذلكِ وفي غيرِهِ من الاصطِبادِ وغيرِهِ؛ ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ ليكونَ العَرَضُ عليه نُصَبَ أَعْيُنِكُمْ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٢/٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٤١٣/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٩٦/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

فتكونوا مواظبين على طاعته مُحترزين عن معصيته<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قَوْلُهُ: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ فيه: التأكيد باللام، ونون التوكيد، في قوله: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾ التي تُعِين المضارع للاستقبال<sup>(٢)</sup>.

- وقوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ تنكير ﴿بِشَيْءٍ﴾؛ للتقليل والتصغير<sup>(٣)</sup>، وعبر به ﴿مِنَ﴾ التي للتبعيض، أي: بشيء غير كثير. وقيل: تنكير ﴿بِشَيْءٍ﴾ هنا للتنويع لا للتحقير<sup>(٤)</sup>.

٢- قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ استئناف بياني؛

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٠٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٩).

(٣) وقد اختلف في توجيه هذه الصيغة التي تُشعرُ بالتقليل والتصغير هنا؛ فقيل: المرادُ بما يُشعرُ به اللفظ من التقليل والتصغير هو أن يُعلم أن هذا المذكور ليس بفتنة من الفتن العظام التي يكونُ التكليفُ فيها صعبًا شاقًا، كالاتلاءِ بِذَلِّ الأرواح والأموال في الجهاد، وإنما هو ابتلاءٌ سهلٌ؛ فتكونُ محنةً يسيرةً؛ تخفيفًا من الله تعالى ولطفًا. يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٦)، ((تفسير الرازي)) (٢٨١/ ٤٢٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

وقيل: المرادُ هو التنبية على أن جميع ما يقعُ الابتلاءُ به من هذه البلايا بعضٌ من كلِّ بالنسبة إلى مقدورِ الله تعالى؛ فإنَّ جميعَ المحن والأرزاء والبلاء والفتن ليست بالنسبة إلى مقدورِ الله تعالى سوى جزءٍ يسيرٍ، خَلِيقٌ به أن يُحَقِّرَ ويُصَغِّرَ، وهذه الصيغة - التي تُشعرُ بالتقليل والتصغير - بعينها قد وردت في الفتن العظيمة في قوله تعالى: ﴿وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾، ولا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحقُّ الصابِرُ عليها أن يُشْرَ؛ لأنه صَبَرَ على عظيمٍ؛ وإنما خاطب سبحانه المؤمنين بهذه الصيغة تخفيفًا لهم، وبعثًا لهم على الصبر، وحفزًا لهم على الاحتمال؛ تَلطُّفًا بهم، وترفقًا بما يكابدونه منه؛ لأنَّ سَنَقَ التوعيدِ بذلك لم يكن إلا ليكونوا مُتَوَطِّئين على ذلك عند وقوعه، فيكون أيضًا باعثًا على تحمُّله؛ لأنَّ مُفاجأةَ المكروهِ بَعَثَهُ أضعف، والإنذارُ به قبل وقوعه ممَّا يُسهِّلُ موقعه. يُنظر: ((تفسير الزمخشري - حاشية ابن المنير)) (١/ ٦٧٧)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٣/ ١٧-١٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٩).

ليبان الإجمال الواقع في قوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ...﴾<sup>(١)</sup>.  
 ٣- قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ فيه: إيجازٌ بديع؛ لأنَّ شأنَ جوابِ الشرطِ إذا كان فعلاً ألاَّ تدخلَ عليه الفاءُ الرابطة؛ لاستغنائهُ عن الربطِ بمجرّد الاتّصالِ الفِعلي، ودخولِ الفاءِ على الفعلِ يقعُ في كلامهم على خلافِ الغالبِ؛ لقصدِ الدلالةِ على الاختصاصِ، أو التقوي، والتقدير: (فَهُوَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ)؛ لقصدِ الاختصاصِ للمبالغةِ في شدّةِ ما يناله، حتى كأنه لا ينالُ غيرَه، أو لقصدِ التقوي، أي: تأكيدِ حصولِ هذا الانتقامِ<sup>(٢)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ تذييلٌ، وفي هذه الجملة تذكّارٌ بِنَقَمِ اللَّهِ وتخويفٌ<sup>(٣)</sup>.

- ولَمَّا كان قاتلُ صيدِ البرِّ مُتَهَكًا لِحُرْمَةِ الإحرامِ والحَرَمِ، وكان التَّقديرُ: فاللَّهُ قادرٌ عليه، عَطَفَ على ذلك ما اقتضاه المقامُ مِنَ الإتيانِ بِالاسمِ العَظِيمِ (اللَّهُ) ووصفِ العزّةِ، فقال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥- قَوْلُهُ: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ...﴾ استئنافٌ بيانيٌّ نشأ عن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾؛ فَإِنَّهُ اقْتَضَى تحريمَ قتلِ الصَّيْدِ على المحرّمِ، وجعلَ جزاءَ فعلِهِ هُدًىً مِثْلَ ما قتلَ مِنَ النِّعَمِ، فكان السامعُ بحيث يسألُ عن صيدِ البحرِ؛ فبيّنَ اللَّهُ للناسِ حُكْمَ صيدِ البحرِ وأبقاه على الإباحةِ<sup>(٥)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ فيه: زيادةٌ تأكيدٌ لتحريمِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٤٢/٧)، ويُنظر أيضًا: ((البرهان)) للركشي (١٩٢/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٠/٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٦٩/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٥١/٧).

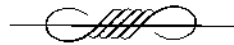
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٠٤/٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥١/٧).

الصَّيْدِ؛ تصریحًا بمفهومِ قوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، ولبیانِ أَنَّ مُدَّةَ التحريمِ مُدَّةٌ كونهم حُرْمًا<sup>(١)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيه: تنبيهٌ وتهديدٌ جاء عقيبَ تحليلٍ وتحريمٍ، وناسبَ ذِكْرَ الحشرِ؛ إذ فيه يَظْهَرُ مَنْ أطاعَ وعصى<sup>(٢)</sup>؛ ففي إجراءِ الوصفِ بالموصولِ ﴿الَّذِي﴾ وتلك الصِّلةِ ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تذكيرٌ بأنَّ المرجعَ إلى الله؛ ليعُدَّ الناسُ ما استطاعوا من الطاعةِ لذلك اللِّقاءِ<sup>(٣)</sup>.

- وقوله: ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ قدَّمَ الجارَّ والمجرورِ في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ على عامله، وهو قوله: ﴿تُحْشَرُونَ﴾؛ لفائدتين: فائدة معنويَّة، وفائدة لفظيَّة؛ فالفائدةُ المعنويَّةُ: الحصرُ، وهذه قاعدةٌ معروفةٌ عند البلاغيِّين والأصوليِّين: أنَّه إذا قُدِّمَ ما حقُّه التأخيرُ، فإنه يُقيدُ الحصرَ. والفائدةُ اللفظيَّةُ: مناسبةٌ رؤوسِ الآياتِ<sup>(٤)</sup>.



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٣/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٧١/٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٣/٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٧/٢).

## الآيات (٩٧ - ١٠٠)

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيَتِيمَ الْحَرَامَ قِنَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ  
وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾  
مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي  
الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ  
تَقْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

## غريب الكلمات:

﴿ قِنَمًا ﴾: أي: قوامًا لهم، يقوم به معاشهم ومعادهم، ودينهم ودنياهم وأمنهم،  
وأصل (قوم): مراعاة الشيء والحفظ له، والانتصاب والعزم<sup>(١)</sup>.

﴿ وَالْقَلَائِدَ ﴾: أي: ما قلّد من الهدى، وكانوا يُقلّدون البعير من لحاء شجر  
الحرّم، فيأمن بذلك حيث سلك، والقلّد الفتل، وأصل (قلّد): يدلّ على تعليق  
شيء على شيء وليّه به، وعلى حَظٍّ ونَصيبٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿ أُولَى الْأَلْبَابِ ﴾: أي: أصحاب العقول السليمة، ومفرد ألباب: لبّ، وأصل  
اللّبّ: الخلوّص والجودة، والشيء المنتقى<sup>(٣)</sup>.

## مشكل الإعراب:

قوله: ﴿ ذَلِكَ لِنَعْلَمُوا ﴾.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩١)، (تذكرة  
الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٦)،  
((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/١٩)، (تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التيان))  
لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/١٩٩)،  
((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٢).



﴿ذَلِكَ﴾: اسمُ إشارةٍ مبنيٌّ في محلِّ رفعٍ، على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتقدير: الأمرُ ذلك، أو الحكمُ الذي حكّمناه ذلك لا غيره، أو يكون مبتدأً وخبره محذوفٌ، والتقدير: ذلك الحكمُ هو الحقُّ لا غيره. ويجوز أن يكون في محلِّ نصبٍ على أنه مفعولٌ به لفعلٍ مُقدّرٌ يدلُّ عليه السياقُ، وبه تتعلّقُ اللَّامُ في ﴿لَتَعْلَمُوا﴾، والتقدير: شرّعنا ذلك لتعلموا. وقيل: ﴿ذَلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الجعلِ المأخوذِ من قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفْبَةَ﴾ ولامُ التعليلِ في ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ متعلّقةٌ بـ ﴿جَعَلَ﴾، وتوسّطُ اسمِ الإشارةِ بينهما هنا شبيهةٌ بتوسّطِ ضميرِ الفُضْلِ؛ فلذلك كان الكلامُ شبيهاً بالمستأنفِ، وليس هو بمُستأنفٍ، فلم يكن في هذا الكلامِ شيءٌ جديدٌ غيرَ التعليلِ، والمعنى: جعلَ اللهُ الكُفْبَةَ قياماً للناسِ؛ لتعلموا أن الله يعلمُ... الخ<sup>(١)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُخبرُ تعالى أنه جعلَ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قواماً للناسِ، تقومُ به مصالحُهم الدنيويَّةُ والدُّنيويَّةُ، وكذلك الشهرُ الحرامُ، والهدْيُ الذي يُساقُ إلى الحرمِ من بهيمةِ الأنعامِ؛ وخصوصاً ما يُقلَّدُ منه، كلُّ ذلك جعله اللهُ ممّا تقومُ به مصالحُ الناسِ؛ ذلك من أجلِ أن يعلمَ الناسُ أنه تعالى يعلمُ ما في السَّمواتِ والأرضِ، ومن ذلك علمُه بما يصلحُ لعبادِهِ في دينهم ودُنْياهم، وأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ. ثم خوّفَ اللهُ تعالى من عقابِهِ، ورعَّبَ في ثوابِهِ، فأمرَ الناسَ أن يعلموا أنه عزَّ وجلَّ شديدٌ عقابُهُ إذا أنزلهَ بمنِّ عصاه، وأنه غفورٌ يسرُّ ذنوبَ مَنْ تاب إليه، ويتجاوز عن المؤاخذهِ عليها، رحيمٌ سبحانه بعبادِهِ.

ثم أخبرَ تعالى أنه ما على رسوله محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلا أداءُ الرِّسالةِ التي أُرسلَ بها، وأنه ما قصرَ في أدائها، وأنَّ الله تعالى يعلمُ ما يُعلنُ الخلقُ وما

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/٢٣٨)، ((التيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/٤٦٣)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٤٣٣) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٥٩).

يُسْرُونَهُ، وَسِيْجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ..

ثم أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس: إنه لا يستوي الخبيث والطيب، ولو أعجب المرء بكثرة الخبيث، فاتقوا الله يا أصحاب العقول السليمة؛ لعلكم تظفرون بما تطلبونه وترجونه، وتنجون مما تحذرونه في دنياكم وآخرتكم.

### تفسير الآيات:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيُبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٩٧)

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ الْأَصْطِيَادَ عَلَى الْمُحْرَمِ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْحَرَمَ كَمَا أَنَّهُ سَبَبٌ لِأَمْنِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ، فَكَذَلِكَ هُوَ سَبَبٌ لِأَمْنِ النَّاسِ عَنِ الْآفَاتِ وَالْمَخَافَاتِ، وَسَبَبٌ لِحَصُولِ الْخَيْرَاتِ وَالسَّعَادَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ سَبْحَانَهُ:

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْيُبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾.

أي: صير الله تعالى حرمة قواماً للناس، تقوم به مصالح دينهم، من صلاةٍ وحجٍّ وعمرةٍ، وغير ذلك، وتقوم به أيضاً مصالح دنياهم؛ بما يجبي إليها من ثمرات كل شيءٍ رزقاً من عند الله تبارك وتعالى، وبما يحصل فيه من الأمن، وبما يحصل فيه من اجتماع للمسلمين، فيتعارفون، ويتعاونون، ويتشاورون في مصالحهم الدنيوية والدنيوية<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٣٩/١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧/٥-٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (١٦٣/١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٧/٢).

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بِهِ الْقَوَامُ مِنَ الْمَكَانِ، أَتْبَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الزَّمَانِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ:

﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾

أَي: وَصَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ قَوَامًا لِلنَّاسِ، تَقَوْمٌ فِيهَا مَصَالِحُهُمْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَمْنِ بِتَحْرِيمِ الْقِتَالِ وَالظُّلْمِ فِيهَا<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْهَدْيِ وَالْقَلَائِدِ﴾

أَي: صَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْهَدْيَ الَّذِي يُهْدَى إِلَى الْحَرَمِ مِنْ إِبِلٍ أَوْ بَقَرٍ أَوْ غَنَمٍ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْقَلَائِدَ - وَهِيَ الْهَدْيُ الَّذِي تُجْعَلُ لَهُ قَلَائِدٌ فِي عُنُقِهِ؛ إِظْهَارًا لَشَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابٍ<sup>(٣)</sup> - صَبَّرَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ قَوَامًا لِلنَّاسِ فِي دِينِهِمْ بِالثَّوَابِ الَّذِي يَنَالُونَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي دُنْيَاهُمْ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْأَكْلِ وَالِانْتِفَاعِ بِالْجُلُودِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

أَي: إِنَّ تَصْيِيرَهُ سَبْحَانَهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٠٦/٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٧، ٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤١٧ - ٤١٨، ٤٢١ - ٤٢٢).

قال ابن عطية: (والشَّهْرُ هُنَا اسْمٌ جَنْسِي، وَالْمَرَادُ الْأَشْهُرُ الثَّلَاثَةُ بِإِجْمَاعِ مِنَ الْعَرَبِ، وَشَهْرٌ مُضَرٌّ وَهُوَ رَجَبٌ) ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٤٣).

(٣) يُنظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٠٨)، ((تفسير القرطبي)) (٦/٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤١٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤١٨).

قيامًا لكم - أيها الناس - كي تعلموا أن الله سبحانه يعلم جميع ما في السموات وجميع ما في الأرض، ومن ذلك علمه بما يصلح لكم من مصالح دينية ودنيوية<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أي: ولتعلموا أيضًا أنه لا يخفى عليه شيء، ومن ذلك أعمالكم، فيجازيكم بها<sup>(٢)</sup>.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أنواع رحمته بعباده، ذكر بعده أنه شديد العقاب؛ لأن الإيمان لا يتم إلا بالرجاء والخوف، ثم ذكر عقبيه ما يدل على الرحمة، وهو كونه غفورًا رحيمًا، وذلك يدل على أن جانب الرحمة أغلب؛ لأنه تعالى ذكر فيما قبل أنواع رحمته وكرمه، ثم ذكر أنه شديد العقاب، ثم ذكر عقبيه وصفين من أوصاف الرحمة، وهو كونه غفورًا رحيمًا<sup>(٣)</sup>، قال تعالى:

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

أي: اعلموا - أيها الناس - أن ربكم شديد الأخذ بالذنب إذا عاقب من عصاه<sup>(٤)</sup>.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤١٩/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٠/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٤١/١٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٦/٢).

أي: واعلموا أيضًا أنه يستر ذنوب من تاب إليه من عباده، ويتجاوز عن مؤاخذته بها، رحيمٌ سبحانه، ومن رحمته بعباده أنه لا يكلفهم ما يشقُّ عليهم، وأنه يقبل توبتهم إذا تابوا إليه<sup>(١)</sup>.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)﴾.

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا تَقَدَّمَ التَّرغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ كَلَّفَ رَسُوْلَهُ بِالتَّبْلِيْغِ، وَهُوَ تَوْصِيْلُ الْأَحْكَامِ إِلَى أُمَّتِهِ، وَهَذَا فِيهِ تَشْدِيْدٌ عَلَى إِيْجَابِ الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ بِهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الرَّسُوْلَ قَدْ فَرَّغَ مِمَّا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّبْلِيْغِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحِجَّةُ، وَلَزِمَتْكُمْ الطَّاعَةُ، فَلَا عِذْرَ لَكُمْ فِي التَّنْفِيْظِ<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.

لَيْسَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - سِوَى آدَاءِ رِسَالَتِنَا إِلَيْكُمْ، وَأَمَّا مَا عَدَا ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

أي: إن أعمالكم ليست موكلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما الذي يُجازيكم بها هو الله تعالى وُخده، الذي يعلم جميع ما تُظهِرونه، وجميع ما تُخفونه<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٦/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٧٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١/٩-١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٨/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٢/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٩/٢-٤٣٠).

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٠) ﴿١﴾  
مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا زَجَرَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَرَغَّبَ فِي الطَّاعَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِالتَّكْلِيفِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِالتَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّنْفِيرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، اتَّبَعَهُ بِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّنْفِيرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ...﴾ ﴿٢﴾.

وَأَيْضًا لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ عِقَابَهُ شَدِيدٌ لِمَنْ عَصَى، وَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِمَنْ أَطَاعَ؛ بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْمَطِيعُ وَالْعَاصِي، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْعَصَاةِ وَالْكَفَّارِ كَثْرَةً؛ فَلَا تَمْنَعُهُ كَثْرَتُهُمْ مِنْ عِقَابِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ ﴿٣﴾

أَي: قُلْ - يَا مُحَمَّدُ - لِلنَّاسِ: لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ مِنْ أَشْخَاصٍ وَأَعْمَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَلَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَلَا تَسْتَوِي الطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ، وَلَا يَسْتَوِي الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ ﴿٤﴾

أَي: فَلَا تَعْجِبَنَّ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - مِنْ كَثْرَةِ الْخَبِيثِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، فَلَا تَعْجَبَكَ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٤٤٢/١٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٣٧٥/٤).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٢/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٠٣/٣)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٣/٢ - ٤٣٤).

كثرةٌ مَنْ يَعصِي اللَّهَ؛ فَإِنَّ الْفَلَاحَ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَإِنْ قَلَّوْا، وَالْقَلِيلُ الْحَلَالُ النَّافِعُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْحَرَامِ الضَّارِّ<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي: يا أصحاب العقول الصحيحة الراشدة، اتقوا الله سبحانه بامتنال ما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه؛ كي تظفروا بما تأملون، وتنجوا مما تحذرون في الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- إثبات الحكمة في أحكام الله عز وجل؛ لقوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾، واللام هنا للتعليل، ومن أسماء الله تبارك وتعالى: الحكيم، وهو الذي يضع الأشياء في مواضعها، ويتفرع على هذه الفائدة العظيمة: أن تؤمن بأن كل ما شرعه الله أو فعله الله فهو لحكمة، وحينئذ لا يلزمنا أن نبحث عن الحكمة، أو نتمحلل حكمة بعيدة قد تكون غير مرادة لله عز وجل، إن تبين لنا الحكمة بسهولة، فلا شك أن هذا من نعمة الله، ويزيد الإنسان طمأنينة، وإن لم تبين فإننا نعلم أنها لحكمة، لكن عقولنا قاصرة عن إدراك حكمة الله عز وجل في كل ما شرع<sup>(٣)</sup>.

٢- الحث على معرفة صفات الله عز وجل؛ لقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣/٩-١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٠٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٣٤-٤٣٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٠٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٣٥-٤٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٢٣).

فينبغي البحث عن صفات الله تبارك وتعالى، سواء الصفات التي ليس لها أسماء، أو الصفات التي تتضمنها الأسماء؛ لأنه كلما ازدادت المعرفة بأسماء الله وصفاته ازداد اليقين<sup>(١)</sup>.

٣- التحذير من مخالفة الله عز وجل وترك مراقبته سبحانه؛ وجهه: إثبات العلم في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لأن كل إنسان يهمل بمعصية، سواء كانت ترك واجب، أو فعل مُحَرَّم إذا أيقن أن الله عالم به، فإنه يخاف ويمسك<sup>(٢)</sup>.

٤- في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يأمر الله عباده أن يكون هذان العلمان موجودين في قلوبهم على وجه الجزم واليقين، فيعلموا أنه شديد العقاب العاجل والآجل على من عصاه، وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه، فيثمر لهم هذا العلم الخوف من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، فيعملوا على ما يقتضيه الخوف والرجاء<sup>(٣)</sup>.

٥- مما يستعاد من قوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أن أهل العلم الذين هم ورثة الأنبياء إذا بلغوا برئت ذمتهم<sup>(٤)</sup>.

٦- أنه لا ينبغي للإنسان أن يعتبر أو يغتر بالكثرة، وإنما يعتبر بالكيف لا بالكم؛ لقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْبِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٧- تفريع قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ على ﴿قُلْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٢٤).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٣٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/٣٩٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/١٠٣)، ((تفسير

ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٣٦).



لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴿١﴾ مُؤذِنٌ بِأَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مَنَّا إِعْمَالَ النَّظْرِ فِي تَمْيِيزِ الْخَبِيثِ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالْبَحْثَ عَنِ الْحَقَائِقِ، وَعَدَمَ الْإِغْتِرَارِ بِالْمَظَاهِرِ الْخَلَّابَةِ الْكَاذِبَةِ؛ فَإِنَّ الْأَمَرَ بِالتَّقْوَى يَسْتَلْزِمُ الْأَمَرَ بِالنَّظْرِ فِي تَمْيِيزِ الْأَفْعَالِ؛ حَتَّى يُعْرَفَ مَا هُوَ تَقْوَى دُونَ غَيْرِهِ <sup>(١)</sup>.

٨- خَصَّ أُولِي الْأَلْبَابِ بِالذِّكْرِ فِي آخِرِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بَعْدَ مَخَاطَبَةِ كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي صَدْرِهَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَصِيرَةِ وَالرَّوِيَّةِ مِنَ الْعُقَلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَبِرُونَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا أَوَائِلُهَا وَمُقَدِّمَاتُهَا، بَعْدَ التَّأَمُّلِ فِي حَقِيقَتِهَا وَصِفَاتِهَا، فَلَا يُصِرُّونَ عَلَى الْغُرُورِ بِكَثْرَةِ الْخَبِيثِ بَعْدَ التَّنْبِيهِ وَالتَّذْكِيرِ، وَأَمَّا الْأَعْرَازُ وَالْغَافِلُونَ الَّذِينَ لَمْ يَمَرَّنُوا عُقُولَهُمْ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِ فِي النَّظْرِ، وَالْإِعْتِبَارِ بِالتَّجَارِبِ، فَلَا يُفِيدُهُمْ وَعْظٌ وَاعْظٌ، وَلَا تَذْكِيرٌ مُذَكَّرٌ، بَلْ لَا يَعْتَبِرُونَ بِمَا يَرَوْنَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ بِأَذَانِهِمْ مِنْ حَوَادِثِ الْأَغْنِيَاءِ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أُمُورُهُمْ الْكَثِيرَةُ الْمَجْمُوعَةُ مِنَ الْحَرَامِ، وَلَا مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمَمِ وَالدُّوَلِ الَّتِي اضْمَحَلَّتْ كَثْرَتُهَا الْعَاطِلَةُ مِنْ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالنِّظَامِ، وَكَيْفَ وِرْثِ هَؤُلَاءِ وَأَوْلَئِكَ مَنْ كَانُوا أَقْلَ مَا لَوْ رَجَالًا؛ إِذْ كَانُوا أَفْضَلَ أَخْلَاقًا وَأَعْمَالًا؛ ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> [الأعراف: ١٢٨].

٩- أَنَّ الَّذِينَ يُخَاطَبُونَ بِالتَّقْوَى وَيُمَثِّلُ هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْعَظِيمَةَ هُمُ أَصْحَابُ الْعُقُولِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وَالْمَرَادُ بِالْعُقُولِ هُنَا: عُقُولُ الرُّشْدِ لَا عُقُولُ الْإِدْرَاكِ <sup>(٣)</sup>.

## الْقَوَائِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ:

١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُفْرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ...﴾ تَعْظِيمُ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٦٤ / ٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٠٣ / ٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٧ / ٢).

شأن الكعبة، حيث جعلها قيامًا للناس، تقوم بها أمور دينهم ودنياهم، هذه الكعبة التي حُرِّمت أرض الحرم لأجل تعظيمها، ويُستفاد أيضًا التذكير بنعمة الله على سُكَّانه بما جعل لهم من الأمن في علائقها وشعائرها<sup>(١)</sup>.

٢- كانت الكعبة قيامًا للناس وهم العرب؛ إذ كانت سبب اهتدائهم إلى التوحيد وأتباع الحنيفية، واستبقت لهم بقية من تلك الحنيفية في مدة جاهليتهم كلها، لم يعدموا عوائد نفعها، فلمَّا جاء الإسلام كان الحج إليها من أفضل الأعمال، وبه تُكفَّر الذنوب، فكانت الكعبة من هذا قيامًا للناس في أمور أخرهم بمقدار ما يتمسكون به ممَّا جعلت الكعبة له قيامًا؛ قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ ناسب ذكر الله تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس ذكر الشهر الحرام والهدي والقلائد؛ لأن هذه الثلاثة إنما صارت سببًا لقوام المعيشة؛ لانتسابها إلى البيت الحرام، فكان ذلك دليلًا على عظمة هذا البيت وغاية شرفه<sup>(٣)</sup>.

٤- في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ خصَّ الله القلائد بالذكر هنا، ووجه تخصيصها - وإن كانت هي من أقل آثار الحج - التنبية على أن جميع علائق الكعبة فيها قيام للناس، حتى أدنى العلائق، وهي القلائد، فكيف بما عداها؛ ولأن القلائد أيضًا لا يخلو عنها هدي من الهدايا<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٤ / ٧) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٠ / ٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٨ / ٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٤١ / ١٢، ٤٤١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٩، ٥٨ / ٧).

٥- تعظيمُ الأشهرِ الحُرْمِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامِ﴾ وَأَنَّهَا قِيَامٌ لِلنَّاسِ، وَتَعْظِيمُهَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي السُّنَّةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَرَّرًا ذَلِكَ: ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا))<sup>(١)</sup>.

٦- تعظيمُ الهُدْيِ وَالتَّرغِيبُ فِيهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالْهَدْيِ﴾ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ قِيَامًا لِلنَّاسِ، وَالْهَدْيُ غَيْرُ مُرْتَبِطٍ بِالنُّسْكِ؛ إِذْ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَبْعَثَ الْهَدْيَ إِلَى مَكَّةَ وَإِنْ كَانَ فِي بَلَدِهِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ<sup>(٢)</sup>.

٧- مَشْرُوعِيَّةُ الْقَلَائِدِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالْقَلَائِدِ﴾ وَجِهَ ذَلِكَ: أَنَّ فِيهَا إِظْهَارًا لِشَعَائِرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ رَأَى هَذِهِ النَّعَمَ الْمَقْلَدَةَ، عَرَفَ أَنَّهَا هَدْيٌ، فَعَظَّمَهَا وَاحْتَرَمَهَا<sup>(٣)</sup>.

٨- تَكَرُّرُ الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَرَّرَ عَمُومَ عِلْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ثُمَّ أَكَّدَ الْعَمُومَ بِمَا هُوَ أَعْمٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لِأَنَّ هَذَا يَعْمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ فَنَاءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ<sup>(٤)</sup>.

٩- قَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٢١).

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٠٧٨) وَمُسْلِمٌ (١٦٧٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٢٣).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٤٢٤).

الْأَلِيمُ ﴿[الحجر: ٤٩ - ٥٠]؛ فجعل الرحمة صفة له مذكورة في أسمائه الحسنى، وأما العذاب والعقاب، فجعلهما من مفعولاته غير مذكورين في أسمائه<sup>(١)</sup>.

١٠- لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنْوَاعَ رَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ، ذَكَرَ بَعْدَهُ شِدَّةَ الْعِقَابِ فَقَالَ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ لَأَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ<sup>(٢)</sup>.

١١- أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجِيرَ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَهْتَدُوا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، وَيُؤَيِّدُ هَذَا آيَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> [يونس: ٩٩].

١٢- قَوْلُهُ: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ بيانٌ لوظيفَةِ الرَّسُولِ فِي إِثْرِ بَيَانِ كَوْنِ الْجَزَاءِ بِيَدِ اللَّهِ الْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَالرَّسُولُ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، لَيْسَ عَلَيْهِ إِلَّا تَبْلِيغُ رِسَالَةٍ مَنْ أَرْسَلَهُ؛ فَهُوَ لَا يَعْلَمُ جَمِيعَ مَا يُبْدِيهِ الْمَكْلُفُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمَا يَكْتُمُونَهُ مِنْهَا، فَيَكُونُ أَهْلًا لِحِسَابِهِمْ وَجَزَائِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ ذَلِكَ اللَّهُ وَحْدَهُ<sup>(٤)</sup>.

١٣- الرَّدُّ عَلَى الْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ، وَهَذَا مَا خُوذَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾؛ فَالْإِنْسَانُ يُرِيدُ أَنْ يُبْدِيَ، وَيُرِيدُ أَنْ يَكْتُمَ، وَهَذَا هُوَ إِثْبَاتُ الْإِرَادَةِ لِلْعَبِيدِ<sup>(٥)</sup>.

١٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ أَنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ

(١) يُنْظَرُ: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٩٥/١٥).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٥٤٠/٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٠/٢).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٠٢/٧).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣١/٢).

والطَّيِّبُ عندِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ولا عندَ أصحابِ العُقُولِ، وهذا في مراتبهم عندِ الله، وعندِ ذوي العُقُولِ، أمَّا فيما يعملون من أمورِ الدُّنيا، فإنَّه قد يكونُ الخبيثُ أكثرَ من الطَّيِّبِ عملاً، كما هو مُشاهدٌ الآن؛ فإنَّ الدُّولَ الكافرةَ أقدَمُ من الدُّولِ المسلمةِ فيما يتعلَّقُ بأمورِ الدنيا<sup>(١)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١ - قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ النَّبِيَّةَ الْحَرَامَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ جَوَابٌ عَمَّا يَخْطُرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مِنَ الْبَحْثِ عَنِ حِكْمَةِ تَحْرِيمِ الصَّيْدِ فِي الْحَرَمِ، وَفِي حَالِ الْإِحْرَامِ، بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِ شَأْنِ الكَعْبَةِ الَّتِي حُرِّمَتْ أَرْضُ الْحَرَمِ لِأَجْلِ تَعْظِيمِهَا، وَتَذْكَيرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى سُكَّانِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ فِي عِلَاقَتِهَا وَشَعَائِرِهَا<sup>(٢)</sup>.

- وَقَوْلُهُ: ﴿النَّبِيَّةَ الْحَرَامَ﴾ بَيَانٌ لِّلْكَعْبَةِ؛ قُصِدَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ التَّنْوِيهُ وَالتَّعْظِيمُ؛ إِذْ شَأْنُ الْبَيَانِ أَنْ يَكُونَ مُوَضَّحًا لِلْمَبِينِ بِأَنْ يَكُونَ أَشْهَرَ مِنَ الْمَبِينِ، وَلَمَّا كَانَ اسْمُ الكَعْبَةِ مَسَاوِيًّا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَقَدْ عَبَّرَ بِهِ عَنِ الكَعْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا أَمِينَ النَّبِيَّةَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، فَتَعَيَّنَ أَنْ ذَكَرَ الْبَيَانَ لِلتَّعْظِيمِ<sup>(٣)</sup>.

٢ - قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ لِتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

- قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ لِتَعَلَّمُوا...﴾ مَرْتَبُطٌ بِالْكَلامِ الَّذِي قَبْلَهُ بِوِاسِطَةِ لَامِ التَّعْلِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِتَعَلَّمُوا﴾، وَتَوَسُّطُ اسْمِ الْإِشَارَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ؛ لِزِيَادَةِ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٦/٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٤/٧-٥٥).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

الرَّبِطِ، مع التنبيه على تعظيم المشار إليه، وهو الجعل المأخوذ من قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾<sup>(١)</sup>.

- وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيه تعميم إثر التخصيص الذي في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ للتأكيد<sup>(٢)</sup>، مع ما فيه من تأكيد الخبر بـ (أَنَّ) واسميّة الجملة.

٣- قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ استئناف ابتدائي، وتذييل لما سبق من حظر الصيد للمحرم وإباحة صيد البحر، والامتنان بما جعل للكعبة من النعم عليهم، وافتتاح الجملة بـ ﴿اعْلَمُوا﴾ للاهتمام بمضمونها<sup>(٣)</sup>.  
- وفيه: وعيد لمن انتهك محارمه أو أصرَّ عليها، ووعد لمن أفلح عنه<sup>(٤)</sup>.

- وفيه مناسبة حسنة؛ حيث قال هنا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، وبينهما فرق؛ فهذه الآية هنا ذكرت عقيب أحكام عظيمة قد يُخلُّ بها المرء؛ فقدم فيها جانب التهديد، وأمّا في آية الحجر؛ فقوله: ﴿نَبِيُّ﴾ أمر من الله إلى الرسول بأن يُنبئ الخلق، وقدم الوصف بالمغفرة والرحمة على العذاب الأليم؛ لأن المقصود الإخبار عن صفة الله عز وجل، فقدم الجانب الذي فيه اللطف والإحسان<sup>(٥)</sup>.

٤- قوله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾

جملة معترضة ذيل بها التعريض بالوعد والوعد، والقصر المستفاد هنا من

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٥٩/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٤٤/٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٨٣/٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦١/٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٣٧٤/٤)، ((تفسير البيضاوي)) (١٤٤/٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٢٦/٢).

(ما) و(إلا) ليس بحقيقي؛ لأنَّ على الرسولِ أمورًا آخرَ غيرِ البلاغِ مثلِ التَّعبُدِ لله تعالى؛ والخروجِ إلى الجهاد، والتكاليفِ التي كلفه الله بها، مثل قيام اللَّيْلِ؛ فتعيَّن أنَّ معنى القصر: ما عليه إلا البلاغ، أي: دون إلجائكم إلى الإيمان؛ فالقصرُ إضافيٌّ، فلا يُنافي أنَّ على الرسولِ أشياء كثيرة<sup>(١)</sup>.

٥- قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ فيه: تعريضٌ بالوعدِ والوعد؛ تذكيرًا بأنَّه لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم؛ ظاهرها وباطنها؛ ففيه تهديدٌ بأنَّه تعالى مُطَّلِعٌ على حالِ العبدِ ظاهرًا وباطنًا؛ فهو مُجازيه على ذلك ثوابًا أو عقابًا، والمقصودُ من قَوْلِهِ: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ التَّعميمُ والشُّمولُ<sup>(٢)</sup>، وهو تحذيرٌ للمُبلِّغين من المخالفة؛ فإنَّ إخباره بعلمه بعد أن قال: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ فيه التهديدُ والوعدُ على من خالف<sup>(٣)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾: تصديرُ الحُكمِ بـ ﴿قُلْ﴾ يدلُّ على العناية به؛ وذلك لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان مأمورًا أن يقولَ جميعَ القرآنِ للنَّاسِ ويُبَلِّغُه، لكن إذا نُصَّصَ على شيءٍ معيَّن، دلَّ هذا على أخصِّيَّته؛ فهو كالتَّخصيصِ بعد التَّعميمِ<sup>(٤)</sup>.

- ولعلَّ نكتةَ تقديمِ الخبيثِ في الذِّكْرِ هي كونُ السِّياقِ للاهتمامِ بإزالةِ شبهةِ المغترِّينَ بكثرة؛ ولذلك قال: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦١-٦٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦١-٦٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٣١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٣٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٠٣).

## الآيات (١٠١ - ١٠٥)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَانُوا أَكْثَرُهم لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولُو كَانٍ ءَأَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يُضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ءإِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنزِّلُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿تَسْؤُكُمْ﴾: أي: تحزنكم وتغممكم، والسوء مصدرٌ ساء، وهو اسمٌ جامعٌ للآفات، ويُستعملُ في كلِّ ما يُستفبح، وهو أيضًا كلُّ ما يغمُ الإنسان<sup>(١)</sup>.

﴿بَحَيْرَةٍ﴾: هي الناقة التي إذا نُججت خمسةً أبطن شقوا أذنها، وحُرمت على النساء، ويمنح دُرُّها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحدٌ من الناس، والبحيرة الفعيلة، من قول القائل: بحرثُ أذن هذه الناقة إذا شققها، وأصل (بحر): يدلُّ على الانبساط والسعة<sup>(٢)</sup>.

﴿سَائِبَةٍ﴾: السائبة هي الأثني من النعم التي كان يُسيبها الكفار لطواغيتهم؛ فلا يحمل عليها شيء، أو التي تُسيب في المرعى؛ فلا تُردُّ عن حوضٍ ولا علفٍ،

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٤١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٠١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٨).



وكان الواحدُ منهم يُسيِّها بتدري؛ إن سُلِّمَ من مَرَضٍ، أو بُلِّغَ منزله أن يفعل ذلك، وأصل (سيب): يدلُّ على استمرارِ شيءٍ وذَهابِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَصِيْلَةٌ﴾: الوَصِيْلَةُ هي: الأُنْثَى من النَّعَمِ إذا وَلَدَتْ سَبْعَةَ أَبْطُنٍ، نَظَرُوا؛ فَإِنْ كَانَ السَّابِعُ ذَكَرًا دُبْحٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ، وَإِنْ كَانَ أُنْثَى تَرِكَتْ، وَإِنْ كَانَ ذَكَرًا وَأُنْثَى قَالُوا: قَدْ وَصَلَتْ أَخَاهَا، فَلَمْ تُذْبَحْ بَدْفَعِهَا عَنْهُ الذَّبْحُ، وَكَانَتْ لِحَوْمِهَا حَرَامًا عَلَى النِّسَاءِ، وَلَبِنُ الأُنْثَى حَرَامًا عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ مِنْهُمَا شَيْءٌ فَيَأْكُلَهُ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ<sup>(٢)</sup>.

﴿حَامٍ﴾: الحَامِي هو: الفَحْلُ من النَّعَمِ إذا نُتِجَ مِنْ صُلْبِهِ عَشْرَةَ أَبْطُنٍ، كَانَ يُقَالُ: حَمَى ظَهْرَهُ؛ فَيَتْرَكُوهُ لِلطَّوَاغِيْتِ، وَيُحْمَى مِنَ الحَمْلِ والرُّكُوبِ عَلَيْهِ والانتفاعِ بِهِ؛ بِسَبَبِ تَتَابُعِ الأَوْلَادِ مِنْ ضِرَابِهِ، وَأَصْلُ (حَمِي) يَدُلُّ عَلَى الدَّفْعِ والمَنْعِ<sup>(٣)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يَنْهَى اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ السُّؤَالِ عَنِ أَشْيَاءَ لَوْ بَانَ لَهُمْ جَوَابُهَا لِسَاءِهِمْ ذَلِكَ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ إِنْ سَأَلُوا عَنِ أَشْيَاءَ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ بِهَا، فَهِيَ قَدْ وَافَقَ سؤَالَهُمْ مَحَلَّهُ، فَيُبَيِّنُ لَهُمْ مَا سَأَلُوا عَنْهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ عَفَا عَمَّا كَانَ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ قَبْلَ النَّهْيِ؛ فَهُوَ سَبْحَانَهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ.

(١) يُنْظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٢٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/١١٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٣١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٠٨).

(٢) يُنْظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/٣٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٢٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٠)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ١٨٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٥٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٠٨).

ثم أخبر تعالى أنه قد كان أناسٌ ممن سبقوا سألوا هذه المسائل المنهية عنها، فأجيبوا عنها، لكنهم أصبَحوا بسبب الخوض فيها، والتفتيش عنها كافرين.

ثم نفى الله أن يكون أذن في شيء مما يفعله الكفار بالأنعام مما ابتدعوه، فهو سبحانه لم يشرع لهم البحيرة ولا السائبة ولا الوصيلة ولا الحامي، وهي حيوانات حرم أهل الجاهلية أكلها والانتفاع بها من عند أنفسهم بدون علم أو برهان، فهؤلاء الكفار يفترون على الله الكذب، وأكثرهم لا يعقلون.

وإذا ما قيل لهؤلاء الكفار: تعالوا إلى كتاب الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ليتضح لكم دين الله ويتبين لكم شرعه، كان جوابهم أنهم يكفيهم ما وجدوا عليه آباءهم من قبل، وكيف يكون ذلك مع أن آباءهم جهلة لا يعلمون شيئاً، وضلالاً لا يهتدون؟!<sup>(١)</sup>

ثم يبين الله لعباده المؤمنين أنهم إن استقاموا كما أمروا، فإنه لا يضرهم من سلك سبيل الضلالة؛ فإنه سبحانه وتعالى مرجعهم، فيخبرهم بما كانوا يفعلون.

### تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلَ الْقُرْآنُ تَبَدَّ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ صَارَ التَّقْدِيرُ كَأَنَّهُ قَالَ: مَا بَلَّغَهُ الرَّسُولُ إِلَيْكُمْ فَخُذُوهُ، وَكُونُوا مُتَقَدِّمِينَ لَهُ، وَمَا لَمْ يُبَلِّغَهُ الرَّسُولُ إِلَيْكُمْ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهُ، وَلَا تَخَوْضُوا فِيهِ؛ فَإِنَّكُمْ إِن خُضْتُمْ فِيهَا لَا تَكْلِفَ فِيهِ عَلَيْكُمْ فَرَبَّمَا جَاءَكُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْخَوْضِ الْفَاسِدِ مِنَ التَّكَالِيفِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْكُمْ وَيُسْئِقُ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٤٣).

## سَبَبُ النُّزُولِ:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءًا، فَخَطَبَ فَقَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا! قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ<sup>(١)</sup>، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ فُلَانٌ. فَزَلَّتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١])<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾

أي: لا تسألوا - أيها المؤمنون - عن أشياء لو أظهر جوابها لكم لساءكم وشق عليكم<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوْا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلُّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ قُلْتُ:

(١) الخَنِين: نوعٌ مِنَ الْبُكَاءِ دُونَ الْإِنْتِحَابِ، وَأَصْلُ الْخَنِينِ خُرُوجُ الصَّوْتِ مِنَ الْأَنْفِ، كَالْحَنِينِ مِنَ الْقَم. يُنظَر: ((الصَّحاح)) لِلْجَوْهَرِيِّ (٢١٠٩/٥)، ((النَّهْأِيَّة)) لِابْنِ الْأَثِيرِ (٨٥/٢).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٢٩٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٥٩) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٣) يُنظَر: ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (٢٠٣/٣، ٢٠٦)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٤٥)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٤٣٧/٢-٤٣٨).

وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي نُهِيَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ سْؤَالِهَا تَشْمَلُ أُمُورًا عَدِيدَةً؛ مِنْهَا: سْؤَالُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ آبَائِهِمْ، وَعَنْ حَالِهِمْ أَفِي الْجَنَّةِ هُمْ أَمْ فِي النَّارِ؟ وَكَالسْؤَالِ عَمَّا لَا يَعْني وَكَالسْؤَالِ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الشَّرْعُ، وَمَا يُخَشَى أَنْ يَكُونَ السْؤَالُ عَنْهُ سَبَبًا لِنُزُولِ التَّشْدِيدِ فِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. يُنظَر: ((تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ)) (١٣/٩، ٢٣)، ((جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ)) لِابْنِ رَجَبٍ (٢٤٠/١-٢٤١)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٤٥)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٤٣٧/٢-٤٣٨).

نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه<sup>(١)</sup>.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً: من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم عليهم من أجل مسألته))<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السُّؤَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾، أَوْ هَمَّ اللَّفْظُ أَنْ جَمِيعَ أَنْوَاعِ السُّؤَالِ مَمْنُوعٌ مِنْهُ، فَاتَّبَعَهُ بِمَا لَيْسَ دَاخِلًا فِي النَّهْيِ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾

أَي: وَلَكِنَّكُمْ إِنْ سَأَلْتُمْ عَنَ أَشْيَاءَ بَعْدَ نَزْوِلِ الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ بِهَا، كَالسُّؤَالِ عَنَ آيَةٍ أَشْكَلَتْ، أَوْ حُكْمٍ خَفِيَ وَجْهُهُ عَلَيْكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهِنَا قَدْ وَاقَقَ سؤَالُكُمْ مَحَلَّهُ، فَيُبَيِّنُ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ<sup>(٤)</sup>.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨) واللفظ له.

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٤٤-٤٤٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/٥٥٠).

(٤) وهذا اختيار ابن جرير، والواحدي، والقرطبي، وابن رجب، والسعدي. يُنظَرُ: ((تفسير ابن

جرير)) (٩/٢٤)، ((الوجيز)) للواحدى (ص: ٣٣٧)، ((تفسير القرطبي)) (٦/٣٣٣-

٣٣٤)، ((جامع العلوم والحكم)) (١/٢٤٠-٢٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥).

وممن قال من السلف بنحو هذا: ابن عباس رضي الله عنهما. يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٢٥).

قيل: المعنى: عفا الله عمَّا كان منكم من سؤالٍ عن تلك الأشياء التي نهاكم الله تعالى عن السؤال عنها، فلا يُعاقِبكم عليها<sup>(١)</sup>.

وقيل: المراد أن الله تعالى وإن نهاكم عن المسألة إلا أنه عفا عنكم السؤال حين ينزل القرآن، فأذن لكم بذلك<sup>(٢)</sup>.

وقيل: المراد أن ما لم يذكره الله تعالى في كتابه فهو ممَّا عفا عنه، وأباحه لكم؛ فاسكتوا أنتم عنه كما سكَّت عنه سبحانه<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

أي: والله تعالى غفورٌ يسترُّ ذنوبَ عباده، ويتجاوزُ عن مؤاخذتهم بها، وهو الحليمُ سبحانه فلا يُعاجلُ عباده بالعقوبة، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥] <sup>(٤)</sup>.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ (١٠٢).

أي: قد سأل هذه المسائل المنهيَّ عنها أناسٌ سبقوكم، فأجيبوا عنها لكنهم لم يؤمنوا بها، ولم يعملوا بها؛ لأنهم لم يسألوا عنها على وجه الاسترشاد، بل على وجه التعنت والعناد، فصاروا بسببها كفارًا<sup>(٥)</sup>.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا

(١) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٢٥/٩)، والواحد في ((الوجيز)) (ص: ٣٣٧).

(٢) وهذا اختيار ابن عاشور في ((تفسيره)) (٦٨/٧).

(٣) وهذا اختيار ابن كثير في ((تفسيره)) (٢٠٧/٣)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٦)، وابن

عُثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٤٣٩/٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٥/٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٩/٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢٠٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦).

أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه))<sup>(١)</sup>.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)﴾

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ مِنَ الْبَحْثِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ يُكَلِّفُوا بِالْبَحْثِ عَنْهَا، كَذَلِكَ مَنَعَهُمْ مِنَ التَّزَامِ أُمُورٍ لَمْ يُكَلِّفُوا بِالتَّزَامِهَا، وَلَمَّا كَانَ الْكُفَّارُ يُحَرِّمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْإِنْتِفَاعَ بِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ، وَإِنْ كَانُوا فِي غَايَةِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِنْتِفَاعِ بِهَا؛ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾

أَي: لَمْ يَأْذِنِ اللَّهُ تَعَالَى مُطْلَقًا بِأَنْ يُفْعَلَ بِالْأَنْعَامِ شَيْءٌ مِمَّا ابْتَدَعَهُ الْكُفَّارُ، فَلَمْ يَشْرَعْ لَهُمُ الْبَحِيرَةَ: وَهِيَ نَاقَةٌ يَشْقُونَ أُذُنَهَا، ثُمَّ يُحَرِّمُونَ رُكُوبَهَا وَيَرَوْنَهَا مُحْتَرَمَةً. وَلَا السَّائِبَةَ: وَهِيَ نَاقَةٌ، أَوْ بَقْرَةٌ، أَوْ شَاةٌ، تُسَيَّبُ وَتُخَلَّى؛ فَلَا تُرَكَّبُ وَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَلَا تُؤَكَّلُ وَلَا يُنْتَفَعُ مِنْهَا بِشَيْءٍ. وَلَا الْوَصِيلَةَ: وَهِيَ الَّتِي تُحَرِّمُ أَوْ تُجْعَلُ لِأَلْهَتِهِمْ. وَلَا الْحَامِي: وَهُوَ جَمَلٌ يُحْمَى ظَهْرُهُ عَنِ الرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَعْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾

أَي: لَمْ يَشْرَعْ اللَّهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَليست هي عنده بقرية، ولكن الكفار هم الذين

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٥٥٢/٧).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٢٩/٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن

عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٠-٤٥١).

وفي تفصيل معنى البَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامِي، وَمَتَى نَسَمَى كُلُّ وَاحِدَةٍ بِذَلِكَ يُنْظَرُ: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/٥٩٢-٥٩٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٠٨-٢١١).

يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، وَيَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْكَذِبَ<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

أي: وأكثر هؤلاء الكفار لا يملكون عقلاً صحيحاً راشداً، وإنما ينساقون إلى تلك الشرائع الباطلة بجهلهم، متبعين في ذلك أكابرهم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ أَبُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا حَرَّمَوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِغٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ اضْطُرُّوا إِلَى تَحْلِيلِ الْمَيْتَةِ، فَحَرَّمُوا الطَّيِّبَ، وَأَحْلَوْا الْخَبِيثَ! وَلَمَّا اتَّخَذُوهُ دِينًا، وَاعْتَقَدُوهُ شَرْعًا، وَمَضَى عَلَيْهِ أَسْلَافُهُمْ، دَعَتْهُمْ الْحُظُوظُ وَالْأَنْفُؤُةُ مِنْ نِسْبَةِ آبَائِهِمْ إِلَى الضَّلَالِ، وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ بِالسَّفْهِ إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ الرَّجُوعِ عَنْهُ بَعْدَ انْكَشَافِ قُبْحِهِ، وَبَيَانِ شُنَاعَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى دَالًّا عَلَى خِتَامِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا مِنْ عَدَمِ عَقْلِهِمْ<sup>(٣)</sup>:

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٢٦، ٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢١١)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٥١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٧٤)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢/٤٥١-٤٥٢).

(٣) يُنظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٣٢٢).

وقال محمد رشيد رضا في بيان مناسبة هذه الآية والتي قبلها للآيات التي قبلهما: (وجه اتصال هاتين الآيتين بما قبلهما أنه سبحانه وتعالى نهى في السياق الذي قبلهما عن تحريم ما أحله الله، وعن الاعتداء فيه، وإن كان التحريم تركاً لمباح يُلتزم بالندر أو بالحلف باسم الله تنسكاً وتعبداً، مع اعتقاد إباحته في نفسه، لا شرعاً يدعى إليه ويعتقد جوبه، وبين فيه كفارة الأيمان، وحرّم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وصيد البرّ على المُحرّم بحجّ أو عمرة، وبعد أن نهى عن تحريم ما أحله، نهى أن يكون المؤمن سبباً لتحريم الله تعالى شيئاً لم يكن حرّمه، =

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ﴾

أي: وإذا قيل لهؤلاء الذين وقعوا في تحريم ما أحل الله تعالى: هلّموا وأقبلوا إلى كتاب الله عز وجل وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام؛ ليتبين لكم شرع الله سبحانه، وما أوجبه وما حرّمه، ويُطلان ما ابتدعتم<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾

أي: قالوا جواباً على من دعاهم إلى ذلك: يكفيننا ما وجدنا عليه من قبلنا من الآباء والأجداد من طرائق ساروا عليها، ونحن لهم تبع في ذلك<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

أي: أيتبعون آباءهم حتى لو كانوا على هذه الحال التي لا يستحقون أن يتبعوا فيها؛ إذ لا يحملون علماً بشريعة الله تعالى، ولا يعملون على وفقها عملاً صالحاً؛ فكيف يتبعونهم ومثلهم لا يصلح أن يقتدى بهم<sup>(٣)</sup>!

كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

= أو شرع حكم لم يكن شرعه؛ بأن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء مما سكت الله عنه عفواً وفضلاً، فيكون الجواب عنه أن أورد تكليفاً جديداً، فناسب بعد هذا أن يبين ضلال أهل الجاهلية فيما حرّموه على أنفسهم وما شرعوه لها بغير إذن من ربهم، وما قلّد به بعضهم بعضاً على جهلهم، مع بيان بطلان التقليد وكونه ينافي العلم والدين<sup>(٤)</sup> ((تفسير المنار)) (١٦٩/٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢١١/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٢/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢١١/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٢/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٢/٩-٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢١١-٢١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٥٢/٢).



وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿[لقمان: ٢٠-٢١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَانِعُ لَهُمْ مِنْ قَبُولِ الْهُدَى كَوْنَ ذَلِكَ تَسْفِيهَا لِآبَائِهِمْ؛ فَيَعُودُ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ يُسَبِّونَ بِهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، أَعْلَمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ مَخَالَفَةَ الْغَيْرِ فِي قَبُولِ الْهُدَى لَا تَضُرُّهُمْ أَصْلًا، بَأَنَّ عَقَبَ آيَةَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ فِي التَّقِيدِ بِآبَائِهِمْ لِمَتَابَعَتِهِمْ لَهُمْ فِي الْكُفْرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup>.

أَيْضًا لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَكَابِرَةَ الْمُشْرِكِينَ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنْ دَعْوَةِ الْخَيْرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أَعْقَبَهُ بِتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ حُدُودَ انْتِهَاءِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَكَابِرَةُ، وَعُذِرَ الْمُسْلِمِينَ بِكِفَايَةِ فَيَأْمَهُمْ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ عَلَى الدَّاعِي بَدَلُ جُهْدِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَسْئُولًا إِذَا لَمْ يُصْغِحِ الْمَدْعُوُّ إِلَى الدَّعْوَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> [القصص: ٥٦].

وَأَيْضًا لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوَاعَ التَّكَالِيفِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا

(١) يُنْظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٢٣/٦).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (٧٦/٧).

عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١﴾، إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، فكأنه تعالى قال: إن هؤلاء الجهال مع ما تقدم من أنواع المبالغة في الإعذار والإندار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه، بل بقوا مُصرِّين على جهلهم، مُجدِّين على جهالاتهم وضلاتهم؛ فلا تُبالوا- أيها المؤمنون- بجهالتهم وضلاتهم، بل كونوا مُنقادين لتكاليف الله، مُطيعين لأوامره ونواهيه، فلا يضرُّكم ضلاتهم وجهالتهم؛ فهذا قال (١):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

أي: يا أيها المؤمنون ألزموا أنفسكم العمل بطاعة الله تعالى، وترك معصيته؛ فإنه لا يضرُّكم من سلك غير سبيل الحق، إذا أنتم استقمتم على صراط الله تعالى، فآمنتُم بربكم وأطعتموه، ومن ذلك: قيامكم بواجب أمر الناس بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ولا ضير عليكم بعد ذلك إن تَمادَوْا في غيِّهم وضلالهم، ما دُمتم قد أدبتم حقَّ الله تعالى فيهم (٢).

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

أي: إن مالكم في الآخرة إلى الله تعالى وحده، وسوف يُخبركم بما قدَّمتموه في الدنيا من خير أو شر؛ فإنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، ويُجازيكم عليها ثواباً أو عقاباً (٣).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٤٨/١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥٤-٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/٣١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/٤٥٩-٤٦٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٤٥٩).

وممن رُوي عنه من السلف نحو من هذا: أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وحذيفة، والسدي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٤٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٤٦٠).

## الفوائد التربويّة:

١- أن ممّا يُتَناهى كمال الإيمان أن يسأل الإنسان عن شيءٍ لم يُكلّف به؛ لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا...﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ممّا يُستَفاد من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ سُؤْكُمْ﴾ أن الإنسان قد يسوؤه ما شرعه الله عزّ وجلّ من إيجابٍ أو تحريمٍ، ولكنّ المؤمن وإن كره ذلك بطبيعته، لا يكرهه من حيث كونه شرعاً لله عزّ وجلّ<sup>(٢)</sup>.

٣- في قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ سُؤْكُمْ﴾ توجيه الأُمَّة الإسلاميّة إلى الأدب الواجب مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، وعدم سؤاله عمّا لم يُخبرها به ممّا لو ظهر لساء السائل وأخرجه، أو ترتّب عليه تكاليفٌ لا يُطبقها، أو ضيقٌ عليه في أشياء وسّع الله فيها وفي تركها بلا تحديد؛ رحمةً بعباده<sup>(٣)</sup>.

٤- يُستَفاد من قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾ أن القرآن جاء لا ليُقرّر عقيدةً فحسب، ولا ليشرّع شريعةً فحسب، ولكن كذلك ليربيّ أُمَّةً، وينشئ مجتمعا، وليكون الأفراد وينشئهم على منهج من صنعه يتوافق مع العقل والفطرة، وهو هنا يُعلّمهم أدب السؤال، وحدود البحث، ومنهج المعرفة، وما دام الله سبحانه هو الذي يُنزّل هذه الشريعة، ويُخبر بالغيب، فمن الأدب أن يترك العبيد لحكمته تفصيلاً تلك الشريعة أو إجمالها، وأن يتركوا له كذلك كشف هذا الغيب أو ستره، وأن يقفوا هم في هذه الأمور عند الحدود التي أَرادها العليم الخبير، لا يُشدّدوا على أنفسهم بتخصيص النصوص، والجري وراء الاحتمالات والفروض، كذلك لا يجزّون وراء الغيب يُحاولون الكشف عمّا لم يكشف الله منه، وما هم بيالغيه، والله أعلم بطاقتهم البشرية واحتمالهم؛ فهو يشرّع لهم في حدود طاقتهم،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٣٩/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٥٤٧/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٤٠/٢).

(٣) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٩٨٤/٢).

وَيَكْشِفُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبِ مَا تُذَرِّكُهُ طَبِيعَتُهُمْ، وَهَنَّاكَ أُمُورٌ تَرَكَّهَا اللَّهُ مُجْمَلَةً أَوْ مَجْهَلَةً، وَلَا ضَيْرَ عَلَى النَّاسِ فِي تَرْكِهَا هَكَذَا كَمَا أَرَادَهَا اللَّهُ<sup>(١)</sup>.

٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ ضربُ الأمثالِ بالأممِ السَّابِقِينَ؛ حَتَّى نَقْتَنِعَ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْأَلَ؛ لِأَنَّ غَيْرَنَا سَأَلَ وَكَفَرَ<sup>(٢)</sup>.

٦- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمَا قَدْ يَكُونُ مِحْنَةً عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

٧- قَوْلُهُ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ...﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَقَعُ فِي شُرْعِهِ لِنَفْسِهِ عَلَى الْخَيْبِ دُونَ الطَّيِّبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفَّارَ شَرَعُوا لِأَنْفُسِهِمْ هَذَا، وَظَنُّوا أَنَّهُ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، فَإِذَا هُوَ مِمَّا لَا يَجِبُ اللَّهُ بِهِ، بَلْ مِمَّا يُعَذِّبُ عَلَيْهِ؛ لِكَوْنِهِ أَوْقَعَهُمْ فِيهَا كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِأَنَّهُ أَقْبَحُ الْقَبَائِحِ وَهُوَ الْكُذْبُ، بَلْ فِي أَقْبَحِ أَنْوَاعِهِ، وَهُوَ الْكُذْبُ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ صَارَ لَهُمْ دِينًا، وَصَارُوا أَرْسَخَ النَّاسِ فِيهِ، وَهُوَ عَيْنُ الْكُفْرِ<sup>(٤)</sup>.

٨- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ خَطْرُ الْإِفْتَاءِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُعْتَمَدُ بِالشَّيْءِ فَيَكُونُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا<sup>(٥)</sup>.

٩- ذَمُّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِلا عِلْمٍ، وَأَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا عُقُولَهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وَصَدَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ كُلُّ إِنْسَانٍ يُقَدِّمُ عَلَى الْفِتْوَى بِالتَّحْلِيلِ أَوْ التَّحْرِيمِ أَوْ الْإِيجَابِ بِدُونِ عِلْمٍ فَهُوَ غَيْرُ عَاقِلٍ، وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ صَارَ

(١) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٩٨٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٤٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٤٤٨).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٣١٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٥٣).

إمامًا فإنه غير عاقل، وسيُفْضَحُه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِمَامًا فِي الدُّنْيَا وَإِمَامًا فِي الْآخِرَةِ،  
يعني: قد يُمِهل اللهُ له، ويكون إمامًا في وقتٍ ما؛ لغفلةِ الناسِ وعدمِ العلماءِ،  
ولكنَّ النَّتِيجَةَ أَنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ مَخْذُولًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ<sup>(١)</sup>.

١٠- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّ التَّحْرِيَّ فِي الْإِفْتَاءِ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَقَدْ كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ يَتَدَاغُونَ  
الْإِفْتَاءَ، وَيُوجِّلونَ الْمُسْتَفْتَى<sup>(٢)</sup>.

١١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أَنَّ  
كُلَّ مَنْ أَتَى بِشَرِيعَةٍ لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَصُدُّ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ  
الْكَذِبَ، لَكِنْ مَنْ اجْتَهَدَ وَبَدَّلَ الْوُسْعَ لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ، وَحَكَمَ بِغَيْرِ الصَّوَابِ،  
فِيَّهِ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ، وَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ،  
وهذا- والحمدُ لله- مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

١٢- أَنَّ الْعَوَامَّ يُوجِّهُونَ وَيُرْشِدُونَ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِقَوْلِهِ:  
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ وَأَبْهَمَ الْقَائِلَ إِمَامًا لِكثْرَةِ الْقَائِلِينَ، وَإِمَامًا لِاخْتِلَافِ  
مَرَاتِبِهِمْ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْقَائِلِينَ تُوجِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْصَاعُ، وَالْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا تُوجِبُ  
أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْصَاعُ وَيَأْتِي<sup>(٤)</sup>.

١٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ  
قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أَنَّ مَنْ تَعْصَبَ لِقَوْلِ إِمَامٍ وَالتَّرَمَّهُ، وَأَصْرَّ عَلَيْهِ  
مَعَ عِلْمِهِ بِمُخَالَفَةِ قَوْلِهِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَفِيهِ شَبَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٤٥٤).

(٢) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٤٥٣).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٤٥٥).

له: تعال إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قال: حسبي إمامي؛ فيكون فيه شبه من هؤلاء الكفار<sup>(١)</sup>.

١٤- وجوب الرجوع إلى ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأن الله أنكر على هؤلاء الذين قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

١٥- لا يجوز ترك اتباع ما أنزل الله، واتباع رسوله، وتقليد من لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وإنما يجوز الاقتداء بالعالم المهتدي، الذي بيني قوله على الحجّة والدليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٦- أن إصلاح النفس والعناية بها من مقتضيات الإيمان؛ لقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٧- المقصود من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ...﴾ بعد قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ بيان أنه لا ينبغي للمؤمنين أن يتشبهوا بهم في هذه الطريقة الفاسدة، بل ينبغي أن يكونوا مصيرين على دينهم، وأن يعلموا أنه لا يضرهم جهل أولئك الجاهلين إذا كانوا راسخين في دينهم، ثابتين فيه<sup>(٥)</sup>.

١٨- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٥٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٦١).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٤٩).

اهْتَدَيْتُمْ... ﴿ هذه الآية الواحدة تُقرّر مبادئَ أساسيةً في طبيعة الأمة المسلمة، وفي طبيعة علاقاتها بالأمم الأخرى، وأن على الأمة المسلمة أن تتضامنَ فيما بينها، وأن تتناصحَ وتتواصى، وأن تهتديَ بهدي الله الذي جعل منها أمةً مستقلةً منفصلةً عن الأمم غيرها، ثم لا يضيرها بعد ذلك شيئاً أن يضلَّ الناس حولها ما دامت هي قائمةً على الهدى، ولكن ليس معنى هذا أن تتخلى الأمة المسلمة عن تكاليفها في دعوة الناس كلهم إلى الهدى، والهدى هو دينها هي، وشرعتها ونظامها، فإذا هي أقامت نظامها في الأرض بقيَ عليها أن تدعو الناس كافةً، وأن تحاولَ هدايتهم، وبقيَ عليها أن تبشّر القوامة على الناس كافةً؛ لتقيم العدلَ بينهم، ولتحوّل بينهم وبين الضلال والجاهلية التي منها أخرجتهم، وكونها لا يضيرها من ضلَّ إذا اهتدت، لا يعني أنّها غيرُ محاسبة على التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينها أولاً، ثم في الأرض جميعاً<sup>(١)</sup>.

١٩- أن الإنسان لا يحاسب على حديث النفس؛ لقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وحديث النفس ليس عملاً؛ ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تجاوزَ عن أمّتي ما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم))<sup>(٢)</sup>، ولكن إذا ركن الإنسان إلى حديث النفس واطمأن إليه واعتقده، فحينئذ يكون قد عمل عملاً قلبياً لا جوارحياً<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- دفع التعارض بين قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾، وقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] حيث ذكر كراهة السؤال والنهي عنه في الموضع الأول، وأمر بالسؤال في

(١) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/٩٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٦٣).

الموضع الثاني، فالجواب عن ذلك:

أنَّ الأوَّلَ المنهَى عنه هو سؤال الأشياء التي إذا بُيِّنَتْ لهم ساءتْهم وأحزنتهم بخلاف سؤال الاسترشاد والتَّعلُّم مما تدعو الحاجةُ إليه في أمور الدِّين والدُّنيا، فهو محمودٌ قد أمر الله به، وأذن بالسؤال عنه<sup>(١)</sup>.

٢- قدَّم قوله: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ على قوله: ﴿وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدِّ لَكُمْ﴾؛ لفائدة الزجر عن السؤال؛ فإنه قدَّم لهم أن سؤالهم عن أشياء متى ظهرت أساءتْهم؛ قبل أن يُخبرهم بأنهم إن سألوا عنها، بدتْ لهم لينزجروا<sup>(٢)</sup>.

٣- أن ما سكت الله عنه فهو عفو؛ لقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- البِئَاءُ على الأصل في براءة الذمَّة؛ لقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾، فالأصل عدمُ شغلِ الذمَّةِ بإيجابٍ أو تحريمٍ<sup>(٤)</sup>.

٥- يُستفاد من قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ أن من قبلنا كانوا يسألون، ولكن يهلكون بالسؤال، ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عمَّن سبقنا: ((إنما أهلك الذين من قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم))<sup>(٥)</sup>؛ يسألون ثم يختلفون عليهم، ولا يُوافقونهم<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٥٠)، ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/ ٩٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٤٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٤١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٤٨).



٦- إن قيل: كيف قال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ﴾ ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ ولم يُقَل: (قد سأل عنها)؟ فالجواب: أن الضمير في: ﴿سَأَلَهَا﴾ ليس براجع إلى ﴿أَشْيَاءٍ﴾ حتى تجب تعديته ب(عن)، وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾ يعني: قد سأل قوم هذه المسألة من الأولين، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ أي: بمرجوعها أو بسببها ﴿كَافِرِينَ﴾ وذلك أن بنى إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا<sup>(١)</sup>، وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

٧- إطلاق الجعل على التشريع؛ لقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

٨- حُسنُ الجدل في القرآن الكريم؛ حيث أقام الحجة على هؤلاء الذين: ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ بأن آباءهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فهم ضالون في علمهم وفي عملهم<sup>(٤)</sup>.

٩- يُستفاد من قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أن ضلال من يضل لا يترتب عليه ضرر المهتدي، يعني: الضرر المعين الشخصي، وأما الضرر العام، وهي العقوبة العامة فهذه قد تكون، وقد لا تكون أيضًا إن كانوا ينهون عن السوء؛ فالله تعالى لما أخذ من أخذ من الأمم السابقة نجى أنبياءه ومن معهم<sup>(٥)</sup>.

### بِلاغة الآيات:

١- قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ اعتراض تذييلي مُقرّر لعفوه تعالى، ومجيء الوصفين ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ على صيغة المبالغة؛ للمبالغة في وصفه بمغفرة الذنوب،

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٨٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٥، ٤٤٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٥٨).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٦١).

والإغضاء عن المعاصي؛ ولذلك عفا عنكم، ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم<sup>(١)</sup>.  
 ٢- قوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، جوابُ سؤالٍ يُبَيِّرُهُ النهيُّ عن السؤالِ ثمَّ الإذنُ فيه في حينِ يُنَزَّلُ القرآنُ؛ أن يقول سائلٌ: إن كان السؤالُ في وقتِ نزولِ القرآنِ، وإنَّ بعضَ الأسئلةِ يسوءُ جوابه قَوْمًا؛ فهل الأولى تركُ السؤالِ أو إلقاؤه؟ فأجيب بتفصيلٍ أمرها بأن أمثالها قد كانت سببًا في كفر قومٍ قبل المسلمين<sup>(٢)</sup>.

- وقوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾، أي: سألوا هذه المسألة لكن لا عينها، بل مثلها في كونها محظورةً ومستشعبةً للوبال، وعدمُ التصريح بالمثَل - حيث لم يُقَل: سأل مثلها قومٌ - للمبالغة في التحذير<sup>(٣)</sup>.

- (ثمَّ) في قوله: ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ للترتيبِ الرتبي، كشأنها في عطفِ الجَمَلِ؛ فإنها لا تُفيد فيه تراخي الزمان، وإنما تُفيد تراخي مضمونِ الجملة المعطوفة في تصوُّر المتكلم عن تصوُّر مضمونِ الجملة المعطوفِ عليها؛ فتدلُّ على أنَّ الجملة المعطوفة لم يكن يُترقَّبُ حصولُ مضمونها حتَّى فاجأ المتكلم<sup>(٤)</sup>.

- وفِعْلٌ ﴿أَصْبَحُوا﴾ مستعملٌ بمعنى صاروا، وهو في هذا الاستعمالٍ مُشْعِرٌ بمصيرٍ عاجلٍ لا تَرِثَ فيه؛ لأنَّ الصَّبَاحَ أوَّلَ أوقاتِ الانتشارِ للأعمالِ<sup>(٥)</sup>.

٣- قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ فيه: الإغراقُ في النفي بقوله: ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾، ثم تأكيد النفي بإعادة حَرْفِ النفي (لا)، فقال:

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٦).

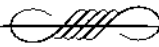
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦٩).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٧/ ٧٠).

﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الواو في (أَوْلَوْ) للعطفِ على شرطيةٍ أخرى مقدّرة قبلها، والتقدير: أَحْسَبُهُمْ ذلك، أو يقولون هذا القول لو لم يكن آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا من الدّين، ولا يَهْتَدُونَ لِلصَّوَابِ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ... إلخ<sup>(٢)</sup>، وما في (لو) من معنى الامتناع والاستبعاد إنما هو بالنظر إلى زعمهم لا إلى نفس الأمر، وفائدته: المبالغة في الإنكار والتعجب ببيان أن ما قالوه موجبٌ للإنكار والتعجب، إذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد؛ فكيف إذا كان ذلك واقعًا لا ريب فيه<sup>(٣)</sup>!

٥- قَوْلُهُ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ خبرٌ فيه: وعدٌ ووعدٌ للفريقين، وتنبيةٌ على أن أحدًا لا يُؤاخذُ بذنبٍ غيره<sup>(٤)</sup>.



(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣١٨/٦).

(٢) وقيل: إن الواو في قوله: ﴿أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار، وتقديره: أَحْسَبُهُمْ ذلك ولو كان آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ. وقيل: إن مؤدَى القولين واحد. يُنظر: ((تفسير الزمخشري))، (١/٦٨٥)، ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٤٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٨٥-٣٨٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٤٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٨٨).

## الآيات (١٠٦ - ١٠٨)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشَانِ ذُوَا عَدَلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ نَمْنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَءَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا نَحْنُ أَحَقُّ مِنْ شَهِدْتَهُمَا وَمَا ءَعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ ءَادَفُ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمِنٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ ؕ وَأَسْمِعُوا ؕ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾: الشَّهَادَةُ قولٌ صادرٌ عن عِلْمٍ حَصَلَ بِمَشَاهِدَةٍ بِصِيرَةٍ أَوْ بَصِيرٍ، وَأَصْلُ (شَهِدَ): يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ<sup>(١)</sup>.

﴿الْوَصِيَّةُ﴾: الوصيةُ هي: التقدُّمُ إلى الغيرِ بما يعملُ به مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ؛ من قولهم: أَرْضٌ وَاصِيَةٌ: مُتَّصِلَةُ النَّبَاتِ قَدْ اِمْتَلَأَتْ مِنْهُ، وَوَصِيْتُ الشَّيْءِ: وَصَلْتُهُ، وَأَصْلُ (وَصِيَ) يَدُلُّ عَلَى وَصَلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أَي: ذَهَبْتُمْ فِيهَا؛ لِلتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ السَّفَرِ، وَأَصْلُ الضَّرْبِ مَعْرُوفٌ، وَتُسْتَعَارُ مِنْهُ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٥)، ((تفسير ابن جرير)) (٥٨/٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٢٢١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦٥).

(٢) يُنظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/١١٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٣).

(٣) يُنظَرُ: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٣١٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٣٩٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٠٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٥٢).

﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾: تُوَقَّفُونَهُمَا، وَأَصْلُ الْحَبْسِ: الْمَنْعُ مِنَ الْإِنْبِعَاثِ<sup>(١)</sup>.

﴿عُثْرٌ﴾: أَي: ظَهَرَ، وَأَطَّلَعَ مِنْهُمَا، وَأَصْلُ (عُثْرٍ): الْوُقُوعُ عَلَى الشَّيْءِ وَالسَّقُوطُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ وَقَعٍ عَلَى شَيْءٍ كَانَ عَنْهُ خَفِيًّا، وَيُتَجَوَّزُ بِهِ فِيمَنْ يَطَّلَعُ عَلَى أَمْرٍ مِنْ غَيْرِ طَلَبِهِ، وَإِنَّمَا قِيلَ (عُثْرٌ) مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الشَّيْءِ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَائِرٍ فَلَا بَدَأَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَوْضِعِ عَثْرَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ أَي: اسْتَوْجَبَا جَنَايَةً بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ الَّتِي أَقْدَمَا عَلَيْهَا وَحَلَفَا بِهَا؛ يُقَالُ: اسْتَحَقَّ فُلَانٌ الْأَمْرَ: اسْتَوْجَبَهُ، وَحَقَّ الشَّيْءُ إِذَا وَجِبَ وَثَبَتْ<sup>(٣)</sup>.

﴿أَدْنَى﴾: أَي: أَقْرَبُ، وَالذُّنُوبُ: الْقُرْبُ بِالذَّاتِ أَوْ بِالْحُكْمِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالْمَنْزِلَةِ<sup>(٤)</sup>.

### مُشْكِلُ الْعَرَابِ:

١ - قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/١٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢١٦).

(٢) يُنْظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٨)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/٨١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/٢٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٤٦).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٨٢)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٣/٢٤٤)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/١٤٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((المفردات)) للراغب (ص: ٣١٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٤٠)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٧٧).

(٥) قِيلَ عَنْ هَذِهِ آيَةِ وَمَا بَعْدَهَا: إِنَّهَا - فِي إِعْرَابِهَا وَمَعْنَاهَا وَتَفْسِيرِهَا وَأَحْكَامِهَا - مِنْ أَشْكَالِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَصْعَبِهَا. وَقَدْ صَنَّفَ فِيهَا مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مُصَنَّفًا مَفْرَدًا. يُنْظَرُ: ((مشكل إعراب =

﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

﴿شهادة﴾ مرفوعة على الابتداء. وخبرها ﴿اثنان﴾ على نية حذف مضاف، والتقدير: شهادة اثنين؛ لأن الشهادة لا تكون هي الـ ﴿اثنان﴾. وقيل: ﴿شهادة﴾ مبتدأ أيضاً، ولكن خبرها محذوف يدل عليه سياق الكلام، والتقدير: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان، و﴿اثنان﴾ على هذا فاعل المصدر الذي هو ﴿شهادة﴾. و﴿بَيْنَكُمْ﴾ مضاف إليه مجرور من باب الاتساع في الظروف.

و﴿إِذَا﴾ على هذين الوجهين ظرف لـ ﴿شهادة﴾ أي: ليشهد وقت حضور أمارات الموت. و﴿حِينَ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾، أو ظرف لـ ﴿حضر﴾، أي: حين حضر أمارات الموت. و﴿ذَوَا﴾ صفة لـ ﴿اثنان﴾، أي: صاحباً عدل، وكذلك ﴿مِنْكُمْ﴾ صفة ثانية. ﴿آخَرَانِ﴾ مرفوع عطفاً على ﴿اثنان﴾ على تقدير حذف مضاف أيضاً، تقديره: أو شهادة آخرين، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ صفة لـ ﴿آخَرَانِ﴾.

﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ﴾: ﴿إِنْ﴾ شرطية. ﴿أَنْتُمْ﴾: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور. و﴿ضَرَبْتُمْ﴾ تفسير للفعل المحذوف؛ فلا محل له من الإعراب، وجواب الشرط محذوف يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ﴾، والتقدير: إن ضربتكم في الأرض فليشهد اثنان منكم أو من غيركم، أو التقدير: فأشهدوا الآخرين من غيركم. ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾: جملة استثنائية لا محل لها من الإعراب، وهو أولى من القول بكونها صفة لـ ﴿آخَرَانِ﴾؛ لما يترتب عليه من الفصل بكلام طويل بين الصفة وموصوفها. ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾: الفاء

عاطفةً، والجملة معطوفةٌ على ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾، فلا محلَّ لها من الإعرابِ.

﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾: شرطٌ، وجوابه محذوفٌ تقديره: إِنْ ارْتَبْتُمْ فِيهِمَا فَحَلَفُوهُمَا، وهذا الشرطُ وجوابه المقدَّرُ مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الْقَسَمِ ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ لِأَنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ الْيَمِينِ، وجوابه: ﴿لَا نَشْتَرِي﴾، وليست هذه الآيةُ مِمَّا اجْتَمَعَ فِيهِ شَرْطٌ وَقَسَمٌ فَأُجِيبَ سَابِقُهُمَا. والهاءُ في ﴿بِهِ﴾ تعودُ على تحريفِ الشَّهادةِ، أو القَسَمِ. و﴿ثَمَنًا﴾ مفعولٌ ﴿نَشْتَرِي﴾، ولا حَذَفَ فِيهِ؛ لِأَنَّ الثَّمَنَ يُشْتَرَى كَمَا يُشْتَرَى بِهِ، وقيل: التَّقْدِيرُ: ذَا ثَمَنٍ، فَحَذَفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ جملةٌ امتناعيةٌ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، واسمُ ﴿كَانَ﴾ مُضْمَرٌ فِيهَا يَعُودُ عَلَى الْمَشْهُودِ لَهُ: أَي: لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَوْ كَانَ الْحَالُ كَوْنِ الْمَشْهُودِ لَهُ ذَا قَرَابَةٍ. ﴿وَلَا نَكْتُمُ﴾ معطوفٌ على جوابِ القَسَمِ ﴿لَا نَشْتَرِي﴾؛ فَلَا مَحَلَّ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ. ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ﴾ جملةٌ استئنافيةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ. وقيل غير ذلك في توجيه هذه الآية<sup>(١)</sup>.

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾: ﴿عُثِرَ﴾: فَعَلٌ مَبْنِيٌّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعلهُ. و﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا﴾: فِي مَحَلِّ رَفْعٍ نَائِبُ الْفَاعِلِ، أَي: فَإِنْ أُطْلِعَ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِمَا الْإِثْمَ.

﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾: ﴿فَآخَرَانِ﴾

(١) يُنظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤١-٢٤٣)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٦-٤٦٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٥٣-٤٧٠).

مرفوعٌ على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٌ، أي: فالشاهدان آخران، والفاء رابطةٌ في جواب الشرط، دخلت على الجملة الاسمية، و﴿يَقُومَانِ﴾ و﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾ كلاهما في محل رفع صفة لـ ﴿آخِرَانِ﴾ ﴿الْأُولِيَانِ﴾ فاعِلُ ﴿اسْتَحَقَّ﴾ مرفوعٌ، والمفعول محذوفٌ، أي: وصيتهما. وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup>.

- وقرئ (اسْتَحَقَّ) بالبناء للمفعول، و﴿الْأُولِيَانِ﴾ نائب فاعِل على تقدير حذف مضاف، تقديره: مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ إِثْمُ الْأَوْلِيَيْنِ، أو انتدابُ الْأَوْلِيَيْنِ. وقيل: مرفوع (اسْتَحَقَّ) ضميرُ الإيضاء أو المال أو الإثم، و﴿الْأُولِيَانِ﴾ بدلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿يَقُومَانِ﴾ والتقدير: فيقومُ الْأَوْلِيَانِ، أو خبرٌ مبتدأٌ محذوف، أي: (هما الأوليان)؛ لأنه لَمَّا قال: ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ فكأنه قيل: وَمَنْ هُمَا؟ فقيل: الْأَوْلِيَانِ.

وقرئ: (اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَيْنِ)، ومرفوع (اسْتَحَقَّ) ضميرُ الإيضاء أو المال أو الإثم، كما تقدّم في القراءة السابقة، و (الْأَوْلِيَيْنِ) مجرورٌ نعتٌ لـ (الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) أو بدلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿عَلَيْهِمْ﴾، أو منصوبٌ على المدح<sup>(٢)</sup>.

٣- ﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا﴾: ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ مصدرٌ مؤوّلٌ في محل نصبٍ على نزع الخافض، أي: إلى أَنْ يَأْتُوا<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٣)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٨-٤٧٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٧٠-٤٨٢).

(٢) يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٧٣-٤٨١)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٨٨-٦٨٩)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٥).

(٣) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٣)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٧٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٨٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٩٢).



## المَعْنَى الإجمالي:

يُخَاطَبُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا حَضَرَتْ مُقَدِّمَاتُ الْمَوْتِ أَحَدًا مِنْهُمْ، فَلْيَكْتُبْ وَصِيَّتَهُ وَلْيَشْهَدْ عَلَيْهَا اثْنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَدُولِ، وَفِي حَالِ كَانِ عَلَى سَفَرٍ وَحَضْرَهُ أَجْلُهُ، فَلْيَشْهَدْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ إِذَا لَمْ يُوجَدْ الْعَدْلَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُوقَفُ الْمُسْلِمُونَ الشَّاهِدِينَ الَّذِينَ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَيَجْعَلَانِهِمَا يَحْلِفَانِ بِاللَّهِ - إِنْ شَكُّوا فِي شَهَادَتِهِمَا، وَظَهَرَتْ لَهُمَا مِنْهُمَا رِيْبَةٌ - أَنَّهُمَا لَا يَبْغِيَانِ بِحَلْفِهِمَا عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَكْذِبَا فِيهَا، وَأَنَّهُمَا لَا يُحَابِيَانِ أَحَدًا وَلَوْ كَانَ مِنْ قَرَابَتِهِمَا، وَأَنَّهُمَا لَا يَكْتُمَانِ شَهَادَةَ اللَّهِ عِنْدَهُمَا، وَأَنَّهُمَا إِنْ فَعَلَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمَا يَكُونَانِ بِذَلِكَ مِنَ الْمَذْنِبِينَ الْعَاصِينَ.

فَإِنْ ظَهَرَ أَنََّّهُمَا كَاذِبَانِ بِأَنْ خَانَا فِي أَدَاءِ أَمَانَةِ الْمَيِّتِ، أَوْ بَدَّلَا فِي وَصِيَّتِهِ، فَاسْتَوْجَبَا بِأَيْمَانِهِمَا الْكَاذِبَةَ الْإِثْمَ، فَعِنْدَهَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا اثْنَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ الْمُسْتَحْقِينَ لِلتَّرِكَةِ، وَيَكُونَانِ مِنْ أَوْلَى مَنْ يَرِثُ الْمَيِّتَ، فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ أَنَّ شَهَادَتَهُمَا أَحَقُّ مِنَ الشَّهَادَةِ الَّتِي شَهِدَهَا اللَّذَانِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، الَّتِي كَذَّبَا فِيهَا وَخَانَا، وَأَنَّهَا أَصْحَحُ مِنْهَا وَأُثْبِتُ، وَأَنَّهُمَا مَا تَعَدَّيَا الْحَقَّ فِي الشَّهَادَةِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ خِيَانَةِ هَذَيْنِ الشَّاهِدِينَ، وَأَنَّهُمَا إِنْ كَذَّبَا عَلَيْهِمَا فَإِنَّهُمَا إِذَنْ مِنَ الظَّالِمِينَ.

ثُمَّ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ التَّحْلِيفَ لِلشَّاهِدِينَ إِذَا اسْتُرِبَ فِي أَمْرِهِمَا، أَقْرَبُ لِإِتْيَانِهِمَا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ بِلَا كَذِبٍ وَلَا خِيَانَةٍ، وَأَمْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْعِبَادَ بِأَنْ يَتَّقُوهُ، وَيَسْمَعُوا مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، فَيَعْمَلُوا عَلَى وَفْقِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ تَعَالَى لَا يُوقِفُ الْفَاسِقِينَ لِلْحَقِّ.

## تفسير الآيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ

ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَذَكَرَ أَنَّ مَرْجِعَنَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ يُحَاسِبُنَا وَيُجَازِينَا، نَاسِبٌ أَنْ يُرْشِدَنَا فِي أَثَرِ ذَلِكَ إِلَى الْوَصِيَّةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَإِلَى الْعِنَايَةِ بِالشَّهَادِ عَلَيْهَا؛ لِثَلَا تَضِيعُ<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ كَانَ فِي ذَلِكَ تَنْفِيرٌ عَنِ الضَّلَالِ، وَاسْتِعَادٌ عَنِ أَنْ يُنْتَفَعَ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَهَادَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَأَخْبَرَ تَعَالَى بِمَشْرُوعِيَّةِ شَهَادَتِهِمْ أَوْ الْإِيصَاءِ إِلَيْهِمْ فِي السَّفَرِ<sup>(٢)</sup>.

سَبَبُ النَّزُولِ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ((خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءٍ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدِمَا بِتَرِكْتِهِ فَقَدُوا جَامًا مِنْ فِضَّةٍ مُخَوَّصًا مِنْ ذَهَبٍ<sup>(٣)</sup>، فَأَخْلَفَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَجَدَ الْجَامَ بِمَكَّةَ، فَقَالُوا: ابْتَعْنَاهُ مِنْ تَمِيمٍ وَعَدِيِّ، فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ أَوْلِيَاءِهِ، فَخَلَفَا: لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا، وَإِنَّ الْجَامَ لِصَاحِبِهِمْ، قَالَ: وَفِيهِمْ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٣/٧).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٩٠).

(٣) الْجَامُ: إِنَاءٌ مِنْ فِضَّةٍ، عَرَبِيٌّ صَحِيحٌ، وَمُخَوَّصًا: أَي عَلَيْهِ صِفَاتُ الذَّهَبِ مِثْلَ خُوصِ النَّخْلِ.

يُنْظَرُ: ((النهاية)) لابن الأثير (٨٧/٢)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٤٢٩/٣١).

نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

أي: يا أيها المؤمنون، إذا حضر أحدكم مُقَدِّمات الموت وعلاماته، فكتب وصيته، فليشهد عليها اثنان من المؤمنين، من ذوي الاستقامة والمروءة<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

أي: أو ليشهد على الوصية آخران من غير أهل ملتكم - أيها المؤمنون - سواء من اليهود أو النصارى أو غيرهم، إن لم يوجد ذوا عدل منكم، وفي حال سفركم، وإيقانكم بحضور أجلكم<sup>(٣)</sup>.

﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

أي: فتوقفون الشاهدين اللذين من غيركم بعد صلاة العصر، وتجعلونهما يحلفان بالله تعالى، إن شككتم في شهادتهما، وظهرت لكم منهما ريبة في أنهما قد خانا، فيحلفان حينئذ بالله تعالى أننا لا نبيغي بحلفنا هذا عرَضًا من الدنيا فنكذب في شهادتنا، ولا نحابي أحدًا، ولو كان المشهود عليه من أقربائنا<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢٧٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥٥-٦٠)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٥-٢١٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦-٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٤).

ويُنظر في معنى العَدَالَةِ ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٦١، ٧٠-٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٧٤-٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٥).

عن الشعبي: ((أَنَّ رجلاً حضرته الوفاة بدَّقَوْاء<sup>(١)</sup>)، فلم يجد أحداً من المسلمين يُشْهدهُ على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدما بتركته إلى أبي موسى الأشعري، فأخبراه، فقال الأشعري: هذا أمرٌ لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخلفهما بعد صلاة العَصْرِ بِاللَّهِ مَا خَانَا، وَلَا كَذَبَا، وَلَا بَدَلَا، وَإِنَّمَا لَتَرَكْتَهُ، ثم أجاز شهادتهما))<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَا تَكُنْمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِثْمِينَ﴾

أي: ولا تُخفي عنكم الشهادة التي حمَّنا اللهُ تعالى إياها على الوصية، بتحريفها أو تبديلها، أو كتمانها بالكليَّة؛ فإنَّا إن فعلنا شيئاً من ذلك وقَعْنَا فِي الْإِثْمِ مَعَ الْوَاقِعِينَ فِيهِ<sup>(٣)</sup>.

= قال ابن عثيمين: (إذا أراد الشاهدان من غير المسلمين أداء الشهادة فإنهما يُحسبان من بعد الصلاة....، ولكن هل هذا مشروط بالارتياح في شهادتهما، أو نقول: إنهما يُحسبان على كلِّ حال؛ ليطهر الفرق بين أداء الشهادة للمسلم وأداء الشهادة من غير المسلم؟ الآية فيها احتمال؛ لأنَّ قوله: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ يحتمل أن يكون قوله: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ قيداً في قوله: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ ويحتمل أن يكون قيداً لقوله: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ فعلى الاحتمال الأول يكون حِسُّهُمَا واجباً، وعلى الثاني: لا يكون حِسُّهُمَا واجباً إلا إذا أَرَبْتُمَا مِنْهُمَا) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٦/٢).

(١) دَقَوْاء: مدينة بين إربل وبغداد، لها ذِكرٌ في الأخبارِ والفُتوح، كان بها وقعةٌ للخوارج. (معجم البلدان) لياقوت (٤٥٩/٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٠٥)، وعبد الرزاق في ((المصنف)) (١٥٥٣٩)، والدارقطني في ((السنن)) (٤٣٤١)، والحاكم في ((المستدرک)) (٣٢٢٤).

قال الحاكم (٣٢٢٤): صحيحٌ على شرط الشيخين. وصحَّح إسناده ابن كثير في ((التفسير)) (٢١٥/٣)، والزبيعي في ((تخريج الكشاف)) (٤٢٨/١)، وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (٤٨٣/٥): إسناده رجاله ثقات. وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٢٠٤/٩): صالح للاحتجاج. وقال الألباني في ((صحيح أبي داود)) (٣٦٠٥): إسناده صحيحٌ إن كان الشعبي سميعة من أبي موسى.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨١/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢١٧/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٦٥-٤٦٦).

﴿فَإِنْ عُرِّرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا وَمَا اعتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧)﴾.

﴿فَإِنْ عُرِّرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾.

أي: فإن ظهر أنّهما كاذبان، فوجد أنّهما قد خانا من مال الميت شيئاً، أو بدلاً وصيته، فاستوجبا بأيمانهما الكاذبة إثمًا<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾.

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ ثلاث قراءات:

١- ﴿اسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء والحاء، و﴿الأوليان﴾ مثنى (أولى)، رُفِعَ ب﴿اسْتَحَقَّ﴾ على أنه فاعل<sup>(٢)</sup>.

٢- ﴿اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾، ومرفوع ﴿اسْتَحَقَّ﴾ ضمير الإيصاء أو الوصية أو المال، أو الإثم. و﴿الأولين﴾ جمع (أول)، أي: المتقدم ذكرهم، أي: من الأولين الذين استحق عليهم الإيصاء أو الإثم<sup>(٣)</sup>.

٣- ﴿اسْتَحَقَّ﴾ بِضَمِّ التاء وكسر الحاء على البناء للمفعول، و﴿الأوليان﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨١-٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٦).

(٢) قرأ بها حفص. يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧).  
ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠)، ((البحر المحيط)) لأبي حيان (٤/ ٣٩٧).

(٣) قرأ بها حمزة وخلف ويعقوب وأبو بكر. يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧).  
ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٨٠).

مرفوعٌ بـ ﴿استَحَقَّ﴾ على أَنَّهُ نَائِبٌ عَنِ الْفَاعِلِ<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾

أي: فحينئذٍ يقومُ مقامَهُمَا اثنانِ من أولياءِ الميِّتِ المستحقِّينَ للتركةِ، وليكونا من أولى مَنْ يَرِثُ هذا الميِّتَ الذي شَهِدَ على وصيِّهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾

أي: فيحلفانِ بأنَّ شهادتَنَا أَحَقُّ مِنْ شهادتِهِمَا التي كَذَبَا فِيهَا وَخَانَا، وهي أَصْحُ وَأَثْبَتُ، وما تجاوزنا الحَقَّ في شهادتِنَا، وإخبارنا عن خيانتِهِمَا؛ فَإِنَّا إِن كَذَبْنَا عَلَيْهِمَا نَكُونُ فِي عَدَاةِ الظَّالِمِينَ، ونقتطعُ بذلك أموالَ النَّاسِ بغيرِ حَقِّ<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)﴾

﴿ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾

أي: هذا الفِعْلُ - من تحليفِ الشاهدينِ إذا استُربِ بهما - أَقْرَبُ لَأَنْ يَصُدُّوا في شهادتِهِمْ، ويُقيموها على الوجهِ الصَّحيحِ، فلا يكذبوا ولا يخونوا<sup>(٤)</sup>.

﴿أَوْ يَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾

(١) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤٧٥/٤٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨٢-١٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٣-١٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٧).

أي: أو يخاف هؤلاء الشهود ألا تُقبل أيمانهم إن ظهر كذبهم وخيانتهم، فترد الأيمان إلى الورثة، فيحلفون ويستحقون ما يدعون، ويُتضح أمر شهود الوصية بين الناس<sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾.

أي: واتقوا الله تعالى في جميع أموركم، ومن ذلك: ترك الحلف بالله تعالى كذبًا، واجتناب خيانة الأمانة وغير ذلك، واسمعوا ما يقال لكم فاعملوا به<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

أي: والله تعالى لا يوفق للحق الخارجين عن طاعته، وأتباع شريعته<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد التربوية:

١- في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ تعظيم أمر الشهادة؛ حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها، والقيام بها بالقسط<sup>(٤)</sup>.

٢- أن الأصل في الناس أن يكونوا أمناء، وفي المؤمن أن يكون أمينًا، وأن يكون ما يقوله في أمر الأمانة مقبولًا؛ ولذلك قال: ﴿فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ فأفادت أداة الشرط (إن) أن الأصل في هذا ألا يقع، وأنه إن وقع كان شاذًا، وأفاد فعل ﴿عَثَرَ﴾ المبني للمفعول أن هذا الشذوذ إن وقع فشأنه أن يُطلع عليه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٦٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/٨٨).

بالمصادفة والاتفاق، لا بالبحث وتتبع العثرات<sup>(١)</sup>.

٣- أن المدعى عليه لا يجزم ببطلان شهادة الشاهد التي تبين أن فيها شيئاً من الخلل؛ لقوله: ﴿لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ بهذا اللفظ، ولم يقل: (باطلة)، لكن قوله: ﴿أحق من شهادتهما﴾ يستلزم أن تكون مردودة، وأن القول قول المدعى عليه<sup>(٢)</sup>.

٤- الختم بقوله تعالى: ﴿وما اعتدنا إنا إذا لمن الظالمين﴾ فيه دلالة على استباح الظلم والتبرؤ منه<sup>(٣)</sup>.

### الفوائد العلمية واللطائف:

١- يستفاد من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية﴾ مشروعية الوصية والحث عليها، وتأكيد أمرها، وعدم التهاون فيها بشواغل السفر وإن قصرت فيه الصلاة، وأبيح فيه الإفطار في رمضان، وأنه ينبغي لمن حضره الموت وعنده ما يوصي به أن يوصي<sup>(٤)</sup>.

٢- أن الوصية معتبرة، ولو كان الإنسان قد وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتاً؛ لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية﴾<sup>(٥)</sup>.

٣- أنه ينبغي الإشهاد على الوصية؛ لقوله: ﴿شهداء بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان﴾، وظاهر الآية الكريمة: أنه لا بد من رجلين؛ لقوله: ﴿اثنان﴾ واثنان عدد للمذكر، لكن هذه الآية تُفِيدُ بآية البقرة، وهي قوله تعالى:

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٩١/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٩٠/٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤٠٠/٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٩/٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧).



﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢٨٢].

٤ - أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِي الْإِشْهَادِ أَنْ يَكُونَ الشَّاهِدَانِ ذَوَيْ عَدْلٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ﴾، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُوجَدْ عَدْلٌ وَوُجِدَ فَاسِقٌ مَأْمُونٌ؛ فَهَلْ يَقُومُ مَقَامَ الْعَدْلِ؟ اخْتَارَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ الْعَدْلِ، وَأَنَّ اشْتِرَاطَ الْعَدَالَةِ إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ التَّحْمُّلِ، بِمَعْنَى: أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُشْهَدَ فَلَا تُشْهَدِ إِلَّا عَدْلَيْنِ، أَمَّا عِنْدَ إِدَاءِ الشَّهَادَةِ فَالضَّرُورَاتُ لَهَا أَحْكَامٌ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ مَنْ يَشْهَدُ إِلَّا هَذَيْنِ الْفَاسِقَيْنِ، لَكِنَّهُمَا فِي الْأَمَانَةِ مَوْثِقَانِ، فَإِنَّا نَقْبَلُ شَهَادَتَهُمَا، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ؛ أَنَّ الْعَدَالَةَ شَرْطٌ مَعَ الْإِمْكَانِ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يُمَكَّنْ فَإِنَّهُ تَقْبَلُ شَهَادَةُ الْفَاسِقِ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ثِقَّةً، وَكَمِنْ مِنْ إِنْسَانٍ يَكُونُ فَاسِقًا فِي عِبَادَتِهِ لَكِنَّهُ أَمِينٌ فِي شَهَادَتِهِ! وَنَعْلَمُ أَنَّ لَوْ اتَّبَعْنَا اشْتِرَاطَ الْعَدَالَةِ فِي إِدَاءِ الشَّهَادَةِ، مُعْتَبِرِينَ الشُّرُوطَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْفُقَهَاءُ فِي الْعَدَالَةِ، أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْحَقُوقِ سَوْفَ تَضَيِّعُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْفُقَهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>.

٥ - جَوَازُ شَهَادَةِ الْكَافِرِ إِذَا عُدِمَ الْمُسْلِمُ، سِوَاءَ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ بُوذِيًّا أَوْ شَيْعِيًّا، أَيَّا كَانَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وَالضَّرُورَاتُ قَدْ تَبِيحَ الْمَحْظُورَاتِ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا قَرَّبَ أَجْلَهُ فِي الْغُرْبَةِ، وَلَمْ يَجِدْ مُسْلِمًا يُشْهَدُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَمْ تَكُنْ شَهَادَةُ الْكَفَّارِ مَقْبُولَةً، فَإِنَّهُ يَضَيِّعُ أَكْثَرَ مَهْمَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ رَبَّمَا وَجِبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةٌ وَكَفَّارَاتٌ، وَمَا أَدَّاهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٨١).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٥٧٢)، ((تفسير الشريني)) (١/٤٠٢)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/١٨٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٨٣).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٥٧١)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/١٨٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٨٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٢).

٦- في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ بيان أن جواز الاستشهاد بأخريين من غير المسلمين مشروط بما إذا كان المستشهد مسافراً ضارباً في الأرض، وحضرت علامات نزول الموت به<sup>(١)</sup>.

٧- جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذوراً؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٨- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ إشارة إلى تحليف الشاهدين في جمع من الناس<sup>(٣)</sup>.

٩- شرعية اختيار الأوقات التي تؤثر في قلوب الشهود ومقسمي الأيمان، ويرجى أن يصدقوا ويبرأوا فيها؛ لقوله: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٠- الغرض من التحليف بعد إقامة الصلاة في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ هو أن الصلاة معظمة، والإنسان يخاف أن يشهد بباطل بعد هذه الصلاة التي ذكرها الله عز وجل، إضافة إلى أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ فكان احتراز الحالف عن الكذب في ذلك الوقت أتم وأكمل، والله أعلم<sup>(٥)</sup>.

١١- التعليل على الحالف بصيغة اليمين، بأن يقول فيه ما يرجى أن يكون رادعاً للحالف عن الكذب كالألفاظ التي وردت في قوله: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾، وأشد منها ما ورد في شهادة اللعان<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٥٢/١٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٣٩٤/٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤٠١/٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٨٩/٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٥٣/١٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٦/٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٩٠/٧).

١٢- أَنَّهُ لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾، فَلَوْ أُقْسِمَ بِغَيْرِ اللَّهِ حَتَّى بَمَنْ يُعْظَمُ عِنْدَهُمْ كَالْمَسِيحِ مَثَلًا، فَإِنَّهَا لَا تُقْبَلُ وَلَا يُعْتَدُّ بِهَا<sup>(١)</sup>.

١٣- أَنَّ إِقْسَامَ الشَّاهِدِينَ لَا يُلْزَمُ إِلَّا عِنْدَ الْارْتِيَابِ فِي شَهَادَتِهِمَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾. وَأَنَّ لِلْقَاضِي أَنْ يُحْلَفَ الشَّاهِدِينَ عِنْدَ الْارْتِيَابِ فِي شَهَادَتِهِمَا؛ فَالْحُكْمُ يَدُورُ مَعَ عِلَّتِهِ؛ لِأَنَّ لَمْ نُحْلَفْهُمَا بِاللَّهِ إِلَّا عِنْدَ الْارْتِيَابِ، لَا لِكَوْنِهِمَا مِنَ الْكُفَّارِ<sup>(٢)</sup>.

١٤- أَنْ يَكُونَ صِفَةً الْإِقْسَامِ عَلَى هَذَا: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ نَمْنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ يَكْفِي الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَا يُتَعَبَّدُ بِهِ؛ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يُغَيَّرَ، بَلْ عَبَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْمَعْنَى بِهَذَا اللَّفْظِ، إِذْ: فَالْمَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَى<sup>(٣)</sup>.

١٥- الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ لِلْقَرَابَةِ تَأْثِيرًا فِي الْمَيْلِ وَالْعَاطِفَةِ؛ لِقَوْلِهِمَا: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ وَهَذَا شَيْءٌ فِطْرِيٌّ مَعْرُوفٌ، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَى﴾ [التوبة: ١١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٤)</sup> [النساء: ١٣٥].

١٦- إِضَافَةُ الشَّهَادَةِ إِلَى (اللَّهِ) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ بِهَا وَبِحِفْظِهَا، وَأَلَّا تُكْتَمَ، وَلَا تُضَيَّعَ، كَذَلِكَ أَضَافَهَا إِلَى اللَّهِ تَشْرِيفًا لَهَا، وَتَعْظِيمًا لِأَمْرِهَا<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٧/٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (١٩١/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٧/٢).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٨٨/٢).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٢١٧/٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٥٧٦/٧).

١٧- الإشارة إلى أن الإِزْتَّ يكون للأولى فالأولى؛ لقوله: ﴿الْأَوْلِيَانِ﴾ وقد جاء الحديث مقررًا ذلك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأُولَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ))<sup>(١)</sup>.

١٨- أنه إذا احتجَّ في الشَّهادة أو في القَسَمِ إلى إثباتٍ ونفي، فلا بدَّ من ذكر الإثبات والنفي، فقولهما- يعني الأوليين-: ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا﴾ هذا إثباتٌ، ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ هذا نفي، فإذا احتجَّ إلى ذلك فلا بدَّ من ذكر النفي والإثبات؛ حتى تكون الشهادة خالصة<sup>(٢)</sup>.

١٩- أن ردَّ الأوليين لشهادة الشَّاهدين على سبيل الاعتداء أعظمُ اعتداءً من تغيير الشهادة من الشَّاهدين؛ وجه ذلك أنه في تغيير الشهادة من الشَّاهدين، قال: ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ﴾، وهنا قال: ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢٠- أنه كلما كان الشيء أقرب إلى استتاج الصواب والحق في الشهادة فهو أولى أن يُتَّبَع، لقوله: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهٍ﴾؛ لأنَّ الإنسان إذا فهم أنَّ من ورائه أناسًا سيقومون بردِّ شهادته والإقسام على بطلانها، فلا بدَّ أن يتحرَّى الصدق فيما يشهد به<sup>(٤)</sup>.

٢١- أن الله سبحانه أخبر بأنه لا يهدي القوم الفاسقين، أي: الخارجين عن طاعته، وخبر الله صدق، لكن يُشكِل على هذا أن الواقع أنَّ الله قد يهدي الفاسقين، وقد يهدي الكافرين؛ فكيف نجتمع بين الواقع وهذا الخبر الصادق؟

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٠).

والحديث أخرجه البخاري (٦٧٣٧) ومسلم (١٦١٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٠).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٩١).

الْجَمْعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، أَي: الَّذِينَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْفِسْقَ، وَأَمَّا مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ فَيُؤْمِنَ وَلَا يَبْدَأُ، وَلَكِنَّ الْفَائِدَةَ مِنْ هَذَا - أَي: مِنْ إِطْلَاقِ قَوْلِهِ: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ - الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ عَدَمَ هِدَايَةِ اللَّهِ لِلْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ؛ لِأَنَّهُمْ اخْتَارُوا الْفِسْقَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الصف: ٥].

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١ - قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ اسْتِنَافٌ مَسْوُوقٌ لِبَيَانِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأُمُورِ دُنْيَاهُمْ إِثْرَ بَيَانِ الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأُمُورِ دِينِهِمْ، وَتَصْدِيرُهُ بِحَرْفِي النِّدَاءِ وَالتَّنْبِيهِ ﴿يَا أَيُّهَا﴾؛ لِإِظْهَارِ كِمَالِ الْعِنَايَةِ بِمُضْمُونِهِ<sup>(٢)</sup>.

٢ - قَوْلُهُ: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فِيهِ: التَّفَاتُ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ، وَلَوْ جَرَى عَلَى لَفْظٍ: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ لَكَانَ التَّرْكِيبُ: (إِنْ هُوَ ضَرَبَ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْهُ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ)، وَإِنَّمَا جَاءَ الِاتِّفَاتُ جَمْعًا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَحَدَكُمْ﴾ مَعْنَاهُ: إِذَا حَضَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ الْمَوْتُ<sup>(٣)</sup>، وَقِيلَ: بَلْ لَيْسَ فِيهِ التَّفَاتُ؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ جَارٍ عَلَى أَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ...﴾ إِلَى آخِرِهِ<sup>(٤)</sup>.

٣ - قَوْلُهُ: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾

- قَوْلُهُ: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ اعْتِرَاضٌ يَفِيدُ اخْتِصَاصَ الْقَسَمِ بِحَالِ الْارْتِيَابِ<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٩١/٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٨٨/٣).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٣٩٤/٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤٦٤/٤).

(٥) يُنْظَرُ: ((تفسير البيضاوي)) (١٤٦/٢).

- وَقَوْلُهُ: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ فيه كناية عن استبدال عَرْضِ من الدنيا، وهو على حذف مضاف، أي: لا نشتري ذا ثمن؛ لأن الثمن لا يشتري، ولا يصح أن يكون ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ هنا بمعنى لا نبيع، وإن كان ذلك صحيحًا في اللغة<sup>(١)</sup>.

- وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ فيه حذف جواب ﴿لَوْ﴾؛ ثقةً بدلالة ما سبق عليه، أي: ولو كان ذا قرى لا نشتري به ثمنًا<sup>(٢)</sup>.

- وخصَّ الله (ذا القربى) بالذكر؛ لأن الميل إليهم أتم، والمداهنة بسببهم أعظم<sup>(٣)</sup>.

- وأيضًا في قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ تأكيد تبرئتهما من الحلف كذبًا، ومبالغة في التنزه عنه، كأنهما قالا: لا نأخذ لأنفسنا بدلًا من حرمة اسمه تعالى مألًا، ولو انضمت إليه رعاية جانب الأقرباء؛ فكيف إذا لم يكن كذلك<sup>(٤)</sup>!

٤- في قوله تعالى: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ... إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ناسب ختم ما أقسم عليه شاهدا الزور بقوله: ﴿لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾؛ لأن عدم مطابقة يمينهما للواقع وكتمهما الشهادة يجران إليهما الإثم، وفي قوله: ﴿وَمَا اعتدينا إنا إذا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ناسب ذكر الظلم هنا قولهما: ﴿وَمَا اعتدينا﴾؛ لأن الاعتداء والظلم متقاربان<sup>(٥)</sup>.

٥- ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْههَا أَوْ يَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: إنما جمع

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٣٩٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٠)، ((تفسير الألوسي)) (٢/٤٥٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤١٠).

الضَّمائِرَ هُنَا فِي ﴿يَأْتُوا﴾ وَمَا بَعْدَهُ، وَإِنْ كَانَ السَّابِقُ مَثْنِيًّا، فَلَمْ يُشْنَاهَا كَمَا سَبَقَ؛ لِأَنَّهُ حُكْمٌ يَعْمُ الشُّهُودَ كُلَّهُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَى الشَّاهِدِينَ بِخُصُوصِيَّتِهِمَا، بَلْ إِلَى النَّاسِ الشُّهُودِ، وَالتَّقْدِيرُ: ذَلِكَ أَذْتَى أَنْ يَحْذَرَ النَّاسُ الْخِيَانَةَ فَيَشْهَدُوا بِالْحَقِّ خَوْفَ الْفُضِيحَةِ فِي رَدِّ الْيَمِينِ عَلَى الْمُدَّعِي. وَقِيلَ: هُوَ عَائِدٌ عَلَى الشَّاهِدِينَ بِاعْتِبَارِ الصَّنْفِ وَالنَّوْعِ<sup>(١)</sup>.



(١) يُنظَرُ: ((تفسير البضاوي)) (١٤٨/٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٤٠١/٤).

## الآيتان (١٠٩ - ١١٠)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ﴾  
 الْعُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ  
 إِذْ أَبَدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتَكَ  
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ  
 يَأْذِنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي وَتَرَى الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْنِي وَإِذْ  
 تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ  
 فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

## غريب الكلمات:

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: أي: جبريل عليه السلام، سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يأتي بما فيه حياة القلوب، وأصل القدس الطهارة<sup>(١)</sup>.

﴿الْمَهْدِ﴾: أي: مضجع الصبي في رضاعه، وما يُهَيَّأ له، وأصله: التوطئة للشئ، وتسهيله<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكَهْلًا﴾: أي: ابن ثلاثين سنة، والكهْل: الذي انتهى شبابه، ومن وخطه الشبب، والكهولة فوق الغلومة، ودون الشيخوخة، وأصل (كهل): القوة في الشئ، أو اجتماع الجبلة<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٦٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٩)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٨٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٨٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥/٤١٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٢٨٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨٠).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٨)، ((تفسير ابن جرير)) (٥/٤١٢)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/٥٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٢٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/١٤٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/٤٥).



﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي: الفقه، وتُطلق الحكمةُ على إصابة الحقِّ بالعلم والعمل، وأصل (حكم): المنع، والإحكام هو الفصل والتمييز، والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه؛ ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحدِّ، فالمنع جزءٌ معناه لا جميعٌ معناه، والحكمة اسمٌ للعقل، وإنما سُمِّي حكمة؛ لأنه يمنع صاحبه من الجهل<sup>(١)</sup>.

﴿وَتُبْرِيءُ﴾: وتَشْفِي، أصله من البرء والبراء والتبري: وهو التفضي مما يُكره مجاورته، والتباعدُ من الشيء ومُزايَلته، والمقصودُ هنا: السَّلامة من السُّقم<sup>(٢)</sup>.

﴿الْأَكْمَةَ﴾: الذي يُولد أعمى، أو هو الذي يُولد مطموس العين، وقيل: هو الأعمى مطلقاً<sup>(٣)</sup>.

﴿الْأَبْرَصَ﴾: الذي به مرضُ البرص، وهو مرضٌ معروفٌ يُصيب الجلد، وهو لَمعةٌ تُخالِفُ سائرَ لونِ الجلد<sup>(٤)</sup>.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جمعُ بيِّنة، وهي: الدَّلالة الواضحة؛ يُقال: بانَ الشيء وأبان، إذا اتَّضح وانكشَف<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٩١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٤٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٣٦، ٣٤٧)، ((الإكليل في المنشابه والتأويل)) لابن تيمية (ص: ١١)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٣٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٠٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٥٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٣٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٢٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٤٥)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢١٩)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤).

(٥) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٣٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٧).

## المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ بَعْضِ مَا سَيَجْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ إِذْ يَجْمَعُ سُبْحَانَهُ الرَّسُلَ، فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الَّذِي أَجَابْتَهُمْ بِهِ أُمَمُهُمْ حِينَ بَلَّغُوهُمْ دَعْوَةَ الْحَقِّ، فَيَجِيبُ الرَّسُلُ بِأَنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ.

وَيُخَبِّرُ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا عَنْ قَوْلِهِ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، اذْكُرْ نِعْمِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ؛ إِذْ أَعْتَمْتُكَ وَقَوَّيْتُكَ بِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي صِغَرِكَ وَفِي كِبَرِكَ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَةَ، وَالْفَهْمَ وَمَعْرِفَةَ أَسْرَارِ الشَّرْعِ، وَعَلَّمْتُكَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَإِذْ تَصَنَعُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ طَائِرٍ بِإِذْنِي، فَتَنْفُخُ فِيهَا صَنْعَتَهُ مِنَ الطِّينِ، فَيَكُونُ طَيْرًا إِذَا رُوحَ بِإِذْنِي، وَتَشْفِي مَنْ يُؤَلِّدُ أَعْمَى، وَتَشْفِي مَنْ بِهِ دَاءُ الْبَرَصِ بِإِذْنِي، وَتُخْرِجُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ بِإِذْنِي، وَإِذْ صَدَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ وَقَدْ أَرَادُوا قَتْلَكَ لَمَّا جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؛ فَقَالَ الْكَافِرُونَ مِنْهُمْ: مَا هَذَا الَّذِي آتَيْتَ بِهِ إِلَّا سِحْرٌ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ.

## تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرَّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى بِالْحُكْمِ فِي شَاهِدِي الْوَصِيَّةِ، وَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، ذَكَرَ بِهَذَا الْيَوْمِ الْمَهُولِ الْمَخُوفِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَجَمَعَ بِذَلِكَ بَيْنَ فَضِيحَةِ الدُّنْيَا، وَعَقُوبَةِ الْآخِرَةِ لِمَنْ حَرَّفَ الشَّهَادَةَ، وَلِمَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ وَلَمْ يَسْمَعْ<sup>(١)</sup>.

وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ مِنْ عَادَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً مِنَ الشَّرَائِعِ

(١) يُنْتَظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤٠٢).

والتكاليف والأحكام، أتبعها إمّا بالإلهيات، وإمّا بشرح أحوال الأنبياء، أو بشرح أحوال القيامة؛ ليصير ذلك مؤكّداً لما تقدّم ذكره من التكليف والشرائع، فلا جرم لمّا ذكر فيما تقدّم أنواعاً كثيرة من الشرائع أتبعها بوصف أحوال القيامة أولاً، ثمّ ذكر أحوال عيسى عليه السّلام<sup>(١)</sup>، فقال تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾

أي: اذكر يوم يجمع الله تعالى جميع رُسُلِهِ عليهم الصّلاة والسّلام يوم القيامة، فيسألهم: ما الذي أجابنكم به أممكم حين دعوتهم إلى الحق<sup>(٢)</sup>؟

كما قال تعالى: ﴿فَلْتَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

[الأعراف: ٦].

﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

أي: قال الرُّسُلُ الكرام عليهم الصّلاة والسّلام: لا علم لنا، ولا يخفى عليك يا ربنا ما عندنا من علم ذلك وغيره؛ فأنت العليم ببواطن الخلق، والمطلع على كل شيء<sup>(٣)</sup>.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٠٩-١١٠)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٩٢-٤٩٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١١٢)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨).

وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا كَانَ الْغَرَضُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لِلرُّسُلِ: ﴿مَاذَا أُجِيبْتُمْ﴾ تَوْبِيخَ مَنْ تَمَرَّدَ مِنْ  
أُمَّمِهِمْ، وَكَانَ أَشَدَّ الْأُمَمِ افْتِقَارًا إِلَى التَّوْبِيخِ وَالْمَلَامَةِ النَّصَارَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ  
أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ طَعْنَ سَائِرِ الْأُمَمِ كَانَ مَقْصُورًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ،  
وَطَعْنَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاعِينِ تَعَدَّى إِلَى جَلَالِ اللَّهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ؛ حَيْثُ وَصَّفُوهُ بِمَا لَا يَلِيقُ  
بِعَاقِلٍ أَنْ يَصِفَ الْإِلَهَ بِهِ، وَهُوَ اتِّخَاذُ الزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ؛ فَلَا جَرَمَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى  
أَنَّهُ يُعَدُّ أَنْوَاعَ نِعَمِهِ عَلَى عِيسَى بِحَضْرَةِ الرُّسُلِ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ  
تَوْبِيخُ النَّصَارَى وَتَقْرِيبُهُمْ عَلَى سُوءِ مَقَالَتِهِمْ؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ النَّعْمِ  
الْمَعْدُودَةِ عَلَى عِيسَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَبْدٌ وَليْسَ بِإِلَهٍ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾.

أَي: اذْكُرْ حِينَ نَادَى اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup> قَائِلًا لَهُ: اذْكُرْ مَا أَجْرَيْتَهُ  
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ مِنَ النَّعْمِ<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى يُفْضِلُ تِلْكَ النَّعْمَ، فَقَالَ<sup>(٤)</sup>:

﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٨).

(٢) ذَهَبَ إِلَى وَقْعِ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي ((تفسيره)) (٢/٢٥٧)، وَالْقُرْطُبِيُّ فِي ((تفسيره))  
(٦/٣٦٢)، وَابْنُ عَاشُورٍ فِي ((تفسيره)) (٧/١٠٠). وَجَعَلَهُ ابْنُ كَثِيرٍ اِحْتِمَالًا. يُنظَرُ: ((تفسير  
ابن كثير)) (٣/٢٢٤).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين -  
سورة المائدة)) (٢/٤٩٩).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٩٩-٥٠٠).

أي: حيث قَوَّيْتُكَ بجبريل عليه السَّلَامُ، وأَعْتَمْتُكَ به (١).

﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾.

أي: تَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالِ صِغَرِكَ وَكِبَرِكَ (٢).

﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

أي: وَاذْكُرْ - يَا عِيسَى - أَيْضًا نِعْمَتِي عَلَيْكَ إِذْ عَلَّمْنَاكَ الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ (٣)،  
وَالْفَهْمَ وَمَعْرِفَةَ أَسْرَارِ الشَّرْعِ، وَعَلَّمْنَاكَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤).

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي﴾.

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

طَيْرًا بِأَذْنِي﴾ ثلاث قراءات:

١- ﴿... كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ... فَتَكُونُ طَائِرًا﴾، أي: إِنَّهُ كَانَ يَخْلُقُ وَاحِدًا ثُمَّ وَاحِدًا (٥).

٢- ﴿... كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... فَتَكُونُ طَائِرًا﴾، أي: تُقَدَّرُ هَيْئَةً كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، فَتَكُونُ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١١٣/٩ - ١١٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٢٣/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٠٢/٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١١٤/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٢٣/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨).

(٣) وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ هُنَا: جِنْسُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ. وَهُوَ اخْتِيَارُ السَّعْدِيِّ فِي ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١١٥/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٢٣/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٠٢/٢ - ٥٠٣).

(٥) قَرَأَ بِهَا أَبُو جَعْفَرٍ. يُنظَرُ: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ١٨٧).

وَيُنظَرُ لِمَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢٥٧/١)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ١٦٤).

الهيئة طائراً، أي: كل هيئة تُقدِّرها تكونُ واحداً من الطير<sup>(١)</sup>.

٣- ﴿... كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... فَتَكُونُ طَيْرًا﴾، أي: إنَّ الله تعالى أذن له أن يخلق طيراً كثيرة، ولم يكن يخلق واحداً فقط<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾

أي: تُصوِّر الطينَ، وتَصنَعُ منه هيئة طائرٍ بإذني، فتنفخُ في تلك الصُّورة التي شكَّلتها، فتكونُ طائراً إذا رُوح بإذني<sup>(٣)</sup>.

﴿وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾

أي: وتُشفي من يُولد أعمى، ومن به داءُ البرص الذي يُصيب الجلدَ بإذنِ الله عزَّ وجلَّ، وتُخرجُ الموتى من قبورهم أحياءً بإذنِ الله تبارك وتعالى<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيْنَاتِ﴾

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن ذكر الله سبحانه بعض ما أعطاه لعيسى عليه السلام من معجزاتٍ فيها من المنافع، أتبعها بذكر ما دفع عنه من مضار<sup>(٥)</sup>، فقال:

(١) قرأ بها نافع ويعقوب. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ١٨٧).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((تفسير ابن عطية)) (٢/٢٥٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٠٢).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ١٨٧).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/٢٥٧)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ١٦٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٣-٥٠٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/٢٩٢).

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾

أي: واذكُرْ - يا عيسى - أيضًا نِعْمتي عليك، في صِدِّي بني إسرائيل عنك، وقد همُّوا بقتلِكَ حين جِئْتَهُم بِالْحُجُجِ والبراهينِ على رسالتِكَ، فحَفِظْتَهُمْ مِنْهُمْ وَعَصَمْتَهُمْ<sup>(١)</sup>.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

القراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿سِحْرٌ﴾ قراءتان<sup>(٢)</sup>:

١- قراءة ﴿سَاحِرٌ﴾ - بالالفِ على أَنَّهُ اسمُ فاعِلٍ - إشارةً إلى عيسى عليه السَّلام<sup>(٣)</sup>.

٢- قراءة ﴿سِحْرٌ﴾ - من غيرِ ألفٍ على أَنَّهُ مصدرٌ - إشارةً إلى ما جاء به عيسى عليه السَّلام من البيِّنات، أي: ما هذا الَّذي جاء به من الآياتِ الخوارقِ إِلَّا سِحْرٌ<sup>(٤)</sup>.

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١١٥-١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٤)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٥).

(٢) قال ابنُ جرير: (والصوابُ من القولِ في ذلك: أَنَّهُما قِراءَتانِ معروفَتانِ صحيحَتانِ المعنى، متَّفقتانِ غيرِ مُختلفَتين؛ وذلك أن كلَّ مَنْ كان موصوفًا بفعلِ السحر فهو موصوفٌ بأنَّه ساحر، ومَنْ كان موصوفًا بأنَّه ساحر فأنَّه موصوفٌ بفعلِ السحر، فالفعلُ دالٌّ على فاعله، والصفةُ تدلُّ على موصوفها، والموصوفُ يدلُّ على صِفته، والفاعلُ يدلُّ على فعله، فبأيِّ ذلك قرأ القارئُ فمصيب) ((تفسير ابن جرير)) (٩/١١٦).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٤٩٨).

(٤) قرأ بها الباقر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٤٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٤٩٧).

أي: فقال كفارُ بني إسرائيل: ما هذا إلا ساحرٌ ظاهرٌ ذو سِحْرِ جليٍّ<sup>(١)</sup>.

## الفوائد التربويّة:

١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَذَكَّرَ هَذَا الْيَوْمَ الْعَظِيمَ؛ لِيَنْظُرَ مَاذَا أَجَابَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حِينَ يُجْمَعُ الرُّسُلُ وَيُسْأَلُونَ<sup>(٢)</sup>.

٢- التَّنْصِيفُ عَلَى النُّعْمَةِ بِالْعِلْمِ وَالشَّرْعِ وَالْحِكْمَةِ، وَأَنَّهَا أُخْصُ مِنْ مُطْلَقِ النُّعْمَةِ؛ لِأَنَّ مُطْلَقَ النُّعْمَةِ سَبَقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ أَمَا الْعِلْمُ فَخَصَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، وَعَلَى هَذَا فَيَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ خَصَّهُ بِالْعِلْمِ الَّذِي حَرَمَهُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَإِذَا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ صَارَ نِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ؛ مِمَّا يَدْعُوهُ إِلَى الْمُثَابَرَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَازْدِيَادِ الْعِبَادَةِ، وَقُوَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

٣- فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ تَذْكَيرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ بِنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر: ٣]، أحيانًا يَكُونُ عَامًّا كَهَذِهِ الْآيَةِ، وَأحيانًا يَكُونُ خَاصًّا؛ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ وَإِنَّمَا يُذَكِّرُ اللَّهُ الْعِبَادَ بِالنُّعْمَةِ مِنْ أَجْلِ وَجوبِ شُكْرِهَا؛ لِأَنَّ وَجوبَ شُكْرِ الْمُنْعِمِ ثَابِتٌ سَمْعًا وَعَقْلًا، أَمَا السَّمْعُ فَمَمْلُوءٌ بِهِ الْقُرْآنُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ [البقرة: ١٥٢]،

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٥).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٩٧).

(٣) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٥١٠).



وقوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وأما عقلاً: فلأنه ليس من المروعة أن تُقابل النعمة بالإساءة والكفر؛ فشكر المنعم إذن واجبٌ سمعاً وعقلاً<sup>(١)</sup>.

٤- أن الله يُدافع عن المؤمنين، وأنَّ كَفَّ الأذى عن الإنسان من نعمة الله عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ ولهذا امتنَّ الله به على المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، فكلما كان الإنسان أشدَّ إيماناً بالله عزَّ وجلَّ دفعَ الله عنه، وتسلطَّ بعض الناس عليه بالإيذاء ما هو إلاَّ كتسلطَّ المَرَضِ على الرُّسُلِ والأنبياء من باب رفعة الدرجات، وإلا فلا شكَّ أنَّ هناك أئمةً من هذه الأمة أودوا أشدَّ الإيذاء، بل الرُّسُلَ عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يُؤَدُّونَ؛ كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ [الأنعام: ٣٤]، لكن هذا من باب رفعة الدرجات<sup>(٢)</sup>.

٥- تشجيعُ الداعي إلى الله عزَّ وجلَّ الذي يأتي بالآياتِ البينات؛ فإنه عرضةٌ للإيذاء لقوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، فكلُّ إنسانٍ يَدْعُو إلى الله، ويأتي بالبراهين والأدلة، لا بدَّ أن يُسلطَّ عليه مَنْ يُسلطُّ، ولكنَّ الله تعالى بقوَّته وقدرته يَصْرِفُ عنه<sup>(٣)</sup>.

### الفوائدُ العلميَّةُ واللطائفُ:

١- يُستفادُ من قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ معرفةُ تمامِ قُدرةِ الله تبارك وتعالى؛ وذلك بجمعه الرُّسُلَ في ذلك الموقف العظيم، الذي

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٥١٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٥١٦).

يختلطُ فيه آدميون والوحوشُ والسباعُ والإبلُ وغيرها، فيجمعُ الله سبحانه وتعالى الرُّسلَ بقدرته وإذنه<sup>(١)</sup>.

٢- يُستفادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ فضيلةُ الرُّسلِ عليهم الصلاة والسلام؛ حيث إنَّ الله سبحانه وتعالى يعتني بهم هذا الاعتناء، حتى إنَّه يسألهم يومَ القيامةِ في هذا المشهدِ العظيم: ماذا أُجيبوا؟ تكريماً لهم، وإظهاراً لإبلاغهم الرسالة<sup>(٢)</sup>.

٣- لَمَّا كَانَ مِمَّا لَا يَخْفَى أَصْلًا أَنَّهُمْ أُجِيبُوا، وَلَا يَقَعُ فِيهِ نِزَاعٌ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ غَرَضٌ، تَجَاوَزَ السُّؤَالُ إِلَى الاسْتِفْهَامِ مِنْ نَوْعِ الإِجَابَةِ، فَقَالَ: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: أيَّ إجابةٍ أجابكم مَنْ أُرْسِلْتُمْ إِلَيْهِمْ؟ إجابةٌ طاعةً، أو إجابةٌ معصيةً<sup>(٣)</sup>.

٤- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ دليلٌ على جوازِ إطلاقِ لفظِ العَلَّامِ على الله سبحانه، كما جاز إطلاقُ لفظِ الخَلَّاقِ عليه، أما العَلَّامةُ؛ فَإِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهَا فِي حَقِّهِ تَعَالَى<sup>(٤)</sup>.

٥- قَدْ يُتَوَهَّمُ التَّعَارُضُ بَيْنَ ظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَشْهَدُونَ لِأُمَّمِهِمْ، وَيَبَيِّنُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وَفِيهِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَشْهَدُونَ عَلَى أُمَّمِهِمْ. وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهِ:

الوجه الأول: أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَالُوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾؛ لِأَنَّكَ تَعَلَّمْتَ مَا أَظْهَرُوا وَمَا أَضْمَرُوا، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا أَظْهَرُوا؛ فَعِلْمُكَ فِيهِمْ أَنْفَعُ مِنْ عِلْمِنَا؛ فَلِهَذَا الْمَعْنَى نَقَوْا

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٤٩٧/٢).

(٢) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٣٧/٦).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (٤٥٨/١٢).

العِلْمَ عن أَنفُسِهِمْ؛ لأنَّ عِلْمَهُم عندَ الله كَلَّا عِلْمٌ.

الوجه الثاني: أَنَّهُم قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إِلَّا أَنْ عِلْمُنَا جوابهم لنا وقت حياتنا، ولا نَعْلَمُ ما كان منهم بعدَ وفاتنا، والجزاء والثواب إِنَّمَا يحصلانِ على الخاتمة، وذلك غيرُ معلومٍ لنا.

الوجه الثالث: أَنَّ الحاصِلَ عندَ كلِّ أَحَدٍ من حالِ الغيرِ إِنَّمَا هو الظنُّ لا العِلْمُ؛ فالأنبياءُ قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ البتةَ بأحوالِهِم، إِنَّمَا الحاصلُ عندنا من أحوالهم هو الظنُّ، والظنُّ كان مُعْتَبَرًا في الدُّنيا؛ لأنَّ الأحكامَ في الدُّنيا كانت مبنيةً على الظنِّ، وأمَّا الآخرةُ فلا التفاتَ فيها إلى الظنِّ؛ لأنَّ الأحكامَ في الآخرة مبنيةٌ على حقائقِ الأشياءِ، وبواطنِ الأمورِ؛ فلهذا السببِ قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا ما عَلَّمْتَنَا﴾ ولم يذكروا البتةَ ما معهم من الظنِّ؛ لأنَّ الظنَّ لا عِبرةَ به في القيامةِ.

الوجه الرابع: أَنَّهُم لَمَّا عِلِمُوا أَنَّهُ سبحانه وتعالى عالمٌ لا يجهلُ، حكيمٌ لا يسنِّفه، عادلٌ لا يظلمُ، عِلِمُوا أَنَّ قولَهُم لا يُفيدُ خيرًا، ولا يدفعُ شرًّا، فرأوا أَنَّ الأدبَ في الشُّكوتِ، وفي تفويضِ الأمرِ إلى عدلِ الحيِّ القيومِ الذي لا يموتُ<sup>(١)</sup>.

٦- جوازُ نسبةِ الإنسانِ إلى أمِّه إذا لم يكنْ له أبٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٧- شرعَ الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى... إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ في تعديدِ نِعْمته على عيسى عليه السلام، لكن قولَ الكفارِ في حقِّه: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ليس من النِّعَمِ؛ فكيف ذكره هاهنا؟

والجواب: أَنَّ من الأمثالِ المشهورةِ: أَنَّ كلَّ ذي نِعمةٍ محسودٌ؛ وطعنُ الكفارِ

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٦، ٤٥٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٧).

في عيسى عليه السلام بهذا الكلام يدلُّ على أنَّ نِعَمَ اللهِ في حَقِّه كانت عظيمةً، فحَسُنَ ذِكْرُهُ عند تعديد النِّعَمِ<sup>(١)</sup>.

٨- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اذْكُرْ﴾ فائدةُ هذا الذِّكْرِ إسماعُ الأُمَمِ ما حَصَّه به تَعَالَى من الكرامةِ، وتأكيدُ حُجَّتِهِ على جاحِدِهِ<sup>(٢)</sup>.

٩- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الشُّكْرُ، كما يَجِبُ عَلَى مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ عِيسَى أَنْ يَذْكُرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّه، وَالْأَنْبِيَاءَ أَشَدُّ النَّاسِ فَيَأْمَأُ بِشُكْرِ النَّعْمَةِ<sup>(٣)</sup>.

١٠- فَضِيلَةُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَيَّدْتِكُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ وَأَنَّهُ يُؤَيِّدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ<sup>(٤)</sup>.

١١- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿بِإِذْنِي﴾ أَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُعْطَ هَذِهِ الْقُوَّةَ دَائِمًا، بَلْ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَغَيْرِهَا لَا تَقَعُ إِلَّا بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ، وَتَأْيِيدٍ مِنْ لَدُنْهُ<sup>(٥)</sup>.

١٢- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ تَخَلَّقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ إِطْلَاقَ لَفْظِ الْخَلْقِ عَلَى مَا صَنَعَهُ الْمَخْلُوقُ، فَلَوْ صَنَعْتَ أَبَا، تَقُولُ: خَلَقْتُ أَبَا، وَبَدَلُ لِهَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وَالْفَرْقُ بَيْنَ خَلْقِ الْخَالِقِ، وَخَلْقِ الْمَخْلُوقِ: أَنَّ خَلْقَ الْخَالِقِ إِيجَادٌ مِنْ عَدَمٍ عَلَى مَا يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]، أَمَّا خَلْقُ الْمَخْلُوقِ: فَهُوَ تَحْوِيلُ مَخْلُوقِ اللَّهِ إِلَى صِفَةِ أُخْرَى،

(١) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦٠، ٤٦١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤٠٥).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٠٨).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٥٠٩).

(٥) يُنظَرُ: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/٢٠٥).

وإلا فالأصل من الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك كأن يجعل من الذهب حُلِيًّا، أما أن يجعل من الحجر ذهبًا فلا يستطيع ذلك أحدًا<sup>(١)</sup>.

١٣- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أنه سبحانه وتعالى يختار من الآيات أشدها إعجازًا؛ فإنه لم يَمَنَّ على عيسى بأن يخلق أرنبًا أو قِطًّا أو ما أشبه ذلك، بل طائرًا؛ لأنَّ الطيران في الجوُّ أبلغ من المشي على الأرض، فاختر الله له أن يخلق طائرًا، يعني: على صورة الطير<sup>(٢)</sup>.

١٤- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ أنَّ النَّفْخَ له تأثير في الأجساد إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يؤثِّر؛ لأنَّه نَفَخَ في الطير الذي صنعه فصار طائرًا كما في القراءة الأخرى، كما نفخ فيه صار حيوانًا من الطيور، ثم طار لتحقيق أنه دخلته الروح، ومن ثمَّ جاءت القراءة على المريض عن طريق النَّفْثِ، والنَّفْثُ يتضمَّن نفخًا وريقًا، وهذا مؤثِّر بإذن الله عزَّ وجلَّ<sup>(٣)</sup>.

١٥- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ أنه لا يمكن لأيِّ بشرٍ مهما أوتي أن يحصل له مراده إلا بإذن الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ كلَّ جملةٍ أو كلَّ كلمةٍ قيدها الله تعالى بإذنه؛ لئلا يدعي مدَّع أن الخلق لهم استقلال في أفعالهم، فيكون لهذه الفائدة فرعٌ، وهو الردُّ على القدرية، والقدرية هم الذين يقولون: إنَّ الإنسان مستقلٌّ بعمله، أي يخلق فعله بنفسه، فيأكل ويشرب، ويدخل ويخرج، ويتحرك ويسكن، بإرادة تامَّة ليس لله تعالى

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥١١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٥١٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

فيها تعلق، وهذا يعني: إثبات خالق مع الله عز وجل، أو إثبات مُوجد للحوادث مع الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

١٦- قوله: ﴿يَاذُنِي﴾ فيه إثبات إذن الله، والإذن المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: إذن كوني قديري، وإذن شرعي تعبدي؛ مثال الإذن الكوني: هذه الآية: ﴿تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَاذُنِي﴾، ومثال الإذن الشرعي: قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]؛ إذ إنه مكن لهؤلاء من أن يشرعوا لأقوامهم ما لم يأذن به الله، ومكن لأقوام أن يتعبدوا بهذه الشريعة البدعية، لكن شرعاً لا، والفائدة من معرفة القسمين: أن نؤمن بأن ما أذن الله فيه قدرًا فلا بد من وقوعه، وما لم يأذن به فلا يمكن وقوعه، أمّا شرعاً: فما أذن الله فيه شرعاً فقد يقع وقد لا يقع، وما لم يأذن فيه فقد يقع وقد لا يقع، هذا هو الفرق<sup>(٢)</sup>.

١٧- في قوله: ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ يَاذُنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى يَاذُنِي﴾ عطف التذكير بإبراء الأكمه والأبرص على ما قبله مباشرة فلم يبدأ ب﴿إذ﴾، ويبدأ ب﴿إذ﴾ للتذكير بإخراج الموتى، فكان عطفًا على قوله: ﴿إِذْ أَيْدُتْكَ بِرُوحِ الْقُدْسِ﴾، ولعل نكتة ذلك أن إبراء الأكمه والأبرص من جنس شفاء المرضى الذي قد يقع بعض أفراده على أيدي غير الأنبياء المرسلين، ولا سيما من يظن المرضى فيهم الصلاح والولاية، فلما كان كذلك ذكّر بالتبع لإحياء الصورة من الطير، ولما كان إحياء الموتى أعظم منه جعل نعمة مستقلة فقرن ب﴿إذ﴾، والمراد بالأكمه والأبرص والموتى الجنس<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥١٤).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٥١٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/٢٠٥).

## بَلَاغَةُ الْآيَاتِينَ:

١- قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾

- فيه إظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿اللَّهُ﴾ في موضعِ الإضمارِ؛ لتربيةِ المهابةِ، وتشديدِ التهوِيلِ<sup>(١)</sup>.

- وتخصيصُ الرُّسُلِ بالذكرِ ليس لاختصاصِ الجَمْعِ بهم دونِ الأُمَمِ، كيف لا و﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]؟! بل لإبانةِ شرفِهِم وأصالتِهِم، والإيدانِ بعدمِ الحاجةِ إلى التصریحِ بجمْعِ غيرِهِم بناءً على ظهورِ كونِهِم أتباعًا لهم، ولإظهارِ سُقوطِ منزلتِهِم، وعدمِ لياقتِهِم بالانتظامِ في سلكِ جمْعِ الرُّسُلِ، كيف لا وَهُمْ عليهم السَّلامُ يُجمَعون على وجهِ الإجلالِ، وأولئك يُسحبون على وجوهِهِم بالأعلالِ<sup>(٢)</sup>!

٢- قَوْلُهُ: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ هذا السُّؤالُ لتوبيخِ قَوْمِهِم وأُمَّمِهِم؛ لتقومِ الحُجَّةُ عليهم، ويتبدى حسابُهُم، كما أنَّ سؤالَ الموءودةِ لتوبيخِ الرائدِ<sup>(٣)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالِ نشأ من سؤوقِ الكلامِ؛ كأنه قيل: فماذا يقولُ الرُّسُلُ عليهم السَّلامُ هنالك؟ فقيل: يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾<sup>(٤)</sup>.

- والتعبيرُ بصيغةِ الماضيِ ﴿قَالُوا﴾ عن المستقبلِ؛ للدلالةِ على التقرُّرِ والتحققِ، كما في قوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]،

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٩٣/٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق))، وينظر: أيضًا: ((تفسير أبي حيان)) (٤٠٢/٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٤٧/٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٤٠٢/٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٩٣/٣).

ونظائرهما؛ فعبر بالماضي عن المستقبل؛ لتحقيق وقوعه حتى كأنه وقع<sup>(١)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فيه: تعليل لذلك، أي فتعلم ما أجابوا وأظهروا لنا، وما لم تعلمه مما أضمره في قلوبهم، وفيه إظهار للشكاة، وردُّ للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قِبلهم من الخطوب، وكابدوا من الكرب<sup>(٢)</sup>.

٥- قَوْلُهُ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...﴾

- فيه تفصيلٌ بعد إجمال؛ حيث شرع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحدٍ من الرُّسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل، إثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكلِّ على وجه الإجمال، وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلاً من بين شؤون سائر الرُّسل عليهم السلام - مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم، ونهاية سوء حال المكذِّبين بالرُّسل؛ - لأنَّ شأنه عليه السلام متعلِّقٌ بكلا الفريقين من أهل الكتاب الذين نُعيَتْ عليهم في السورة الكريمة جناباتهم؛ فتفصيله أعظمٌ عليهم، وأجلبٌ لحسرتهم وندامتهم، وأفثٌ في أعضادهم، وأذخُلٌ في صرْفهم عن غيِّهم وعنادهم<sup>(٣)</sup>، فقد وقع الاختلافُ بين طائفتي اليهود والنصارى فيه إفراطاً وتفريطاً؛ هذه تجعله إليها، وهذه تجعله كاذباً<sup>(٤)</sup>.

- والتعبيرُ بصيغة الماضي دون المستقبل في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ...﴾؛ للدلالة على تحقيق الوقوع، وعلى قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت؛ وكلُّ آتٍ قريبٌ؛ قال الله تعالى: ﴿آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾<sup>(٥)</sup> [النحل: ١]، وقيل:

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/٢٠٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٣-٩٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/٩٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٢/١٠٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٤).



لأنه وردَ على حكاية الحال؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبأ: ٥١] وغيره من الآيات، كلها خرج على سبيل الحكاية عن الحال<sup>(١)</sup>.

- وإظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿اللَّهُ﴾ في مقامِ الإضمارِ؛ للمبالغة في التهويل<sup>(٢)</sup>.

٦- في قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي﴾ أضاف الله النعمة إليه؛ تبييناً على عظمها<sup>(٣)</sup>.

٧- قوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ خصَّ التوراة والإنجيل بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة - على القول بأن المراد بالكتاب والحكمة جنس الكتاب والحكمة، فيدخل فيهما التوراة والإنجيل - إظهاراً لشرفهما<sup>(٤)</sup>.

٨- قوله: ﴿وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

- فيه التعبيرُ بالمضارعِ عن أفعالٍ مضت (تخلق - تنفخ - فتكون - وتبرئ - تُخرج)؛ لتصوير ذلك الماضي، وتمثيله حاضراً في الذهن، كأنه حاضر في الخارج، لا لإفادة الاستمرار؛ فإنه فعلٌ مضى، والكلامُ تذكيرٌ به كما وقع إذ وقع<sup>(٥)</sup>.

وفي هذه الآية مناسبة حسنة؛ حيث قال هنا في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾، وقال تعالى في

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٩٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/٩٥).

وعلى القول بأن ﴿الكتاب﴾ هو الخط، و﴿الحكمة﴾ هي الكلام المحكم الصواب؛ فليس فيه هذا الوجه.

(٥) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/٢٠٥).

سورة آل عمران: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فَخُصَّتْ آيَةُ الْمَائِدَةِ بِتَأْنِيثِ الضَّمِيرِ وَالْفِعْلِ ﴿فِيهَا فَتَكُونُ﴾، وَخُصَّتْ آيَةُ آلِ عِمْرَانَ بِتَذْكِيرِ الضَّمِيرِ وَالْفِعْلِ ﴿فِيهِ فَيَكُونُ﴾، مَعَ أَنَّ الْمَذْكَورَ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، وَهُوَ صَالِحٌ لِأَنَّ يَعُودَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ مُذَكَّرًا أَوْ مُؤَنَّثًا، فِيرَادُ (مِثْلَ هَيْئَةِ الطَّيْرِ)، وَهُوَ مُذَكَّرٌ، أَوْ يُرَادُ (هَيْئَةُ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ)، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ الْمَخْصُوصَةِ بِتَأْنِيثِ الضَّمِيرِ الْعَائِدِ إِلَى مَا يَخْلُقُهُ، هِيَ فِي ذِكْرِ مَا عَدَّدَ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَصْحَبَهُ إِيَّاهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَأَظْهَرَ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْآيَاتِ، وَابْتَدَأُهَا: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾، وَالْإِشَارَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَتْ إِلَى أَوَّلِ مَا يُبْدِيهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَلِكَ مُحْتَجًّا بِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا هِيَ إِلَى جَمِيعِ مَا أَدِنَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَوْنِهِ دَلَالَةً عَلَى صِدْقِهِ، مِنْ قَبِيلِ الصُّورِ الَّتِي يُصَوِّرُهَا مِنَ الطِّينِ عَلَى هَيْئَةِ الطَّيْرِ، وَذَلِكَ جَمْعُ التَّأْنِيثِ أَوَّلَى بِهِ.

وَذَكَرَ الضَّمِيرُ فِي ﴿فِيهِ﴾ مِنْ آلِ عِمْرَانَ؛ لِأَنَّهُ فِي سِيَاقِ إِخْبَارِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ عِيسَى - عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أَي: أَخَذُ مِنَ الطِّينِ مَا أُصَوِّرُ مِنْهُ صُورَةً عَلَى هَيْئَةِ الطَّيْرِ فِي تَرْكِيبِهِ، فَأَنْفُخُ فِيهِ، فَيَنْقَلِبُ حَيَوَانًا لِحِمَا، قَدْ رُكِبَ عَظْمًا وَخَالَطَ دَمًا، وَاكْتَسَى رِيْشًا وَجَنَاحًا كَالطَّائِرِ الْحَيِّ، وَالْقَصْدُ فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَى ذِكْرِ مَا تَقَوْمُ بِهِ حُجَّتَهُ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا يُصَوِّرُ الطِّينُ عَلَى هَيْئَةِ الطَّيْرِ، وَيَكُونُ وَاحِدًا تَلَزُمُ بِهِ الْحُجَّةَ، فَالتَّذْكِيرُ أَوَّلَى بِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظَرُ: ((درة التنزيل و غرة التأويل)) للإسكافي (١/ ٣٧٢ - ٣٧٤).

- وقيل: إن قوله: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ الضَّمِيرُ فِيهِ للكافِ في قوله: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾؛ لأنها صِفَةُ الهَيْئَةِ التي كان يَخْلُقُهَا عيسى وَيَنْفُخُ فِيهَا، ولا يَرْجِعُ إلى الهَيْئَةِ المضافِ إليها؛ لأنها ليست من خَلْقِهِ ولا نَفْخِهِ في شيءٍ، والكافُ تَوَثُّتٌ بحَسَبِ المعنى؛ لدَلالَتِها على الهَيْئَةِ التي هي مِثْلُ هَيْئَةِ الطَّيْرِ، وتُذَكَّرُ بحَسَبِ الظَّاهِرِ، وإذا كان كذلك جازَ أَنْ يَقَعَ الضَّمِيرُ عنها تارةً على وجه التذكيرِ، وأخرى على وجه التانيثِ؛ وأما وجهُ تخصيصِ كُلِّ مِنَ الموضِعَيْنِ بالواردِ فيه؛ فمِنْ وجهين:

الوجهُ الأوَّلُ: أن الترتيبَ الذي استقرَّ عليه القرآنُ في سُورِهِ وآيَاتِهِ أصلُ مُراعَى، وعودة الضَّميرِ على اللَّفْظِ، وما يَرْجِعُ إليه أَوْلَى، وَعَوَدَتِهِ على المعنى ثانٍ عن ذلك، وكِلا التَّعبيرينِ عالٍ فصيحٌ، فعادَ في آيةِ آلِ عِمْرانِ على الكافِ؛ لأنها تُعاقِبُ (مِثْلُ)، وهو مُذَكَّرٌ، فهذا لِحْظٌ لفظيٌّ، ثم عادَ في آيةِ المائدةِ إلى الكافِ من حيث هي في المعنى صِفةً؛ لأنَّ المِثْلَ صِفةٌ في التَّقديرِ المعنويِّ، فَحَصَلَ مراعاةُ المعنى ثانيًا على ما يجبُ كما وردَ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الأحزاب: ٣١] بِعَوْدَةِ الضَّميرِ في ﴿يَقْنُتْ﴾ مُذَكَّرًا رَعِيًّا لِلْفِظِ ﴿مَنْ﴾، ثم قال: ﴿وَتَعْمَلُ﴾ بالتاءِ رَعِيًّا للمعنى، وهو كثيرٌ، ورَعِيُّ اللَّفْظِ في ذلك هو الأَوْلَى، فَجَرَى في آيةِ آلِ عِمْرانِ على ذلك؛ لأنها مُتَقَدِّمَةٌ في الترتيبِ، وَجَرَى في آيةِ المائدةِ على ما هو ثانٍ؛ إذ هي ثانيةٌ في الترتيبِ، وذلك على ما يجبُ.

الوجه الثاني: وهو أنه قد وردَ قبل ضميرِ آيةِ آلِ عِمْرانِ من لَدُنْ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلامَهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٤ - ٤٩] نحوً من عشرين ضَميرًا من ضمائرِ المذَكَّرِ، فوردَ الضميرُ في قوله: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ضميرٌ مُذَكَّرٌ لِنِيسَابِ ما تَقَدَّمَ، ويُسَاكِلُ الأَكْثَرَ الواردَ قَبْلَهُ. أما آيةُ المائدةِ فمُفْتَتِحَةٌ بقوله تعالى: ﴿أَذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ وَخَلَقَهُ الطائرَ ونَفَخَهُ فِيهِ مِنْ أَجْلِ نِعْمَةِ تعالى

عليه؛ لتأييده بذلك، فناسب ذلك تأنيث الضمير، ولم تكثر الضمائر هنا ككثرتها هناك، فجاء كل من الآيتين على أنم مناسبة<sup>(١)</sup>، وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

- جاء هنا ﴿يَاذُنِي﴾ أربع مرّات عقب أربع جمل؛ لأنّ هذا موضع ذكر النعمة، والامتنان بها، فناسب الإسهاب<sup>(٣)</sup>.

- وعبر هنا في آية المائدة بقوله: ﴿يَاذُنِي﴾ مضافاً إلى ضميره سبحانه في أربعة مواضع مع وجازة الكلام، وتقارب ألفاظ الآية، وقد جرى هذا الغرض في آية آل عمران، فورد فيها ذلك في موضعين خاصة مضافاً إلى اسمه سبحانه؛ حيث قال: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ لأنّ آية آل عمران إخبارٌ وبشارةٌ لمريم بما منح لابنها عيسى عليه السلام، وبمقاله عليه السلام لبني إسرائيل تعريفاً برسالته، وتحديداً بمعجزاته، وتبريئاً من دعوى الاستبداد، أو الانفراد بقدرته في مقاله: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] إلى ما بعده، ولم تتضمن هذه الآية غير البشارة والإعلام.

وأما آية المائدة فقصد بها غير هذا، وبيّنت على توبيخ النصارى، وتعنيفهم في مقالهم في عيسى عليه السلام؛ فوردت متضمنةً عدّه سبحانه إنعامه على نبيه عيسى عليه السلام على طريقة تجاري العتب، وليس بعتب، وذلك كقول القائل لعبده الأحب إليه المتبرئ من عصيانه - ولكلام الله سبحانه المثل الأعلى -: ألم أفعل لك كذا؟ ألم أعطك كذا؟ واعدّد عليه نعماً ثم يقول: أفعل لك ذلك غيري؟ هل أحسنت إلى فلان إلا بما أعطيتك؟ فيقصد السيّد بهذا قطع تخيل من

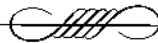
(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦٠)، ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (١/٨٣، ٨٤).

(٢) يُنظر: ((البرهان في توجيه متشابه القرآن)) للكرماني (ص: ٨٩-٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤٠٧).

ظَنَّ أَنْ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الْعَبْدِ مِنْ إِحْسَانٍ إِلَى أَحَدٍ أَنْ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ مِنْ قِبَلِ سَيِّدِهِ، فَإِذَا قَرَّرَهُ السَّيِّدُ عَلَى هَذَا، وَاعْتَرَفَ الْعَبْدُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَمَا قَالَ السَّيِّدُ، انْقَطَعَتْ حُجَّةٌ مَنْ ظَنَّ خِلَافَهُ، وَتَوَهَّمَ اسْتِقْلَالَ الْعَبْدِ، فَعَلَى هَذَا النُّحْوِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَرَدَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ؛ لِذَلِكَ تَكَرَّرَ فِيهَا مَا تَكَرَّرَ مَعَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا ذُنَيْبُ﴾ وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ عَقِبَ أَرْبَعِ آيَاتٍ مِمَّا خُصَّ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَلْقِ الطَّيْرِ، وَالتَّفْنِخِ فِيهِ فِيحْيَا، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

وَهِيَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي ضَلَّ بِسَبَبِهَا مَنْ ضَلَّ مِنَ النَّصَارَى، وَحَمَلَتْهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ بِالتَّثْلِيثِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ فَأَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ تِلْكَ الْآيَاتِ يَا ذُنَيْبُ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ تَأْكِيدًا يَرْفَعُ تَوَهُّمَ حَوْلِ أَوْ قُوَّةَ لغيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ اسْتِبْدَادِ مَنْ ظَنَّهُ، وَنَزَّهَ نَبِيَّهُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نِسْبَةِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ مُسْتَقْلًا بِإِيجَادِهِ، أَوْ ادِّعَاءِ فِعْلِ شَيْءٍ إِلَّا بِقُدْرَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَإِذْنِهِ، وَبَرَّاهُ مِنْ شَنْعِ مَقَالَتِهِمْ؛ فَأَيَّةُ آلِ عِمْرَانَ بِشَارَةً وَإِخْبَارٌ لِمَرْيَمَ، وَأَيَّةُ الْمَائِدَةِ وَارِدَةٌ فِيمَا يَقُولُهُ سُبْحَانَهُ لِعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوْبِيخًا لِلنَّصَارَى، فَلَمَّا اخْتَلَفَ الْقَصْدَانِ اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَتَانِ<sup>(١)</sup>.



(١) يُنظَرُ: ((مَلَائِكَةُ التَّوْبِيلِ)) لِأَبِي جَعْفَرِ الْغُرْنَاطِيِّ (١/٨٤ - ٨٥).

## الآيات (١١١ - ١١٥)

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أي: قدّفت في قلوبهم، ويُطلق الوحي والإيحاء على إلقاء المعنى إلى صاحبه، والإلهام، والإشارة، والكتابة؛ وأصل الوحي: يدل على إلقاء علم في إخفاء، وكل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان<sup>(١)</sup>. و﴿الْحَوَارِيِّينَ﴾: جمع حواريٍّ، وهم أصفياء عيسى عليه السلام، وشيعته وناصريوه، وخلاصة أصحابه، وشاع استعماله في الذين خَلَصُوا، وَأَخْلَصُوا فِي التَّصَدِيقِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَنُصِرْتِهِمْ؛ قيل: سُمُوا بذلك؛ لأنهم كانوا يُحَوِّرون الشَّيْبَ، أي: يُبَيِّضُونَهَا، واشتقاقه من حُرَّتِ الثَّوبِ، أي: أَخْلَصَتْ بِيَاضِهِ بِالغَسْلِ، ومنه يُقال لِلدَّقِيقِ الْأَبْيَضِ النَّقِيِّ: حُوَارَى. وقيل: اشتقاقه من: حَارَ يَحْوَرُ: إِذَا رَجَعَ، فَكَأَنَّهُم الرَّاجِعُونَ إِلَى اللَّهِ، وقيل: هو مُسْتَقٌّ مِنْ نَقَاءِ الْقَلْبِ وَخُلُوصِهِ وَصِدْقِهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/٩٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٥٨ - ٨٥٩)،

((البيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٤٦٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٥)،

((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/١١٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٤٥)، =

﴿عِيدًا﴾: أي: يوماً نُعَظِّمُهُ، وَنَعْبُدُ اللَّهَ وَنُصَلِّي لَهُ فِيهِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْمَائِدَةُ، وَالْعِيدُ: كُلُّ مَا يُعَاوَدُ الْإِنْسَانَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَأَصْلُ (عُودٍ): يَدُلُّ عَلَى تَثْنِيَةٍ فِي الْأَمْرِ، وَمِنَ الْعِيدِ؛ لِأَنَّهُ يَعُودُ كُلَّ عَامٍ، أَوْ لِأَنَّهُ يُعَادُ إِلَيْهِ أَوْ لِأَنَّهُ اعْتِيدَ<sup>(١)</sup>.

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّة:

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمْتَنًّا عَلَيْهِ بِمَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ أَتْبَاعٍ، وَأَنَّهُ أَلْهَمَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْحَوَارِيِّينَ - وَهُمْ الْخُلَصَّ مِنْ أَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبِرَسُولِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَعْلَنُوا إِيمَانَهُمْ، وَاسْتَشْهَدُوهُ عَلَى أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ.

ثُمَّ يُذَكِّرُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا حِينَ قَالَ لَهُ الْحَوَارِيُّونَ: هَلْ يَفْعَلُ رَبُّكَ إِذَا سَأَلْتَهُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً طَعَامٍ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَمَرَهُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا يَطْلُبُوا هَذَا الْأَمْرَ إِنْ كَانُوا حَقًّا مُؤْمِنِينَ. فَأَجَابُوهُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا؛ لِتَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُمْ، وَيَعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ عِيسَى صَادِقٌ فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَيَكُونُوا شُهُودًا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ مِنَ اللَّهِ، وَيُبَلِّغُوهَا لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا، حِينَهَا دَعَا عِيسَى رَبَّهُ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؛ تَكُونَ عِيدًا لَهُمْ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَعِلَامَةٌ وَبُرْهَانًا مِنْ تَعَالَى تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى، وَأَنْ يَرُزِّقَهُمْ تَعَالَى وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. فَأَجَابَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ مُنْزِلُهَا عَلَيْهِمْ، لَكِنْ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ أَنْزَالِ هَذِهِ الْآيَةِ فَإِنَّهُ تَعَالَى سَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا، لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

= ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٢٦٥)، ((الدر المصنون)) للسمين الحلبي (٣/ ٢٠٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤).

(١) يُنْظَرُ: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٩)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ١٨١ - ١٨٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٩٤).

## تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (١١١)﴾.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾.

أي: واذكر أيضًا- يا عيسى- إذ بَسَرْتُ لك أتباعًا وأنصارًا، فألهمت الخُلَصَّ من أصحابك، وألقيت في قلوبهم الإيمانَ بي وبرسولي<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أي: قال الحواريون: آمنا بما وجب علينا اعتقاده بقلوبنا، واشهد علينا<sup>(٢)</sup> بأننا خاضعون لله تعالى، طائعون له بأعمالنا<sup>(٣)</sup>.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾.

## القرءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قرءتان:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١٦/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٤)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٥٢٠-٥٢٢).

اختار أن المراد بالوحي هنا الإلهام: ابن جرير في ((تفسيره)) (١١٦/٩-١١٧)، وابن كثير في

((تفسيره)) (٣/٢٢٤)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨).

وقيل المراد: أوحيت إليهم بواسطتك يا عيسى، فدعوهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، وجعله

ابن كثير احتمالاً في ((تفسيره)) (٣/٢٢٤)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨).

وذهب ابن عثيمين إلى حمل الآية على كلا المعنيين. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة))

(٢/٥٢٠).

(٢) قيل: الخطابُ موجهٌ لله تعالى، وقيل: لعيسى عليه السلام. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١٧/٩)،

((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٥٢٢-٥٢٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١٧/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٤)، ((تفسير السعدي))

(ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/٥٢٢-٥٢٣).



١- قراءة (تَسْتَطِيعُ رَبِّكَ) على الخطاب من الحواريين لعيسى عليه السلام، يعني: هل تقدر يا عيسى، أن تسأل ربك، وكان الأصل على هذه القراءة (هل تستطيع سؤال ربك)، فحذف المضاف (سؤال)، وأقيم المضاف إليه (ربك) مقامه؛ فأخذ إعرابه فنصب<sup>(١)</sup>.

٢- قراءة ﴿يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، أي: هل يفعل ربك؟ فلفظه لفظ الاستفهام، ومعناه معنى الطلب والسؤال<sup>(٢)</sup>.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾

أي: اذكر حين قال الحواريون طلباً لزيادة اطمئنان قلوبهم: يا عيسى ابن مريم، هل يفعل<sup>(٣)</sup> ربك إذا سألته أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء<sup>(٤)</sup>؟  
﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُومَ مُؤْمِنِينَ﴾

أي: قال عيسى عليه السلام للحواريين: الزموا التقوى، ولا تسألوا هذا الأمر إن كنتم مؤمنين حقاً، وإذا كنتم كذلك فما حاجتكم إلى هذه المعجزة<sup>(٥)</sup>!

(١) قرأ بها الكسائي. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٤٠-٢٤١)، ((الكشف)) لمكي (١/٤٢٠).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ١٣٥)، ((معاني القراءات)) للأزهري (١/٣٤٣).

(٣) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (١١٨/٩)، والواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣٤١)، وابن عطية في ((تفسيره)) (٢/٢٥٩)، واستحسنه القرطبي في ((تفسيره)) (٦/٣٦٥)، واختاره السعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٧/١٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/٥٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢٣-٥٢٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨-٢٤٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢٥).

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١١٣).

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾

أي: قال الحواريون: إنما أردنا من سؤالك ذلك، التشرف بالأكل من تلك المائدة، فنعلم يقيناً قدرة الله على كل شيء، وتسكن بذلك قلوبنا، ويستقر إيمانها<sup>(١)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

أي: ونعلم يقيناً صدقك يا عيسى، وصدق ما جئت به، ونشهد على أن المائدة آية من عند الله عز وجل، وحجة لنا ببلوغها من لم يشهدا<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَإِخْرَانًا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١٤).

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَإِخْرَانًا﴾

أي: دعا عيسى عليه السلام ربه سبحانه مستجيباً لطلب الحواريين، فقال: اللهم ربنا، أنزل علينا مائدة طعام من السماء، نتخذ وقت نزولها عيداً نعبدك فيه، ونتذكرها نحن ومن بعدنا<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٢٢-١٢٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٠٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٢٢-١٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٠٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٢٣-١٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن =

﴿وآيَةٌ مِنْكَ﴾

أي: وتكون حجةً وعلامةً منك، يا رب، على عبادك، دالةً على وحدانيتك وصفاتك، وعلى صدق ما جئت به<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾

أي: وأعطنا من عندك؛ فإنك يا رب، خيرٌ من يُعطي؛ فلا أحدٌ أكرمُ منك<sup>(٢)</sup>.  
﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٥)

أي: قال الله تبارك وتعالى: إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَطْعِمُكُمْوَهَا، ولكن من وقع منكم في الكفر بعد إنزالي هذه الآية العظيمة، فَإِنِّي أُوَقِّعُ عَلَيْهِ عَذَابًا شَدِيدًا، لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ عَالَمِي زَمَانِهِ<sup>(٣)</sup>.

= عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٣١-٥٣٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٣٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٣١-١٣٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).

اختار أن المراد بالعالمين هنا: عالمو زمانهم: ابن جرير في ((تفسيره)) (٩/١٣٢)، والواحد في ((الوجيز)) (ص: ٣٤٢)، وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/٢٢٥).

وقال ابن عثيمين: (لو قال قائل: قوله تعالى: ﴿فَأِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ألا يجوز أن يكون هذا خاصًا بعالمي زمانهم؟

الجواب: إذا دل دليلٌ على هذا فلا بأس، مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، أمّا إذا لم يدل دليلٌ فالأصل العموم ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٣٧).

## الفوائد التربويّة:

١- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ يدلُّ على التلطُّف والتأدُّب في السُّؤال، كما هو مناسبٌ لأهل الإيمانِ الخالصِ، ليس شكًّا في قدرة الله تعالى، ولكنهم سألوا آيةً لزيادةِ اطمئنانِ قلوبهم بالإيمانِ، بأن يتقبلوا من الدليلِ العقليِّ إلى الدليلِ المحسوسِ؛ فإنَّ النفوسَ بالمحسوسِ آنسُ، كما لم يكن سؤالُ إبراهيمَ بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] شكًّا في الحالِ<sup>(١)</sup>.

٢- في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أمرٌ بملازمةِ التقوى، وعدمِ تزلزلِ الإيمانِ؛ ولذلك جاءَ بـ ﴿إِنَّ﴾ المفيدة للشكِّ في الإيمانِ؛ ليعلمَ الداعي إلى ذلك السُّؤالِ خشيةً أن يكونَ نشأ لهم عن شكٍّ في صدقِ رسولهم، فسألوا معجزةً يعلمون بها صدقه بعد أن آمنوا به، وهو قريبٌ من قوله تعالى لإبراهيمَ المحكيِّ في قوله: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أي: ألم تكن غنيًّا عن طلبِ الدليلِ المحسوسِ؛ فالمرادُ بالتقوى في كلامِ عيسى ما يشملُ الإيمانَ وفروعه<sup>(٢)</sup>.

٣- أنه ينبغي للإنسانِ في حالِ الدعاء أن يذكرَ هذينِ المعنيينِ: الألوهيةَ والربوبيةَ؛ لقوله: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾؛ لأنَّ هذا نوعٌ من التوسُّلِ؛ يتوسَّلُ الإنسانُ بالوهيةِ الله عزَّ وجلَّ وربوبيته<sup>(٣)</sup>.

## الفوائد العلميّة واللطائف:

١- إثباتُ وحيِّ الله عزَّ وجلَّ؛ لقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾، ووحْيُ الله ينقسمُ إلى قسمينِ: وحيِّ شرعٍ، وهو لا يكونُ إلَّا للأنبياءِ والرُّسلِ، ووحْيِ إلهامٍ كما

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٠٥).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٧/١٠٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١٠٨)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٣٢).

في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨]، فالأول بتعلق بالشرع، والثاني بتعلق بالكون<sup>(١)</sup>.

٢- في قوله تعالى: ﴿أَنْ آمَنُوا بِِّي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ قَدَّمَ اللهُ تعالى ذِكْرَ الْإِيمَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ صِفَةُ الْقَلْبِ، وَالْإِسْلَامَ عِبَارَةٌ عَنِ الْانْقِيَادِ وَالْخُضُوعِ فِي الظَّاهِرِ، يَعْنِي: آمَنُوا بِقُلُوبِكُمْ، وَاتَّقَادُوا بِظَوَاهِرِكُمْ<sup>(٢)</sup>.

٣- أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ آمَنُوا بِِّي وَبِرَسُولِي﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- جَوَازُ حَذْفِ الْمَعْلُومِ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿آمَنَّا﴾ وَلَمْ يَقُولُوا: بِكَ وَبِرَسُولِكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مَعْلُومٌ، فَالْمُطْلَقُ يُحْمَلُ عَلَى الْمَقِيدِ إِذَا كَانَ مَعْلُومًا، فَإِذَا عَقَّدَ الْإِنْسَانُ عَقْدًا، وَذَكَرَ عِنْدَ الْإِيجَابِ شُرُوطًا، فَقَالَ الْآخَرُ: قَبِلْتُ الْبَيْعَ مِنْكَ؛ مِثَالُ ذَلِكَ قَالَ: بَعْتُكَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى أَنْ أَسْكُنَ فِيهِ سَنَةً، فَقَالَ: قَبِلْتُ الْبَيْعَ؛ هَلْ يَثْبُتُ الشَّرْطُ؟ نَعَمْ يَثْبُتُ؛ لِأَنَّ قَبُولَهُ الْبَيْعِ، يَعْنِي الْقَبُولَ بِهَذَا الشَّرْطِ، وَإِنْ لَمْ يُذَكَّرْ، لَكِنَّهُ مَعْلُومٌ مِنَ السِّيَاقِ<sup>(٤)</sup>.

٥- جَوَازُ اسْتِثْبَاتِ الشَّيْءِ بِالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، اسْتَدْلَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَلَكِنَّ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى إِطْلَاقِهِ فِيهِ نَظَرٌ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْإِسْلَامَ إِذَا أُفْرِدَ دَخَلَ فِيهِ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢٧).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦١).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢٧).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٥٢٨).

(٥) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)).

الإيمان، وإذا ذُكِرَ مع الإيمان صار له معنى آخر، ويدل لهذا التفصيل قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، يعني: لم يدخل لكن قريباً يدخل؛ لأنَّ (لَمَّا) تُفيدُ النَّفْيَ مع قُرْبِ المنفي، وتُخَرِّجُ هذه الآية بناءً على ذلك بأنهم جمعوا بين الإيمان والإسلام، فيكون الإيمان في القلوب، والإسلام في الجوارح، يعني: أنهم آمنوا وانقادوا انقياداً تاماً لأوامر الله ورسوله<sup>(١)</sup>.

٧- في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أنت هذه المعاطيف مرتبة ترتيباً لطيفاً؛ وذلك أنهم لا يأكلون منها إلا بعد معاينة نزولها، فيجتمع على العلم بها حاسة الرؤية وحاسة الذوق؛ قال تعالى: ﴿تَأْكُلُ مِنْهَا﴾ فبذلك يزول عن القلب قلق الاضطراب، ويسكن إلى ما عاينه الإنسان وذاقه ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾، وباطمئنان القلب يحصل العلم الضروري بصدق من كانت المعجزة على يديه؛ إذ جاءت طبق ما سأل ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

٨- قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ هذه متعلقة بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ لأن الإيمان يحتمل على التقوى، وهي شرط في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٩- يُستفاد من قوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ أن وقوع الشيء يعطي يقيناً أكثر من الخبر به<sup>(٤)</sup>.

١٠- يُستفاد من قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ أن عيسى ابن مريم مُفتقر إلى الله تعالى وإلى عطائه، وكذلك

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥١٩).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/٥٣٠).

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإنهم جميعًا لا يستطيعون أن يأتوا بكل ما يُطلب منهم، وأنهم كغيرهم؛ مُفتقرون إلى الله، يسألونه ويلجؤون إليه، فبعيسى عليه السلام يُنادي: يا الله، يا ربنا، إنني أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء، نَعْمُنَا بالخير والفرحة كالعيد، فتكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا، وأن هذا من رزقك، فارزقنا وأنت خير الرازقين؛ فهو إذن يعرف أنه عبد، وأن الله ربه، وينبني على هذه الفائدة بطلان دعوى النصارى: أنه إلههم<sup>(١)</sup>.

١١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> سأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين: مصلحة الدين، بأن تكون آية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقًا<sup>(٣)</sup>.

١٢- أن ما جاء على خلاف المعهود وكان خارقًا للعادة فهو آية؛ لقوله: ﴿وَآيَةٌ مِنْكَ﴾<sup>(٤)</sup> وجه ذلك أنه لم يُعهد أن المائدة تنزل من السماء عيانًا يُشاهدُها النَّاسُ، فيكون نزولها- ولا سيما أنه بطلب بعد اقتراح- آيةً ودليلاً على صدق من تكلم بالرسالة<sup>(٥)</sup>.

١٣- في قوله تعالى: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup> إطلاق الرزق على غير الله عز وجل؛ بمعنى: أنه يصح أن نصف غير الله بأنه رازق؛ لأن الرزق بمعنى: العطاء، ولكن الرزق الأكمل والأوفى هو رزق الله تبارك وتعالى<sup>(٧)</sup>.

١٤- إثبات الكلام لله عز وجل؛ لقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، وأن

(١) يُنظر: ((في ظلال القرآن)) لسيد قطب (٢/ ١٠٠٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٣٣، ٥٣٢/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٣٣/٢).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

كلامه تعالى بحرفٍ وصوتٍ؛ لأنه تعالى قال قولاً وصل إليه، ولا يمكن أن يصل إليه إلا بصوتٍ، وأن كلام الله تبارك وتعالى بحرفٍ، بل بحروفٍ متتابعةٍ؛ لأن الله قال: ﴿إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ﴾ وهذه حروفٌ متتابعةٌ لا إشكال فيها<sup>(١)</sup>.

١٥- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ خَطَرَ طَلِبِ الْآيَاتِ مِنَ الْأُمَّمِ، وَأَنَّهُ إِذَا جَاءَتِ الْآيَاتُ الْمَطْلُوبَةُ فَقَدْ عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْهَلَاكِ، ففِيهِ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ مِنَ اللَّهِ بِهَلَاكِ مَنْ يَكْذِبُ بَعْدَ الْمَعْجِزَةِ؛ حَتَّى لَا يُصْبِحَ طَلِبُ الْخَوَارِقِ تَسْلِيَةً وَلَهْوًا، وَحَتَّى لَا يَمْضِيَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ الْبِرْهَانِ الْمَفْجَمِ دُونَ جِزَاءِ رَادِعٍ، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ مَتَى طَلِبَتِ الْأُمَّةُ آيَةً مَعِينَةً وَحَصَلَتْ لَهُمْ؛ حَقٌّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ<sup>(٢)</sup>، وَفِيهِ أُنْمٌ زَاجِرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ<sup>(٣)</sup>.

١٦- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ﴾ فِيهِ تَحْذِيرٌ لَهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ؛ إِعْلَامًا بِأَهْمِيَّةِ الْإِيمَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَعَلَ جِزَاءَ إِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَّا يَعُودُوا إِلَى الْكُفْرِ؛ فَإِنْ عَادُوا عُذِّبُوا عَذَابًا أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ سَائِرِ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ تَعَاَصَدَ لَدَيْهِمْ دَلِيلُ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عُذْرٌ<sup>(٤)</sup>.

١٧- إِثْبَاتُ أَنَّ الْعَذَابَ لَهُ أَعْلَى وَهُوَ أَذْنَى؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَذَابَ يَتَفَاوَتْ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرَ، وَتَفَاوَتْ الْعَذَابِ أَسْبَابُهُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: قَلَّةُ الدَّاعِي إِلَى الذَّنْبِ؛ فَإِنَّ قَلَّةَ الدَّاعِي إِلَى الذَّنْبِ تُوجِبُ شِدَّةَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ، وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٣٨/٢).

(٢) يُنظَرُ: ((في ظلال القرآن)) لمسيد قطب (١٠٠٠/٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))

(٥٣٨/٢).

(٣) يُنظَرُ: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٥٨/٦).

(٤) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عاشور)) (١١١/٧).



((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يُزكِّيهم - وفي رواية: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر))<sup>(١)</sup>.

١٨ - يُسْتَعَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾  
 أَنْ كُفِّرَ مَنْ رَأَى الْآيَاتِ لَيْسَ كَكُفْرِ مَنْ لَمْ يَرَوْهَا؛ فَالْأَوَّلُ أَعْظَمُ، أَي: مَنْ رَأَى  
 الْآيَاتِ؛ لِأَنَّ مَنْ رَأَى الْآيَاتِ فَقَدْ رَأَاهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، وَمَنْ نُقِلَتْ إِلَيْهِ فَقَدْ عَلِمَهَا  
 عِلْمَ الْيَقِينِ، أَي: بِوَسْطَةِ<sup>(٢)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١ - قَوْلُهُ: ﴿أَنْ آمَنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ فِي إِيرَادِ تَعَالَى لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 بِعِنْوَانِ الرِّسَالَةِ ﴿وَبِرَسُولِي﴾ تَنْبِيهُ عَلَى كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَأَنَّهُ قِيلَ:  
 آمَنُوا بِوَحْدَانِيَّتِي فِي الْأَلُوْهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَبِرِسَالَةِ رَسُولِي، وَلَا تُزِيلُوهُ عَنْ حَيْزِهِ  
 حَطًّا وَلَا رَفْعًا<sup>(٣)</sup>، مَعَ مَا فِي الْإِضَافَةِ مِنَ التَّشْرِيفِ لَهُ.

٢ - قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

اسْتِثْنَاءٌ مَبْنِيٌّ عَلَى سَوَائِلِ نَشَأَ مِنْ سَوَقِ الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَاذَا قَالُوا حِينَ  
 أَوْحِيَ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ؟ فَقِيلَ: قَالُوا: آمَنَّا...<sup>(٤)</sup>.

- وَفِيهِ مَنَاسِبَةٌ حَسَنَةٌ، حَيْثُ ثَبَّتَ النَّوْنُ فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ هُنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿بِأَنَّا﴾،  
 وَحُذِفَتْ مِنْ ﴿بِأَنَّا﴾ فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾  
 [آلِ عِمْرَانَ: ٥٢]؛ تَخْفِيفًا، وَكِلَاهُمَا جَائِزٌ، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ الْأَصْلُ، وَوَجْهُ  
 تَخْفِيفِ كُلِّ مِنَ الْمَوْضِعَيْنِ بِمَا وَرَدَ فِيهِ: أَنَّ آيَةَ الْمَائِدَةِ لَمَّا وَرَدَ فِيهَا

(١) يُنْظَرُ: ((نَظْمُ الدَّرَرِ)) لِلْبَقَاعِيِّ (٣٥٨/٦)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٥٣٩/٢).

وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٢) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٥٤٠/٢).

(٣) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ أَبِي السَّعْوَدِ)) (٩٦/٣).

(٤) يُنْظَرُ: ((الْمَصْدَرُ السَّابِقُ)).

التفصيل فيما يجب الإيمان به، وذلك قوله: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوقاها، ناسب ذلك ورود ﴿أَنَا﴾ على أوفى الحالين، وهو الورد على الأصل. وقيل: لَمَا كَانَ الْإِيمَانُ بَاطِنًا فَلَا بَدَّ فِي إِثْبَاتِهِ مِنْ دَلِيلٍ ظَاهِرٍ، وَكَانَ فِي سِيَاقِ عَدِّ النَّعْمِ، وَالطَّوَاعِمِ لَوْحِي الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ دَلُّوا عَلَيْهِ بِتَمَامِ الْأَنْقِيَادِ، نَاسَبَ الْمَقَامَ زِيَادَةَ التَّكْيِيدِ بِإِثْبَاتِ النُّونِ الثَّلَاثَةِ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَإَشْهَدُ بِأَنَّ﴾ بخلاف آل عمران.

- وأيضًا قال تعالى في آل عمران: ﴿أَمَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ...﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال هنا في المائدة: ﴿أَمَنَّا وَآشْهَدُ...﴾ [المائدة: ١١١] دون قوله: ﴿بِاللَّهِ﴾؛ لَأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَقَعْ إِفْصَاحٌ بِهَذَا التَّفْصِيلِ فِي آيَةِ آلِ عِمْرَانَ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، فلم يقع فيها (وَبِرَسُولِي)؛ إِجْزَاؤًا لِلْعِلْمِ بِهِ وَشَهَادَةِ السِّيَاقِ، وَلَأَنَّهُ تَقَدَّمَ ذِكْرُ اللَّهِ فَقَطُّ فِي آلِ عِمْرَانَ، وَهَنَا فِي الْمَائِدَةِ جَاءَ ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ فَلَمْ يَتَّقَيْدَ بِلَفْظِ الْجَلَالَةِ؛ إِذْ قَدْ تَقَدَّمَ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾؛ فَنَاسَبَ مَا فِي آلِ عِمْرَانَ الْإِجْزَاؤَ، كَمَا نَاسَبَ الْإِتْمَامُ فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ الْإِتْمَامَ، وَجَاءَ كُلُّ عَلَى مَا يَجِبُ، وَلَوْ قُدِّرَ وَرُودُ الْعَكْسِ لَمَا نَاسَبَ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ<sup>(١)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى...﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ لِبَيَانِ بَعْضِ مَا جَرَى بَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ بِدَلِيلِ الْإِظْهَارِ فِي مَوْقِعِ الْإِضْمَارِ- حَيْثُ قَالَ: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (قَالُوا)- وَ﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبَةٌ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: إِذْ كُرِّمَ، وَخُوطِبَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَرِيقِ تَلْوِينِ الْخُطَابِ وَالْإِلْتِفَاتِ<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنْظَرُ: ((مَلَاكُ التَّأْوِيلِ)) لِأَبِي جَعْفَرِ الْغُرْنَاطِيِّ (١/٨٧)، ((تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانٍ)) (٤/٤٠٨)، ((نَظْمُ الدَّرْرِ)) لِلْبَقَاعِيِّ (٦/٣٤٢).

(٢) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ أَبِي السَّعُودِ)) (٣/٩٦).

- وأبتدأَ الحواريُّونَ خطابَهم عيسىَ بنداؤهَ باسمِهِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ ما سيقولونَه أمرٌ فيه اقتراحٌ وكُلْفَةٌ له، وكذلك شأنُ مَنْ يُخاطَبُ مَنْ يَتَجَسَّمُ منه كُلْفَةٌ أنْ يُطِيلَ خطابَه؛ طلبًا لإقبالِ سَمْعِه إليه؛ ليكونَ أوَعَى للمقصودِ<sup>(١)</sup>.

٤- قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ فيه: تقديمُ الظرفِ ﴿عَلَيْنَا﴾ على المفعولِ: ﴿مَائِدَةً﴾ للاهتمامِ بالمقدمِ، والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ<sup>(٢)</sup>.

- وأسندَ ذلك إلى المائدةِ في قَوْلِهِ: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ لأنَّ شَرَفَ اليومِ مُستعارٌ من شَرَفِها<sup>(٣)</sup>.

٥- قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ تذييلٌ جارٍ مجزئ التعليلِ، أي: خيرٌ من يرزق؛ لأنَّه خالقُ الأرزاقِ، ومُعطيها بلا عَوْضٍ<sup>(٤)</sup>.

٦- قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ التعبيرُ عن الجوابِ بصيغةِ التَّعْيِيلِ ﴿مُنَزَّلُهَا﴾، المُنبِئَةِ عن التَّكثِيرِ، مع كونِ الدُّعاءِ منه عليه السَّلامِ بصيغةِ الإفعالِ ﴿أَنْزَلَ﴾؛ لإظهارِ كمالِ اللُّطْفِ والإحسانِ، مع ما فيه من مراعاةِ ما وَقَعَ في عبارةِ السَّائلينِ ﴿يُنزَّلُ﴾<sup>(٥)</sup>.

- وفي تصديرِ الجُمْلَةِ بكلمةِ التَّحْقِيقِ (إِنَّ) وجعلَ خبرها اسمًا (مُنزَّل) تحقيقٌ للوعدِ، وإيدانٌ بأنَّه تعالى مُنَجِّزٌ له لا محالةً، من غيرِ صارفٍ يُثنيهِ، ولا مانعٍ يُلويهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٠٥/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٩٨/٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)).

## الآيات (١١٦ - ١٢٠)

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ بِنُوحٍ ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ  
فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾  
مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا  
دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾  
إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ  
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾

## غريب الكلمات:

﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾: أي: قبضتني إليك؛ يُقال: تَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ واستوفيته: إذا أخذته  
كله حتى لم تترك منه شيئاً، واستيفاء الشيء استقصاؤه كله، ومنه يُقال للميت:  
توفاه الله، وأصل (وفي): يدلُّ على إكمال وإتمام<sup>(١)</sup>.

﴿الرَّقِيبَ﴾: أي: الحافظ، والعالم، والمطلع، وأصل (رقب): انتصابٌ لمرعاة  
شيء<sup>(٢)</sup>.

## مشكل الإعراب:

قوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٤)، ((تفسير ابن جرير)) (١٣٧/٩)، ((مقاييس  
اللغة)) لابن فارس (١٢٩/٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٨)، ((الكليات)) للكفوي  
(ص: ٣٢٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للمسجستاني (٢٣٦/١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤٢٧/٢)،  
((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٨٤).

﴿يَوْمٌ﴾: قُرِيَ بِالرَّفْعِ والنَّصْبِ، وهو مُعْرَبٌ عَلَى الْقَوْلِ الْمُخْتَارِ؛ لِأَنَّهُ مُضَافٌ إِلَى مُعْرَبٍ، فَبَقِيَ عَلَى حَقِّهِ مِنَ الْإِعْرَابِ؛ فَعَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ فَهُوَ خَيْرٌ لـ ﴿هَذَا﴾. وَعَلَى قِرَاءَةِ النَّصْبِ فَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ لِلْخَيْرِ الْمَحذُوفِ، أَيْ: هَذَا يَقَعُ أَوْ يَكُونُ يَوْمٌ يَنْفَعُ. وَقِيلَ: إِنَّ «يَوْمٌ» مَبْنِيٌّ فِي مَوْضِعِ رَفْعِ خَيْرٍ ﴿هَذَا﴾، وَلَكِنَّهُ بَنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ؛ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْفِعْلِ، وَجُمْلَةٌ ﴿هَذَا يَوْمٌ...﴾ مَقُولُ الْقَوْلِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ (١).

### المَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يُذَكِّرُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَضْرَةِ النَّصَارَى؛ تَوْبِيحًا لَهُمْ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، هَلْ أَنْتَ أَمَرْتِ النَّاسَ أَنْ يَجْعَلُوكَ وَأُمَّكَ مَعْبُودِينَ، تُعْبَدَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَيُجِيبُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْزَهُكَ يَا رَبِّ، عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ؛ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إِنْ كُنْتُ قَلْتُهُ فَأَنْتَ تَعَلَّمَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ، فَأَنْتَ تَعَلَّمُ مَا أَضْمِرُهُ فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا تُخْفِيهِ فِي نَفْسِكَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قَلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ يَعْبُدُوكَ؛ فَإِنَّكَ رَبِّي وَرَبُّهُمْ، وَكُنْتُ شَاهِدًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا قَبَضْتَنِي بَرَفَعِي إِلَى السَّمَاءِ حَيًّا، كُنْتُ أَنْتَ الْمَطَّلَعُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. قَالَ اللَّهُ مُجِيبًا لَهُ: هَذَا الْيَوْمَ - الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ - هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، مَا كَثُرْنَ فِيهَا عَلَى الدَّوَامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ لَهُ وَحْدَهُ مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) يُنظَرُ: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٤ - ٢٤٥)، ((التيبان في إعراب القرآن)) للعكبري

## تفسير الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي: واذكر يا محمد حين يقول الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة بحضرة النصارى تويحاً لهم: يا عيسى ابن مريم، هل قلت بنفسك للناس: اجعلوني أنا وأمِّي معبودين من دون الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>؟

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.

أي: قال عيسى عليه السلام: أنزهك يا رب، عن هذا الأمر الذي لا يليق بك، وما ينبغي لي أن أدعي ذلك؛ فما أنا وأمِّي إلا عبدان من عبادك<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾.

أي: إن كان قد صدر مني هذا فقد علمته يا رب؛ فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته<sup>(٣)</sup>.

﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٦/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٣٢/٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٤١-٥٤٢).

واختار هذا القول أن ذلك يكون يوم القيامة: ابن كثير في ((تفسيره)) (٢٣٢/٣)، والشنقيطي في ((العذب النمير)) (٣٩٨/٢)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٥٤١/٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٦/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٣٢/٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٤٢-٥٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٦/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٣٢/٣).

أي: وأنت تعلم يا رب، ما أضمرته في نفسي مما لم أنطق به؛ فكيف بما قد نطقت به؟ ولا أعلم أنا ما أخفيته عني في نفسك، فلم تطلعني عليه؛ لأنني لا أعلم من الأشياء إلا ما أعلمته؛ فأنت الرب الخالق، وأنا العبد المخلوق<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوْسٌ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦].

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

أي: فأنت العالم بخفيات الأمور التي لا يعلمها سواك<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١٧).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾

أي: ما قلت لهم إلا الذي كلفتنني بإبلاغه؛ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، فما أمرتهم إلا بعبادة الله تعالى وحده، الذي هو ربي وربهم، فأنا عبد مريب ومثلهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾

أي: كنت شاهداً على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم<sup>(٤)</sup>.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٦-١٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٤٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٣٧).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٥٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٣٣).

أي: فلَمَّا قبضتني إليك كنت أنت المطلع عليهم دوني<sup>(١)</sup>.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً بموعظة، فقال: يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حُفَاءَ عرَاءَ غُرْلَا؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤَخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]، قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ)) وفي رواية: ((فيقال: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ))<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

أي: وأنت الذي تشهد على كل شيء، ولا يخفى عليك شيء، ثم تجازي عبادك بحسب ما قدموه من خير وشر<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨).

﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٧/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٥٠-٥٥٢).

وقد سبق في تفسير سورة آل عمران تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِّكَ﴾، أي: متوفيك وفاة نوم.

قال الواحدي: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ يعني: رفعتني إلى السماء. ((الوجيز)) (ص: ٣٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠) واللفظ له.

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٧/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).



أي: إن تُقدِّر لهم فَعَل ما يَسْتَحِقُّون أن يُعَذَّبوا عليه؛ لأنَّهم أهلٌ لذلك، فإنَّهم عبادُك، الذين أنت أرحمُ بهم من أنفسهم وأُمَّهاتهم، وأعلمُ بأحوالهم، فلولا أنَّهم عبادٌ مُتَمَرِّدون مستحقُّون للعذاب لم تُعَذَّبهم، وهم عبادٌ مستسلمون لك طوعاً أو كرهاً؛ فلا يَقْدِرُونَ على الامتناعِ ممَّا أردتَ بهم، ولا يَدْفَعُونَ عن أنفسهم ضراً يَحُلُّ بهم<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

أي: وإن قَدَّرتَ لهم أسبابَ المغفرةِ فغفرتَ لهم، فذلك صادرٌ عن تمامِ عزَّتِكَ (عزَّةُ القَدْرِ والقَهْرِ والغلبةِ والامتناعِ)، لا عن عجزٍ وذُلٍّ وضعفٍ؛ فإنَّك إن أردتَ الانتقامَ منهم؛ فلا يَقْدِرُ أحدٌ أن يمنعَ عنك ذلك، لأنَّك العزيز، وصادرٌ أيضاً عن حِكْمَةٍ؛ فمن مُقتضى حِكْمَتِكَ أن تغفِرَ لِمَن أتى بأسبابِ المغفرةِ، فأنت الحكيمُ، تهدي من هديتَ من خَلَقْتَ إلى التوبةِ، وتبيل مغفرتك<sup>(٢)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية، وقال عيسى عليه السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فرفع يديه وقال: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، وبكى! فقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى مُحَمَّدٍ - وربُّكَ أعلمُ - فسَله ما يُبْكِيكَ؟ فأتاهُ جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ فسألَهُ، فأخبرَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قالَ - وهو أعلمُ - فقال اللهُ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إنا سنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ ولا نَسْؤُكَ<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٩/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٥٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٩/٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/١١٧) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٠٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: ((قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددُها، والآية: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾))<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)﴾.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا انقَضَى جوابُ عيسى عليه الصلاة والسلام على هذا الوجه الجليل من تفويض الأمر لله في قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تشوَّف السامعُ إلى جوابِ الله له، فقال تعالى مشيراً إلى كونِ جوابه حقاً ومضمونه صدقاً، منبهاً على مدحه، حاثاً على ما بُنيت عليه الشُّورَةُ من الوفاء بالعُقود<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

القراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾ قراءتان:

١ - قراءة ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ بِنَصْبِ ﴿يَوْمٌ﴾ وجعلهُ ظرفاً للفعل ﴿يَنْفَعُ﴾، وجعل ﴿هَذَا﴾ إشارةً إلى ما تقدّم من الكلام، فقيل: المعنى أن هذا الغفران والعذاب يقع في يومٍ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ<sup>(٣)</sup>، وقيل: المعنى أن الله تعالى أجاب عيسى

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٥٠)، والنسائي (١٠١٠)، وأحمد (٢١٣٨٨)، والحاكم (٨٧٩).

صححه الحاكم في ((المستدرک)) (٨٧٩)، وحسنه ابن القطان في ((بيان الوهم والإيهام))

(٥/٧٠١)، والالكبائي في ((صحيح ابن ماجه)) (١١١٨)، وحسن إسناده النووي في ((الخلاصة))

(١/٥٩٥)، وصحح إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (١/٣٧٥).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٣٦٨)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/٢٢٨).

(٣) قرأ بها نافع. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).

حين قال: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فقال له عزَّ وجلَّ: هذا القولُ النافعُ، أو هذا الصَّدقُ النافعُ يومَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ فِي الدُّنْيَا صِدْقُهُمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَالْيَوْمَ وَقْتُ الْقَوْلِ وَالصَّدَقِ النَّافِعِ<sup>(١)</sup>.

٢- قِراءَةُ ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ بِرَفْعِ ﴿يَوْمٌ﴾ وَجَعَلَ ﴿هَذَا﴾ مُبْتَدَأً، وَ﴿يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾ خَبَرًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذَا يَوْمٌ مَنْفَعَةٌ الصَّادِقِينَ<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾

أي: قال الله تعالى مُجِيبًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام: يَوْمُ الْقِيَامَةِ هَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يَجِدُ فِيهِ الصَّادِقُونَ - الَّذِينَ اسْتَقَامَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَأَخْلَصُوا لِلَّهِ تَعَالَى وَاتَّبَعُوا شَرْعَهُ فِيهَا - ثَمَرَةً صِدْقِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ صِدْقَ الصَّادِقِينَ فِي الدُّنْيَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ، شَرَحَ كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ النَّفْعِ وَهُوَ الثَّوَابُ<sup>(٤)</sup>، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾

= وَيُنْظَرُ لِمَعْنَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: ((الْحِجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ)) لابن خالويه (ص: ١٣٦).

(١) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ)) (٩/١٤١).

(٢) قَرَأَ بِهَا الْبَاقُونَ. يُنْظَرُ: ((النَّشْرُ)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).

وَيُنْظَرُ لِمَعْنَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ: ((الْحِجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ)) لابن خالويه (ص: ١٣٦)، ((حِجَّةُ

الْقِرَاءَاتِ)) لابن زنجلة (ص: ٢٤٢).

(٣) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)) (٣/٢٣٥)، ((تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ)) (ص: ٢٥٠)، ((تَفْسِيرُ ابْنِ عَثِيمِينَ -

سُورَةُ الْمَائِدَةِ)) (٢/٥٦٦).

(٤) يُنْظَرُ: ((تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ)) (١٢/٤٦٩).

أي: للصّادقين جنّاتٌ تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، ماكينَ فيها على الدّوام<sup>(١)</sup>.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

أي: رضي الله عن هؤلاء الصّادقين باعترافهم بالإيمان، وبما قاموا به من طاعة الرحمن، ورضوا هم عن الله تعالى في توفيقه لهم إلى الصّالحات، وفي وفائه بوعدِهِ لهم بدخول الجنّات<sup>(٢)</sup>.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ((ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ تَعَالَى، ثُمَّ يَقُولُ: سَلُونِي أُعْطِيَكُمْ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيَقُولُ: رِضَائِي أَحْلَكُم دَارِي، وَأَنَا لَكُمْ كَرَامَتِي، فَسَلُونِي أُعْطِيَكُمْ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا، فَيُشْهِدُهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ))<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

أي: هذا الثواب الذي منّهم الله تعالى إياه - من دخول الجنّات التي تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً، مع رضاه عنهم، ورضاهم عن ربهم - هو الظفر الكبير الذي لا أعظم منه<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٦٧-٥٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٤٢-١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٦٨).

(٣) أخرجه الدارمي في ((الرد على الجهمية)) (١٤٤)، وعبد الله بن أحمد في ((السنة)) (١/٢٥٠)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٠٨٤) والدارقطني في ((روية الله)) (٦١).

قال الذهبي في ((العلو)) (٣٠): مشهورٌ وأمرُ الطرق. وقال ابن القيم في ((حادي الأرواح)) (٢٦٨): حديثٌ كبيرٌ عظيمُ الشأن، رواه أئمة السنة، وتلقوه بالقبول، وجعل به الشافعيُّ مُسنده. وجوّد إسناده البوصيريُّ في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٢/٢٥٩)، وقال الهيثميُّ المكي في ((الزواجر)) (٢/٢٦٢): إسناده جيّد قوي. وحسنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣٧٦١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/١٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين -

سورة المائدة)) (٢/٥٦٨-٥٦٩).

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠).

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ عِيسَى تَبَرَّأَ مِمَّا يَدَّعِي النَّصَارَى فِيهِ؛ بَيَّنَّ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّ عِيسَى لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا لَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ<sup>(١)</sup>:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾.

أَي: هُوَ وَحْدَهُ الْخَالِقُ الْمَالِكُ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ، وَالْمُدَبِّرُ لِذَلِكَ كُلِّهِ، فَالْجَمِيعُ مِلْكُهُ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ وَحْدَهُ سَبْحَانَهُ، دُونَ عِيسَى أَوْ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أَي: وَهُوَ سَبْحَانَهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، وَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مُنْقَادَةٌ لِمَشِيئَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

## الْفَوَائِدُ التَّرْبُويَّة:

١ - إثباتُ عِلْمِ اللَّهِ بِمَا فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾؛ فَاللَّهُ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٥٧٤ / ٢).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٤٣ / ٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٣٦ / ٣).

قال ابن عاشور: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿مُلْكٌ﴾، أَي: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فَيُفِيدُ قَصْرَهَا عَلَى كَوْنِهَا لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ، وَليْسَ مَعْطُوفًا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ إِذْ لَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ: لِلَّهِ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الْمُلْكَ يُضَافُ إِلَى الْأَقْطَارِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَمَاكِينِ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ لِي مُلْكٌ مَضْرُوبٌ﴾ [الزخرف: ٥١]، وَيُضَافُ إِلَى صَاحِبِ الْمُلْكِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ((تفسير ابن عاشور)) (١٢٠ / ٧).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن جرير)) (١٤٣ / ٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠).

عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ، فَيَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

٢- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ كَمَالَ مِرَاقِبَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بِحَيْثُ لَا يَفْقِدُهُ عِنْدَ أَمْرِهِ، وَلَا يَجِدُهُ عِنْدَ نَهْيِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

٣- أَنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَحَدُ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، يُفَوِّضُ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾، ﴿وَإِنْ نَعْفِرْ لَهُمْ﴾، وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نُفَوِّضَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا يَفْعَلُهُ، وَلَا تَعْتَرِضَ عَلَيْهِ؛ فَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لِكَمَالِ حِكْمَتِهِ، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ عَابِدُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

٤- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقِ، وَالتَّرغِيبُ فِيهِ، وَبَيَانُ الْفَائِدَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الصَّدَقِ؛ لِكَوْنِهِ نَافِعًا لِلْإِنْسَانِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْحَرِجِ، الَّذِي يَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى مَا يَنْفَعُهُ<sup>(٤)</sup>.

٥- أَنَّ الْفَوْزَ حَقِيقَةً لَيْسَ بِرِبْحِ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْجَاهِ وَالرَّئَاسَةِ؛ الرَّبْحُ الْعَظِيمُ أَوْ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ هُوَ فَوْزُ الْإِنْسَانِ بِجَنَاتِ النِّعَمِ - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِهَا - وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>.

## الفوائد العلمية واللطائف:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مَعْنَى (دُونَ) إِمَّا الْمَغَايِرَةَ أَوْ الْقُصُورَ؛ فَعَلَى

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٦٢١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٤٦).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٥٤).

(٣) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٥٦٢)، وَيَنْظَرُ أَيْضًا: ((تفسير ابن عادل)) (٧/٦٢٤).

(٤) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٦٩).

(٥) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٥٧٣).

المغايرة يكون فيه تنبيهٌ على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلاً عبادة، فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده، وعلى القصور؛ فإنهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة، وإنما زعموا أن عبادتهما توصل إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وكأنه قيل: اتخذوني وأمِّي إلهين متوصلين بنا إلى الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

٢- إثبات القول لله؛ لقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾، ولقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾، وفي القرآن إثبات الكلام، وإثبات النداء، وكلُّ هذا يدلُّ على أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقة بحرفٍ وصوتٍ؛ أمّا كونه بحرفٍ: فلأن الكلمات التي جاءت بعد القول حروفٌ، وأمّا كونه بصوتٍ؛ فلأن الله تعالى يُخاطبُ به عيسى، وعيسى يردُّ عليه، وهذا مذهبُ أهل السنة والجماعة، وهو الواجبُ على كلِّ مؤمن<sup>(٢)</sup>.

٣- في سؤالِ الله عيسى عليه السلام بقوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إلهِينَ...﴾ دون النصارى مع كونه تعالى عالماً بأن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك - عدّة أوجه:

الأول: أن المراد به توبيخ الكفرة الذين اتخذوا عيسى وأمّه إلهين، وتبكيّتهم<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أنه تعريضٌ بالإرهاب، والوعيد بتوجه عقوبة ذلك إلى من قال هذا القول إن تنصل منه عيسى، فيعلم أحبارهم الذين اخترعوا هذا القول أنهم المراد بذلك، والمعنى: أنه إن لم يكن هو قائل ذلك، فلا عذر لمن قاله؛ لأنهم زعموا

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٥٢٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٦٤)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٤).

أنهم يتبعون أقوال عيسى وتعاليمه<sup>(١)</sup>.

الثالث: تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه، كما يقول القائل لآخر: (أفعلت كذا وكذا؟) ممّا يعلم المقول له ذلك أنّ القائل يستعظمُ فعل ما قال له: (أفعلته)، على وجه النهي عن فعله، والتّهديد له فيه<sup>(٢)</sup>.

الرابع: أنّ المراد به إعلام عيسى أنّ قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده، وبدّلوا دينهم بعده<sup>(٣)</sup>.

٤- في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ كانت المبادرة من عيسى عليه السّلام بتزيه الله تعالى أهمّ من تبرّئه نفسه بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِي...﴾ على أنّها مقدّمة للتبرّي؛ لأنّه إذا كان يُنزّه الله عن ذلك، فلا جرم أنّه لا يأمر به أحدًا<sup>(٤)</sup>.

٥- في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ... إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ كمال أدب المسيح عليه الصّلاة والسّلام في خطابه لربه؛ فلم يقل عليه السلام: (لم أقل شيئاً من ذلك)، وإنّما أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كلّ مقالة تُنافي منصبه الشّريف، وأن هذا من الأمور المُحالّة، ونزّه ربه عن ذلك أنّم تزيه، وردّ العِلْمَ إلى عالم الغيب والشّهادة<sup>(٥)</sup> كذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾؛ فهو يُشعر بأنّه رسول مأمور، مكلف بالأمر<sup>(٦)</sup>.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١١٣/٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣٤/٩).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١١٤/٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).

وقيل: لم يقل بأنّي ما قلت هذا الكلام؛ لأنّ هذا يجري مجرى دعوى الطّهارة والنزاهة، والمقام

مقام الخُضوع والتواضع. يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٦٦/١٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٢٢٣/٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة))



٦- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أَنَّهُ لَا حَقَّ لِعِيسَى فِي الْأُلُوهِيَّةِ وَلَا الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَلِذَا تَبَرَّأَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ لَهُ، وَنَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّي﴾ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ رُبُوبِيَّةٌ لَيْسَ لَهُ أُلُوهِيَّةٌ، فَالْأُلُوهِيَّةُ حَقٌّ خَاصٌّ لِلَّهِ، وَإِذَا كَانَ الرَّسُلُ - بَلْ خُلَاصَةٌ الرَّسُلُ - لَيْسَ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْأُلُوهِيَّةِ، فَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى؛ فَلَا أَحَدٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَحِقُّ أَنْ تَعْبُدَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

٧- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ خَصَّ النَّفْسَ؛ لِأَنَّهَا مَطْنَةُ الْكُفْرِ، وَالْإِنطَوَاءِ عَلَى الْمَعْلُومَاتِ<sup>(٢)</sup>.

٨- فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ أَنَّ مَنْ ادَّعَى عِلْمَ الْغَيْبِ فَقَدْ ادَّعَى أَنَّهُ شَرِيكٌ لِلَّهِ؛ وَجَهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّهُ أَتَى بِضَمِيرٍ فَضَّلَ ﴿أَنْتَ﴾ بَيْنَ طَرَفَيْ الْجُمْلَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْحَضَرِ، يَعْنِي: أَنْتَ لَا غَيْرُكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ<sup>(٣)</sup>.

٩- أَنَّ الرَّسُلَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شُهَدَاءُ عَلَى أُمَّتِهِمْ مَا دَامُوا فِيهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ شُهَدَاءُ عَلَى مَا يَرَوْنَ أَوْ يَسْمَعُونَ، وَلَيْسُوا شُهَدَاءَ عَلَى غَائِبٍ بَعِيدٍ لَا يَرَوْنَهُ وَلَا يَسْمَعُونَهُ؛ لِأَنَّ الرَّسُلَ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ<sup>(٤)</sup>.

١٠- يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغَفَّرْتُمْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حِكْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَعْلِ الْخَلْقِ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قِسْمَيْنِ: مُعَذَّبٍ، وَمَغْفُورٍ لَهُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وَلَوْلَا هَذَا الْإِنْقِسَامُ مَا ظَهَرَ فَضْلُ الْإِيمَانِ، وَلَا شُرْعَ

(١) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٤٤، ٥٥١).

(٢) يُنظَرُ: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤١٧).

(٣) يُنظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/٥٤٨).

(٤) يُنظَرُ: ((المصدر السابق)) (٢/٥٥١).

الجهاد، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا أُرْسِلتِ الرُّسُلُ، لكنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ اقْتَضَتْ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ قِسْمِينَ<sup>(١)</sup>.

١١- قال تعالى: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾، ولم يقل: (وَمَنْ فِيهِنَّ)، فغلبَ غيرَ العقلاءِ على العقلاءِ؛ والسببُ فيه التَّنبِيهُ على أَنَّ كَلَّ المخلوقاتِ مُسَخَّرُونَ في قبضةِ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وهم في ذلك التَّسْخِيرِ كالجَماداتِ التي لا قُدْرَةَ لها، وكالْبَهائمِ التي لا عَقْلَ لها، فَعِلْمُ الكَلِّ بالنَّسبةِ إلى عِلْمِهِ كَلَّا عِلْمٍ، وَقُدْرَةُ الكَلِّ بالنَّسبةِ إلى قُدْرَتِهِ كَلَّا قُدْرَةٍ<sup>(٢)</sup>.

### بَلَاغَةُ الْآيَاتِ:

١- قَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ استئنافٌ مُقَرَّرٌ للتَّنْزِيهِ، وَمُبَيِّنٌ لِلْمُنْزَهِ مِنْهُ، وَإِثَارٌ ﴿لَيْسَ﴾ على الفِعلِ المنفِيِّ؛ لظُهُورِ دَلالَتِهِ على اسْتِمْرارِ انْتِفَاءِ الحَقِّيقَةِ، وإفادَةِ التَّأكِيدِ بما في حَبْرِهِ مِنَ البَاءِ في ﴿بِحَقٍّ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ استئنافٌ مُقَرَّرٌ لِعَدَمِ صُدُورِ القَوْلِ المذکورِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالطَّرِيقِ البُرْهَانِيِّ؛ فَإِنَّ صُدُورَهُ عَنْهُ مُسْتَلْزِمٌ لِعِلْمِهِ تَعَالَى بِهِ قَطْعًا، فَحَيْثُ انْتَفَى عِلْمُهُ تَعَالَى بِهِ انْتَفَى صُدُورُهُ عَنْهُ حَتْمًا؛ ضَرُورَةٌ أَنَّ عَدَمَ اللّازِمِ مُسْتَلْزِمٌ لِعَدَمِ المَلْزُومِ<sup>(٤)</sup>.

٣- قَوْلُهُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ استئنافٌ مَسْوقٌ لِبَيانِ ما صَدَرَ عَنْهُ قَدْ أُدْرِجَ فِيهِ عَدَمُ صُدُورِ القَوْلِ المذکورِ عَنْهُ على أَبْلَغِ وَجْهِ وَأَكْثَرِهِ؛ حَيْثُ حَكَمَ بِانْتِفَاءِ صُدُورِ جَمِيعِ الأَقْوالِ المِغايِرَةِ لِلْمَأْمُورِ بِهِ، فَدَخَلَ فِيهِ انْتِفَاءُ صُدُورِ القَوْلِ

(١) يُنْظَرُ: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٤).

(٢) يُنْظَرُ: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٩).

(٣) يُنْظَرُ: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٠-١٠١).

(٤) يُنْظَرُ: ((المصدر السابق)).

المذكور دخولا أوليًا، أي: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به<sup>(١)</sup>.

- وعبر بقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾، ولم يقل: (ما أمرتهم إلا ما أمرتني به)، وهو من باب وضع القول موضع الأمر؛ نزولاً على موجب الأدب الحسن؛ لئلا يجعل نفسه وربّه أمرين معاً<sup>(٢)</sup>.

٤- قوله: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ استئناف جرى مجرى التعليل لما قبله، كأنه قيل: لأنك تعلم ما أخفيه في نفسي؛ فكيف بما أعلنه<sup>(٣)</sup>!

٥- قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ تعليل لمضمون الجملتين منطوقاً ومفهوماً، وهو تقرير وتأکید للجملتين: ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ وقوله: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾؛ لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب، لا ينتهي إليه علم أحد<sup>(٤)</sup>.

٦- قوله: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله، وفيه إيدان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وشبه الجملة ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بشهيد، وتقديمه لمراعاة الفاصلة<sup>(٥)</sup>.

- والتعبير بصيغة فعيل ﴿شَهِيدٌ﴾؛ للمبالغة في وصفه بكونه شهيداً، أي: رقيباً، كثير الحفظ عليهم<sup>(٦)</sup>.

٧- قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٠١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤١٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٠٠-١٠١).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/٦٩٣)، ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٠٠-١٠١).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/١٠٢).

(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤١٩).

الْحَكِيمِ ﴿١﴾: في ختام هذه الآية بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ - مع كون المتبادر أن تُخْتَمَ بقوله: (فإنك أنت الغفور الرحيم) - مناسبة حسنة لطيفة، وفي هذه المناسبة أوجه؛ منها: أن مقصود عيسى عليه السلام تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى، وترك الاعتراض بالكلية؛ ولذلك ختم الكلام بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: قادرٌ على ما تُريد في كل ما تفعل، لا اعتراض عليك؛ فإنه لو قال: (فإنك أنت الغفور الرحيم)، أشعر ذلك بكونه شفيعاً لهم، فلما قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ دل ذلك على أن غرضه تفويض الأمر بالكلية إلى الله تعالى، وترك التعرض لهذا الباب من جميع الوجوه، ففوض أمرهم إلى الله؛ فهو أعلم بما يُجازيهم به؛ لأنَّ المقام مقام إمساكٍ عن إبداء رغبة؛ لشدة هول ذلك اليوم، وغاية ما عرَّض به عيسى أنه جوَّز المغفرة لهم رحمةً منه بهم<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله تعالى؛ لأنَّ المعنى مُتعلق بالشرطين جميعاً؛ إذ لو ختمها بقوله: (فإنك أنت الغفور الرحيم) ضُغف معناه؛ فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ولا يكون له بالشرط الأول تعلق ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ على ما أنزله الله تعالى، وأجمع على قراءته المسلمون؛ فهو مُتعلق بالشرطين من جهة المعنى أولهما وآخرهما؛ إذ تلخيصه: إن تعذبهم فأنت العزيز الحكيم، وإن تغفر لهم فأنت العزيز الحكيم في الأمرين كليهما من التعذيب والغفران، فكان ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق بهذا المكان لعمومه، وأنه يجمع الشرطين، ولم يصلح (الغفور الرحيم) أن يحتمل ما احتمله ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أن هؤلاء قد استحقوا العذاب دون الغفران؛ فوجب أن تكون الفاصلة:

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤٢٠ - ٤٢١)، ((تفسير ابن

عاشور)) (٧/١١٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/٤٢١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/٥١٩).

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ ولم تجيء (الغفور الرحيم) بعد ذكر الغفران؛ لأنه لا يغفر لهم، فوجب أن تكون الفاصلة كما وردت ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ لأن الله سبحانه مُمتنعٌ عن القهر والمعارضة. وهو ما يُسمَّى عند البلاغيين بـ (التخيير)<sup>(١)</sup>.

٨- قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ فيه: التعبير بصيغة الماضي ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ عن المستقبل الذي سيكون يوم القيامة؛ للدلالة على تحقق الوقوع<sup>(٢)</sup>.

- وفيه تقديم الخبر ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ ﴿جَنَّاتٌ﴾ وهو يدل على الحصر، بمعنى أن هذا الثواب يختص به الصادقون<sup>(٣)</sup>.

٩- قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيه تبيية على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأمه<sup>(٤)</sup>.

- وتقديم الخبر ﴿لِلَّهِ﴾؛ لبيان اختصاص ملك السموات والأرض وما فيهن بالله عز وجل؛ فتقديم ما حقه التأخير يُفيد الحصر، سواء كان هذا الذي حقه التأخير خبراً أم مفعولاً، أو غير ذلك مما حقه التأخير<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحبي الدين درويش (٣/ ٥٤-٥٦).  
والتخيير: الإتيان بكلام يسوع أن يقف بقواف شتى، فيُخبر منها قافية مُرَّجة على سائرهما، ويُستدل بإثاره إياها على حسن اختياره، وصدق حسه، وقد تقضي البداهة الأولى بأن تكون غير ما اختاره، ولكنه عَزَفَ عن ذلك لسرِّ دقيق، وفي هذه الآية البداهة البدائية تقضي بأن تكون الفاصلة: (إنك أنت الغفور الرحيم)؛ لملاءمتها لقوله: ﴿إِنْ تَعَفَّرْ﴾، ولمناسبتها ما بين الغفران والغفور، ولكن هذا الوهم الناجم عن هذه البداهة سرعان ما يزول أثره عندما يذكر المتوهم أنهم استحقوا العذاب لا الغفران. يُنظر: المرجع السابق نفسه.

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٥٧١).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥١).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٥٧٦).

- وفيه تقديم ﴿السَّمَوَاتِ﴾ على ﴿الأَرْضِ﴾؛ لأنَّ السَّمَوَاتِ أشرفُ وأكبرُ، وآياتها أدلُّ وأكثرُ من الأرض<sup>(١)</sup>.

- وقال: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ لأنَّ (ما) يُطلقُ متناوِلاً للأجناسِ كُلِّها؛ فهو أولى بإرادة العموم<sup>(٢)</sup>.

تم بحمدِ الله تعالى المجلدُ الرَّابِعُ  
ويليه المجلدُ الخامسُ، وأوَّله  
تفسيرُ سورةِ الأنعامِ



(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/٣٧٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/٤٦٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/١٥١).



# الفهرس





## الفهرس

٤٠.....	الفوائد التربويّة	٥.....	تفسيرُ سُورَةِ المائدةِ
٤٠.....	الفوائد العِلْمِيَّةِ واللِّطائِفِ	٧.....	أَسْمَاءُ السُّورَةِ
٤٤.....	بِلاغَةُ الآيَةِ	٧.....	فَضَائِلُ السُّورَةِ وَخِصَائِصُهَا
٤٦.....	الآيَتانِ (٤ - ٥)	٩.....	مَقاصِدُ السُّورَةِ
٤٦.....	غَرِيبُ الكَلِماتِ	٩.....	مَوْضوعاتُ السُّورَةِ
٤٨.....	مُشكِلُ الإعرابِ	١١.....	الآيَتانِ (١ - ٢)
٤٨.....	المعنى الإجماليُّ	١١.....	غَرِيبُ الكَلِماتِ
٤٩.....	تفسيرُ الآيتينِ	١٤.....	مُشكِلُ الإعرابِ
٥٥.....	الفوائد التربويّة	١٥.....	المعنى الإجماليُّ:
٥٦.....	الفوائد العِلْمِيَّةِ واللِّطائِفِ	١٦.....	تفسيرُ الآيتينِ
٦٢.....	بِلاغَةُ الآيتينِ	٢٢.....	الفوائد التربويّة
٦٤.....	الآيَةِ (٦)	٢٤.....	الفوائد العِلْمِيَّةِ واللِّطائِفُ
٦٤.....	غَرِيبُ الكَلِماتِ	٢٦.....	بِلاغَةُ الآيتينِ
٦٥.....	مُشكِلُ الإعرابِ	٢٩.....	الآيَةِ (٣)
٦٥.....	المعنى الإجماليُّ	٢٩.....	غَرِيبُ الكَلِماتِ
٦٦.....	تفسيرِ الآيَةِ	٣٢.....	المعنى الإجماليُّ
٧٢.....	الفوائد التربويّة	٣٢.....	تفسيرُ الآيَةِ

١٢١.....	غريبُ الكَلِمات	٧٣.....	الفوائد العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
١٢١.....	المعنى الإجماليُّ	٧٨.....	بِلاغَةُ الآيَةِ
١٢٢.....	تفسيرُ الآيتين	٨٠.....	الآيات (٧ - ١١)
١٢٤.....	الفوائد التربويَّةُ	٨٠.....	غريبُ الكَلِمات
١٢٥.....	الفوائد العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٨١.....	مُشْكِلُ الإعرابِ
١٢٨.....	بِلاغَةُ الآيتين	٨٢.....	المعنى الإجماليُّ
١٣٠.....	الآيات (١٧ - ١٩)	٨٢.....	تفسيرُ الآياتِ
١٣٠.....	غريبُ الكَلِمات	٨٩.....	الفوائدُ التربويَّةُ
١٣٠.....	المعنى الإجماليُّ	٩١.....	الفوائد العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
١٣١.....	تفسيرُ الآياتِ	٩٥.....	بِلاغَةُ الآياتِ
١٣٧.....	الفوائدُ التربويَّةُ	٩٩.....	الآيات (١٢ - ١٤)
١٣٨.....	الفوائد العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٩٩.....	غريبُ الكَلِمات
١٤٢.....	بِلاغَةُ الآياتِ	١٠١.....	المعنى الإجماليُّ
١٤٦.....	الآيات (٢٠ - ٢٦)	١٠٢.....	تفسيرُ الآياتِ
١٤٦.....	غريبُ الكَلِمات	١١٠.....	الفوائدُ التربويَّةُ
١٤٨.....	مُشْكِلُ الإعرابِ	١١٣.....	الفوائدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
١٤٨.....	المعنى الإجماليُّ	١١٧.....	بِلاغَةُ الآياتِ
١٥٠.....	تفسيرُ الآياتِ	١٢١.....	الآيتان (١٥ - ١٦)

١٩٨.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	١٥٨.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
١٩٩.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	١٦٠.....	الفَوَائِدُ العَامَّةُ وَاللَّطَائِفُ
٢٠٢.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	١٦٥.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ
٢٠٣.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللَّطَائِفُ	١٦٧.....	الآيَاتُ (٢٧ - ٣٢)
٢٠٥.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	١٦٧.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ
٢٠٧.....	الآيَاتُ (٣٨ - ٤٠)	١٦٩.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٢٠٧.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ	١٧٠.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ
٢٠٧.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	١٧٧.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٢٠٨.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	١٧٩.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللَّطَائِفُ
٢١١.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	١٨٦.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ
٢١٢.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللَّطَائِفُ	١٩٠.....	الآيَاتَانِ (٣٣ - ٣٤)
٢١٦.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	١٩٠.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ
٢١٨.....	الآيَاتُ (٤١ - ٤٣)	١٩٠.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٢١٨.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ	١٩١.....	تَفْسِيرُ الآيَاتَيْنِ
٢٢٠.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	١٩٥.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللَّطَائِفُ
٢٢١.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	١٩٧.....	بَلَاغَةُ الآيَاتَيْنِ
٢٢٩.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	١٩٨.....	الآيَاتُ (٣٥ - ٣٧)
٢٣٢.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللَّطَائِفُ	١٩٨.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ

٢٦٦.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ	٢٣٥.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ
٢٦٧.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	٢٣٨.....	الآيَاتَانِ (٤٤ - ٤٥)
٢٦٧.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	٢٣٨.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ
٢٧٤.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٢٣٩.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٢٧٥.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٢٤٠.....	تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ
٢٧٨.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	٢٤٨.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٢٨٣.....	الآيَاتِ (٥١ - ٥٣)	٢٤٩.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٢٨٣.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ	٢٥٤.....	بَلَاغَةُ الآيَتَيْنِ
٢٨٤.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ	٢٥٦.....	الآيَاتَانِ (٤٦ - ٤٧)
٢٨٤.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	٢٥٦.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ
٢٨٥.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	٢٥٧.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ
٢٩٠.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٢٥٧.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٢٩٠.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٢٥٨.....	تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ
٢٩٣.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	٢٦١.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٢٩٦.....	الآيَاتِ (٥٤ - ٥٦)	٢٦١.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٢٩٦.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ	٢٦٢.....	بَلَاغَةُ الآيَتَيْنِ
٢٩٧.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	٢٦٤.....	الآيَاتِ (٤٨ - ٥٠)
٢٩٧.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	٢٦٤.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ

- ٣٥٠ ..... الآيات (٦٨ - ٦٥) ..... ٣٠٣ ..... الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ  
 ٣٥٠ ..... غَرِيبُ الكَلِمَاتِ ..... ٣٠٥ ..... الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ  
 ٣٥١ ..... المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ ..... ٣٠٨ ..... بِلَاغَةُ الآيَاتِ ..... ٣١٢ ..... الآيات (٦١ - ٥٧)  
 ٣٥٢ ..... تَفْسِيرُ الآيَاتِ ..... ٣١٢ ..... غَرِيبُ الكَلِمَاتِ ..... ٣١٢ ..... الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ  
 ٣٥٩ ..... الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ ..... ٣١٣ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣١٥ ..... المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ  
 ٣٦٠ ..... الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ ..... ٣١٦ ..... تَفْسِيرُ الآيَاتِ ..... ٣٢٢ ..... الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ  
 ٣٦٦ ..... بِلَاغَةُ الآيَاتِ ..... ٣٢٢ ..... غَرِيبُ الكَلِمَاتِ ..... ٣٢٤ ..... الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ  
 ٣٦٩ ..... الآيات (٧١ - ٦٩) ..... ٣٢٨ ..... بِلَاغَةُ الآيَاتِ ..... ٣٣٢ ..... الآيات (٦٤ - ٦٢)  
 ٣٦٩ ..... غَرِيبُ الكَلِمَاتِ ..... ٣٣٢ ..... غَرِيبُ الكَلِمَاتِ ..... ٣٣٣ ..... المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ  
 ٣٧٠ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٣٣ ..... تَفْسِيرُ الآيَاتِ ..... ٣٣٩ ..... الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ  
 ٣٧٢ ..... المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ ..... ٣٣٣ ..... الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ ..... ٣٤٠ ..... الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ  
 ٣٧٢ ..... تَفْسِيرُ الآيَاتِ ..... ٣٤٤ ..... بِلَاغَةُ الآيَاتِ ..... ٣٤٤ ..... بِلَاغَةُ الآيَاتِ  
 ٣٧٧ ..... الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ  
 ٣٧٨ ..... الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ  
 ٣٨٠ ..... بِلَاغَةُ الآيَاتِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ  
 ٣٨٤ ..... الآيات (٧٧ - ٧٢) ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ  
 ٣٨٤ ..... غَرِيبُ الكَلِمَاتِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ  
 ٣٨٥ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ ..... ٣٤٤ ..... مُشْكِلُ الإِعْرَابِ

٤٣٥.....	بِلاغَةُ الْآيَاتِ	٣٨٦.....	الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ
٤٣٧.....	الْآيَاتِ (٨٧ - ٨٩)	٣٨٧.....	تَفْسِيرُ الْآيَاتِ
٤٣٧.....	غَرِيبُ الْكَلِمَاتِ	٣٩٦.....	الْفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٤٣٨.....	مُشْكِلُ الْإِعْرَابِ	٣٩٨.....	الْفَوَائِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٤٣٨.....	الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ	٤٠٣.....	بِلاغَةُ الْآيَاتِ
٤٣٩.....	تَفْسِيرُ الْآيَاتِ	٤٠٩.....	الْآيَاتِ (٧٨ - ٨١)
٤٤٧.....	الْفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٤٠٩.....	مُشْكِلُ الْإِعْرَابِ
٤٥٠.....	الْفَوَائِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٤٠٩.....	الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ
٤٥٦.....	بِلاغَةُ الْآيَاتِ	٤١٠.....	تَفْسِيرُ الْآيَاتِ
٤٥٨.....	الْآيَاتِ (٩٠ - ٩٣)	٤١٤.....	الْفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٤٥٨.....	غَرِيبُ الْكَلِمَاتِ	٤١٥.....	الْفَوَائِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٤٥٩.....	الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ	٤١٨.....	بِلاغَةُ الْآيَاتِ
٤٦٠.....	تَفْسِيرُ الْآيَاتِ	٤٢١.....	الْآيَاتِ (٨٢ - ٨٦)
٤٦٦.....	الْفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٤٢١.....	غَرِيبُ الْكَلِمَاتِ
٤٧٠.....	الْفَوَائِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٤٢٢.....	الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ
٤٧٤.....	بِلاغَةُ الْآيَاتِ	٤٢٣.....	تَفْسِيرُ الْآيَاتِ
٤٨١.....	الْآيَاتِ (٩٤ - ٩٦)	٤٢٩.....	الْفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٤٨١.....	غَرِيبُ الْكَلِمَاتِ	٤٣٢.....	الْفَوَائِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ

٥٣١.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٤٨٢.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ
٥٣٥.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٤٨٤.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٥٣٧.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	٤٨٥.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ
٥٤٠.....	الآيَاتِ (١٠٦ - ١٠٨)	٤٩١.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٥٤٠.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ	٤٩٢.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٥٤١.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ	٥٠١.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ
٥٤٥.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	٥٠٤.....	الآيَاتِ (٩٧ - ١٠٠)
٥٤٥.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	٥٠٤.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ
٥٥١.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٥٠٤.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ
٥٥٢.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٥٠٥.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٥٥٧.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	٥٠٦.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ
٥٦٠.....	الآيَاتِ (١٠٩ - ١١٠)	٥١١.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٥٦٠.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ	٥١٣.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٥٦٢.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	٥١٧.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ
٥٦٢.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	٥٢٠.....	الآيَاتِ (١٠١ - ١٠٥)
٥٦٨.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٥٢٠.....	غَرِيبُ الكَلِمَاتِ
٥٦٩.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٥٢١.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٥٧٥.....	بَلَاغَةُ الآيَاتِ	٥٢٢.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ

٥٩٦.....	غريبُ الكَلِمَاتِ	٥٨٢.....	الآيات (١١٥ - ١١١)
٥٩٦.....	مُشْكِلُ الإِعْرَابِ	٥٨٢.....	غريبُ الكَلِمَاتِ
٥٩٧.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ	٥٨٣.....	المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ
٥٩٨.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ	٥٨٤.....	تَفْسِيرُ الآيَاتِ
٦٠٥.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ	٥٨٨.....	الفَوَائِدُ التَّرْبَوِيَّةُ
٦٠٦.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ	٥٨٨.....	الفَوَائِدُ العِلْمِيَّةُ وَاللِّطَائِفُ
٦١٠.....	بِلاغَةُ الآيَاتِ	٥٩٣.....	بِلاغَةُ الآيَاتِ
٦١٥.....	الفهرس	٥٩٦.....	الآيات (١٢٠ - ١١٦)

تم الصف والإخراج في

مؤسسة الدرر السنية

nashr@dorar.net

هاتف ٠١٣٨٦٨٠١٢٣

فاكس ٠١٣٨٦٨٢٨٤٨

جوال ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠



9 786038 154328